

**PAGES MISSING
WITHIN THE
BOOK ONLY**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190231

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ^ع ۸۹۲,۷۵ Accession No. ۱۰۹۲۶

Author ^{ص-ح} نفوس المرزوقی

Title

This book should be returned on or before the date
last marked below

لجوه من خط العرب

في عصور العرب الزاهرة

للمنفرد الأول

العصراحي، عصراحي، عصراحي

تأليف

أحمد زكي صفوت

استاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

كل الحقوق محفوظة

إشرافه: محمد بن عمران

۱۳۵

تفتیح

تفتیح

تفتیح

۱۳۵

تفتیح

تقدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابغة ، وآلائك الضافية ، وأصلي وأسلم على رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

• وبعد : فلإمراء أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة مرآة يتجلى فيها ما أحباهم الله من ذلاقة اللسان، وعذوبة البيان، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائحهم، وثمرات ألبابهم، في كثير من مناحي القول، وإنها لتعدّ - بعد القرآن الكريم والحديث الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية، وغودجا قويا يحتذيه المتأدب في تقويم قامه المعوجّ، وشحذ لسانه الكليل، وهي فوق ذلك معين فياض يستقى منه مؤرخ الأدب العربي ما يعين له من آراء، ومادة غزيرة يستنبط منها ما يقفه عليه البحث من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبعثرة مشورة في كتب الأدب والتاريخ، لا يؤلف بينها نظام، ولا يضم أشباتها كتاب، فإذا ما شئت أن تتعرف صورة الخطابة في عصر من العصور، أو تترجم لخطيب من خطباء العربية، ألفت الطريق أمامك وعرة شائكة، وأنفقت وقتا مديدا في التنقيب عن خطبه في

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بعد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،
وهو كتاب :

جمهرة رسائل العرب ، في عصور العربية الزاهرة

كى تكمل حلقة النثر العربى فى تلك العصور، إنه المستعان ، عليه توكلت

وإليه أنيب

أحمد زكى صفوت

حرر بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ
يوليو سنة ١٩٣٣ هـ



فهرس

مآخذ الخطب في هذا الجزء

-
- الأمالى : لأبي عليّ القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
الأغانى : لأبي الفرج الأصبهانى : « الرابع - السابع - الثامن - الحادى
عشر - الرابع عشر - الخامس عشر :
صبح الأعشى لأبي العباس القلقشندى : الجزء الأول - الثانى
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « الثالث - الخامس - السابع
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
الكامل : لأبي العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى
العقد الفريد : لابن عبد ربه : « « - الثانى - الثالث
زهر الآداب : لأبي إسحق الحضرى : « «
البيان والتبيين : للجاحظ : « « - الثانى - الثالث
نهج البلاغة : للشريف الرضى : « «
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول - الثانى
نجم الأمثال : لأبي الفضل الميدانى : « « - «
جمهرة الأمثال : لأبي هلال العسكري : « « - «
خزانة الأدب : لعبد القادر البغدادى : « «

تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر بن : الجزء الثاني- الثالث- الرابع- الخامس-

جرير الطبري : السادس

تاريخ الكامل : لابن الأثير : الجزء الأول- الثاني- الثالث

مروج الذهب : للمسعودي : » » - الثاني

الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : » »

المختصر في أخبار البشر : لأبي الفداء : » »

معجم البلدان : لياقوت الحموي : » الثامن

سيرة النبي ﷺ : لابن هشام : » الأول- الثاني

السيرة الحلبية : لابن برهان الدين الحلبي : » »

إعجاز القرآن : لأبي بكر الباقلاني :

بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور :

سرح العيون ، تشرح رسالة ابن زيدون :

لابن نباتة المصرى :

أنباء نجباء الأبناء : لابن ظفر المكي :

المحاسن والأضداد : للجاحظ :

الشعر والشعراء : لابن قتيبة :

شرح قصيدة ابن عبدون : لابن بدرون :

بلوغ الأرب : للسيد محمود شكري : الجزء الأول- الثالث

الألوسی :

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

الباب الأول

الخطبة الوصايا

في

العصر الجاهلي

اصلاح مرثد الخير

بين سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَبَيْنَ مَيْثَمِ بْنِ مُثَوِّبٍ

كان مرثد الخير بن ينكف قَيْلًا ، وكان حَدْبًا على عشيرته ، مجباً لصلاحهم ، وكان سُدَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ (١) ومَيْثَمِ بْنِ مُثَوِّبِ بْنِ ذِي رُعَيْنِ تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ، وخيف أن يقع بين حبيهما شرٌّ ، فیتفانى جذماهما (٢) ، فبعث إليهما مرثد ، فأحضرهما ليصلح بينهما ، فقال لهما :

[١] أخو علس ، وعلس هو ذو جعد .

[٢] الجذم : الأصل ، وكذا الجذر

١ - مقال مرثد الخير

إِنَّ التَّخْبِطَ ^(١) وَأَمْتِطَاءَ الْهَجَاجِ ^(٢) ، وَاسْتِحْقَابَ ^(٣) اللَّجَاجِ ، سَيَقِفُ كَمَا عَلَى شَفَا هُوَّةٍ ، فِي تَوْرُدِهَا ^(٤) بَوَارِ الْأَصِيلَةِ ^(٥) ، وَأَنْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَاوِيًا أَمْرًا كَمَا قَبْلَ أَنْكَاثِ ^(٦) الْمَهْدِ ، وَأَنْحِلَالِ الْعَمْدِ ، وَتَشْتَتِ الْأَلْفَةَ ، وَتَبَايُنِ السُّهُمَةِ ^(٧) ، وَأَنْتُمَا فِي فُسْحَةٍ رَافِيَةٍ ^(٨) ، وَقَدَمٍ وَاطِدَةٍ ^(٩) ، وَالْمَوَدَّةِ مَثْرِيَةٍ ^(١٠) ، وَالْبُقِيَا مُعْرِضَةً ^(١١) ، فَقَدْ عَرَفْتُمُ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ : مِمَّنْ عَصَى النَّصِيحَ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَصْنَعَى إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمُ مَا آتَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ سُوءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ ^(١٢) أُمُورِهِمْ ، فَتَلَاوَفُوا الْقَرْحَةَ ^(١٣) قَبْلَ تَفَاقُمِ النَّأْيِ ^(١٤) ، وَاسْتَفْحَالَ ^(١٥) الدَّاءَ ، وَاجْتَوَزَ الدَّوَاءَ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَفِكَتِ الدَّمَاءُ ، اسْتَحْكَمَتِ الشَّخْنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّخْنَاءُ ، تَقَضَّبَتِ ^(١٦) عَرَى الْإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ ^(١٧) الْبَلَاءُ .

٢ - مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سَبِيْعٌ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِي الْعَلَاتِ ^(١٨) لَا تُبْرِئُهَا الْأَسَاةُ ^(١٩) ،

[١] التخبط : ركوب الرجل رأسه في الشمر خاصة ، أو السير على غير هدى . [٢] ركب فلان هجاج (غير مصروف) ، ووهج منبأ على الكسر : أى ركب رأسه . [٣] الاستحقاب : استعمال من الحقيبة أو من الخناب ، فأما الحقيبة ، فما يحمل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والخناب : برجم تشد به المرأة وسطها (والبرجم خيط فيه لوان) ، وهذا مثل : إما أن يكون أراد أنه احترم بالهجاج أو جعله في وعائه . [٤] التورود : الإشراف على الماء وغيره ، دخله أو لم يدخله . [٥] الأصل . [٦] انقاص : (والأسكات جمع نكت ، وهو ما نقتض من الجبال ليعاد ثانية) . [٧] القرابة : [٨] ناعمة من الرافية . [٩] ثابتة . [١٠] متصلة . [١١] ممكنة قد أمكنت من عرضها ، أى من جنبها وناحتها ، يقال قد أعرض لك الطبي فارمه ، أى أمكك من عرسه . [١٢] طافية . [١٣] الجرح . (١٤) كالسعى والثرى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . [١٥] اشتداده ، وهو أن يصير مثل النحل . [١٦] تقطعت . [١٧] من بابي فرح ونصر . [١٨] العلة : الصرة ، وهو العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد ، (والأخفاف : من أمهم والمجددة والآباء شتى) . [١٩] جمع آس ، وهو الطيب .

وَلَا تَشْفِيهَا الرُّقَاةُ، وَلَا تَسْتَقِيلُ^(١) بِهَا الْكُفَاةُ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ، هُوَ الدَّاءُ
الْبَاطِنُ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَيْدِنَا هُوَالَاءَ، أَنَّا لَهُمْ رِدِيٌّ^(٢) إِذَا رَهَبُوا، وَغَيْثٌ إِذَا
أَجْدَبُوا، وَعَضُدٌ إِذَا حَارَبُوا، وَمَفْرَعٌ إِذَا نَسَكَبُوا، وَأَنَا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:
إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُوْنَا وَأُمَّنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ «

٣ - مقال ميثم بن مشوب

فَقَالَ مَيْثَمُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ مَنَ نَفْسَ عَلَيَّ ابْنِ أَبِيهِ الزَّعَامَةَ ، وَجَدَبَهُ^(٣) فِي
فِي الْمَقَامَةِ^(٤) ، وَأَسْتَكْتَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكِرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا^(٥) بِالْمَلَامَةِ ،
وَمَوْئِبًا عَلَى تَرْكِ الْأَسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْتَدُ لَهُمْ بَدِيًّا إِلَّا وَقَدْ نَالَهُمْ مِنَّا
كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ حَسَنَةً إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا
يَتَفَيَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلُّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبِلُوا بِشَرِّهَا^(٦) ، وَنَحْنُ بَنُو فَحْلٍ
مُقَرَّمٌ^(٧) ، لَمْ تَقْعُدْ بِنَا الْأُمَهَاتُ وَلَا بِهِمْ ، وَلَمْ تَنْزِعْنَا عِرَاقُ السُّوءِ وَلَا إِيَاهُمْ ،
فَعَلَامَ مَطَّ^(٨) الْخُدُودِ ، وَخَزَرُ الْعِيُونِ^(٩) وَالْجَنِيْفُ^(١٠) وَالنَّصَعْرُ ، وَالْبَابُ
وَالنَّكْبُورُ ؟ الْكَثْرَةُ عَدَدٌ ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ ، أَمْ لِطَوْلِ مُعْتَقِدٍ^(١١) ؟ وَإِنَّا
وَأِيَاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا هِ ابْنُ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي^(١٢)
وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ^(١٣) ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مُدَاجَاةٌ وَغَفِيرَةٌ^(١٤) «

[١] تنهض بها وتحملها . [٢] عون . [٣] عابه . [٤] المجلس . [٥] حليفاً .
[٦] مثلها . [٧] الفرم : السيد ، وأقرمه : جعله قرماً . [٨] مدّ . [٩] الحرر أن
ينظر الرجل إلى أحد عرضيه . يقال إنه لينجاررلى : إذا نظر إليه بؤخر عينه ولم يستقبله بنظره .
[١٠] التكبر ، وكذا البأر . [١١] اعتقد خيعة ومالا : افتداهما . [١٢] لاه : أراد لله ، فحذف
اللام الحافظة اكتفاء بالتي تليها ، والديان القائم بالأمر ، وتحزوني : تسوسني . [١٣] مهلكة .
[١٤] مسطرة وغفران .

٤ - مقال مرثد الخير

فَقَالَ الْمَلِكُ : « لَا تُنْشِطُوا ^(١) عُقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُثَقِّجُوا الْعُونَ
الْقَوَاعِدَ ^(٢) ، وَلَا تُورِّثُوا ^(٣) نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَفِيهَا الْمَتَلَفَةُ الْمُسْتَاصِلَةُ ،
وَالْجَائِحَةُ ^(٤) وَالْأَلِيلَةُ ^(٥) ، وَعَقُّوا بِالْجِلْمِ ، أَبْلَادَ ^(٦) الْكَلْمِ ، وَأَنْبِئُوا إِلَى
السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُقْبَلُ بِزَبْرَجٍ ^(٧) الْغُرُورِ ،
وَتُدْبَرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلَى نَصِيحَةً
وَقَلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرْتُ
فَلَا تَقْدَحًا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَبْقِيَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرَبًا تَجْرُ عَلَيْكَا
فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ
حَذَارِ ، فَلَا تَسْتَنْبِئُوهَا ، فَإِنَّهَا
فَقَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ نَقْبَلُ نُصْحَكَ ، وَنُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَنُطْفِئُ النَّارَةَ ^(٨)
وَنَحْلُكُ الضُّغَائِنَ ، وَنُثَوِّبُ إِلَى السَّلَامِ .
(الامال ١ : ٩٢)

[١] نشط العقدة عقدها ، وأنشطها حلها ، والعقل ككنت جمع عقال ، وهو الحل .

[٢] هو مثل ، وأصله في الإبل ، يقال : لفتحت الناقة إذا حملت ، وألفحها الفحل ، ثم ضرب ذلك مثلا للحرب إذا ابتدأت ، والعون جمع عوان ، وهي الثيب . يقال للحرب عوان إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة :
[٣] تدكوا . [٤] الاستئصال . [٥] الشكل . [٦] الأبلاد : الآثار ، جمع بلد (كالندوب)
جمع نذب) . [٧] السحاب الذي تسفره الرياح . [٨] النابه . [٩] تفوتهم : تسقيهم الفواق
(وهو ما بين الخلبين) والدعاف : الدم أو سم ساعة (وسم ذعاف) والمقشم : الخلوط .

[١٠] هو مثل ، أى لا تحرجوا نبيتها ، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت : يريد لا تثير والحرب . وهكشما :
مقطوعاً . [١١] العداوة والشقاء .

٥ - طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول حمير

اجتمع طريف بن العاصي الدوسي ، والحارث بن ذبيان (وهو أحد
المعمرين) عند بعض مقاول^(١) حمير ، فتفاخرا . فقال الملك للحارث : يا حارث ،
ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟ فقال :
أخبرك أيها الملك . خرج هجينان^(٢) منا يرعيان غنما لهما ، فتشاولا^(٣) بسيفينهما ،
فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا ، فعاث^(٤) فيه السيف ، فبرف^(٥) ، فمات ،
فسألونا أخذ دية صاحبنا دية الهجين ، وهي نصف دية الصريح^(٦) ، فأبى
قومي ، وكان لنا رباه^(٧) عليهم ، فأيننا الإديّة الصريح ، وأبوا الإديّة الهجين ،
فكان اسم هجيننا ذهين بن زبراء ، واسم صاحبهم عنقش بن مهيّرة ، وهي
سوداء أيضاً^(٨) ، فتفاقم الأمر بين الحيين ، فقال رجل منا :

حُلومكم يا قوم لا تُعزّبنا
وأدوا إلى الأقوام عقل ابن عمهم
ولا تُرهقوهم سبة في العشار^(٩)
بدون خليف أو أسيد بن جابر^(١٠)
وِينكم ، والسيف أجور جائر
فإن لم تُعاطوا الحق فالسيف بئنا

[١] جمع مقول ، والمقول والقليل هو الذي دون الملك الأعظم . [٢] الهجين : عربي ولد من
أمة ، أو من أبوه خير من أمه (والمقرف : الذي أمة عربية ، وأبوه ليس بعربي) .
[٣] تضاربا . [٤] أسد . [٥] نرف الرجل إذا سال دمه حتى يصعب . [٦] الصريح
الحائس النسب . [٧] زيادة . [٨] كداف في الأصل ، ولم يتقدم الحكم على شيء بالسواد ، ولعل الأصل :
« ذهين بن زبراء وهي سوداء » . [٩] لا تبعثها - وأعرب بعد وأبعد . [١٠] العقل : الدية ،
يقال : عقلت فلانا إذا غرمت ديتسه ، وعقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جابته . وأرهقته عسراً :
كأبته ذلك ••• [١١] فاد يفود : مات (وفاد يفيد : تبعث) .

تظافروا^(١) علينا حسداً، فأجمع ذوو الحُجُبِي منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزدي،
لحقنا بالنعمير بن عثمان، فوالله ما فتت^(٢) في أعضادنا، فأبنا عنهم، ولقد أثارتنا^(٣)
ساحبتنا وهم راغمون .

فوثب طريف بن العاصي من مجلسه، فجلس بإزاء الحرث، ثم قال :
تالله ما سمعتُ كالْيَوْمِ قولاً أبعدَ من صواب ، ولا أقربَ من خَطَل^(٤) ،
ولا أجلبَ لَقَدَع^(٥)، من قول هذا ؛ والله أيها الملك ما قتلوا بهجيتهم بدَجًا^(٦)، ولا
رَقُوا به دَرَجًا ، ولا أنطوا^(٧) به عَقلاً ، ولا أجتفتُوا^(٨) به خَشَلًا^(٩) ، ولقد
أخرجهم اخوف عن أصلهم ، وأجلاهم عن محلهم ، حتى أستلناوا خشونة الإزعاج ،
وجئوا إلى أضيق الولاَج^(١٠) : فلا وذُلا .

فقال الحارث : أسمع يا طريف ، إني والله ما إخالك كافاً غَرَب^(١١) لسانك ،
ولا مُنْهِنِها^(١٢) شِرَّةَ نَزوانك ، حتى أسطوبك سَطُوةً تَكْفُطِ طِماحك ، وترد
جِحاك ، وتكفيت تترُك^(١٣) ، وتقمع تسرعك .

فقال طريف : مهلا يا حارث ، لا تعرِض لِطَحْمَةِ^(١٤) استناني ، وذَرَب^(١٥)
سناني ، وغَرَبَ شبابي ، وميسم^(١٦) سبابي ، فتكون كالأظَلَّ^(١٧) الموطوء ،
والعَجَبُ المَوْجُوء^(١٨) .

[١] تظافروا . [٢] أوهن وأضعف . [٣] أثارت : أدركت منه تأري (وأصله اثتأر) . [٤] خطأ .
[٥] الكلام اليبج ، أفذع له إذا أسمعته كلاماً قبيحاً . [٦] البنج : الحروف ، فارسي ، عرب .
[٧] لمة في أعطوا . [٨] صرعوا . [٩] الحشل : شجر المقل (الدوم) وهذه أمثال كلها ، يريد
أنهم لم يبالوا تأره . [١٠] الولاَج الباب ، وجمعه الولج ، وهي أيضاً الواحي والأزفة . [١١] غرب الشيء حده .
[١٢] نهته عن الأمر منهته كفه وزجره فكف ، والشرة : الحدة ، والنزوان : الوثوب . [١٣] التدرغ
إلى الشر . [١٤] طحمة السيل دفنته ، واستنّ الفرس قمص وعدا لمرحه ونشاطه شوطاً أو شوطين ،
والاستنان النشاط ، استنّ الفرس حرى في نشاطه على سنفته في جهة واحدة . [١٥] الذرب الحدة ،
وكذا العرب . [١٦] المكواة . [١٧] الأظل : أسفل حمت العير . [١٨] العجب : أصل الذنب
والموجوء المدقوق (من وجأ اللبيس : دق عروق خضيبه بين حجرين ولم يخرجهما ، شبيهاً بلحصاء) .

فقال الحرث: إياي تخاطب بمثل هذا القول؟ فوالله لو وطئتكَ لَأَسَخْتِكَ^(١)،
ولو وهَصَّتكَ^(٢) لَأَوْهَطَّتَكَ^(٣)، ولو نَفَحَّتَكَ^(٤) لَأَقْدَتَكَ .

فقال طريف متمثلاً :

وَإِنْ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَسَكَ النَّبْلُ تَهْوَى لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا
أَمَّا وَالْأَصْنَامِ الْمَجْجُوبَةِ ، وَالْأَنْصَابِ^(٥) الْمَنْصُوبَةِ ، لَنْ لَمْ تَرْبَعِ عَلَى ظَلَمِكَ^(٦) ،
وَتَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ ، لَأَدْعَنَّ حَزَنَكَ سَهْلًا ، وَغَمْرَكَ ضَحْلًا^(٧) ، وَصَفَاكَ^(٨) وَحَلًا .

فقال الحرث : أَمَا وَاللَّهِ لَوْرُمْتَ ذَلِكَ لَمُرُّغْتَ بِالْحَضِيضِ^(٩) ، وَأَغْضِضْتَ
بِالْجَرِيضِ^(١٠) ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الرَّحَابُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ ، وَلَافِيَتْ
لِقِي^(١١) تَهَادَاهِ الرَّوَامِسِ^(١٢) ، بِالسَّهْبِ الطَّامِسِ .^(١٣)

فقال طريف : دُونَ مَا نَاجَيْتَكَ بِهِ نَفْسُكَ ، مُقَارَعَةً أَبْطَالَ ، وَحِيَاضُ
أَهْوَالَ ، وَحَفْزَةً^(١٤) إِنْجَمَالَ ، يُمْنَعُ مَعَهُ تَطَامُنُ الْأَهْمَالِ .

فقال الملك : إِيهَأْ^(١٥) عَنْكُمَا ، فَمَا رَأَيْتَ كَالْيَوْمِ مَقَالَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَقْصِبَا^(١٦) ،
وَلَمْ يَثْلِبَا^(١٧) ، وَلَمْ يَلْصُقُوا^(١٨) ، وَلَمْ يَقْفُوا^(١٩) . (الأمل ١ : ٧٣)

[١] أساخه : جهله يسبح (أو يسوخ في الأرض) أى يفوس . [٢] كسرتك .
[٣] صرعتك صرعة لا تقوم منها . [٤] نفعه بسيفه : تناوله . [٥] الأنصاب : حجارة كانت
حول الكعبة تنصب فيها ويذبح غير الله تعالى ، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعبدت من دون الله
جمع نصب ، وقيل النصب جمع نصاب . [٦] ربع يربع : كفف ، وظل ظلعاً غمز في مشيه ، واربع على
ظلمتك أى إلك ضيف فانتع عما لا تطيقه وكف . [٧] الغمر : الماء الكثير ، والصحل : الماء القليل
(وكذا الضحاح) . [٨] الصفا جمع : صفاة وهى الحجر الصلد الضخم أو الصفا بمعنى الصفو .
[٩] أسفل الجبل . [١٠] الجريض : الغصنة من الجرض ، وهو الريق ينص به يقال جرض بريقه
يجرض اتلمه بالجهد على هم وحزن ، وفى المثل : حال الجريض دون القريص ، يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً
حين لا ينفع . قاله جوشن الكلابى حين منعه أبوه من الشعر فرض حزناً حتى أشرف ، فرق له وقال
انطق بما أحببت ، فقال ذلك . [١١] اللقي : الملقى المطروح . [١٢] الروامس : الرياح التى ترمس
أى تدفن [١٣] المستوى من الأرض ، والطامس . الدارس (كالتاسم) [١٤] الحفر : الدفع .
[١٥] إيهأ : كلمة زجر بمعنى حسبك (وإيه . أمر . كلمة استزادة واستنطاق) . [١٦] لم يشتما .
قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصله القطم . [١٧] ثلبه : حابه . [١٨] لصاه : قذفه . [١٩] قماه :
قذفه بأمر عظيم .

٦ - منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامرين

لَمَّا أَسَنَّ أَبُو بَرَاءَ : عامر بن مالك بن جعفر بن مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ ، تنازع في
الرئاسة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وَعَلْقَمَةَ بْنَ عَلَاثَةَ بْنَ عَوْفِ بْنِ
الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرٍ .

فقال علقمة : كانت لجدِّي الْأَحْوَصِ ، وَإِنَّمَا صَارَتْ لعمك بسببه ، وقد
قعد عمك عنها ، وَأَنَا استرجعتها ، فَأَنَا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَشَرِيَّ (١) الشَّرُّ بَيْنَهُمَا ،
وَسَارًا إِلَى الْمَنَافَرَةِ . فقال علقمة : إِن شِئْتَ نَافَرْتُكَ ، فقال عامر قد شئت .

وَاللَّهِ إِنِّي لَا كَرَمَ مِنْكَ حَسَبًا (٢) ، وَأَثَبْتَ مِنْكَ نَسَبًا ، وَأَطُولُ مِنْكَ قَصَبًا (٣)
فقال علقمة : وَاللَّهِ لَأَنَا خَيْرُ مِنْكَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فقال عامر : وَاللَّهِ لَأَنَا أَحَبُّ
إِلَى نِسَائِكَ أَنْ أَصْبِحَ فِيهِنَّ مِنْكَ ، أَنَا أَنْحَرُ مِنْكَ لِلْقَاحِ (٤) ، وخير منك في
الصباح ، وَأَطعمُ مِنْكَ فِي السَّنَةِ الشَّيَاحِ (٥) .

فقال علقمة : أَنَا خَيْرُ مِنْكَ أَثَرًا ، وَأَحَدْتُ مِنْكَ بَصْرًا ، وَأَعَزُّ مِنْكَ نَفَرًا ،
وَأَشْرَفُ مِنْكَ ذِكْرًا . فقال عامر : لَيْسَ لِبَنِي الْأَحْوَصِ فَضْلٌ عَلَى بَنِي مَالِكٍ فِي
الْعَدَدِ ، وَبَصْرِي نَاقِصٌ ، وَبَصْرُكَ صَحِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكْتُ ، إِنِّي أَسْمَى مِنْكَ
سُمَّةً (٦) ، وَأَطُولُ مِنْكَ قِمَّةً ، وَأَحْسَنُ مِنْكَ لِمَةً (٧) ، وَأَجْعَدُ مِنْكَ مُجَّةً (٨) ،

[١] استنار . [٢] الحسب : ما تده من مفاخر آباءك ، أو الشرف الثابت في الأبناء أو الكرم
أو الشرف في الفعل أو الفعل الصالح . [٣] العصب : عظام الديدن والرجلين ونحوهما كناية عن طول
قامته . [٤] الابل : واحدها لقوح . [٥] الشياح : القعط . [٦] السمة : القرابة ،
ويروي أنا أشرف منك أمة ، أي أكثر قوما . [٧] اللمة : للشمخ الحاوز شحمة الأذن .
[٨] مجتمع شعر الرأس

وَأَسْرَعُ مِنْكَ رَحْمَةً ، وَأَبْعَدُ مِنْكَ هِمَّةً . فَقَالَ عَلْقَمَةُ : أَنْتَ رَجُلٌ جَسِيمٌ ، وَأَنَا رَجُلٌ قَصِيفٌ ^(١) ، وَأَنْتَ جَمِيلٌ ، وَأَنَا قَبِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنُفِرُكَ بِأَبَائِي وَأَعْمَامِي . فَقَالَ عَامرٌ : آبَاؤُكَ أَعْمَامِي ، وَلَمْ أُكُنْ لِأَنُفِرُكَ بِهِمْ ، وَلَكِنِّي أَنُفِرُكَ ، أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ عَقِبًا ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ جَدًّا . فَقَالَ عَلْقَمَةُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ عَقِبًا ، وَقَدْ أَطْعَمْتَ طَيْبًا ، وَلَكِنِّي أَنُفِرُكَ ، إِنِّي خَيْرٌ مِنْكَ ، وَأَوْلَى بِالْخَيْرَاتِ مِنْكَ .

فَخَرَجَتْ أُمُّ عَامرٍ - وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلَامَهُمَا - فَقَالَتْ : يَا عَامرُ نَافِرُهُ ، أَيَكُمَا أَوْلَى بِالْخَيْرَاتِ . قَالَ عَامرٌ : إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرْكَبُ مِنْكَ فِي الْحُمَاةِ ، وَأَقْتُلُ مِنْكَ لِلِكُمَاةِ ^(٢) ، وَخَيْرٌ مِنْكَ لِلْمَوَالِي وَالْمَوَالِيَةِ . فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَبَرٌّ ، وَإِنَّكَ لِفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلُدٌ ، وَإِنَّكَ لِعَاقِرٌ ^(٣) ، وَإِنِّي لَعَفٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَادِرٌ ، فَفِيمَ تَفْخَرُ نِي يَا عَامرُ ؟ فَقَالَ عَامرٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْزَلُ مِنْكَ لِلْقَفْرَةِ ^(٤) ، وَأَنْحَرُ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ ^(٥) ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلْهَبْرَةِ ^(٦) ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلنُّغْرَةِ . فَقَالَ عَلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لِكَلِيلِ الْبَصْرِ ، نَكِيدِ النَّظَرَ ، وَثَابِ عَلَى جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدُومُونَ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ تُطِيقَ عَامِرًا ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ أَنُفِرُكَ بِخَيْرِنَا وَأَقْرَبِنَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامرٌ : عَيْرٌ ^(٧) وَتَيْسٌ ، وَتَيْسٌ وَعَنْزٌ . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . نَعَمْ ، عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكَمَ ، أَيُّنَا نَقَرَ

[١] نحيف من القفض ، وهو النحافة . [٢] جمع كمي ، وهو الشجاع . [٣] رجل عامر لم يولد له ولد . [٤] النقرة : القفر . الحلاء من الأرض . [٥] البكرة : الفتية من الإبل . [٦] الهبرة : قطعة مجتمعة من اللحم . هبرة قطمه قطعاً كبيراً ، وهبر له من اللحم هبرة قطع قطعة . [٧] العير : الحمار وغناب على الوحشي ، وهو أقوى من التيس ، أي مثلي وإياك كالعير والتيس ، أو على الأقل كالتييس والعنز إذ التيس أقوى على النطح من العنز ، وفي المثل : « كان عنزا فاستتييس » أي صار تيساً . يهزب للذليل الضعيف بصير عزيزاً توباً .

عليه صاحبه أخرجهما ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهنًا من أبنائهم على يدي رجل يُقال له خزيمه بن عمرو بن الوحيد ، فسمى « الضميين » .

وخرج علقمة ومن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ، وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئًا ، وكره ذلك لهما وحال عشيرتهما ، وقال أنتما كركبتى البعير الأذرم^(١) ، قالاً : فأيتنا اليمين؟ قال كلاً كما عيين ، وأبي أن يقضى بينهما . فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبي أن يحكم بينهما - وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش - فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبي أن يقول بينهما شيئًا ، فأتيا غيلان بن سلمة الثقفي ، فردّهما إلى حرمة بن الأشعر المرسي ، فردّهما إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري ، فانطلقا حتى نزلا به ، وقد ساقا الإبل معهما حتى أشدت وأربعت ، لاياتيان أحداً إلا هاب أن يقضى بينهما ، فقال هرم : لعمرى لأحكمن بينكما ثم لأفصلن ، فأعطيناني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتُسألما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم من قابل ، فانصرفا ، حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، وأقام القوم عنده أياماً .

فأرسل هرم إلى عامر فاتاه سرّاً لا يعلم به علقمة ، فقال يا عامر : قد كنت أرى لك رأياً ، وأن فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتصرف عن صاحبك ، أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بأبائه ! فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة ، فوالله لئن

[١] درم العظم : واره اللحم حتى لم ين له حجم ، وامرأة درماة لانتستين كموبها ومرافقها ، وكل ماغطاه اللحم واللحم وخو حجهه فند درم .

فعلت لا أفدحُ بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجزؤها واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بد فاعلا ، فسو بيني وبينه ، قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينقره ^(١) عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر ، فأتاه ، وقال له مثل ما قال لعامر ، فرد عليه علقمة بما رد به عامر ، وانصرف وهو لا يشك أنه سيفضّل عليه عامراً . ثم إن هرماً أرسل إلى بنيه وبنى أبيه : إني قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر ، فلينجرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشر جزائر ، ينجرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة ، وأصبح هرم فجلس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحما كتما عندي ، وأتما كركبتي البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ماليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم ، وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أمرهم هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل ، وهما ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

(الأغانى ١٥ : ٥١ ، وصح الأعرابي ١ : ٣٨٢ ، وشرح البيهقي ١٠٦ ، والعمدة ١ : ٢٨)

أشراف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى ^(٢) . للنعمان بن المنذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متواليّة رؤساء ، ثم انصل ذلك بكامل الرابع ، فالييت من قبيلته فيه ، ويُدسب إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة ابن بدر ، وآل حاجب بن زُرارة ، وآل ذى الجدين ، وآل الأشعث بن قيس بن كندة ،

[١] أنقره عليه ونقره عليه : قضى له عليه بالعاقبة .

[٢] هو كسرى أبو شروان حكّم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

لجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم ، وأقعد لهم الحكام والعدول ، وقال : ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان السنن القوم ، فقال :

٧ - مقال حذيفة بن بدر الفزاري

« قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعز الأعظم ، ومأثرة ^(١) للصنيع الأكرم ، فقال من حواه : ولم ذلك يا أبا فزارة ؟ فقال : أسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضم ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتِ الْعِزِّ ، وَالْعِزُّ فِيهِمْ	فَزَارَةُ قَيْسٍ ، حَسْبُ قَيْسٍ نِضَالُهَا
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي	بَنَاهُ لِقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا
فَهِيهَاتَ قَدَّاعِيَا الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ	مَأْتَرُ قَيْسٍ تَجِدُهَا وَفِعَالُهَا
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ هَزَّ يَوْمًا بِكَلْفِهِ	إِلَى الشَّمْسِ فِي تَجْرِي النُّجُومِ يَنَالُهَا
فَإِنْ يَصْأُحُوا يَصْأُحُ لِدَاكَ جَمِيعُهَا	وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدُ مِنَ النَّاسِ حَالُهَا

٨ - مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرايته من النعمان بن المنذر - فقال : قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ، وزحفها الأكبر ، وإنا أعيان الكربات ، ومعدن المكربات ، قالوا : ولم يا أبا كندة ؟ قال : لأننا ورثنا ملك كندة ، فاستظللنا بأفيائه ^(٢) ، وتقلدنا منكبته الأعظم ، وتوسطننا بمجبوحة الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال :

إِذَا قَسَتْ آيَاتُ الرِّجَالِ بَيْتِنَا وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ يَفَاخِرُ

[١] الأثرة بالفتح والعم : المكرمة المتوارثة . [٢] جمع في ، وهو ما كان شمساً وينسجه الظل .

فَنَ قَالَ كَلًّا ، أَوْ أَنَا بِحُطَّةٍ يُنَافِرُنَا فِيهَا فَنَحْنُ نَخَاطِرُ
تَعَالَوْا قَتَلُوا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَيْنَا لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثَهُ الْأَكْبَرُ

٩ - مقال بسطام الشيباني

ثم قام بسطام الشيباني ، فقال : قد علمت العرب أنا بُنَاةُ بيتها الذي
لا يزول ، ومغرسُ عزها الذي لا يحول ، قالوا ولم يا أخا شيبان ؟ قال لأننا
أدركهم للثار ، وأضربهم للملك الجبار ، وأفومهم للحكم ، وأدثهم للخضم ،
ثم قام شاعرهم ، فقال :

لعمري بسطام أحق بفضلها	وأول بيت العز عز القبائل
فسائل - أبيت اللعن - عن عز قومها	إذا جدد يوم الفخر كلُّ مناقل ^(١)
ألسنا أعز الناس قوماً وأصرة	وأضربهم للكبش بين القبائل ^(٢)
وقائع غر كلتها ربعية	تدل لها عزاً رقب المحافل
إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها	وعاذ بها من شرها كل وائل ^(٣)
وإننا ملوك الناس في كل بلدة	إذا نزلت بالناس إحدى الزلازل

١٠ - مقال حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي ، فقال : قد علمت ممدُّ أنا فرع^(٤) دعامتها ،
وقادة زحفها ، قالوا : ولم ذلك يا أخا بني تميم ، قال : لأننا أكثر الناس عديدا ،
وأنجبهم طراً وليدا ، وأنا أعطاهم للجزيل ، وأحملهم للنقيل ، ثم قام
شاعرهم ، فقال :

[١] أبيت اللعن : تحية في الجاهلية ، أى أبيت أن تأتي أمراً تلعن عليه . والمناقلة و المنافقة : أن تحدث
آخر ويحدثك . [٢] الكبش : سيد القوم وفأدهم . [٣] لاجىء ، من وأل إليه يثل وألا .
[٤] نوع كل شىء : أعلاه .

- لقد علمت أبناء خندف أننا لنا العز قديماً في الخطوب الأوائل (١)
 وأنا كرام أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
 فكم فيهم من سيد وابن سيد أغر نجيب ذي فعال ونائل (٢)
 فسائل (أبنت اللعن) عنا فاننا دعائم هذا الناس عند الجلائل (٣)

١١ - مقال قيس بن عاصم السعدي

ثم قام قيس بن عاصم السعدي، فقال : لقد علم هوؤلاء أنا أرفعهم في
 المكرمات دعائم، وأثبتهم في النائبات مقاديم، قالوا : ولم ذلك يا أبا بني سعد ؟
 قال : لأننا أذركم للشار، وأمنعهم للجبار، وأنا لا ننكل (٤) إذا حملنا،
 ولا نرام إذا حملنا، ثم قام شاعرهم فقال :

- لقد علمت قيس وخندف أننا وجل تميم والجميع الذي ترى (٥)
 بأننا عماد في الأمور وأنا لنا الشرف الضخم المركب في الندى
 وأنا ألوث الناس في كل مأزق إذا جز بالبيض الجماجم والطلا (٦)
 فن ذا اليوم الفخر يعدل عاصماً وقيساً إذا برت ألوف إلى الملا
 فبهيات قد أعيأ الجميع فعالهم وقاهوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، وأسنى جباهم،

وأعظم صلاتهم، وكرم ما بهم . (صح الأعتى ١ : ٣٧٧)

[١] خندف : هي أم مدركة وطابحة وقعة أبناء الياس بن مصر بن نزار بن معد بن عدنان .

[٢] العمال : اسم الفعل الحسن، والكرم . [٣] أي الأمور الجلائل جمع جلية .

[٤] لا تكس ولا نجبن . [٥] قيس بن عيلان بن مصر . [٦] الطلا : جمع طلبة .

وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فدكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزّة الملك - يا نعمان ، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانتها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، ويردّ سفيفها ، ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها ، منع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أسجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها مُلكاً يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الرّيف ^(١) والثمار والحصون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصيمهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة ، ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذلتها ، وصغر همتها ^(٢) محبّتهم التي همّ بها مع الوحوش النافرة ، والطيور الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفّر به ناعمهم لحوم الأبل ، التي يعافها كثير من السماع ، لنقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائنها ، وإن قرى أحدهم ضيقاً عدّها مكرومة ، وإن أطعم أكله عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه النوحية التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّ مملكاتها ، ومنعها من عدوّها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً ولبوساً ^(٣) ، وقرى وحصوناً ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعني اليمن - ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الدلّة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن

[١] الريف : أرض فيها زرع وخصب ، والسعة في الماء كل والمشرّب . [٢] حل المكان وبه يحل بالكبر والغم . [٣] الدرع . .

تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . حُقَّ (١) لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، إلا أن عندي جواباً في كلِّ ما نطق به الملك ، في غير ردِّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإنَّ أمتي من غضبه نطقت به ، قال كسرى : قل فأنت آمن .

١٢ - خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تتنازع في الفضل ، أو ضمها الذي هي به : من عقولها وأحلامها ، وبسطة محلها ، وبجُبُوحة عزّها ، وماء كرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت ، فأى أمة تقرُّنُها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بعزّها ، ومنعتها ، وحسن وجوهها ، وبأسها ، وسخائها ، وحكمة أسنتها ، وشدة عقولها ، وأنفتها ، ووفائها . فأمّا عزّها ومنعتها ، فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، وبهائم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يُعرف فضلهم في ذلك على غيرهم : من الهند المنخرقة ، والصين المنخفة ، والترك المشوّهة ، والروم المقشّرة .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباها وأصولها وكثيراً من أولها ، حتى إنَّ أحدهم ليُسأل عن ورائه أياً دُنياً (٢) ، فلا ينسبُه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسمي آباءه أبا فاباً ، حاطوا بذلك

[١] حق لك أن تفعل كذا وحققت أن تفعله بمعنى . [٢] هو ابن عمي ديباً بضم الهمزة وكسرهما مع الذوين ، وكسرهما بلا تنوين : أي لحا .

أَحْسَابُهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ ، فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ ، وَلَا يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ .

وأما سخاؤها ، فإن أدنانهم رجلا ، الذي تكون عنده البكرة والثاب^(١) ، عليها بلاغة^(٢) في حموله^(٣) وشبهه^(٤) وريبه ، فيطره الطارق ، الذي يكتفي بالفيلة^(٥) ، ويحتزى بالشربة ، فيعقرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدثة وطيب الذكر .

وأما حكمة أسنتهم ، فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم ، وحسنه ووزنه وقوافيه ، مع معرفتهم الأشياء ، وضربهم للأمثال ، وإبلاغهم في الصفات ، ما ليس لشيء من السنة الأجناس ، ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونسأؤهم أعم النساء ، وإلباسهم أفضل اللباس ، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع^(٥) ، ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سافر ، ولا يقطع بثملها بلد قفر .

. وأما دينها وشريعتهما ، فإنهم متمسكون به ، حتى يبلغ أحدكم من نسكه بدينه أن لهم شهراً محرماً ، وبلداً محرماً ، وبيتاً محجوجاً ، ينسكون فيه متمسكهم ، ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثاره ، وإدراك رغمه^(٦) منه ، فيحجزه كرمه ، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى .

[١] الناقة : المسنة . [٢] البلاغ : السكامية . [٣] المول والأحبال جمع حمل . [٤] القطة من الشيء . [٥] الجرع ويكسر الحرر اليماني الصبي ، فيه سواد وبياض ، تشبه به العيون . [٦] الدال .

وأما وفاؤها ، فإن أحدهم يَلْحَظُ اللحظة ، وَيُؤَمِّئُ الإيَّامَةَ ، فهي وَثْ (١) وعقدة ، لا يَحْمِلُهَا إِلَّا خُرُوجَ نَفْسِهِ ، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رَهْنًا بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَغْلُقُ (٢) رَهْنُهُ ، وَلَا تُخْفَرُ (٣) ذِمَّتُهُ ، وإن أحدهم ليلبغه أن رجلاً استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يُفَنِّيَ تلك القبيلة التي أصابته ، أو تَفَنِّيَ قبيلته ، لما أَخْفَرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُحَدِّثُ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَثِدُونَ أولادهم ، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفةً من العار ، وَغَيْرَةَ من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - على ما وصفت منها - فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً لها ، فَعَمِدُوا إِلَى أَجْلِهَا وَأَفْضَلِهَا ، فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم شحوماً ، وأطيبها لحوماً ، وَأَرْقَاهَا أَلْبَانًا ، وَأَقْلَاهَا غَائِلَةً (٤) ، وأحلاها مَضْنَةً ، وإنه لا شيء من اللُحْمَانِ يُعَالَجُ مَا يُعَالَجُ بِهِ لَحْمُهَا إِلَّا اسْتَبَانَ فَضْلُهَا عَلَيْهِ .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أُنِسَتْ من نفسها ضعفاً ، وتخوفت نُهْوَسَ عدوها إليها بالزحف ، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ غَيْرِهِمْ ، فَيَلْقُونَ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ ،

[١] عهد . [٢] غلق الرهن : استحققه المرتين ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط .

[٣] خفر به وأخفراه : نقض عهده وغدره . [٤] شراً :

وينقادون لهم بأزمتههم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج والوُطْث ^(١) بِالْعَسْفِ .
وأما اليمين التي وصفها الملك ، فإنما أتى جدّ الملك إليها الذي ^(٢) أتاه ، عند غلبة الحبش له ، تلى ملك مُتَسِقٍ ، وأمر مجتمع ، فأتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وتربّه من يايه من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يجيد الطعان ، وينغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .»

فمجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لاهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ، ثم كساه من كسوته ، وسرّحه إلى موضعه من الحيرة .
فأما قدم النعمان الحيرة ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقّص العرب ، وتهجين ^(٣) أمرهم ، بعث إلى أكرم بن صيفي ، وحاجب بن زُرارة التميميين ، وإلى الحرث بن عبّاد ، وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعنقة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم المرّي .
فأما قدموا عليه في الخورتق ، قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم ، وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوّفت أن يكون لها غور ، أو يكون إنما أظهرها الأمر أراد أن يتخذه العرب خوفاً ، كبعض طماطمته ^(٤) ، في تأديتهم الخراج إليه ^(٥) ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقص عليهم مقالات

[١] الوطّ : العرب الشديد بالرجل على الأرض . [٢] هو سيف بن ذي يزن . [٣] تبيح واستهجان ، والهجة من الكلام ما يبيه . [٤] رحل طمطم وطمطي « بكسر الطاء بن » وطمطمان « نعهما » : في لسانه عجمة . [٥] كان الفرس يعفون عرب الحيرة من دفع الأتوة مقابل أن يقودوا بجملهم من كلّ عارة من نواحيهم .

كسرى ، وما ردّ عليه ، فقالوا: أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن ما رددت ! وأبلغ ما حججته به ! فرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وَعَزَزْتُ بِمَكَانِكُمْ ، وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبّ إليّ مما سدّد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّكم ، والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كلّ رجل منكم بما حضره ، ايعلم أن العرب على غير ما ظنّ ، أو حدّثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يفضيه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مُتَرَفٍّ ، مُعَجَّبٍ بنفسه ، ولا تنزلوا ^(١) له انخزال الخاضع الدليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثافة حلومكم ، وفضلُ منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أوّل من يبدأ منكم بالكلام أكرم بن صيفي ، ثمّ تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها ، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم ، علمي بميل كلّ رجل منكم إلى التقدّم ببل صاحبه ، فلا يكون ذلك منكم ، فيجدّ في آدابكم مَطْعَنَا ، فإنه ملك مترف ، وقادر مُسَلِّط ، ثم دعاهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك ، كل رجل منهم حلّة ، وعمّامة عمامة ، وخمّمة يياقوتة ، وأمر لكلّ رجل منهم بنجبية مهريّة ^(٢) وفس نجبية ، وكتب معهم كتابا : « أما بعد : فإن الملك ألقى إليّ من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتني بما قد فهم ، مما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجّج في نفسه أن أمة من الأمم اثني احتجرت دونه بمملكتهما ، وسمّحت ما يليها بفضل قوتها ، تبلغها في شيء منهن الأمور ، التي يتعزّز بها ذوو الحزم والقوّة والتديب والمكيدة ، وقد أوفدت أيها

[١] الانخزال : مشية في تفاعل . [٢] النجيب : البعير والمرس إذا كانا كرتين عتقبين ، والمهريّة :

سبة إلى مهرة بن حيدان ، هي تنسب إليه الإبل النجبية .

الملك رهطاً من العرب، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم،
فليسمع الملك، وليُعْمِضْ عن جفاء إن ظهر من منطقهم، وياكرمني بآكراههم،
وتعجيل سراحهم، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرهم» .

نخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن، فدفعوا إليه كتاب
النعمان فقراه، وأمر بإتزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم، فلما أن كان
بعد ذلك بأيام، أمر مرازبته^(١) ووجوه أهل مملكته، فحضرُوا وجلسُوا على
كراسي، عن يمينه وشماله، ثم دعا بهم على الولاء^(٢) والمراتب التي وصفهم النعمان
بها في كتابه، وأقام الترجمان^(٣) ليؤدّي إليه كلامهم، ثم أذن لهم في الكلام .

١٣ — خطبة أكثم بن صيفي

فقام أكثم بن صيفي فقال :

« إن أفضل الأتياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعينها نفعاً،
وخير الأزمنة أحصبها، وأفضل الخطباء أصددها، الصدق منجّاد، والكذب
مهوّد، والشر حاجة^(٤)، والحزم مرّ كَبْ صعب، والعجز مركب وطىء، آفة
الرأى الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخبر الأمور الصبر، حسن الظنّ ورطه،
وسوء الظنّ عبسمة، إصلاح فساد الرية خير من إصلاح فساد الراعى، من
فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء، شرّ البلاد بلاد لا أمير بها، شرّ الملوك من
خافه البرىء، المرء يعجز^(٥) لالأمجالّة^(٦)، أفضل الأولد البررة، خير الأعوان

[١] جمع مرزبان، فتح الميم وضمّ الرأى، هو الرئيس من الفرس . [٢] التنازع والتناوى،
مصدر والى . [٣] ترجمان: فتح الغاء وضمّ الحميم وضمّهما وبتنجهما . [٤] أى أصله اللجاجه،
وهي تمالك الحصين وتماديهما . [٥] من بابى ضرب وسبع . [٦] امجاله: الحيلة .

من لم يُراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسدت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلفك المجل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم^(١) وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف .

فتعجب كسرى من أكرم ، ثم قال : وَيُحَكَّ^(٢) يَا أَكْرَمُ مَا أَحْكَمَكَ وَأَوْثَقَ كَلَامَكَ ! لولا وضعك كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكرم : رب قول أنفذ من صول .

١٤ - خطبة حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي فقال :

« وَرَى^(٣) زَنْدِكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلْظَتْ أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ^(٤) مَرْتَبَهَا ، وَمَنْهَتْ دِرَّتَهَا^(٥) ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ، مُسْتَرَسَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَامَحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلْقَمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ^(٦) غَضَاضَةٌ^(٧) ، وَالْعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ^(٨) سَلَاسَةٌ^(٩) ، نَحْنُ وَفُودَهَا إِلَيْكَ ، وَأَسْنَتُهَا لَدَيْكَ ، ذَمَّتْنَا مَحْفُوظَةً ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعِشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطِيْعَةٌ ، إِنْ نَوَّيْتُ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا ، فَلِكْ بِذَلِكَ عَمُومٌ مَحْمَدَتْنَا ، وَإِنْ نَذَمْتُ لَمْ تُنْخَصْ بِالذَّمِّ دُونَهَا . »

[١] الحكم : الحكمة (وآيتناه الحكم صيباً) . [٢] ويح : كلمة رحمة ، (وويل : كلمة عذاب) ، وقيل هما بمعنى واحد . [٣] ورى الزند بفتح الزاء وكسرهما وريا ورية فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريتنه ووريتنه واستوريتنه ، والرند : العود الذي يقذف به النارجمة زناد وأزند وأزناد . [٤] استحصد الحبل : استحكم ، والمرارة : طاقة الحبل ، والنفوة : العنل . كناية عن قوتهم . [٥] الدررة : الابن كالدرة . [٦] عصارة : شجر مر . [٧] هي احتمال السكره . والدلة والمنقصة . [٨] ماء زلال : سريع المر في الحلق بارد عذب صاف سهل سلس . [٩] سهولة . السلس السهل الابن المنقاد .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها ، قال حاجب : بل زئير الأسد بصولتها ، قال كسرى : وذلك .

١٥ - خطبة الحارث بن عباد

ثم قام الحرث بن عباد البكري ، فقال :

دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنائها ، من طال رشاؤه ^(١) ،
كثرت منجته ^(٢) ، ومن ذهب ماله ، قل منجته . تناقل الأقاويل يعرف اللب ،
وهذا مقام سيوجف ^(٣) بما ينطق به الركب ، وتعرف به كنهنا لنا العجم
والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا حجة ، وجيوشنا
نخمة ، إن استنجدتنا فغير ريب ^(٤) ، وإن استطرفتنا ^(٥) فغير جهض ^(٦) ، وإن
طلبتنا فغير غمض ^(٧) ، لا ننثنى لذر ، ولا نننكر لدهر ، رماحنا طوال ،
وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفس عزيزة ، وأمة ضعيفة ، قال الحرث : أيها الملك وأنى
يكون لضعيف عزة ، أو لضعيف مرّة ! قال كسرى : لو قصر عمرك ، لم تسؤل
على لسانك نفسك . قال الحرث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على

[١] الرشاء : الحبل . [٢] المتج : نزع الماء من البئر . [٣] وجف الفرس والبعير عدا ،
وأوجفته : أعديته ، يقال : أوجف فأجحف (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أى ما أمهلم .
[٤] يقال : رجل ريبض عن الحاحات لا ينهض فيها ، وهو هنا جمع ريبوض بالفتح من ريبض الشاة
كبركت الناقة أى لا تتعاض عن نصرته ولا تنجم . [٥] استطرفه خلا : طلبه منه ليضرب في إبله ، هذا
هو الأصل ، والمراد استنعت بنا . [٦] أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الحاق ، والسقط :
حميض ، وجمه جهض ، أى أن خلا إذا ضرب الباق (نكحها) لم تأت بجهض بل تنجح ، والمراد أنه
إن استنجد بهم أمر ذلك الاستنجد ولم يجب . [٧] من الغمض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ،
ولا اغمضت ، ولا اغتمضت ، فالوصف من الأول غامض ، والمبالغة غموض ، والجمع غمض أى فلا نام
عن نصرته .

الكتيبة مُغَرَّرًا بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَوْتِ، فَهِيَ مَنِيَّةٌ اسْتَقْبَلَهَا، وَجِنَانٌ اسْتَدْبَرَهَا،
والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قُدُماً^(١)، وأحبسها وهي تَصَرَّفُ بِهَا، حتى إذا
جاشت نارها، وَسَعَرَتْ لَظَاهَا، وكشفت عن ساقها، جَعَلْتُ مَقَادَهَا رُمْحِي،
وَبَرْقَهَا سَيْفِي، وَرَعَدَهَا زَيْبِرِي، ولم أَقْصِرْ عَنْ خَوْضِ خَضْخَضِهَا^(٢)، حتى
أَنعَسَ فِي غَمَرَاتٍ لُجَجِهَا، وَأَكُونُ فُلُكًا لِفِرْسَانِي إِلَى مُجْبُوْحَةٍ كَبَشِهَا^(٣)،
فاسْتَمَطَرَهَا دَمًا، وَأَتْرُكُ مُهَامَتَهَا جَزَرَ^(٤) السَّبَّاعِ وَكَلَّ نَسْرٍ قَشَعَمَ^(٥). ثم قال
كسرى لمن حضره من العرب: أ كذالك هو؟ قالوا: فعاله أنطق من لسانه.
قال كسرى: ما رأيت كاليوم وفدًا أحشد، ولا شهودًا أوفد.

١٦ - خطبة عمرو بن الشريد

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي، فقال:

«أيها الملك، نعم باللك! ودام في السرور حالك! إن عاقبة الكلام مُتَدَبِّرَةٌ،
وأشكال الأمور مُعْتَبِرَةٌ، وفي كثيرٍ ثِقَلَةٌ، وفي قليلٍ بُلْغَةٌ، وفي الملوك سورة^(٦) العز،
وهذا منطبقٌ له ما بعده، شَرُفَ فِيهِ مَنْ شَرُفَ، وَخَمَلَ فِيهِ مَنْ خَمَلَ، لم تَأْتِ لِيْضِيْمِكَ،
وَلَمْ نَقِدْ لِسَخَطِكَ، ولم تتعرض لِرِفْدِكَ^(٧) إن في أموالنا مُتَنَقِّدًا^(٨)، وعلى عزنا
مُتَمَمِّدًا، إن أوزيننا^(٩) ناراً أُنْقَبْنَا، وإن أود^(١٠) دهر بنا اعتدلنا، إلا أنا مع هذا
لجوارك حافظون، ولين رَامَكَ كَاخُونٌ، حتى يُحْمَدَ الصِّدْرُ^(١١) وَيُسْتَطَابَ الْخَبْرُ».

[١] القدم: المضي أمام أمام، وهو بمعنى القدم: إذا مضى في الحرب. والقدم: المقدم الشجاع. وفي الحديث «طوبى لعبد مغبر قدم في سبيل الله». [٢] الحضاخض: تنط أسود رقيق تها به الابن الجرب (ولله خضاخضا) بضم الحاء، والحضاخض: المكان الكثير الماء. [٣] سيد القوم وقائدهم. [٤] أى قطعا. [٥] مسن. [٦] سورة المجد أثره وعلامته، وسورة السلطان: سطوته (والسورة المنزلة) بالصم. [٧] الرغد: العطاء. [٨] اثبت الدرهم قبضها. [٩] أوقدنا. [١٠] اعوج. [١١] الرجوع.

قال كسرى : ما يقوم قصدُ منطقتك بإفراطك ، وَلَا مَدْحُكَ بِدَمِّكَ ، قال عمرو : كفى بقليلِ قصدي هادياً ، وبأيسرِ إفراطى مُخْبِراً ، وَلَمْ يَلَمْ مَنْ غَرَبَتْ نفسهُ عما يعلم ، وَرَضِيَ مِنَ الْقَصْدِ بما بلغ . قال كسرى : ما كلٌّ ما يعرف المرء ينطق به . اجلس .

١٧ - خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثمَّ قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أَحْضَرَ اللهُ الْمَلِكَ إِسْعَادًا ، وَأَرْشَدَهُ إِرْشَادًا ، إِنَّ لِكُلِّ مَنْطِقٍ فُرْصَةً ، وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غُصَّةٌ ، وَعَى الْمَنْطِقُ أَشَدَّ مِنْ عَيِّ السُّكُوتِ ، وَعَثَارُ الْقَوْلِ أَنْكَأُ ^(١) مِنْ عَثَارِ الْوَعْتِ ^(٢) . وَمَا فُرْصَةُ الْمَنْطِقِ عِنْدَنَا إِلَّا بِمَا نَهَوَى ، وَغُصَّةُ الْمَنْطِقِ بِمَا لَأْنَهَوَى غَيْرُ مُسْتَسَاعَةٍ ^(٣) ، وَتَرَكَى مَا أَعْلَمَ مِنْ نَفْسِي ، وَيُعَلِّمُ مِنْ سَمْعِي أَنْبَى لَهُ مُطِيقٌ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكْلَفِي مَا أَتَخَوَّفُ وَيَتَخَوَّفُ مِنِّي ، وَقَدْ أَوْفَدْنَا إِلَيْكَ مَلِكَنَا النِّعْمَانَ ، وَهُوَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ، وَنَعَمَ حَامِلُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، أَنْفَسْنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بِاخِعَةٍ ^(٤) ، وَرَقَابْنَا بِالنَّصِيحَةِ خَاضِعَةٍ ، وَأَيْدِيْنَا لَكَ بِالْوَفَاءِ رَهِيْنَةً . »

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وَسَمَرْتَ بِفَضْلِ ، وَعَلَوْتَ بِذُبُلٍ .

١٨ - خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثمَّ قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« نَهَجْتَ ^(٥) لَكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، وَخَضَعْتَ لَكَ رِقَابَ الْعِبَادِ ، إِنَّ لِلْأَقْوِيلِ

[١] نكأ المدوّ ونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكأ : أى أشدّ نكابة وقهراً . [٢] الوعث : المكان السهل الدهس تقيب فيه الأقدام والطريق النسر . [٣] أساغ العصاة ابتلعها ، وساع الشراب : سهل مدخله الحلق . [٤] خاضعة ومقرة ، بنج بالحقّ أقربه وخضع له . [٥] وضعت .

مناهج ، وللآراء مَوَالج^(١) ، وللعويص مخارج ، وخير القول أصدقُه ، وأفضل
الطلب أنجحُه ، إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا ، والوفادة قرّبتنا ، فليس من
حضرِكَ منا بأفضلَ مِمَّنْ عَزَبَ عَنكَ ، بل لو قِسْتَ كلَّ رجلٍ منهم ، وَعَلِمْتَ
منهم ما علمنا ، لوجدت له في آبائه دُنْيَا ، أنداداً وأكفاء ، كلهم إلى الفضل
منسوب ، وبالشرف والسؤدُد^(٢) موصوف ، وبالرأى الفاضل والأدب النافذ^(٣)
معروف ، يَحْمِي حِمَاه ، وَيُرْوِي نداماه^(٤) ، وَيَذُودُ أعداءه ، لَا تَحْمُدُ^(٥) ناره ،
وَلَا يَحْتَرِزُ منه جاره ، أَيها الملك : مَنْ يَبُلُ العَرَبَ يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ ، فاصطنع^(٦)
العرب ، فإنها الجبال الرّوَاسِي عَزَا ، والبحور الزواجر طُمِيَا^(٧) ، والنجوم الزواهر
شرفا ، والحصى عدداً ، فَإِنْ تعرف لهم فضلهم يعزوك ، وَإِنْ تستصرخهم^(٨)
لَا يَحْذُوك .

قال كسرى - وخشى أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه - حسبك
أبلغت وأحسنت !

١٩ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني ، فقال :

«أطاب الله بك المرشد! وجنبتك المصائب! ووقاك مكروه الشصائب^(٩)!

[١] مداخل جمع موالج : كمنحس ، ولج يلج ولوجا ولجة . [٢] السود بفتح الهمزة والسؤد بضمها
والسود والسيادة . [٣] الظاهر أثره . [٤] ندأى : جمع ندمان ، وهو النديم ، وجمع النديم ندماء ،
وناداه : جالسه على الشراب (ندمان بمعنى منادم مصروف ، لأن مؤنثه ندمانة ، أما ندمان بمعنى ندم
فلا يصرف لأن مؤنثه ندى

كلّ فملاّت فزوا أتاه فعلى غير وصف النديم بالندمان)

[٥] خد : كصر وسع . [٦] اختر واصطف . [٧] طمى الماء يطمى طميا علا ، والنبت طال
والجرام تملأ ، وهمته علت . [٨] تستنجد بهم . [٩] جمع شصيبة ، وهي الشدة

مَا أَحَقَّنَا - إِذْ أَتَيْتَكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُخْنِقُ صَدْرَكَ ، وَلَا يَزِرُ لَنَا حِقْدًا فِي قَلْبِكَ ! لَمْ نَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِإِسْمَاعَاتِهِ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمَعَادَاتِهِ ، وَلَا كُنَّا لَتَعْلَمَنَّ أَنْتَ وَرَعِيَّتِكَ وَمَنْ حَضَرَكَ مِنْ وَفُودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرِ مُحْجَمِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرِ مُقَصِّرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فَمِغِيرِ مَسْبُوقِينَ ، وَإِنْ سُوِّمِينَا فَمِغِيرِ مَغْلُوبِينَ »

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين (وهو يُعَرِّضُ به في تركه الوفاء بضمانه السَّوَادُ ^(١)) قال قيس : أيها الملك ما كنت في ذلك إلا كَوَافٍ غُدِرَ به ، أو كخافر أُخْفِرَ بدمته قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ، ولا لذليل خنارة . قال قيس : أيها الملك : ما أنا فيما أُخْفِرَ من ذمتي أحقُّ بإلزامي العار منك فيما قتل من رعييتك ، وأنتهك من حرمتك ، قال كسرى : ذلك لأن من اتّمن الخيانة ^(٢) ، وأستنجد الأئمة ، ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء ، كيف رأيت حاجب بن زرارة ، لم يُخْنِكِمُ قواه ، فَيَمِرِمَ ، وَيَعْهَدُ فَيُؤْفِي ، وَيَعْدُ فَيَنْجِزُ ، قَالَ وَمَا أَحَقُّهُ بِذَلِكَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا لِي ، قَالَ كسرى : القوم يُزَلُّ ^(٣) وَأَفْضَلُهَا أَشَدُّهَا

٢٠ - خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال :

« كثر فنون المنطق ، ولبس القول أعمى من حنديس ^(٤) الظالماء ، وإعنا الفخر في الفعال ، والعجز في النجدة ، والشؤدد مطاوعة القدرة ^(٥) ، وما أعلمك بقدرنا ، وأبصرك بفضننا ، وبالحرمي ^(٦) إن أدالت ^(٧) الأيام ، وثابت الأحلام

[١] أي سواد العراق . [٢] الخيانة والحنوة : جمع خائن . [٣] البازل : الجمل في السنة التاسعة ، والرجل الكامل في تجربته جمع بزل وبزل . [٤] الليل المظلم والظلمة . [٥] أي أن يأتي المرء مبقدر عليه ، فإن ذلك يبلغه السودد . [٦] خليق وجدير . [٧] نصرتنا .

أَنْ تَحْدِثَ لَنَا أُمُورًا لَهَا أَعْلَامٌ^(١). قَالَ كَسْرَى: وَمَا تَمْلِكُ الْأَعْلَامُ، قَالَ مُجْتَمِعٌ^(٢) الْأَحْيَاءُ مِنْ رِبِيعَةَ وَمُضَرَ، عَلَى أَمْرٍ يَذْكَرُ. قَالَ كَسْرَى: وَمَا الْأَمْرُ الَّذِي يَذْكَرُ؟ قَالَ مَالَى عِلْمٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا خَبَّرَنِي بِهِ خُبْرٌ، قَالَ كَسْرَى مَتَى تَكَاهَنْتَ يَا بَنَ الطَّفِيلِ؟ قَالَ: لَسْتُ بِكَاهِنٍ، وَلَكِنِّي بِالرَّمْحِ طَاعِنٌ، قَالَ كَسْرَى: فَإِنْ أَتَاكَ آتٌ مِنْ جِهَةِ عَيْنِكَ الْعُورَاءِ، مَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ قَالَ: مَا هَيْدَتِي فِي قَفَايَ بَدُونَ هَيْدَتِي فِي وَجْهِ، وَمَا أَذْهَبَ عَيْنِي عَيْثُ^(٣)، وَلَكِن مَطَاوِعَةَ الْعَيْثِ.

٢١ - خطبة عمرو بن معديكرب الزبيدي

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبِ الزُّبَيْدِيِّ، فَقَالَ:

« إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ: قَلْبِهِ وَلسَانِهِ، فَبِلَاغِ الْمَنْطِقِ الصَّوَابِ، وَمِلَاكِ النَّجْمَةِ^(٤) الْارْتِيَادِ، وَعَفْوِ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِكْرَاهِ الْفِكْرَةِ، وَتَوْقِيفِ الْخُبْرَةِ خَيْرٌ مِنْ أَعْتِسَافِ الْخَيْرَةِ، فَأَجْتَبَيْدُ^(٥) طَاعَتِنَا بِلَفْظِكَ، وَاکْتَضَمَ بَادِرَتَنَا بِجَاهِكَ، وَالْبِنُّ لَنَا كَنْفَكَ يَسْلَسُ لَكَ قِيَادَنَا، فَإِنَّا أَنَا سُلْمٌ يُوَقِّسُ^(٦) صَفَاتِنَا قِرَاعُ مَنَاقِيرِ^(٧) مَنْ أَرَادَ لَنَا قَضَا^(٨)، وَلَكِن مَنَعْنَا حِمَانًا مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْمًا. »

٢٢ - خطبة الحارث بن ظالم المري

ثُمَّ قَامَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ الْمَرِيِّ، فَقَالَ:

« إِنَّ مِنْ آفَةِ الْمَنْطِقِ الْكُذْبَ، وَمِنْ لُؤْمِ الْأَخْلَاقِ الْمَلَقَ، وَمِنْ خَطَلِ الرَّأْيِ خِيفَةُ الْمَلِكِ الْمُسَلِّطِ، فَإِنْ أَعْلَمْنَاكَ أَنْ مَوَاجِهْتِنَا لَكَ عَنْ ائْتِلَافٍ، وَأَنْتَ قِيَادَنَا »

[١] أى مشهورة . [٢] اجتماع . [٣] الإفساد . [٤] النجمة : طلب الكلا في موضعه .
[٥] اجتذب . [٦] الوقس : انتشار الجرب في البدن ، والتوقيس : الإجراء ، أى لم يخذل
صفتنا وبؤثر فيها . [٧] جمع مقار ، وهو حديدة كالقاس ، فربها . [٨] أصله الأكل
بأطراف الأسنان .

لك عن تصافٍ ، فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ،
ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام وُلثِ العقود ، وَالْأمر بيننا وبينك معتدل ، ما لم
يأت من قبيلِكَ ميل أَوْ زَلَلٌ .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً
على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالعدو ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : إن
في الحق مَغْضَبَةً ، وَالسَّرْوُ التَّغَافُلُ (١) ، وإن يستوجب أحدُ الحلم الإمع القدرة ،
فَلتَشْبَهُ أفعالك مجلسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم .

ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطاباً وكم ، وَتَفَنَّنَ فِيهِ مَتَكَلِّوكم ،
وَلَوْلَا أَنِي أَعْلَمُ أَنَّ الْأَدبَ لَمْ يُتَقَفْ أَوْدَكم ، وَلَمْ يُحْكَمْ أَمْرُكم ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِكُمْ مَلِكٌ
يَجْمَعُكم ، فَتَنْطَقُونَ عِنْدَهُ مِنْطِقَ الرَّعِيَةِ الْخَاضِعَةِ الْبَاطِعَةِ ، فَتَنْطَقُ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَى
الْسُّنْتِمِ ، وَغَلَبَ عَلَى طِبَاعِكُمْ ، لَمْ أَجِزْ لِكُمْ كَثِيراً مِمَّا تَكَلَّمْتُمْ بِهِ ، وَإِنِّي لَأَكْرَهُ
أَنْ أَجِبَهُ وَفُودِي ، أَوْ أَحْبِقَ صُدُورَهُمْ ، وَالَّذِي أَحَبُّ مِنْ إِصْلَاحِ مُدَبَّرِكُمْ ،
وَتَأَلَّفِ شِوَاذِكُمْ ، وَالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنِكُمْ ، وَقَدْ قَبِلْتُ مَا كَانَ فِي مَنْطِقِكُمْ
مِنْ صَوَابٍ ، وَصَفَحْتُ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ خَللٍ ، فَانصرفوا إلى ملبسكم ، فَأَحْسِنُوا
مَوَازِرَتَهُ ، وَالتزموا طَاعَتَهُ ، وَارْدَعُوا سَفَهَاءَكُم ، وَأَقِيمُوا أَوْدَهُمْ ، وَأَحْسِنُوا أَدْبَهُمْ ،
فَإِنَّ فِي ذَلِكَ صَلَاحَ الْعَامَةِ .

(العهد الفريد ١ : ١٠١)



وفود العرب

يعزون سلامة ذا فائش با بن له مات

نشأ لسلامة ذى فائش ابن كمال أبناء المَقاول ، وكان مسروراً به ، يرشحه لموضعه ، فركب ذات يوم فرساً صعباً ، فكبا به ، فوقمه (١) ، فخرج عليه أبوه جزعاً شديداً ، وامتنع من الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فلامه نصحاؤه في إفراط جزعه ، فخرج إلى الناس فقام خطبائهم يُؤشونه (٢) ، وكان في القوم الملبب بن عوف ، وجُماعة بن أفلح ، فقام الملبب فقال :

٢٣ - خطبة الملبب بن عوف

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطي لتأخذ ، وتجمع لتشتت ، وتُحلى لتُمِر ، وترزع الأحران في القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تخطأتك جال (٣) ، مالم تُدِنِ الأجل ، وتتقطع الأمل ، وإن حادثاً ألم بك ، فاستبد (٤) بأقلك ، وصفح عن أكثرك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تنأهت إليك أبناء من رُزِيَّ فَصَبَرَ ، وأصيب فاعتفر ، إذ كان شووى (٥) فيما يُرتقب ويُحذر ، فاستشعر اليأس مما فات ، إذ كان ارتجاعه مُمتنعاً ، ومرامه مُستصعباً ، فليشى ما ضربت الأسي ، وفزع أولو الأبواب إلى حسن العزاء .

٢٤ - خطبة جعاعة بن أفلح

وقام جُعاعة فقال : « أيها الملك ، لا تُشعر قلبك الجزع على ما فات ، فيعقل

[١] وقس عنه : كسرهما . [٢] أساء تأسية عزاه ، وأصله : أن يقول له لك أسوة بفلان وفلان . [٣] الجلل العظيم والحقير وهو هنا بالمعنى الثاني . [٤] البدة بالضم : النصيب ، واستبد به : جعله نصيبه . [٥] الشوى : الهين اليسير وردال المال .

ذهنك عن الاستعداد لما يأتي ، وَنَاضِلٌ عَوَارِضُ الْحَزْنِ بِالْأُنْفَةِ عَنْ مَضَاهَاةٍ (١)
 أفعال أهلٍ وَهِيَ (٢) الْعُقُولِ ، فَإِنَّ الْعِزَّاءَ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَالْجَزَعُ لِرَبَاتِ
 الْحِجَالِ (٣) ، وَلَوْ كَانَ الْجَزَعُ يَرُدُّ فَائِتًا ، أَوْ يُحْيِي تَالِفًا ، لَكَانَ فِعْلًا دَنِئًا ،
 فَكَيْفَ وَهُوَ مَجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَّا
 يَتَهَافَتُ (٤) فِيهِ الْأَرْدَلُونَ ، وَضَنْ قَدْرِكَ عَمَّا يَرْكَبُهُ الْمُخْسُوسُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ
 طَمَعَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةً كَأَحْلَامِ النَّيَّامِ . (الأمل ٢ : ١٠١)

٢٥ --- أكرم بن صيفي يعزى عمرو بن هند عن أخيه

وعزى أكرم بن صيفي عمرو بن هند ملك العرب عن أخيه فقال له :
 « إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَفَرٌ لَا يَحْمِلُونَ عَقْدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ
 مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مِنْ
 سَيِّطَعْنُ عَنْكَ وَيَدْعُوكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ ، فَأَمْسِ عِظَةً ، وَشَاهِدْ عَدْلًا ،
 جَمَعَكَ بِنَفْسِهِ ، وَأَبْقِ لَكَ وَعَلَيْكَ حِكْمَتَهُ ؛ وَالْيَوْمَ غَنِيمَةٌ ، وَصَدِيقٌ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ ،
 طَالَتْ عَلَيْكَ غَيْبَتُهُ ، وَسَتَسْرِعُ عَنْكَ رِحْلَتُهُ ؛ وَغَدًا تَدْرِي مِنْ أَهْلِهِ ، وَسَيَأْتِيكَ
 إِنْ وَجَدَكَ ، فَمَا أَحْسَنَ الشُّكْرِ لِلنَّعْمِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِلْقَادِرِ ، وَقَدْ مَضَتْ لَنَا أَصُولُ
 نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءَ الْفُرُوعِ بَعْدَ أَصُولِهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ مِنَ الْمَصِيبَةِ سُوءُ
 الْخُلْفِ مِنْهَا ، وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مَعْطِيهِ ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ .

(العقد الفرید ٢ : ٣٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٤)

٢٦ - خطبة عبد المطلب بن هاشم

يهنى سيف بن ذى يزن باسترداد ملكه من الحبشة

لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة ، أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها

[١] مشاكلة . [٢] ضمف . [٣] والحجال جمع حجلة (بفتحين) ، وهي القبة وموضع يزين
 بالسوز ، والنياب للعروس . [٤] الهافت : التنازع .

تهنئته وتمدحه، ومنهم وفد قريش، وفيهم عبد المطلب بن هاشم، فاستأذنه في الكلام فأذن له، فقال:

«إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، باذخاً^(١) شامخاً، وأنتك منبتاً طابت أرومته^(٢)، وعزت جُرثومت^(٣)، وثبت أصله، وبسق^(٤) فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن، فأنت - أبيت اللعن - رأس العرب وربيعها الذي به تُخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومَعْقِلِهَا^(٥) الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، وإن يحمل من أنت سلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجت بكشف الكرب الذي فدحنا^(٦)، فنحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة^(٧)».

(العقد المرید ١ : ١٠٧، وأبواب نجاه الأبناء ص ١١)

٢٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف

يحث قريشاً على إكرام زوار بيت الله الحرام

كان هاشم بن عبد مناف يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيُسَبِّدُ ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها، فيخطب قريشاً، فيقول:

«يا معشر قريش، أنتم سادة العرب، أحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً، وأوسطها^(٨) أنساباً، وأقربها أرحاماً، يا معشر قريش، أنتم جيران بيت الله، أكرمكم بولايته، وخصكم بجواره، دون بني إسماعيل، وحفظ منكم أحسن ما حفظ».

[١] عالياً من بدخ بذخا: كفرح . [٢] أرومة: بالعم والفتح أى أصل . [٣] أصله أيضاً .
[٤] علا وطال . [٥] اللجأ . [٦] أثقلا . [٧] رزاه ماله: يجعل وعلم أصاب منه شيئاً
رزاه، كارتزاه ماله، ورزاه رزاه ومرزئة أصاب منه خيراً . أى لسنا وافدين للعزاء . [٨] خيرم:
الوسط من كل شيء أعدله (فال أوسطهم وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) .

جارٍ من جاره، فأكرموا ضيفه، وزوّار بيته، فإنهم يأتونكم شعثاً^(١) غُبْرًا من كل بلد، فوّرب هذه البنية^(٢)، لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه، ألا وإني مخرج من طيب مالى وحلاله، ما لم يُقَطع فيه رحم، ولم يؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام، فواضعه، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل، وأسألکم بجرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله، لكرامة زوّار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً، لم يؤخذ ظالماً، ولم يُقَطع فيه رحم، ولم يغتصب .

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٨)

٢٨ - خطبة كعب بن لؤى

وخطب كعب بن لؤى (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال:
« اسمعوا وعُوا، وتعاموا تعاموا، وتفهّموا تفهّموا، ليل ساج^(٣)، ونهار ساج^(٤)، والأرض مهاد، والجبال أوتاد، والأولون كالأخرين، كل ذلك إلى بلاء، فصلوا أرحامكم، وأصلحوا أحوالكم، فهل رأيتم من هلك رجوع، أو ميتاً نُشِر، الدار أمامكم، والظن خلاف ما تقولون، زينوا حرمكم وعظموه، وتمسكوا به ولا تفارقوه، فسياتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبى كريم، ثم قال:

نهارٌ وَّليلٌ وإختلافٌ حواديثٍ	سؤالا علينا حلوها ومريرها
يؤمنان بالأحداث حتى تأوبا	وبالنعم الضافي علينا سُثورها ^(٥)
صُروفٌ وأنباءٌ تقلب أهلها	لها عقْدٌ ما يسْتَحِيلُ مريرها
على غفلة يأتي النبي محمد	فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

[١] جمع أشعث : وهو ملبد الشعر منفره [٢] الكعبة : (والبنية بكسر الباء وضما وسكون اللون ما بنيته) . [٣] الساجى الساكن والدائم . [٤] لعله ضاج من ضج القوم صاحوا وأجلبوا . [٥] الأوب الرجوع .

ثم قال :

يَا لَيْتَنِي شَاهِدُهُ خَوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةِ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا (١)
(صح الأعتى ١ : ٢١١)

٢٩ - تساؤل عامر بن الظرب وحمة بن رافع

عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظرب العدواني ، وحمة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ، فقال : تساءلنا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحمة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذى الرثية (٢) العديم ، وذى الخلة (٣) الكريم ، والمسر الغريم ، والمستضعف الهضميم . قال من أحق الناس بالمت ؟ قال : الفقير المحتال ، والضعيف الصوال ، والعي القوال . قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : الحر يض الكاند (٤) ، والمستמיד (٥) الحاسد ، والمُلجف الواجد . قال فمن أجدر الناس بالصنعة ؟ قال : من إذا أُعطى شكر ، وإذا مُنِعَ عَدْر ، وإذا مُوْطِلَ صَبْر ، وإذا قَدِمَ العهدُ ذَكَر . قال : من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قَرُبَ مَنَح ، وإن بَعُدَ مَدَح ، وإن ظَلِمَ صَفْح ، وإن ضَوِيقَ سَمَح ، قال : من ألام الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا سُئِلَ منع ، وإذا ملك كَنَع (٦) ، ظَاهِرُهُ جَشَع (٧) ، وباطنه طَبَع (٨) . قال : فمن أحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قَدَرَ ، وأَجْمَلَ إذا اتَّصَرَ ، ولم تُطْفِئِهِ عِزَّةُ الظفر . قال : فمن أخزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الامور بيديه ، وجعل العواقب نُصَبَ عَيْنِيهِ ، ونَبَذَ التَّهَيِّبَ

[١] غوى الكلام وخفاؤه منناه ومذهبه . [٢] الرثية وجع الفاصل واليدس والرجاين (الرومانزم) . [٣] الخلة الحاجة . [٤] الكاند الذى يكثر النعمة والكنود الكفور : (إن الانسان لربه لكدود) . [٥] المستميد والمستعطي . [٦] تمبض . تكنع جلده إذا تقبض أى مسك بجحيل . [٧] الجشع : أسوأ الحرص . [٨] الدنس .

دَبَّرَ أَذْنِيهِ^(١) . قال : فمن أخرج الناس ؟ قال : من ركب الخِطَارَ^(٢) ، واعتسف^(٣) العِشَارَ ، وأسرع في البِدَارِ ، قبل الاقْتِدَارِ . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يأسَ على المجهود . قال فمن أبلغ الناس ؟ قال : من جَلَّى المعنى المَزِيْرَ^(٤) باللفظ الوجيز ، وطَبَّقَ^(٥) المَفْصِلَ قبل التحزير . قال : فمن أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من تَحَلَّى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف . قال : فمن أشقى الناس ؟ قال : من حسد على النعم ، وتسخط على القِسَمِ ، واستشعر الندم ، على فوت ما لم يُحْتَمَمَ . قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التجمل للناس ، واستكثر قليل النعم ، ولم يَسْخَطْ على القِسَمِ . قال : فمن أحكم الناس ؟ قال : من صَمَّتْ فَادَّكَّرَ ، ونظر فاعتبر ، ووَعِضَ فازدجر . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخُرْقَ مَعْتَمًا ، والتجاوز مغرماً .

(الأملال ٢ : ٢٨٠)

٣٠ - خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ ، فقال :

« أيها الناس : اسمعوا ووعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ ، ليل داج^(٦) ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهَر^(٧) ، وبحار تزخر^(٨) ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة^(٩) ، وأنهار مجرأة ، إن في السماء لخبيرا ، وإن في الأرض لخبيرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟ يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى له ، وأفضل

[١] جعلت الشيء دبر أدنى : إذالم ألتمت إليه . [٢] جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك .

[٣] الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . [٤] الصعب .

[٥] التطبيق : أن يصيب السيف المفاصل فيفصلها لايجاوزها . [٦] مظلم . [٧] تصبى وتتلألأ .

[٨] تمتلئ وترتفع . [٩] مدحوة : أى مبسوطة ، وإنما قال مدحوة لمرعاة السجع .

من دينكم الذي أتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكرًا. وَيُرْوَى أَنْ قَسَا أَنْشَأَ
بعد ذلك يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلّٰى ولا من الباقي غابر (١)
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

(صبح الأعشى ١ : ٢١٢ ، إيجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والنبين ١ : ١٦٨ ،
الأغاني ١٤ : ٤٠ ، العهد الجديد ٢ : ١٥٦ ، وجمع الأموال للبيداني ١ : ٧٤)

٣١ - خطبة المأمون الحارثي

قعد المأمون الحارثي في نادى قومه ، فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم أفكر
طويلا ، ثم قال : «أرعونى أسماعكم ، وأصغؤوا إلى قلوبكم ، يبلُغ الوعظ منكم حيث
أريد ، طمَّح^(٢) بالأهواء الأشتر ، وِرَّانَ^(٣) على القلوب الكدر ، وطخَّطخ^(٤) الجهل
النظر ، إن فيما ترى لمعتبراً لمن أعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس
تطلُّع وتغرب ، ونجوم تسرى فتعزب ، وقر تطلعه النجور ، وتمحقه أديار
الشهور ، وعاجز مثير ، وحول^(٥) مكيد ، وشاب مختصر^(٦) ، ويفن قد غبر ،
وتراحلون لا يثوبون ، وموقوفون لا يفرتون^(٧) ، ومطر يرسل بقدر ، فيجبي
البشر ، ويورق الشجر ، ويطلع الثمر ، وينبت الزهر ، وماء يتفجر ، من الصخر

[١] مقيم . [٢] ارتفع وعلا وذهب . [٣] غلب . [٤] أظلم . [٥] رجل حول :
شديد الاحتيا ، وأكدي : لم ينح ، وأصله من أكدي إذا حفر فصادف الكدية (بضم الكاف) وهي
الصفاء العظيمة الشديدة . [٦] الذي يموت حدثاً ، وهو مأخوذ من الحضرة كأنه حصد أخضر ، واليفن
الشيخ الكبير . [٧] يقدمون .

الأَبْرَّ^(١) ، فيصدع المدر ، عن أفنان الخضر ، فيمحي الأنام ، ويشبع السوام ،
ويئمي الأنعام ، إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر ، الباري المصور ،
يأبها العقول النافرة ، والقلوب الثائرة^(٢) ، أني توففكون ، وعن أي سبيل
تعمهون ، وفي أي حيرة تهيمون ، وإلى أي غاية توفضون^(٣) ، لو كشفت
الاعطية عن القلوب ، وتجلت العشاوة عن العيون ، لصرح الشك عن اليقين ،
وأفاق من نشوة الجهالة ، من استولت عليه الضلالة . (الأمل ١ : ٢٧٦)

٣٢ - خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قال هاني بن قبيصة الشيباني يحرّض قومه يوم ذي قار^(٤) :

« يا معشر بكر ، هالك معدور ، خير من ناج فرور ، إن الحدار
لا ينجي من القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ،
استقبال الموت خير من استدباره ، الطعن في ثغر^(٥) النحور ، أكرم منه في
الأعجاز والظهور ، يا آل بكر ، قاتلوا فما لمانيا من بد . (الأمل ١ : ٩٢)

٣٣ - خطبة عمرو بن كلثوم

أما بعد : فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تركية نفسه ، ولا يعبر
عنه في تركية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته ، واثمانه إياهم على حرمة
(البيان والنبين ٢ : ٦٩)

[١] الصلب . [٢] الثائرة النافرة ، نارت نوراً بفتح الون ، ونوارا بفتحها وكسرهما هفت .

[٣] تسرعون . [٤] كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم ، وهو يوم لبي

شيبان ، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً ، فظفر بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت به العرب من العجم .

[٥] جمع نقرة بالضم : وهي نقرة النحر بين الترقوتين (والثغرة بالفتح : كل عورة مفتوحة) .

٣٤ - خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :
« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً
حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن
أخي من لياوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه: برأ وفضلاً، وكرماً وعقلاً،
ومجداً ونُبلاً^(١) ، وإن كان في المال قُلٌّ^(٢) ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية^(٣)
مُسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتم
من الصداق فعلى » .

(صحح الأعرشي ١ : ٢١٣ ، وإعجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب الكامل ١ : ٤ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٣)

٣٥ - حديث بعض مقاول حمير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من المسألة حين كبرت سنه

كان لرجل من مقاول حمير ابنان ، يقال لأحدهما عمرو ، والآخر ربيعة . وكانا
قد برعا في الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره ، وأشقى^(٤) على
الفناء ، دعاهما ليَبْلُو^(٥) عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ، فلما حضرا . قال لعمر و
- وكان الأكبر - أخبرني عن أحبِّ الرجال إليك ، وأكرمهم عليك . قال :
« السيد الجواد ، القليل الانداد ، الماجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع
العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحُساد ، الباسل الذوَاد^(٦) ، الصادر الوَرَاد » .
قال ما تقول ياربعة ؟ قال : ما أحسن ما وصف ! وغيره أحب إلي منه ،

[١] دكاء ونجابة . [٢] قلة . [٣] ما يستعار ، مشددة وقد تخف . [٤] أشقى عليه :

أشرف . [٥] ليخبر . [٦] من زاد عنه إذا دفع .

قال ومن يكون بعد هذا؟ قال: «السيد الكريم، المانع للحريم، المفضل الحليم، القمقام»^(١) الزعيم، الذي إن هم فعل، وإن سُئِلَ بذل.

قال أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك. قال: البرم^(٢) اللثيم، المُسْتَخَذِي^(٣) للخصيم، المِبْطَان^(٤) النهيم، العبي ابكيم، الذي إن سئل منع، وإن هُدِّدَ خضع، وإن طلب جَسَع^(٥). قال ما تقول يا ربيعة؟ قال: غيره أبغض إلىَّ منه. قال: ومن هو؟ قال: النُّوم الكذوب، الفاحش الغضوب، الرغيب عند الطعام، الجبان عند الصِّدام.

قال أخبرني يا عمرو: أي النساء أحب إليك؟ قال: الهر كَوَالَةُ^(٦) اللفاء^(٧)، الممكورة^(٨) الجيذاء، التي يشفي السقيم كلامها، ويبري الوصب^(٩) إمامها، التي إن أحسنت إليها شكرت، وإن أسأت إليها صبرت، وإن استعبت^(١٠) أعنت، الفاترة الطرف، الطفلة^(١١) الكف، العميمة الرذف. قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نعت فأحسن! وغيرها أحب إلىَّ منها. قال: ومن هي؟ قال: «الفتانة العينين، الأسيلة»^(١٢) الخدين، الكاعب^(١٣) الثديين، الرذاح^(١٤) الوركين، الشاكرة للقليل، المساعدة للليل^(١٥)، الرخيمة^(١٦) الكلام، الجماء^(١٧) العظام، الكريمة الأخوال والأعمام، العذبة اللثام^(١٨)،

[١] السيد (ويضم) . [٢] البرم: من لا يدخل مع القوم في اليسر . [٣] الخاضع المستكين ، والحصم الخاصم . [٤] من همه بطنه ، أو الرغيب لا ينتهي من الأكل . [٥] الجسع : أسوأ الحرص . [٦] المرتجة الأرداف . [٧] المتلفة الجسم . [٨] المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين ، والجيذاء من الجيد بالتحريك وهو طول الرقبة ، أو دقتها مع طول . [٩] المريض . [١٠] استعنه طلب إليه العتي (الرضا) وأعنه أعطاه العتي . [١١] الناعمة . [١٢] الأسيل من الحدود الطويل المسترسل . [١٣] كعب الثدي نهد . [١٤] الثيلة المعجزة الضحمة الوركين . [١٥] الزوج . [١٦] اللينة الكلام . [١٧] التي ليس لعظامها حجم . [١٨] المراد موضع اللثام فهن على هدف مضاف .

قال : فأى النساء إليك أبغض ياعمرو ؟ قال : القَتَّانَةُ ^(١) الكذوب ،
الظاهرة العيوب ، الطَوَافَةُ الهَبُوب ^(٢) ، العابسة القَطُوب ، السَّبَّابَةُ الوَثُوب ،
التي إن ائتمنها زوجها خائتُه ، وإن لان لها أهانتُه ، وإن أرضاها أغضبتُه ، وإن
أطاعها عصته ، قال : ماتقول ياربعة ؟ قال : بئس والله المرأة ذكر ! وغيرها
أبغض إلىَّ منها . قال : وأيتهنَّ التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السِّلِيطَةُ ^(٣)
اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها
من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وتَرَّتَه ^(٤) ، وإن ناطقها انتهرته . قال
ربعة : وغيرها أبغض إلىَّ منها . قال : ومن هي ؟ قال : التي شقى صاحبها ، وخزى
خاطبها ، وافتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها في خصالها كلها ،
لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لى . قال : الكفَّور غير
الشَّكور ، اللئيم الفَجُور ، العبوس الكالِح ^(٥) ، الحرون الجامح ، الرَّاضى
بالهوان ، المختال المنان ، الضعيف الجنان ، الجعْدُ ^(٦) البنان ، القنول غير الفعول ،
الملول غير الوصول ، الذى لا يَرِعُ ^(٧) عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .
قال أخبرنى ياعمرو : أى الخليل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران
للتجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفَّيت ^(٨) العريق ،
الشديد الوثيق ، الذى يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب . قال : نعم الفرس
والله نعمت ! قال فما تقول ياربعة ؟ قال : غيره أحب إلىَّ منه . قال : وما هو ؟
قال : الحصان الجواد ، السلس القياد ، الشهم الفواد ، الصبور إذا سرى ،
السابق إذا جرى .

[١] النمامة . [٢] الكثيرة الانتباه والهبوب والهبوب المثيره للغيار . [٣] الطويلة .
[٤] أحفظنه وأغضبته . [٥] كالجح : تكسر و عبوس : [٦] كناية عن البخل .
[٧] وريع : كورث كف . [٨] السريع .

قَالَ: فَأَيُّ الْخَيْلِ أَبْغَضُ إِلَيْكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: الْجَمُوحُ الطَّمُوحُ، النَّكُولُ^(١) الْأَنْوَحُ^(٢)، الصَّئُولُ^(٣) الضَّعِيفُ، الْمَلُولُ الْعَنِيفُ، الَّذِي إِنْ جَارِيَتْهُ سَبَقَتْهُ، وَإِنْ طَلَبْتَهُ أَدْرَكَتَهُ. قَالَ: مَا تَقُولُ يَا رِبِيعَةَ؟ قَالَ: غَيْرُهُ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْبَطِيُّ، الثَّقِيلُ، الْحَرُونَ الْكَيْلِيلُ، الَّذِي إِنْ ضَرَبْتَهُ قَصَّصَ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنْهُ شَمَسَ^(٤)، يَدْرِكُهُ الطَّالِبُ، وَيَفُوتُهُ الْمَهَارِبُ، وَيَقْطَعُ بِالصَّاحِبِ. قَالَ رِبِيعَةَ: وَغَيْرُهُ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْجَبُوحُ الْخَبُوطُ^(٥)، الرَّكُوضُ الْخَرُوطُ^(٦)، الشَّمُوسُ الضَّرُوطُ^(٧)، الْقَطُوفُ^(٨) فِي الصُّعُودِ وَالْمَهْبُوطِ، الَّذِي لَا يُسَلِّمُ الصَّاحِبَ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الطَّالِبِ.

قَالَ: أَخْبَرْنِي يَا عَمْرُو أَيُّ الْعَيْشِ أَلْذُّ؟ قَالَ: عَيْشٌ فِي كِرَامَةٍ، وَنَعِيمٌ وَسَلَامَةٌ، وَاعْتِبَاقٌ^(٩) مُدَامَةٌ. قَالَ: مَا تَقُولُ يَا رِبِيعَةَ؟ قَالَ: نَعِمَ الْعَيْشُ وَاللَّهُ وَصَفَ! وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: عَيْشٌ فِي أَمْنٍ وَنَعِيمٍ، وَعَزٍّ وَغَنَى عَمِيمٍ، فِي ظِلِّ نَجَاحٍ، وَسَلَامَةٍ مَسَاءً وَصَبَاحٍ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: غَنَى دَائِمٌ، وَعَيْشٌ سَالِمٌ، وَظِلٌّ نَاعِمٌ.

قَالَ: فَمَا أَحَبُّ السِّيَوفِ إِلَيْكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: الصَّكَّيْلُ الْحُسَامُ، الْبَاتِرُ الْمَجْدَامُ^(١٠)، الْمَاضِي السَّطَّامُ^(١١) الْمُرْهَفُ^(١٢) الصَّمَمَصَامُ^(١٣)، الَّذِي إِنْ هَزَزْتَهُ لَمْ يَكْتَبُ^(١٤)، وَإِذَا ضَرَبْتَهُ بِهِ لَمْ يَنْبُ^(١٥). قَالَ: مَا تَقُولُ يَا رِبِيعَةَ؟ قَالَ:

[١] النكول: الذي ينسكل عن قرنه . [٢] الكثير الزحير . [٣] كثير الضئيل: وصئبل الفرس صهيله . [٤] شمس الفرس، منع ظهره: فهو شامس وشموس . [٥] الكثير الجبط: وهو السير على غير هدى . [٦] الخروط الدابة الجوح تحتذب رسنها من يد مسكها ثم تعصى . [٧] الكثير الضراط . [٨] قطفت الدابة: ضاق مشيها وهي قطوف . [٩] اعتبق: شرب الفوق وهو ما يشرب بالمشى والمدامة الحجر كالدمام . [١٠] من الجدم: وهو انقطع . [١١] الحد . [١٢] رصف السيف، وأرصفه رفقته . [١٣] السيف لا يثنى كالصمصامة . [١٤] لم يعثر . [١٥] لم يكل عن الضريبة .

نعم السيف نعت ! وغيره أحبُّ إلى . قال وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ،
ذو الرِّونق اللامع ، الظمان الجائع ، الذى إن هزرتَه هَتَكَ^(١) ، وإذا ضربت به
بَتَكَ^(٢) . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفُطَّارُ^(٣) الكَهَمُ^(٤) ،
الذى إن ضرب به لم يقطع ، وإن ذُبح به لم يَنْخَع^(٥) . قال : فما تقول ياربعة ؟
قال : بئس السيف والله ذكر ! وغيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال :
الطَّبَّعُ^(٦) الدَّدَانُ^(٧) ، المِعْضُدُ^(٨) المَهَانُ .

قال : فأخبرنى يا عمرو : أى الرِّمَّاح أحبُّ إليك عند المِرَّاس ، إذا اعتكر
البَّاس ، وَأَشْتَجَرَ الدَّحَّاس^(٩) ؟ قال : أحبها إلىَّ المَارِنُ^(١٠) المُتَّقِفُ ، المَقُومُ
المُخْطَفُ^(١١) ، الذى إذا هزرتَه لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال :
ما تقول ياربعة ؟ قال : « نِعَمَ الرِّمَّاح نعت ! وغيره أحبُّ إلىَّ منه . قال وما هو ؟
قال : الذابِلُ^(١٢) العَسَّالُ ، المَقُومُ النَّسَّالُ ، الماضى إذا هزرتَه ، النافذ إذا همزته .
قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرِّمَّاح إليك . قال : الأَعْصَلُ^(١٣)
عند الطعان ، المثلَّم السَّنَانُ ، الذى إذا هزرتَه انعطف ، وإذا طعنت به انقصف .
قال : ما تقول ياربعة ؟ قال : بئس الرِّمَّاح ذكر ! وغيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو ؟
قال : الضعيف المَهْزِ^(١٤) ، اليباس الكَزُّ^(١٥) ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا
طعنت به انقصم . قال انصرفا ، الآن طاب لى الموت . » (الأملئ ١ : ١٥٢)

[١] مرَّق . [٢] قطع . [٣] الذى لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . [٤] سيف
كهام كليل . [٥] لم يبلغ النخاع . [٦] من الطمع أى الصدا . [٧] الذى لا يقطع .
[٨] القصير الذى يتهن فى قطع الشجر وغيرها . [٩] الطعان : دعه إذا طعمه . [١٠] المارن :
مالان من الرمح ، والمثقف : السوى بالثقاف ، وهو ما تسوى به الرمح . [١١] الحظف بضم فسكون
الصمر ، وإخطاف الحشى انطاؤه ، ومنه فرس مخطف الحشى أى ضامره ، ورجل مخطف كذلك ورمح
مخطف أى دتبق . [١٢] فنا ذابل : أى دتبق لاصق بالليط (بكسر اللام ، والليطة : قشر القنابة) ،
والعسال : الشديد الاضطراب إذا هزرتَه ومنه العسال بالتحريك ، وهو عدو فيه اضطراب ، والنسلان قريب منه .
[١٣] اللتوى : الموعج . [١٤] مهزه كنهه : دفعه . [١٥] الكزازة : اليبس والانتفاض كدفعه كز .

٣٦ - قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أتى أبو جَبِيل قيس بن خُفَّافَ البرُجُمِي حاتم طيء، في دماء حملها عن قومه، فأسلموه^(١) فيها، وعجز عنها، فقالَ اللهُ لآتين من يحملها عنى، وكان شريفاً شاعراً، فلما قدم عليه قال: «إنه وقعت بين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالى وأملى، فَقَدَّمْتُ مالى، وكنتَ أُملى، فَإِن تَحْمِلُهَا فرب حق قد قضيته، وهم قد كفيتة، وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك، ولم أياس من غدك. ثم أنشأ يقول:

حملت دماءً للبراجم جَمَّةً فجتتك لما أسلمتني البراجم^(٢)

وقالوا (سفاها) لم حملت دماءنا فقلت لهم يكنى الحمالة حاتم^(٣)

متى آتته فيها يقل لى مرحباً وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائم^(٤)

فيحملها عنى، وإن شئت زادنى

يعيش الندى ما عاش حاتم طيء

ينادين مات الجود معك فلانرى

وقال رجال أنهب العام ماله

ولكنه يعطى من أموال طيء^(٥)

فيعطى التي فيها الغنى وكأنه

بذلك أوصاه عدى وحشرج^(٦)

وسعدى وعبد الله تلك القمام^(٧)

واتقمه • [٧] جرم الرجل (بفتحين): أذنب كأجرم. [٨] جمع قمام وهو السيد.

[١] خذلوه. [٢] البراجم من تميم. [٣] السفاه: السفه. والحمالة: الدية يحملها قوم عن قوم. [٤] الأشائم: ضد الأيمان. [٥] أنهب المال: حمله نهبا ينفار عليه. [٦] أى جرده

فقال له حاتم : إن كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك ، هذا مريباً^(١) من الغارة على بني تميم ، نخذه وافراً ، فإن وفى بالحمالة ، وإلا أكلتها لك ، وهو مائتا بعير سوى بنيتها وفصاها ، مع أنى لأحب أن توبس قومك بأموالهم ، فضحك أبو جبيل وقال : لكم ما أخذتم منا ، ولنا ما أخذنا منكم ، وأى بعير دفعته إليّ ، ليس ذنبه في يد صاحبه ، فأنت منه برىء ، فدفعها إليه وزاده مائة بعير ، فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه . فقال حاتم في ذلك :

أتاني البرجى أبو جبيل	لهم في حماته طويل
فقلت له خذ المربع رهواً	فإني است أرضى بالقليل ^(٢)
على حال ، ولا عودت نفسى	على علائها عمل البخيل
نخذها إنها مائتا بعير	سوى الناب الرذية والفصيل ^(٣)
فلا من عليك بها ، فإني	رأيت المن يزرى بالجزيل
فأب البرجى وما عليه	من أعباء الحمالة من فتيل
يجر الذيل ينفض مذروبه	خفيف الظهر من حمل ثقيل ^(٤)

(دبل الأملى ٢٢ ، والأغانى ٧ : ١٤٥)



[١] المربع : ربع الغنيمة ، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها . [٢] يقال : آتيتك به رهوا أى آتيتك به عموا سهلاً لا احتباس فيه . [٣] الناقة المسنة ، والرذية : مؤنث الردى ، وهو الضعيف من كل شئ ومن أثقله المرض . [٤] المذروان : أطراف الألية بلا واحد أو هو المذرى ، ومن الرأس ناحيته ، ويقال جاء ينفض مذروبه . أى باغيا متهددا .

الوصايا

٣٧ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش الأوس بن حارثة دهنراً ، وليس له ولد إلا مالك ؛ وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجشَم ، والحِث ، وكعب فلما حضره الموت . قال له قومه قد كنا نأمرُك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوج حتى حضرُك الموت ، فقال الأوس : « لم يهـلك هالك ، ترك مثـل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، ففعل الذي استخرج العذق^(١) من الجريرة^(٢) ، والنار من الوئيمة^(٣) ، أن يجعل لمالك نسلاً ، ورجالاً بسلاً^(٤) ، يامالك ، المنيّة ولا الدنيّة ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبئد ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وشراً شارب المشتف^(٥) ، وأقبح طاعم المقتف^(٦) ، وذهب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحرّيم ، ومن قلّ ذلّ ، ومن أمر^(٧) فلّ ، وخير الغنى القناعة ، وشراً الفقر الضراعة ، والدهر يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكلاهما سيئنجسير^(٨) ، فإنما تغز^(٩)

[١] العذق: النجلة بجمعها والعنق (بكر العين) الفومنها . [٢] النواة . [٣] الوئيمة : الحارة ، وثمة : كسره ودقه . ووثم العرس الأرض : رجعها بجوائزه . (ومن أيما العرب لا والذي أخرج العذق من الجريرة . والنار من الوئيمة ، وقولهم : لا والذي شقهنّ حساً من واحدة يعنون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج فائبة من قوب يعنون فرخاً من بيضة . لا والذي وجهي زم بينه (بالتعريك) أي قصده وحداءه . [٤] شجماما : جمع باسل . [٥] المستصفي : اشتفّ ما في الإناء شربه كله . واشتفّ إذا شرب الشفافة (بالضم) ، وهي القيمة تبقى في الإماء . [٦] الآخذ بعجلة ، ومنه سمي التفاف وهو من يسرق الدراهم بين أصابعه . [٧] أمر كفتح أمراً وأمرة : كثر وتمّ بهو أمر (وأمره الله وأمره كنعصره كثره : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . أي كثرنا . [٨] يتكشف . [٩] تملب . عزه يزم كنعصره عزاً ، وعزّ يعزّ كضرب عزاً وعزة صار عزيزاً .

من ترى ويعزك من لا ترى ، ولو كان الموت يُشترى ، لسلم منه أهل الدنيا ، ولكن الناس فيه مستون ، الشريف الأبلج ، واللئيم الملهج^(١) ، والموتُ المُفِيتُ ، خير من أن يقال لك هَيِّتْ^(٢) ، وكيف بالسلامة ، لمن ليست له إقامة ، وشَرٌّ من المصيبة سوء الخلف ، وكل مجموع إلى تلف ، حيَّاك إلهك .
(الأمالى ١ : ١٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٣٨ - وصية ذى الإصبع العدواني لابنه أسيد

لما اُخْتُضِرَ^(٣) ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً ، فقال له : يا بني إن أباك قد فنى وهو حيٌّ ، وعاش حتى سَمَّ العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغتَ في قومك ما بلغتَه ، فاحفظ عني . ألنَّ جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وأبسطُ لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يُكْرِمُكَ كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، وأحمِ حرِيمك ، وأعزِّز جارك ، وأعين من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريح^(٤) ، فإن لك أجلاً لا يعدُّوك ، وصنَّ وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتمُّ سوؤدُوك .
(الأغانى ٣ : ٦)

٣٩ - وصية أكرم بن صيفى لبنيه ورهطه

وصى أكرم بن صيفى بنيه ورهطه ، فقال : « يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين حيزومي^(٥) وصدري لكلاماً لا أجديله مواقع إلا أسمعكم ، ولا مقارراً إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصغية ، وقلوب واعية ،

[١] المتسامي في الدناءة والوؤم . [٢] الأحمق الضعيف . [٣] حضره الموت . [٤] أى في وقت الصريح وهو نداء المستغيث . [٥] الميزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

تَحْمَدُوا مَغْبَتَهُ ، الهوى يقضان ، والعقل راقد ، والشهوات مُطْلَقَةٌ ، والحزم معقول ^(١) والنفس مهملة ، والروية مُقَيَّدَةٌ ، ومن جهة التواني وترك الروية ، يتلف الحزم، ولن يعدم المشاور مُرْشِدًا ، والمُسْتَبَدُّ برأيه موقوف على مَدَاحِضٍ ^(٢) الزلل ، ومن سمع سُمع به ، ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ، ولو اعتُبرت مواقع المحن ما وُجِدَت إلا في مقاتل الكرام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجَدَد ^(٣) أَمِن العثار ، ولن يعدم الحسود أن يُتَعَب قلبه ، وَيَشْعَل فِكْره ، وَيُورِث ^(٤) غيظه ، ولا تجاوز مَضْرُئُهُ نَفْسَه .

يا بنى تميم : الصبر على جَرَعِ الحلم أعذب من جَنَى ثمر الندامة ، ومن جعل عِرْضه دون ماله أُسْتَهْدَفَ للذم ، وَكَلِمَ المِسانُ أَنْكِي من كَلِمِ السنان ، والكلمة مرهونة ما لم تَنْجُم من الفهم ، فَإِذَا نَجَمَتْ فَهِيَ أَسَدٌ مُحَرَّبٌ ^(٥) ، أو نار تَلَهَّب ، ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأى فى الحرب ، أجدى من الطعن والضرب » .
(شرح ابن الحديد ٤ : ١٥٥ ، وشرح العيون ١٥)

٤٠ — نصيحة أكرم بن صيفى لقومه

ونصح قومه فقال : « أَقِلُّوا الخِلافَ على أُمرائِكُمْ ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الرَّاكِن ^(٦) ورب سَجَلَةٍ تَهَبُ رَبِيئًا ^(٧) ، وَأَتَرَّرُوا للحرب ، وَأَدَّرِعُوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف » .
(الأغانى ١٥ : ٧٠)

[١] محبوس . [٢] جمع مدحصة ، وهى المزلة . [٣] الأرض المستوية . [٤] يؤقد . [٥] التجروب : التحريش والتعديد ، والمحرَّب والمُتَحَرَّبُ الأَسَد . [٦] الرزين . [٧] بظنا .

٤١ - وصية عمرو بن كلثوم لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم التَّمَلِّي ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَمْرِ مَقْتَبِلٍ ، وَأَنْ يَنْزَلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أُوصِيكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ ، إِنْ حَقَّ فُحْقًا ، وَإِنْ بَاطَلَ فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سَبًّا ، فَكَفُّوا عَنِ الشَّتْمِ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ، تَعْمُرُوا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنُ ثَنَاؤُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتِ الْعَمِّ بَنِي الْعَمِّ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأْتُوا بِهِنَ إِلَّا كِفَاءً ، وَأَبْعَدُوا بِيُوتِ النِّسَاءِ مِنْ بِيُوتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَعْضُ لِلْبَصْرِ ، وَأَعْفَى لِلذِّكْرِ ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَعَايِنَةُ وَاللِّقَاءُ ، فَفِي ذَلِكَ دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَغَارُ لِغَيْرِهِ ، كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقُلْ مَنْ أَنْتَهَكَ حَرَمَةَ لغيرِهِ إِلَّا أَنْتَهَكْتَ حَرَمَتَهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظَلَمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَذَلُّ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَجِلُّ بِكَ ذَلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الدَّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقِّكُمْ لِلِقَاءِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفِ ، وَإِذَا حُدِّثْتُمْ فَعَمُوا ، وَإِذَا حُدِّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا ، فَإِنَّ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ ^(١) ، وَمَوْتَ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَنْئِ آجِلٍ ، وَمَا بِكَيْتٍ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَبَّمَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أُحْدُوْثَةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أُعْجُوبَةً ، وَأَعْمَلُوا أَنْ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْعَطُوفِ ، وَخَيْرَ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُويَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوْتِبَ لَمْ يُعْتَبَ ^(٢) ، وَمَنْ

الناس من لا يُرْجى خيره ، ولا يخاف شره ، فَبَكَوْهُ ^(١) خير من دَرَّه ،
وعقوقه خير من برّه ، ولا تُبْرِّحوا في حُبكم ، فإنه من برّح في حب ، آل ذلك إلى
قييح بغض ، وكم قد زارني إنسان وزرته ، فانقلب الدهر بنا فَبْرِّتَه ^(٢) ، واعلموا
أن الحكيم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هرمت ، ودخلتني ذلة
فسكت ، وضعف قلبي فَأَهْتَرْتُ ^(٣) ، سلمكم ربكم وحياكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥)

٤٢ — وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال :

« يا بَنِيَّ قَدْ أَتَتْ عَلَيَّ مِائَةٌ وَسِتُونَ سَنَةً ، مَا صَاحَتْ يَمِينِي يَمِينِ غَادِرٍ ، وَلَا
قَنِعَتْ لِنَفْسِي بِخُلَّةٍ ^(٤) فَاجِرٍ ، وَلَا صَبَوْتُ بِابْنَةِ عَمٍّ وَلَا كِنَانَةٍ ^(٥) ، وَلَا بُحْتُ
لصديق بسرٍّ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ مُؤَمَّسَةٍ قِنَاعًا ، وَلَا بَقِيَ عَلَيَّ دِينَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ
— وروى : علي دين شعيب — من العرب غيري وغير تميم بن مرة ، وأسد بن
خزيمة ، فوثوا على شريعتي ، واحفظوا وصيتي ، وإلهمكم فاتقوا ، يكفكم ما أهمكم ،
ويصلح لكم حالكم ، وإياكم ومعصيته ، فيُجِلَّ بكم الدمار ، وَيُوحِشْ مِنْكُمْ الديار ،
كونوا جميعاً ولا تفرقوا ، فتكونوا شيعاً ، وَبُرُّوا قَبْلَ ^(٦) أَنْ تُبْرُّوا ، فوث في عزٍّ
خير من حياة في ذلٍّ وعجز ، وكل ما هو كائن كائن ، وكل جمع إلى تباين ، والدهر

[١] بكأت النانة بكئا قل لبنيها . [٢] باره : حرّبه . [٣] اغتر بالغم ذهب العقل من كبر أو
مرض أو حزن وقد اهتردهومتهتر بفتح التاء شاد وقيل اهتر بالباء للمجهول . [٤] الحلة : الصداقة المختصة لا دخل
فيها تكون في عفاف وفي دطارة (والحلة أيضا الصديق للدكر والأنثي والواحد والجمع) . [٥] الكننة :
امرأة الابن أو الأخ جمه كنانين . [٦] بزّم : سلبه ، وفي المثل من عزّ برّ ، أي من غاب سلب .

صَرَفَانِ، صَرَفٌ بِلَاءٍ، وَصَرَفٌ رِخَاءٍ، وَالْيَوْمُ يَوْمَانِ، يَوْمٌ حَبْرَةٌ، وَيَوْمٌ عَبْرَةٌ،
وَالنَّاسُ رِجَالَانِ، رِجْلٌ لَكَ، وَرِجْلٌ عَلَيْكَ، زَوْجُوا النِّسَاءِ الْأَكْفَاءِ، وَإِلَّا
فَاتَنْظُرُوا بَيْنَ الْقَضَاءِ، وَلِيَكُنْ أَطْيَبُ طَيِّبِينَ الْمَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْوَرْهَاءَ^(١)، فَإِنَّهَا
أَدْوَأُ الدَّاءِ، وَإِنْ وَلَدَهَا إِلَى أَفْنٍ^(٢) يَكُونُ، لَا رَاحَةَ لِقَاطِعِ الْقِرَابَةِ، وَإِذَا اخْتَلَفَ
الْقَوْمُ أَمَكَنُوا عَدُوَّهُمْ، وَآفَةُ الْعَدُوِّ اخْتِلَافُ الْكَلِمَةِ، وَالتَّفَضُّلُ بِالْحُسْنَةِ، يَبْقَى
السَّيِّئَةُ، وَالْمَكْفَأَةُ بِالسَّيِّئَةِ دُخُولُ فِيهَا، وَعَمَلُ السُّوءِ يَزِيلُ النِّعْمَاءَ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ تَوْرَثُ
الْهَمَّ، وَاتِّهَاكُ الْحَرَمَةِ، يَزِيلُ النِّعْمَةَ، وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ يُعَقِّبُ النِّكَدَ، وَيُخْرِبُ
الْبَلَدَ، وَيَمْحَقُ الْعَدَدَ، وَالْإِسْرَافُ فِي النَّصِيحَةِ، هُوَ الْفَضِيحَةُ، وَالْحَقْدُ يَمْنَعُ الرَّفْدَ،
وَلِزُومِ الْخَطِيئَةِ، يَعْقِبُ الْبَلِيَّةَ، وَسُوءُ الدَّعَاةِ، يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمَنْفَعَةِ، وَالضَّغَائِنُ
تَدْعُو إِلَى التَّبَايُنِ، يَا بَنِي، إِنِّي قَدْ أَكَلْتُ مَعَ أَقْوَامٍ وَشَرَبْتُ، فَذَهَبُوا وَتَعَبَّرْتُ،
وَكَأَنِّي بِهِمْ قَدْ لَحِقْتُ، ثُمَّ قَالَ :

أَكَلْتُ شَسْبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ	وَأَبْلَيْتُ بَعْدَ دَهْوَرٍ دَهْوَرًا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ صَاحِبَتِهِمْ	فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلَ الطَّعَامِ، عَسِيرَ الْقِيَامِ	قَدْ تَرَكَ الدَّهْرَ خَطْوِي قَصِيرًا
أَيُّتِ أَرَاعِي نَجْمِ السَّمَاءِ	أَقْلَبُ أَمْرِي بَطُونًا ظَهْوَرًا

(شرح ابن أبي الهدياء ٤ : ١٥٤)



[١] الحقاء : من وره كفرح : حرق فهو أورره .

[٢] ضعف الرأى والقل .

الباب الثاني

الخطبة الأولى

في

عصر صدر الإسلام

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم

٤٣ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الرأىء (١) لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتمونكم بما نتمون ، ولتبعنكم بما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، وإنها الجنة أبداً ، أو النار أبداً . »

(السيرة الخلمية ١ : ٢٧٢ ، والكمال لان الأثير ٢ : ٢٧)

٤٤ خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَق وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، الْأَكْلُ مَا تُرْتَدُّ (١) أَوْ دَمٌ أَوْ مَالٌ يُدْعَى ، فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَةَ (٢) الْبَيْتِ ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، إِلَّا وَقْتَلُ الْخَطَأَ مِثْلُ الْعَمَدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، فِيهِمَا الدِّيَةُ مُغْلَظَةً ، مِنْهَا أُرْبَعُونَ خَلِيفَةً (٣) فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَظَّمَهَا (٤) بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَأَدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُرُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الْآيَةَ . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أَوْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ) مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرًا ، أَخُ كَرِيمٌ ، وَإِنْ أَخُ كَرِيمٌ ، قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ .»

(تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإيجاز القرآن ص ١١٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٢١ ،

وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣)

٤٥ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشَبِّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرُهُ ، عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبِيُّهُمْ أَجْدَانُهُمْ ، وَنَأْكُلُ مِنْ تَرَائِمِهِمْ . كَأَنَّا مُخْلَدُونَ بَعْدَهُمْ ، وَنَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمْنًا كُلَّ جَائِحَةٍ (٥) ، طُوبَى (٦) لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عيوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا أَكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفِتْنَةِ وَالْحِكْمَةَ ، وَخَالَطَ أَهْلَ

[١] المكرمة . [٢] خدمه الكعبة . [٣] الحلقه : الحامل من البياق . [٤] تعظم : تكبر .

[٥] الجوح : الإهلاك والاستئصال كلاجتياح . [٦] مؤث أطيح ، والمسنى والمير وشجرة و

الذل والمسكنة، طوبى لمن زكّت وحسنت خليمته، وطابت سريرته،
وعزل عن الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من
قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة . (صح الأئمة ١ : ٢١٣)

٤٦ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ
قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصَلُّوا الَّذِي بِيَدَيْكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ
فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، تُرْزَقُوا وَتُوجِرُوا وَتُنَصَّرُوا، وَاعْمُوا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ
اقْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ، فِي مَقَامِي هَذَا، فِي عَامِي هَذَا، فِي شَهْرِي هَذَا، إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، حَيَاتِي وَمَنْ بَعْدَ مَوْتِي، فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ، فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَلَا
بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، أَلَا وَلَا حِجَّ لَهُ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ، أَلَا وَلَا
بِرَّ لَهُ، أَلَا وَلَا يَوْمٌ أَعْرَابِيٌّ مُهَاجِرًا، أَلَا وَلَا يَوْمٌ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ يَقْفَرَهُ
سُلْطَانٌ يُخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ . (تجارب القرآن ص ١١٠)

٤٧ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُؤُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَتَمَّ هَدَى أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَيْنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ
أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ، وَأَحِبُّوا اللَّهَ
مِنْ كُلِّ قَلْبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ، اعْبُدُوا اللَّهَ

وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ^(١) ، وَصَدَّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ
بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

٤٨ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضا أنه خطب بعد العصر فقال :

« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ خُلُوتٌ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرٌ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ
الْحَقَّ إِذَا عَلِمَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَخْطُبُ حَتَّى لَمْ تَبْقَ مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا حُمْرَةٌ عَلَى أَطْرَافِ
السَّعْفِ فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيهَا مَضَى إِلَّا كَمَا تَقَى مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا
فِيهَا مَضَى . » (إعجاز القرآن ص ١١٣)

٤٩ — خطبته بالخيف

وخطب بالخيف من مئى فقال :

« نَصَّرَ ^(٢) اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَاتِي فَوَعَاهَا ، ثُمَّ أَذَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَرُبَّ
حَامِلٍ فِيهِ لَا فِقْهَ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يَعْلَمُ ^(٣)
عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَوْلَى الْأَمْرِ ، وَلزومُ
الجماعة ، إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ ،
وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ ،
وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . »

(إعجاز القرآن ص ١١٢)

[١] التقاء : التقوى . [٢] من النصرة والنصاره ، وهى الحسن .

[٣] غلّ صدره يغلّ كصرب غلا ، وهو الحقد والضغن .

٥٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس ، إن لكم معالم^(١) فانتهاوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهايةً فانتهاوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين ، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باقٍ لا يدري ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَب^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنة أو النار .
(تهذيب الكمال ١ : ٥ ، إجاز القرآن ١١٠ ، البيان والنبين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١)

٥١ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم ، تعامنن والله ليضعن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم يقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فليظرن يمينا وشمالا ، فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامة فلا يرى غير جهنم ، فن استطاع أن يقي وجهه من النار ، ولو بشق من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عثمرا أمثالها إلى سبعمائة ضعف^(٣) ، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . (سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

[١] جمع معلم كذهب ، وهو الأثر يستدل به على الطريق ، والمراد حدود الشريعة الطاهرة .

[٢] استعته أعطاه العتي (وهي الرضا والصفح) وطلب إليه العتي .

[٣] ضعف الشيء مثله وضعافه مثلاه ، أو الضعيف المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضعفه يريدون مثليه .

مؤثثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

٥٢ - خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أحمدهُ وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفرهُ
وأعادي من يكفرهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً
عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترَةٍ من الرسل ، وَقَلَّةٍ من
العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من
الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشده ^(١) ، ومن يعصهما فقد غوي وفرط ،
وَصَلَّ ضَلَالاً بعيداً . وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن
يَحْضُهُ على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فأحذروا ما حذركم الله من نفسه ،
ولا أفضل من ذلك نصيحة . ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله لمن
عمل به على وجل وخافه من ربه . عونٌ صدقٍ على ما تبغون من أمر الآخرة ،
ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرِّ والعلائية ، لا ينوي بذلك إلا
وَجْهَ اللَّهِ . يكن له ذكراً في عاجل أمره . وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء
إلى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم
الله نفسه ، والله رءوف بالعباد . والذي صدق قوله ، وأنجز وعده لا خلفَ
لذلك ، فإنه يقول عز وجل : « مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ » .
فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السرِّ والعلائية ، فإنه من يتق الله يكفر عنه
سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وإن تقوى الله
يوقى مقته ، ويوقى عقوبته ، ويوقى سُخْطَهُ ، وإن تقوى الله يُدَيِّضِ الوجوه ،
ويرضى الربُّ ، ويرفع الدرجة ، خذوا بِحِطِّكُمْ وَلَا تَفْرُطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ ، قد

علمكم الله كتابه ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ ، ليعلم الذين صدقوا وَيَعْلَمَ الكاذبين ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكُمْ ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ ، وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَا كُمْ الْمَسَامِينِ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللهِ ، وَأَعْمَلُوا مَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ يَكْفِهِ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ ، وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ، اللهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ .

(تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

٥٣ - خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله نحمده وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ ، وَأَحْسِنِمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِحُ ^(١) بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، أَمَا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي أَيْبُنَ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا هَلْ بَلَغْتُمْ ؟ اللَّهُمَّ أَشْهَدُ ! فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أِثْمَنُهَا عَلَيْهَا ، وَإِنْ رُبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضِعٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ رَبًّا أَبْدَأَ بِهِ رَبَا عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنْ دِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ دِمٍ نَبْدَأُ بِهِ دِمَّ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(٢) ، وَإِنْ مَأْتَرُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ السِّدَّانَةِ وَالسَّقَايَةِ ، وَالْعَمْدُ

[١] . الاستفْتاح : الافتتاح والاستنصار . [٢] وكان استرضعاً في بني ليث فقتله بنو هذيل .

قَوَد^(١) ، وشبه العمدة مَا قُتِلَ بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن زَادَ ، فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ، ولكنه^(٢) قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تُحَقِّرُونَ من أعمالكم ، أيها الناس : إنما النَّسِيءُ^(٣) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَإِنِ الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنِ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ، ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ ، وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْحَرَمِ ، وَرَجَبٌ^(٤) الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟
اللهم اشهد !

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقًا ، ولكم عليهنَّ حق ، لكم عليهن
أَلَا يُؤْتِيَنَّ فَرِيضَتَكُمْ غَيْرِكُمْ ، وَلَا يُدْخِلُنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بِيُوتِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ،

[١] القود : الفصاح ، أى من قتل عمدا يقتل . [٢] ورواية الكامل لابن الأثير : «إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ، وقد رضى بما تحمرون من أعمالكم» .
[٣] أى تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام ، وهم عاربةون أحلوه ، وحرّموا مكانه شهراً آخر فيحلون الحرم ، ويحرمون صفرًا ، فإن احتاجوا أحلوه وحرّموا ربيعاً الأوّل ، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها ، وكانوا يبترون في التحريم مجرد العدد لخصوصية الأشهر المعلومة ، وأول من أحدث ذلك حنادة بن عوف السكاني كان يقوم على جل في الموسم فبنى : إن آهتكم قد آهت لكم الحرم فأحلوه ، ثم يادى في القائل : إن آهتكم قد حرمت عليكم الحرم . فحرموه - زيادة في الكفر ، أى كفر آخر ضموه إلى كفرهم . ليواطئوا أى يوافقوا عِدَّةَ الأشهر الأربعة الحرمّة ، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراماً أيضاً ، ولذا نسّ على العدد البين في الكتاب والسنة ، وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان في السنة الناسمة التي حجّ فيها أبو بكر بالناس في ذى القعدة ، وى حجة الوداع في ذى الحجة ، وهو الذى كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار . . . الخ » - راجع تفسير الألوّس ج ٣ ص ٣٠٥
[٤] قالوا في تلبية رجب وشعبان رجباً للتلبية .

ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن^(١) وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن اتھين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان^(٢) لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد !

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ! فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده ، كتاب الله ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد !

أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ! قالوا نعم . قال فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية ، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر^(٣) ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل^(٤) ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(البيان والتبيين : ٢ : ١٥ ، العقد الفريد : ٢ : ١٣٠ ، إبحار القرآن : ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد : ٤١ : ١ ، تاريخ الطبري : ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير : ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام : ٢ : ٣٩٠)

[١] العصل : الحبس والتضييق . [٢] جمع عانة من عنا ، أي خضع وذلل ، والعاني : الأسير . [٣] وللعاهر : أي الرائي ، أي لاحق له في النسب ولا حظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش ، أي لصاحب أمّ أولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب ، أي لانيء له .

[٤] الصرف : النوبة والعدل الدية ، وقيل الصرف القيمة والعدل المثل ، وأصله في الدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفاً ولا عدلاً ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يقبلوا بقتيلهم رجالاً واحداً ، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه الذي يجب عليه وألزم أكثر منه .

٥٤ -- خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رأسه ، فقال خذ يدي يا فضلُ ، فأخذتُ بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتبعوا إليه ، فقال : « أما بعد : أيها الناس فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إلهَ إلا هو ، وإنه فدنا مني خُفُوقٌ^(١) من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدتُ له ظهرًا ، فهذا ظهري فليستَقِدْ^(٢) منه ، ومن كنت شتمتُ له عرضًا . فهذا عرضي فليستَقِدْ منه ، ومن أخذت له مالًا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يحشَ الشَّجَنَاءُ مِنِّي قَبِيلِي ، فإنها ليست من شأني ، ألا وإنَّ أحبَّكم إليَّ من أخذ مني حقًا إن كان له ، أو حلَّاني فلقيت ربي وأنا طيبُ النفس ، وقد أرى أن هذا غير مُعْنِي عني حتى أقوم فيكم مرارًا . »

ثم نزل فصلِّي الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقاتله الأولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عوضها ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فليؤدِّه ولا يقل فُضُوحُ الدنيا ، ألا وإن فُضُوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة » ثم صلى على أصحاب أحد وأستغفر لهم ، ثم قال : « إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكي أبو بكر ، وقال : فدينك بأنفسنا وآبائنا . » (تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤) .

[١] خلق النجم يخفق خوفًا غاب والطائر طار والليل أكثره . [٢] فليقتصم (بن القواد) وهو القصاص ، أماد القاتل بالقتيل قتله به ، واستفاد الحاكم سأله أن يفيد القاتل بالقتيل .

خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نُؤْتَى هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه ، إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ، ولكن تَلَقَّ مني قولي فأسمعهموه ، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله : فيرفع صوته ، فيسمع أصحابه :

٥٥ - خطبة سعد بن عبادة

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمداً عليه الصلاة والسلام لبث بضعة عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلق الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا يقدرون على أن ينعوا رسول الله ﷺ ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عموماً به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وخصصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً^(١) ، حتى آئخن^(٢) الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ ، وبكم قرير عينٍ ، استبدوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس »

[١] صاغرا ذليلاً : من دخر كمن وفرح دخورا ودخرا بالتحريك .

[٢] آئخن : فلانا : أو منه ، والمراد أخضع .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي، وأصبحت في القول، وإن تعدوا ما رأيت، نوليك هذا الأمر، وأتى عمر الخبُر، فأقبل إلى أبي بكر فقال: «أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة؟ وأحسنهم مقالة من يقول: منّا أميرٌ ومن فريش أميرٌ» فمضيا مسرعين نحوهم، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثتهم، فجاءواهم مجتمعون فقال عمر: أتيناكم وقد كنت زويت^(١) كل ما أردت أن أقوم به فيهم، فلما أن دفعت إليهم ذهب لأبتدئ المنطق. فقال لى أبو بكر: رويدا حتى أتكم، ثم انطق بعد بما أحببت، ونطق. فقال عمر: فما نسي كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أوزاد عليه.

٥٦ - خطبة أبي بكر رضى الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه، وشهيدا على أمته، ليعبدوا الله ويوحّدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة، وإنما هي من حجر منحوت، وخشب منجور^(٢)، ثم قرأ:

«ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فنص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمواصاة له، والصبر معه، على شدة أذى قومه لهم، وتكذيبهم إياهم:

[١] زوايه بزويه جمع، والمراد أعدت. ورواية الغد العريد (٢ : ٢٠٤) زورت كلاما في معنى وزور المعنى، حسه وقومه، والمراد أيضا هيأت وأعدت. [٢] النجر: نحت الحطب.

وكلُّ الناس لهم مخالفٌ مَزَارٍ^(١) عليهم ، فلم يَسْتَوْحِشُوا لِقَالَةِ عَدَدِهِمْ ، وَشَنَفِ^(٢) الناس لهم ، وَإِجْمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ ، فَهَمُّ أَوْلَى مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ، وَهَمُّ أَوْلِيَاؤِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَا يَنَازِعُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَا يُنْكَرُ فَضْلَهُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا سَابِقَتَهُمْ الْعَظِيمَةَ فِي الْإِسْلَامِ ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِدِينِهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِلَيْكُمْ هِجْرَتَهُ وَفِيكُمْ جَلَّةُ أَرْوَاجِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَيَسَّ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَتِكُمْ ، فَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تُفْتَأُونَ بِمَشُورَةٍ وَلَا تُقْضَى دُونِكُمُ الْأُمُورُ»

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وهما كه »

٥٧ - نص آخر للخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه . ثم قال :

« أيها الناس : نحن المهاجرون ، أوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وِلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمَّسَهُمْ رَحِمًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسَامَنَا قَبْلَكُمْ ، وَقُدِّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » فَنَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ وَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ ، إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي الْفِيءِ^(٣) . وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، أَوْلِيَاءُ وَوَأَسِيَّتُمْ ، جُزَاءُ اللَّهِ خَيْرًا ، فَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ فَرِيضٍ ، فَلَا تَنْفَسُوا^(٤) عَلَى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . »

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ - ٢٠٤ ، ميون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٣ ، البيان والتبيين ٣ : ١٤٧)

[١] زرى عليه زراية طابه . [٢] شنف له كمرح أبعده وتكره فهو شنف .
[٣] العيمة والحراج . [٤] نفس عليه بحير (كمرح) حسده ، ونفس عليه الشيء بماسة لم يره أهلاه .

٥٨ - خطبة الحباب بن المنذر

ثم قام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال :

« يا معشر الأنصار : املِكُوا عليكم أمركم ، فإن الناس في فيئِكُمْ وفي ظلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولن يصُدِّرَ الناس إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العزِّ والثروة ، وأولو العدد والمنعة والتجربة ، وذوو البأس والنجدة ، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ، وينتفض عليكم أمركم ، فإن أبي هو لاء إلا ما سمعتم ، فإنا أمير ومنهم أمير .

٥٩ - خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقال عمر : « هيهات لا يجتمع اثنان في قرن ^(١) ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم وبيئها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ، وتولى أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٍ بباطل ، أو متجانف ^(٢) لاثم ، أو متورط في هلكة ؟ »

٦٠ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

فقام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار املِكُوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتوه ، فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأتتم والله أحق بهذا الأمر منهم ،

فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ، ممن لم يكن يدين ؛ أنا جُذَيْلُهَا
المُحَكَّك ، وَعُدَيْتُهُمَا المُرَجَّب (١) ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جَدَاعَةَ (٢) .

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :
يا معشر الأنصار : إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وغير .

٦١ - خطبة بشير بن سعد

فقام بشير بن سعد - أبو النعمان بن بشير - فقال :
« يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كُنَّا أولي فضيلة في جهاد المشركين ،
وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ،
فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَصًا ، فإنَّ
الله وَلِيُّ المِنَّةِ علينا بذلك ، ألا إن محمدًا صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومُه
أحقُّ به وأولى ، وإيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمرَ أبدًا ، فاتقوا الله ولا
تخالفوه ولا تنازعوه » .

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأَيُّهُمَا شئتم فبايعوا ، فقالا
لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين إذ هما
في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسامين ، فمن ذا
ينبغي له أن يتقدّمك ، أو يتولى هذا الأمر عليك ، ابسط يدك نبايعك ، وقام
الناس إليه فبايعوه . (تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٧ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٥٨)

[١] الجذيل : تصغير الجذل (بالكسر) ، وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجري لتحتك به وتمرس ،
والحكك الذي تحتك به ، والعذيق تصغير العذق (بالتح) ، وهو النخلة ، والرجب الذي جعل له رجة ، وهي
دعامة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تحوّقوا عليها أن تنقر من الرياح
العواصف ، والتصغير هنا يراد به التكبير والتعظيم ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستشئ برأيه وعقله
[٢] الجذعة : الشابة الفنية ، يريد الحروب والمارات .

خطب أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

٦٢ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّبِي^(١) بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« بأبي أنت وأمي ! طِيبْتَ حَيًّا ، وَطِيبْتَ مَيِّتًا ! وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فَمَظُمَتَ عن الصفة ، وَجَلَلْتَ عن البكاء ، وَخَصَّصْتَ حتى صرت مَسْأَلَةً^(٢) ، وَعَمَّمْتَ حتى صرنا فيك سَوَاءً^(٣) ، ولولا أن موتك كَانَ اختياراً منك^(٤) ، لَجُدْنَا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نَهَيْتَ عن البُكَاءِ ، لَأَنقَذْنَا عليك ماء الشُّعُونِ^(٥) ، فأما ما لَأَنسَطِيعَ نَفِيَهُ عَنَا ، فَكَمَدْتُ وَإِدْنَا^(٦) ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ . اللهم فَأَبْلِغْهُ عَنَا السَّلَامَ ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، وانكن من بالكَ ، فلولا ما خَلَفْتِ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ تُقِمِ لِمَا خَلَفْتِ مِنَ الوَحْشَةِ ، اللهم أَبْلِغْ نَبِيكَ عَنَا ، واحفظه فينا » !

ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة قال فيها :
« أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا

[١] تسمية الميت : تطيبه . [٢] خمس الشيء من باب فعد خصوصاً فهو خاص : خلاف عم ، مثل اخصص (وكلا الفعلين يستعمل متعديا ولازماً) ، والمعنى إنك يا رسول الله قد صرت بؤتك مسلاة للناس ، فإنك مع ما اخصصت به من مناقب السوة قد نزل بك الموت ، فلعباد فيك أسوة حسنة .
[٣] أي عمت مصيبتك جميع المسلمين صرنا نحن وقرابك سواء في الحزن عليك والفرح لفقرك .
[٤] يتسير إلى قوله عليه السلام : « لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخبر » قالت عائشة : سمعته وقد شخص بصره ، وهو يقول : « لا في الرفيق الأعلى » فعلت أنه خير ، فعلمت أنه لا يخترانا إذن ، وقلت هو الذي كان يحدتنا وهو صحيح . [٥] جمع شأن ، وهو مجرى الدعاء إلى العين .
[٦] دنف المريض كعرج ، وأداف : نعل ، والنميس : دنت للزروب واصفرت .

عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدّث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ... في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد تقدّم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه . وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر . يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط^(١) ، ولا يشفعنكم^٢ الشيطان بموت نبيكم ، ولا يفتننكم^٣ عن دينكم ، فعاجلوه بالذي تُعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم»
(زهر الآداب ١ : ٣٥)

٦٣ - خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتوني على حق فأعينوني ، وإن رأيتوني على باطل فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

(المقدم الفرید ٢ : ١٣٠ ، وإيجاز القرآن ص ١١٥ ، وعيون الاخبار م ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب الكامل ١ : ٦ ، تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ ، ابن أبي الحديد م ٢ : ٨ ، وم ٤ : ١٦٧ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٤٣٠)

٦٤ - خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبري : نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم لِيَتِمَّ بَعثُ أُسَامَةَ : أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أُسَامَةَ إِلا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَقَامَ فِي النَّاسِ ، وَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لِعَالِمِكُمْ سِتْرًا كَلَّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ . إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أُسْتَقِمْتَ فَتَابِعُونِي ، وَإِنْ زِعْتُمْ فَتَقَوُّمُونِي ، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمِظْلَمَةٍ ^(١) ضَرْبَةَ سَوْطِ فِئَادُونِهَا ، أَلَا وَإِنْ لِي شَيْطَانًا ^(٢) يَعتَرِينِي ، فَإِذَا غَضِبْتَ فَاجْتَنِبُونِي ، لِأَوْتَرْتُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ^(٣) ، أَلَا وَإِنِّي كَم تَعْدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ أُسْتَعْطِمَ الْأَيُّمِيُّ هَذَا الْأَجَلَ إِلا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلِ آجَالِكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آجَالِكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نَسُوا آجَالَهُمْ ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لغيرِهِمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَلَهُمْ ، الْجِدُّ الْجِدُّ ، وَالْوَحَا ^(٤) وَالْوَحَا ، وَالنَّجَاءُ ^(٥) وَالنَّجَاءُ ، فَإِنْ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَيْثًا ^(٦) ، أَجَلًا مَرُّهُ سَرِيعٌ ، أَحْذَرُوا الْمَوْتَ ، وَاعْتَبَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانَ ، وَلَا تَغْبِطُوا ^(٧) الْأَحْيَاءَ إِلا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ » .

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٦٧)

[١] الظلمة . [٢] قال ابن الحديد : وأراد بالشیطان العصب ، ولم يرد أن له شیطاناً من مردة الجن يعتریه إذا غضب ، ولو كان له شیطان من الجن يعناده وينوبه لكان في عداد المصروعين من الجن ، وما ادعى أحد على أبي بكر هذا لامن أوليائه ولامن أعدائه . [٣] أبشار جمع بشر ، وهو جمع بشرة وهي ظاهر الجلد . [٤] العجلة والإسراع ، وحى وتوحى : أسرع ، ووحى : مجله . [٥] الإسراع أيضاً . [٦] سرعباً . [٧] غبطة : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوال نعمته عنه .

٦٥ - خطبة أخرى

قال الطبرى : وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله
بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتتموها ، وحظاً
ظفره ثم به ، وضرائب أدتموها ، وسكف قدمتموه ، من أيام فانية لأخرى باقية ، حين
تفركم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين
كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والعلمبة
في مواطن الحروب ؟ قد تضيع بهم الدهر ، وصاروا رمياً ، قد تركت عليهم
القاتل^(١) الخبيثات ، وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك
الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ، ونسي ذكرهم ، وصاروا كالأشياء ، الأولان
الله قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ،
والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن
أعترنا كنا مثلهم ، أين الوضاء^(٢) الحسنة وجوههم ، المعجبون بسببهم ؟ صاروا
تراباً ، وصاروا فراطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ،
وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فتلك مساكنهم خاوية ، وهم
في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزاً^(٣) ؟ أين من
تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ،
فخلدوا عليه ، وأقاموا للشقوة وللسمادة فيما بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له

[١] القول : في الخبر ، والقال والفيل والقالة : في الشر . [٢] الوضاء جمع وضى . وهو الحسن
والنظيف ، وهو أيضاً وضاء بضم الواو وتشديد الضاد ، وجمه وضاون . [٣] الصوت الحوى .

ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه به سوءاً
إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يدرك
إلا بطاعته ، أما وإنه لا خير بخير بعده النار ، ولا شرّ بشرّ بعده الجنة .
(تاريخ الطبري ٣ : ٣١١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ١٦٧)

٦٦ - خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال :
« إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرجع الناس رءوسهم ، فقال :
مالكم يامشر الناس ؟ إنكم لطمعون عجائون ، إن من الملوك من إذا ملك زهدَهُ
الله فيما في يده ، ورغبهُ فيما في يدي غيره ، وانتقصهُ شطراً أجله ، وأشرب قلبهُ
الإشفاق ، فهو يحسدُ على القليل ، ويتسخط^(١) الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع
عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة . ولا يسكنُ إلى الثقة ، فهو كالدهرم التسي^(٢) ،
والسراب الخادع ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت^(٣) نفسه ،
ونضب عمره ، وضحا ظله^(٤) ، حاسبهُ الله فأشدَّ حسابهُ ، وأقلَّ عفوهُ . ألا إن
الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسرّون
بمدي ملكا عضوصاً^(٥) ، وأمة شعاعاً^(٦) ، ودماً مفاحاً^(٧) فإن كانت للباطل
تروة^(٨) ، ولأهل الحق جولة ، يعفوها الأثر ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ،

[١] تسخط عطاه : استقله . ولم يقم منه موقماً . [٢] الزائف . [٣] مات ووجبت الشمس
عاب ، والعين غارت . [٤] مات أبيضاً . [٥] العضوص : ما يعص عليه ، وملك عضوص فيه
عسف وظلم . [٦] متفرقة . [٧] أفاقه : أراقه . [٨] وئمة .

واستشيرُوا القرآن ، والزمو الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أَى بلادِ خَرَشَنَةَ^(١) إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أَدْنَاهَا .
(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٣ ، والبيان والذبيبن ٢ : ٢١ ، والعمد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصح الأعتى ١ : ٢١٣ ، وزهر الآداب ١ : ٣٩) .

٦٧ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأستهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهد الله فهو المهتدى ، وَمَنْ يُضِلُّ فَن تَجِدْ لَهُ وَلِيَا مُرْشِدَا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت ، يُعزُّ من يشاء ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، ولو كره المشركون ، إلى الناس كافةً ، رحمةً لهم ، وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شَرِّ حال في ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فِرْيَةٌ ، فَأَعَزَّ اللهُ الدِّينَ بِمُحَمَّدِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عزَّ وَجَلَّ : « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » .

أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر ، وعلى كل حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من

[٢] خوشنة : بلد بالروم ، والمراد بلاد الروم .

الحديث خير، مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ، وَمَاخِرُ
 مِنْ خَلْقٍ مِنَ التُّرَابِ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ؟ هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ، وَغَدًا مَيِّتٌ، فَاعْمَلُوا
 وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ، وَمَا أَشْكَالَ عَلَيْكُمْ فَرَدُّوا عَامَهُ إِلَى اللَّهِ، وَقَدَمُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُخْضَرًا، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ
 مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا
 بَعِيدًا، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ». فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَرَاقِبُوهُ،
 وَأَعْتَبُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ، وَأَعْمَلُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ، وَالْجِزَاءُ بِأَعْمَالِكُمْ:
 صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ؛ فَأَنْفُسِكُمْ أَنْفُسِكُمْ، وَالْمُسْتَعَانَ
 اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، أَفْضَلَ
 مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَزَكَّنَّا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَأَلْحَقْنَا بِهِ، وَأَحْشَرْنَا فِي
 زُمْرَتِهِ، وَأَوْرَدْنَا حَوْضَتَهُ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ.

(العقد الفريد ٢ : ١٣١)

٦٨ - خطبة له

وَخُطِبَ أَيْضًا، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:
 «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تُشْتَبُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَأَنْ تَحْدِثُوا الرِّغْبَةَ
 بِالرَّهْبَةِ، وَتَجْمَعُوا الْإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ:
 «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ».
 ثُمَّ أَعْمَلُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ اللَّهَ قَدِ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَكُمْ،
 وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْفَاقِي الْكَثِيرَ الْبَاقِي، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَابُهُ،

وَلَا يُظْفَأُ نوره ، فَتَقُوْا بِقوله ، وَانْتَصِحُوا^(١) كتابه ، واستبصروا فيه ليوم
الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وَوَكَلَّ بِكُمْ الكرام الكاتِبِينَ يَعمَلُونَ ما تَفعَلُونَ^(٢) .

(العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار ٢ م ٢ ص ٢٣٢)

٦٩ - خطبة له في ندب الناس لفتح الشام

وَخطبَ يندب الناس لفتح الشام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، وقال :
« أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ جِوامِعَ ، فمن بَلَغَهَا فهي حَسْبُهُ ، ومن عمل لله كفاها
الله ، عليكم بالجدِّ والقصد ، فَإِنَّ القصدَ أَبْلَغُ ، أَلَا إِنَّه لا دين لأحد لا إيمان له ،
ولا أَجرَ لمن لا حِسْبَةَ له ، ولا عمل لمن لا نية له ، أَلَا وَإِنَّ في كتاب الله من
الثواب عَلَى الجهاد في سبيل الله ، كما ينبغي للمسلم أن يجب أن يُخَصَّ به ، هي
التجارة التي دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة في
الدنيا والآخرة »
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٠)

٧٠ - خطبة له في الأنصار

ووصل إليه مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، فغضبت الأنصار ،
وقالوا لَهُ فَضَّلْنَا ، فقال أبو بكر صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا ،
وإن صبرتم كان ذلك لله عزَّ وجل ، فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا ،
فرقى أبو بكر المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« يا معشر الأنصار : إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم
في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا ، قلتم ، وإن لكم من الفضل ما لا يُحصيه العدد ،

[١] انتصح فلان : قبل النصيحة ، يقال : انتصحني فأني لك ناصح . [٢] وردت قب ذلك « ثم
اعلموا عباد الله أنكم تعدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه . . . الخ » مما أورده ابن جرير
الطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها ص ٦٨

وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنا جعفرأحين أزلت بنا نعلمنا في الواطين فزلت
أبوا أن يملونا ، ولو أن أمننا تلاقى الذي يلقون منا ملت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

(زهر الآداب ١ : ٢٩)

وصاياہ

٧١ - وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى أبي ، فقال :

« يا أيها الناس : قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا^(١)
ولا تغدروا^(٢) ، ولا تملوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شبخاً كبيراً ولا امرأة ،
ولا تقمروا^(٣) نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تدبحوا شاة
ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كالة^(٤) ، وسوف تمرئون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في
الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية
فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء ، فاذكروا اسم الله عليها ،
وتلقون أقواماً قد فخصوا أوساط رءوسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب ،
فاخفقوهم^(٥) بالسيف خفقا ، اندفعوا باسم الله^(٦) . »

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١٣ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٦٢)

[١] موضع بقرب مؤتة بمشارك الشام قتل به والده زيد بن حارثة . [٢] غل يغل كنصر : خان
كأغل ، وغل صدره يغل كعرب غليلا وغلا حقد . [٣] غدروا وغدر به كنصر وضرب وسمع .
[٤] تمر النخلة : كنعن فانهزت قدمها من أصاها فسقطت . [٥] المأكلة ما أكل .
[٦] خفقه ضربه بشيء عريض . [٧] وأورد العقد الفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من

٧٢ - وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عقبة مَبْعَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمِ لَهُ أَجْرًا ، فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ خَيْرَ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ سَبَلَ اللَّهُ ، لَا يَسْمَعُ فِيهِ إِلَّا ذَهَانًا^(١) وَالتَّفْرِيطُ وَالغَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ فِوَامُ دِينِكُمْ ، وَعَصْمَةُ أَمْرِكُمْ فَلَاتَنْ ، وَلَا تَفْتُرْ . »
(تاريخ الخلفاء ٤ : ٢٩)

٧٣ - وصيته لخالد بن الوليد

وقال لخالد بن الوليد : « سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو ، فكن بعيداً من الحملة ، فإنني لا آمن عليك الجؤلة ، وأستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، ولا تقا تل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيئات ، فإن في العرب غرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وعى عنك ، وافبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله في سريرتهم ، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه . »
(العقد المربد ١ : ٤٠)

٧٤ - وصيته ليزيد بن أبي سفيان

ووصى يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام :
« إني قد وليتك لِأَبْلُوكَ وَأَجْرَبِكَ وَأَخْرَجَكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ ، فَعَمَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ

مثل الذى يَرَى من ظاهرِكَ ، وإن أولى الناس بالله أشدهم تَوَلَّيَا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرُّبًا إليه بعمله ، وقد وليتكَ عمل خالد ^(١) فَإِيَّاكَ وَعِيبِيَّةَ ^(٢) الجاهلية ، فَإِنَّ الله يُبَغِضُهَا وَيُبَغِضُ أَهْلِهَا ، وَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ مُحَبَّتَهُمْ ، وابدأهم بالخير ، وَعِدْهم إِيَّاهُ ، وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الكَلَامِ يَدْمِي بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمَهُمْ وَأَقْلِلْ لُبَّيْهِمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ ، وَلَا تُرِيهِمْ ^(٣) فَيَرَوْا خَلَّكَ ، وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثُرُوةِ عَسْكَرِكَ ، وَامْنَعْ مِنْ قِبَلِكَ مِنْ مِحَادِثِهِمْ ، وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلَّى لِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَجْهَلْ سِرَّكَ لِعِلَانِيَتِكَ ، فَيَخْتَلِطُ أَمْرُكَ ، وَإِذَا اسْتَشْرْتَ فَاصْذُقِ الْحَدِيثَ تُصَدِّقِ الْمَشُورَةَ ، وَلَا تَخْزُنْ عَنِ الْمَشِيرِ خَبْرَكَ ، فَتَوَلَّتِي مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ ، وَاشْمُرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَنَاتِكَ الْأَخْبَارَ ، وَتَنَكِّشِفِ عِنْدَكَ الْأَسْتَارَ ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ ، وَأَكْثِرْ مَفْجَأَتِهِمْ فِي مَحَارِسِهِمْ بغير علم منهم بك ، فَمَنْ وَجَدْتُهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ ، فَأَحْسِنِ أَدَبَهُ وَعَاقِبَتَهُ فِي غيرِ إِفْرَاطٍ ، وَعَقِّبْ ^(٤) بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ ، وَاجْعَلِ النُّوبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهَا أَيْسَرُهَا لِقَرَبِهَا مِنَ النَّهَارِ ، وَلَا تَخَفْ مِنَ عَقُوبَةِ الْمُسْتَحَقِّ ، وَلَا تَلَجِّنْ فِيهَا ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، وَلَا تَخْذَلْهَا مُدْقِمًا ^(٥) ، وَلَا تَغْفُلْ عَنِ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ، وَلَا

[١] هو خالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيره إلى الشام أو لآثم عرله . [٢] العيبية : الكبر والفخر ، وفي الحديث : (إن الله قد وضع عنكم عيبة الجاهلية) يعنى الكبر . [٣] من الريث وهو الإبطاء . [٤] عقبه تعقباً : جاء بعقبه . [٥] لا تخذ : من خذا تخذو كنصر وخذى يخذى كرضى إذ استرضى ، والمدقع : الهارب أو أشد الهزلى هزالا ، أى ولا تضعف ، ولا تجبن أمام تنفيذ العقوبة وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

يكشِفُ الناسَ عن أسرارهم ، واكتفِ بعلايتهم ، ولا تجالسِ العمَّائينِ
وجالسِ أهلَ الصدقِ والوفاء ، واصدُقِ اللِّقاء ، ولا تجبُنْ فيجبِنِ الناسَ ، واجتنبِ
القولَ (١) ، فإنه يقربُ الفقرَ ، ويدفعُ النصرَ ، وستجدونَ أقواماً حبسوا أنفسهم
في الصوامعِ فدعهم وما حبسوا أنفسهم له . (تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٩٦)

٧٥ — وصيته لعمر رضى الله عنهما عند موته

« إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بقوى الله ، إن لله عملاً بالليل
لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تُقبَلُ نافلةٌ حتى تُودَى
الْفَرِيضَةُ ، فإنما ثقلتُ موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقِّ في
الدنيا و ثقَلِه عليهم ، وحقُّ ليزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما
خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ،
وحقُّ ليزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا ، إن الله ذكر أهل الجنة
فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف
ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر
حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية
الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبًا راهبًا ، ولا يتمنى على الله غير الحق ،
ولا يُبَلِّغُ بيده إلى التهلكة ، فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائبًا أحبَّ إليك
من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائبًا أبغضَ إليك من
الموت ولست بمعجز الله . »

(البيان والبيان ٢ : ٢٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ ، والعقد المرید ١ : ٢٩٨)

٧٦ - كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعي ، إني ولّيتُ أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم وريمَ أنفُه أن يكون له الأمر من دونه ، والله لتتخذن نضائد^(١) اللّيباج وستور الحرير ، ولتألمنّ النوم على الصوف الأذربى^(٢) ، كما يالم أحدكم النوم على حسك السعدان^(٣) ، والذي نفسي بيده ، لأن يُقدّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يا هادى الطريق جرّت إنما هو والله الفجر أو البجر^(٤) » .

فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يبيضك^(٥) إلى ما بك ، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً ، لا تأسى على شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخلّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلاّ خيراً .

(تهذيب الكامل ٦: ١ ، و إجماع القرآن ١١٦ ، والعقد الفريد ٢: ٢٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٤: ٥٢)

[١] جمع نضيدة ، وهى الوسادة وما ينضد من المتاع . [٢] نسبة إلى أدربيجان .

[٣] نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه ويمدوها غذاء لا يوجد في غيره ، وو المثل : مرعى

ولا كلسدان . [٤] الخمر والأمر العظيم . يقول : إن انتظرت حتى يعى لك الفجر والطريق أبصرت

فصدك ، وإن خبطت الظلماء وركبت المشواء هجما بك على الكروه ، وضرب ذلك مثلاً لغمرات الذي

وتجبرها أهلها . [٥] هاس العظم : كسره بعد الجبور .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

٧٧ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضى الله عنه صعد المنبر فقال : « إني قائل كلمات فأمنوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف ، قال :
« إنما مثل العرب مثل جمل أنفٍ ^(١) اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده
وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٥٤ ، والسكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨)

٧٨ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة في عيون الأخبار : لما ولي عمر صعد المنبر فقال :
« ما كان الله ليراني أرى نفسى أهلا لمجلس أبي بكر ، ثم نزل عن مجلسه
مرّاه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تعرّفوا به ، واعملوا به
تكونوا من أهله ، إنه لم يبلّغ حقّ ذى حقّ أن يطاع في معصية الله ، ألا وإني
أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة والى اليتيم ، إن أستغنيت عفت ، وإن افتقرت
أكلت بالمعروف ، تقرّم ^(٢) البهمة ^(٣) الأعرابية ، القضم لا الخضم ^(٤) .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٢)

[١] أنف البعير : اشـ.مكى أمه من البرة فهو أنف وآنف ، وو الحديث : « المؤمن كالجل الأنف إن قيد انقاد ، وإن استنج على صخرة استناخ » وذلك للوجع الذى به فهو دلول مقاد .
[٢] تقرّم الصبيّ أكلأ كلا ضعيفاً ، وذلك فى أول أكله . [٣] البهمة أولاد الصأ والمعز والبقر .
[٤] القضم : الأكل بأطراف الأسنان والخضم الأكل بأبـى الأضراس .

٧٩ - خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكّر الناس بالله عزّ وجلّ واليوم الآخر ، ثم قال :

« يا أيها الناس : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعاً^(١) بما ينوب من مهمّ أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكني عمرٌ مهمٌّ محزناً انتظاراً موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ، ووضعها أين أضعها ، وبالسير فيكم كيف أسير ، فربّي المستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عزّ وجلّ برحمته وعونه وتأيبه .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ ص ١٢٤)

٨٠ - خطبة له

ثم خطب فقال :

« إن الله عز وجل قد ولّاني أمركم ، وقد علمت أنفع ما يحضرتكم لكم ، وإني أسأل الله أن يعينني عليه ، وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره ، وأن يُلهمني العدل في قسّمكم كالذي أمرني به ، وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أعان الله عز وجل ، وإن يغيّر الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله ، إنما العظمة لله عز وجل ، وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولن أحد منكم إن عمر تغيّر منذ ولي ، أعتل الحق من نفسي ، وأتقدم وأبين لكم أمري ، فأيا رجل كانت له حاجة ، أو ظلم مظلمة . أعتب علينا في خلق فليؤذني ، فإنما أنا رجل منكم ، فعليكم بتقوى الله في سرّكم وعلايتكم وحرّماتكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من

[١] الذي وكتب اللغة « اضطلاع » يقال هو مضطلع بهذا الأمر ، أي قوى عليه .

أنفسكم ، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إليّ ، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة ، وأنا حبيب إليّ صلاحكم ، عزيز على عنتكم ، وأنتم أناس عامتكم حصر في بلاد الله ، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع ، إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة ، وأنا مستول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومطلع على ما بحضرتي بنفسى إن شاء الله ، لا أكله إلى أحد ، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للامة ، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله . (تاريخ الطبري ٢٦:٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣:١٢٤)

٨١ - خطبة أخرى

وقال ابن عبد ربه : وخطب إذ ولي الخلافة : صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَاعٍ فَأَمُّنُوا ، اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَدَيِّنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ، بِمَوَاقِفَةِ الْحَقِّ ، ابْتِغَاءً وَجْهَكَ وَالِدَارَ الْآخِرَةِ ، وَارزُقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشَّدَةَ عَلَى أَعْدَائِكَ ، وَأَهْلِ الدَّعَارَةِ ^(١) وَالنَّفَاقِ ، مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ مَنِي لَهْم ، وَلَا اعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي شَجِيحٌ ، فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ ، قَصِداً مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، وَاجْعَلْنِي أَبْتغى بِذَلِكَ وَجْهَكَ وَالِدَارَ الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ ، وَابْنِ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ ، فَأَلْهِمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ ، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عَنِ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ ، فَارزُقْنِي النِّشَاطَ فِيهَا ، وَالقُوَّةَ عَلَيْهَا ، بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعَزَّتِكَ

[١] العجور .

وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبرِّ والتقوى ، وذكّر المقام بين يديك ، والحياه منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقنى التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شىء قدير .

(العقد الفريد ٢ : ١٢٣)

٨٢ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ :

« أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجلون فى دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحى ، فمن أمر شيئاً أخذ بسريره ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلايته ، فأظهرنا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسرائر ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . أيها الناس أطيبوا مشواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطى^(١) فإنه إن لم يشف فإنه يصف . أيها الناس : إني لوددت أن أنجو كفافاً لالى ولا على ، وإني لأرجو إن عمّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله

[١] القباطى (بضم الأول وتشديد الآخر ، أو القباطى بفتح الأول وتخفيف الآخر) ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل فى مصر جمع قبطية (بضم القاف نسبة إلى القبط على غير قياس وقد تكسر) وشف الثوب يشف رق حكي ما تحته ، وقوله : فإنه يصف أى ما تحته من أجزاء البدن ويمددها لرقته وطرارته .

وإن لم يُعمل إليه نفسه ، ولم يُنصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، ولقَدليل في رفق خيرٌ من كثير في عنف ، والقتل حتف من الخوف ، يصيب البرَّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بغيراً فليَعْمِدِ إلى الطويل العظيم فليضربه بعضاً ، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٢٥)

٨٣ - خطبة له

وخطب أيضا فقال :

« إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا ، لنفسه وعبادته ، وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ، فجعل لكم عامة خلفه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسَخَّرَ لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمته ظاهرةً وباطنةً ، وحملكم في البرِّ والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، ثم جعل لكم سمعا وبصرا ، ومن نعم الله عليكم نعم عمِّ بها بنى آدم ، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ ، خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها ، وفدَحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فأنتم مُسْتَخْلَفُونَ في الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أُمَّتَانِ ، أُمَّةٌ مستعبدةٌ للإسلام وأهله ، يتجرون لكم ، تستصفون^(١) معايشهم وكدائهم ورشَحَ جباههم ، عليهم المثونة

[١] استصفى الشيء : أخذ منه صفوه .

ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وَسَطَوَاتِهِ في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله فلوبهم رعباً ، فليس لهم معقلٌ يلجئون إليه ، ولا مهزَّب يتقون به ، قد دَهَمَتْهُمْ جنود الله عز وجل ، ونزلت بساحتهم مع رفاغة ^(١) العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البعوث ، وسدَّ الثغور بإذن الله في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذكَان الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد ، فإعسى أن يبلغ مع هذا شكرُ الشاكرين ، وِدِكْرُ الذاكرين ، واجتهادُ المجتهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدر قدرها ، ولا يستطيع أداء حقها ، إلا بعون الله ورحمته ولطفه ، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو ، الذي بلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمسارعة إلى مرضاته ، فاذكروا عباد الله بلاء الله عندكم ، واستتموا نعمة الله عليكم ، وفي مجالسكم مثنى وفُرَادَى ، فإن الله عز وجل قال موسى : « أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ » وقال محمد صلى الله عليه وسلم : « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ » فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون ليها ، مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون بها الخير فيما بعد الموت ، لكان ذلك ، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم الناس بالله جهالة ، فلو كان هذا الذي ابتلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم ، عبر أنه ثقة لكم في آخرتكم ، التي إليها المعاد والمنقلب ، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه ، كنتم أحرىء أن تشحوا على نصيبكم منه ، وأن تظهِرُوه على

[١] رفع عيشه ككرم رفاغة : اتسع ، والرفاغة والرفاغة : سعة العيش والحصب والسعة .

غيره ، فَبَسَلَهُ^(١) ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أو لمن شاء أن يجمع له ذلك منكم ، فأذكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم ، إلا ما عرفتم حق الله فَعَمِلْتُمْ له ، وَقَسَرْتُمْ أنفسكم على طاعته ، وجمعتهم مع السرور بالنعيم خوفاً لزلواها ولا نتقالها ، ووجلاً من تحويلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها ، وإن الشكر أمن للغير ، ونماء للنعمة ، واستجلاب للزيادة ، وهذا لله على من أمركم ونهيكم واجب . (تاريخ الطبري ٥ : ٢٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٥)

٨٤ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت أبا بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض ، فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ، فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً ، إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطيهم ، ثم المهاجرين الأوائل ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ، ثم بالأَنْصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل إلا منأخ رحلته ، إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي ، فابتليت بكم ، وابتليت بى ، وإني لن يحضرني من أموركم شيء فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأحسن إليهم ، ولئن أساءوا ولأنككن بهم . » (العهد الفريد ٢ : ١٣٢)

[١] بله : اسم فعل بمعنى دع واترك ، ما بعدها منصوب ، ومصدر بمعنى الترك ، ما بعدها مجرور بالإضافة ، واسم مرادف لكيف فما بعدها مرفوع بالابتداء .

٨٥ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ورَحِمنا بنبية صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وألَّف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكَّن لنا في البلاد ، وجعلنا به إخواناً متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صدَّقكم الوعد ، بالنصر على من خالفكم ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، وكفَّرَ النعمة ، فقاما كفر قوم بنعمة ، ولم يَنْزِعُوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عِزَّهُم ، وسَلَطَ عليهم عدوُّهم ، أيها الناس : إن الله قد أعزَّ دعوة هذه الأمة ، وجمع كلمتها ، وأظهر فُلجها ^(١) ونصرها وشرفها فاحمدوه عباد الله على نعمه ، واشكروه على آلائه ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين »
(المد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٦ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« أيها الناس : إنه أتى على حين ، وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ، ألا وإنه قد خِيلَ إلى أن أقواماً يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فإنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل ، وإذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رُفِعَ الوحي ، وذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنما أعرَفكم بما أقول لكم ، ألا فمن أظهر لنا خبراً ظنننا به خيراً ، وأثينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظنننا به شراً ، وأبغضناه

عليه ، اُقَدِّعُوا^(١) هذه النفوس عن شهواتها ، فإنها طُلَمَّةٌ^(٢) وإنكم إِلا تَقْدَعُوها تَنْزَعُ بكم إلى شَرِّ غَايَةٍ ، إن هذا الحق ثقيل مَرِيءٌ^(٣) ، وإن الباطل خفيف وَبِيءٌ^(٤) ، وَتَرَكُ الخَطِيئَةُ خَيْرَ من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوةً ، وشهوة ساعةٍ أورثت حزنًا طويلًا .

وفي رواية صاحب العقد : « ألا وإني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ويأخذوا أموالكم ، ألا من رابه شيء من ذلك فَلْيَرْفَعْهُ إِلَى ، فوالذي نفسى بيده لَأَقْصَنَّكُمْ منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايت إن بعثت عاملاً من عمالك ، فأدب رجلاً من رعيتك فضربه ، أتنقضه منه ؟ قال نعم ، والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه ، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه^(٥) » .

(البيان والبيان ٣ : ٧١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٧ - خطبته عام الرمادة

وخطب عام الرمادة^(٦) بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، اللهم إني أستغفرك وأتوب

إليك ، اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله ، فإنك تقول : (وَقَوْلُكَ الْحَقُّ) « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ

[١] قدعه كمنعه : كفه . [٢] نفس طاعة : تكثر التطلع إلى الشيء . [٣] حيد العاقبة .

[٤] وخيم العاقبة . [٥] انظر خطبته صلى الله عليه وسلم رقم ٤٤٥ ص ٦٠ [٦] في السنة الثامنة

عشرة أصابت الناس بجماعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت تسمى إذا رحمت تراباً كالرماد ، فسمى ذلك العام

عام الرمادة (الظهري ٤ : ٢٢٣)

كَنَزْ لهُمَا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، اللهم اغفر لنا إنك كنت غفاراً ، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالّة ، ولا تدع الكسيرة بمضيعة ، اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم اغنهم بغيانك ، قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون «
 فما برحوا حتى علقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون :
 « هنيئاً لك يا ساقى الحرمين » . (العقد الفريد : ١٣٢)

ندب الناس لقتال فارس

كان المثنى بن حارثة الشيباني أمير جيش العراق قدم على أبي بكر بالمدينة يستمده فألفاه مريضاً ، ووصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه ، فكان أول ما عمل به عمر ، أن ندب الناس مع المثنى إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر - وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم ، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم ، وشوكتهم ، وعزهم ، وقهرهم الأمم - وجعل يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فنسب الناس إلى العراق ، فكان أول مندب أبو عبيد بن مسعود الثقفي - والد المختار - وتتابع الناس ، وتكلم المثنى بن حارثة فقال :

٨٨ - خطبة المثنى بن حارثة الشيباني

« أيها الناس : لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فانا قد تبججنا^(١) ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقى السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأنا من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها » .

[١] تبجج : تمكن في المقام والحلول كبحج ، والدار توسطها .

٨٩ - خطبة عمر رضی الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة^(١) ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطُّرَّاء^(٢) المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدمك الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مُظْهِر دِينِهِ ، وَمُعِزُّ نَاصِرِهِ ، وَمُوَلِّيْ أَهْلِهِ مَوَارِيثِ الأُمَمِ ، أين عباد الله الصالحون . . ؟ فلما اجتمع له البعث أمرَ عليهم أولهم انتداباً^(٣) وهو أبو عبيد وقال له : « اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث^(٤) الذي يعرف الفرصة والكفَّ » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٦٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢١١)

٩٠ - خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم الأقوال ، ليُحْيِي بها القلوب ، فإنَّ القلوب ميتة في صدورها حتى يُحْيِيها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإنَّ للعدل أماراتٍ وتباشيرٍ ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، والهيئ ، واللين . وأما التباشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، وَيَسَّرَ لكل باب مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ،

[١] طلب الكلاء في موضعه . [٢] جمع طاري من طرا عليهم كمنع أنام من مكان أو خرج عليهم

منه نجاة . [٣] ندب القوم إلى الأمر : دعاهم وحثهم ، وانتدبوا إليه أسرعوا . [٤] الرزين .

والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبّله حق ،
وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تُصانِع في ذلك أحداً ، واكتف بما
يكفيه من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف ، لم يُعنه شيء ، إني بينكم وبين
الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أزمى دفع الدعاء عنه ، فأنتهوا شكاتكم
إلينا ، فمن لم يستطع ، فإلى من يُبَلِّغُنَاها ، نأخذ له الحق غير مُتَمَتِّعٍ .

(تاريخ الطبري ٤ : ١٥)

٩١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر

و بلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر الصديق ، فوثب مغضباً حتى صعد
المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر ، إنه لما توفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها ، فأجمع رأينا كلنا
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله : إن رسول الله كان
يقاتل العرب بالوحى والملائكة ، يُمدّه الله بهم ، وقد انتقطع ذلك اليوم ، فالزم
بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أو كلكم رأيته
على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال : والله لأن أخرج من السماء ، فتخطفنى الطير ، أحب
إلى من أن يكون رأيى هذا ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى على نبيه
صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله
فإن الله حي لا يموت ، أيها الناس : أأن أكثر أعداؤكم ، وقل عددكم ، ركب
الشیطان منكم هذا المركب ؟ والله ليُظهِرَنَّ الله هذا الدين على الأديان كلها ، ولو

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَوَعْدُهُ الصِّدْقُ ، بَلْ تَقْذِفِ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ، وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ : لَوْ مَنَّوُنِي عِقَالًا^(١) لَجَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْنَتْ
عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ مَعِينٍ » ثُمَّ نَزَلَ . (تهذيب الكامل ١ : ٨)

وصاياہ

٩٢ - وصيته للمجاهدين

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية :
« بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ ، وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ ، اَمْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ، وَلِزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْتَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تَجَبُّنُوا عِنْدَ الْإِقْدَاءِ ، وَلَا تَمْتَلُوا عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا
عِنْدَ الظُّهُورِ^(٢) ، وَلَا تَقْتُلُوا هَرِمًا وَلَا أُمْرَأَةً وَلَا وِلْدَانًا ، وَتَوَقَّوْا قَتْلَهُمْ إِذَا التَّقَى
الرِّحْقَانِ ، وَعِنْدَ شَنْ^(٣) الْغَارَاتِ » . (العقد الفريد ١ : ٤٠)

٩٣ - وصيته لسعد بن أبي وقاص

وصى سعد بن أبي وقاص حين أمره على حرب العراق فقال :
« يَا سَعْدُ سَعْدُ بَنِي وَهَيْبٍ ، لَا يَغُرُّكَ مِنْ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ
وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ،

[١] القتال : زكاة عام من الإبل والغنم ، أو المراد به الحبل مبالغة في الشدد . [٢] العدة .

[٣] شَنْ الدارة عليهم : صباها من كل وجه .

فالناس شَرِيْفُهُمْ وَوَضِيْعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاوَضُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَانظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَأَلْزَمَهُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ، هَذِهِ عِظْتِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٠)

٩٤ — وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا

ولما أراد أن يسرّحه دعاه فقال :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كرهه ، لَا يُخَلِّصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَمَوِّذٌ نَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِي بِهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عِتَادًا ^(١) ، فَعِتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ بِبَعْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مِنْ عَصَاهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقٌ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً ، مِنْهَا السِّرُّ ، وَمِنْهَا الْعِلَانِيَةُ . فَأَمَّا الْعِلَانِيَةُ فَإِنْ يَكُونُ حَامِدَهُ وَذَاهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السِّرُّ فَيَعْرِفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِحُبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَرْهَدُ فِي التَّجَبُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مَحَبَّتَهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا بَغَضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩٥ - وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد :

« أما بعد : فإنني أمرتك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضلُ العُدَّة على العدو ، وأقوى المكيِّدة في الحرب ، وأمرتك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوفُ عليهم من عدوهم ، وإنما يُنصرُ المسامون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استويننا في المعصية ، كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا نُنصرَ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظةً من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شرٌّ منا ، فلن يُسلطَ علينا ، فربَّ قومٍ سلطَ عليهم شرٌّ منهم كما سلطَ على بني إسرائيل (لما عملوا بمساخطِ الله) كفارُ الجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، واسألوا الله العونَ على أنفسكم ، كما تسألونه النصرَ على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم ، وترفقُ بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشّمهم مسيراً يُتعبهم ، ولا تُقصّرَ بهم عن منزلٍ يرفقُ بهم ، حتى يبلغوا عدوهم (والسفرُ لم ينقضْ قوتهم) فإنهم سائرون إلى عدوِّ مُقيم ، حاجي الأنفسِ والكرّاج^(١) ، وأقم بمن معك في كلِّ جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحةً يُحيون فيها

[١] الكرواع من كلِّ شيء طرفه واسم يجمع الخيل .

أَنْفُسَهُمْ ، وَيَرْمُونَ ^(١) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ، وَنَحَّ مِنْزَلَهُمْ عَنْ قُرَىٰ أَهْلِ الصَّلْحِ وَالذَّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَثَقَّ بِدِينِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ ^(٢) أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَهُمْ حُرْمَةٌ وَذِمَّةٌ ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتُلُوا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَمَا صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَىٰ أَهْلِ الْحَرْبِ بِظَلْمِ أَهْلِ الصَّلْحِ ، وَإِذَا وَطِئَتْ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَادِّكِ ^(٣) الْعِيُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْفَ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَىٰ نَصْحِهِ وَصَدَقِهِ ، فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالغَاشِ عَيْنَ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْثِرَ الطَّلَاعُ ، وَتَبُثَّ السَّرَايَا ^(٤) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ السَّرَايَا أُمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَتَّبِعَ الطَّلَاعُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنْقَى ^(٥) لِلطَّلَاعِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتُخَيِّرَ لَهُمْ سَوَابِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوْلَىٰ مَا تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَىٰ أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ الْجِلَادِ ، وَلَا تُخْصِ بِهَا أَحَدًا بِهَوَىٰ ، فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرَ مِمَّا حَاطَتْ بِهِ أَهْلَ خَاصَتِكَ ، وَلَا تَبْعَثْ طَلِيعَةً ، وَلَا سَرِيَّةً ، فِي وَجْهِهِ تَتَخَوَّفُ فِيهِ غَلْبَةً ، أَوْ ضَيْعَةً وَنِكَايَةً ، فَإِذَا عَايَنْتَ الْعَدُوَّ ، فَاضْمَمْ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَلَاعَكَ وَسَرَايَاكَ ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ مَكِيدَتَكَ وَقُوَّتَكَ ، ثُمَّ لَا تَعَاجِلْهُمْ الْمُنَاجَزَةَ ، مَا لَمْ يَسْتَكْرِهْكَ قِتَالُ ، حَتَّىٰ تُبْصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كُلَّهَا كَمَعْرِفَةِ أَهْلِهَا ، فَتَصْنَعُ بِعَدُوِّكَ ، كَمَا صَنَعَهُ بِكَ ، ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَىٰ عَسْكَرِكَ ، وَتَيْقِظَ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ ، وَلَا تُؤَفِّقَنِي

[١] رَمَهُ يَرْمُوهُ : أَصْلَحَهُ . [٢] رَزَأَهُ مَالُهُ : أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا . [٣] أَذْكَ عَلَيْهِ الْعِيُونَ : إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهِ الطَّلَاعُ . [٤] جَمْعُ سَرِيَّةٍ ، وَهِيَ مِنْ حَسَةِ أَنْفُسٍ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَوْ أَرْبَعِينَ . [٥] تَنْقَاهُ وَاتَّقَاهُ : اخْتَارَهُ .

بأسير ليس له عَقْدٌ ^(١) إلا ضربت عنقه ، اِثْرَهُبَ به عدوّ الله وعدوّك ، والله ولى أمرك ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوّكم ، والله المستعان .

(العقد الفريد ١ : ٤٠)

٩٦ - وصيته للخليفة من بعده

وأوصى الخليفة من بعده ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من حسنهم ، وتجاوز عن سيئهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رِذءُ العدوِّ ، وجُباةُ النِّيءِ ، لا تحمل فيهم ، إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ، ومادّة الإسلام ، أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم ، فتتردّ على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن تقاتل من ورأئهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن يدٍ وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، ومخافة مقتته ، أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله في الناس ، وتخشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثّر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك ، ورحمة لوزرك ، وخير في عاقبة أمرك ، حتى تُفضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك ، وآمرك أن تستد في أمر الله ، وفي حدوده ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك في أحد رافةً حتى تنتهك منه ، مثل ما انتهك من حرمة الله ، واجعل الناس عندك سواء ،

لا تبالي على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرية
 والمحابة فيما ولأك الله ، مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك
 من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ،
 فإن اقترفت لدياك عدلاً و عفة عما بسط الله لك ، اقترفت به إيماناً ورضواناً ،
 وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا تُرخصَ لنفسك ولا
 لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغِ بذلك
 وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسى وولدى ،
 فإن عملت بالذى وعظمتك ، وانتهيت إلى الذى أمرت ، أخذت به نصيباً وافراً ،
 وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهّمك ، ولم تُنزل معازم الأمور عند الذى
 يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء
 مُشتركة ، ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أصلت
 القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ، ولبس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة
 عدو الله الداعى إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات ، وكن راعظاً
 لنفسك ، أنشدك الله لما ترخمت على جماعة المسامين ، فأجلت كبيرهم ، ورحمت
 صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلوها ، ولا تستأثر عليهم بالفى فتبغضهم ،
 ولا تحرمهم عطاياهم عند محالها فتفقرهم ، ولا تجمّرهم^(١) فى البعوث ، فتقطع
 نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ،
 فى كل قوتهم ضعيفهم . هذه وصيتى إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .

(البيان والتبيين ٢ : ٢٢)

[١] جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقلهم .

خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والزيد بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله - وكان طلحة عائبا - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، فقال :

٩٧ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندى رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تعلموا ، وأجيبوا تفقهوا ، فإن حايياً^(١) خير من زاهق^(٢) ، وإن جرعة من شروب^(٣) بارد ، أنفع من عذب مؤب^(٤) ، أنتم أئمة يهتدى بكم ، وعلماء يُصدّر^(٥) إليكم ، فلا تفلأ المدى بالاختلاف بينكم ، ولا تتمدوا السيوف عن أعدائكم ، فتوتروا^(٦) تارككم ، وتوتلتوا^(٧) أعمالكم ، لكل أجل كتاب ، ولا كل بيت إمام ، بأمره يقومون ، وبنهيه يرعون^(٨) ، قلأوا أمركم واحداً منكم ، تمشوا الهوينى ، وتلحقوا الطلب ، لولا فتنة عمياء ، وضلالة حياء ، يقول أهلها ما يرون ، وتجلهم الحبوة كرى^(٩) ، ماعدت نياتكم معرفكم ، ولا أعمالكم نياتكم ، احذروا نصيحة الهوى ، ولسان الفرقة ، فإن الحيلة فى المنطق أبلغ من السيوف فى الكلام ، علّقوا أمركم رخب الذراع فيما حلّ ، مأمون الغيب فيما نزل ، رضاً منكم وكلكم رضاً ، ومقتراً^(١٠)

[١] الخابى من السهام : ما يرحف إلى الهدف . [٢] السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .

[٣] الشراب والشرب والشروب : ما يشرب . [٤] أصله موى مسهل عن موى .

[٥] يرجع . [٦] قال فى اللسان : « دل الأزهرى : هو من الوتر (الثأر) يقال : وترت فلاناً إذا أصبه بوتر ، وأوترته أوجدته ذلك (أى أظفرت به ، أوجدت فلاناً مطلوبه أى أظفرت به) قال : والثأر هاهنا العدو لأنه موضع الثأر ، والمعنى : لا توجدوا عدوكم الوتر فى أنفسكم »

[٧] أنه : حقه يألته وآله قصه . [٨] ورع ورع : كورث من الورع ، وهو التقوى

[٩] رمل بضلّ فيه السالك ، والداهية . [١٠] مختاراً .

منكم وكلكم منتهى ، لا تطيعوا مُفسداً يتنصّح^(١) ، ولا تخالفوا مرشداً ينتصر ،
أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم .
ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال :

٩٨ — خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذى اتخذ محمداً نبياً ، وبعثه رسولا ، صدّقه وعدّه ، ووهب له نصره ، على كلِّ من بعدَ نَسَبًا ، أو قُرْب رَجْمًا صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله له تابعين ، وبأمره مُهْتَدِينَ ، فهو لنا نور ، ونحن بأمره تقوم عند تفرُّق الأهواء ، ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله بفضله أئمةً ، وبطاعته أمراء ، لا يخرج أمرنا منا ، ولا يدخل علينا غيرنا ، إلا من سَفِهَ الحَقَّ ، ونكَل عن القصد ، وأحر بها يا بن عوف أن تُترَك ، وأجدر بها أن تكون ، إن خولف أمرُك ، وترُك دعاؤُك ، فأنا أوّل محبب لك ، وداع إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ، وأستغفر الله لى ولكم .
ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال :

٩٩ — خطبة الزبير بن العوام

« أما بعد : فإن داعى الله لا يُجْهَلُ ، ومحببه لا يُخْذَل ، عند تفرُّق الأهواء ، ولّى الأعناق ، ولن يقصر عما قالت الإغويّ ، ولن يترك مادعوت إليه إلا شقى ، لولا حدود الله فرضت ، وفرائض الله حدّت ، تُراح^(٢) على أهلها ، وتحيا لامتوت ، لكان الموت من الإمارة نِجاةً ، والفرار من الولاية عِصْمَةً ، وليكن لله علينا إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لثلاث مئة عُصْمَةٍ^(٣) ، ولا نَمَمَى عمى الجاهلية ،

[١] تنصح : تشبه بالنصحاء . [٢] أراح - حقه عليه : رده عليه .

[٣] العمية : الكبر أو الضلال .

فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،
وأستغفر الله لى ولكم .

١٠٠ - خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بديئاً^(١) كان ، وآخرأ يعود ، أحمده لما نجاني من الضلالة ،
وبصّرني من الغواية ، فبهدي الله فاز من نجا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد
ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كلُّ
حق ، ومات كل باطل ، إياكم أيها النفرُ وقول الزور ، وأمنية أهل الغرور ، فقد
سلبت الأمانى قومًا قبلكم ، ورثوا ماورثتم ، ونالوا ما نلتهم فاتخذهم الله عدوا ،
ولعنهم لعنا كبيراً ، قال الله عز وجل : « لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُذْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » إني نكبت^(٢) قرّني ،
فأخذت سهمي الفالج^(٣) ، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ، فأنا
به كفيل ، وبما أعطيتُ عنه زعيم ، والأمر إليك يا بن عوف بجهد النفس ،
وقصد النصح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لى ولكم ،
وأعوذ بالله من مخالفتكم .

١٠١ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن بيت النبوة ،

[١] البدى الأول . [٢] السكب : الطرح والقرن المجعبة . [٣] الفائز : الظافر .

ومُعَدِّنِ الحِكْمَةِ، وَأَمَانَ أَهْلِ الأَرْضِ، وَنِجَاةَ مَنْ طَلَبَ، لَنَا حَقٌّ إِنْ نُعْطَهُ نَأْخُذَهُ، وَإِنْ نُنَمِّعَهُ نَرْكَبُ عَجَازَ الإِبِلِ، وَلَوْ طَالَ الشَّرَى، لَوْ عَهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدًا لَأَنْفِذْنَا عَهْدَهُ، وَلَوْ قَالَ لَنَا قَوْلًا لَجَادَلْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ، لَنْ يَسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٍّ، وَصَلَاةِ رَحِمٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اسْمَعُوا كَلَامِي، وَعُوا مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا المَجْمَعِ، تُنْتَضَى^(١) فِيهِ السِّيُوفُ، وَتُخَانَ فِيهِ العُهُودُ، حَتَّى تَكُونُوا جَمَاعَةً، وَيَكُونُ بَعْضُكُمْ أُمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الجَهَالَةِ، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

فَإِنْ تَكُ جَاهِسُ^(٢) هَلَكْتَ فَإِنِّي بِمَا فَعَلْتَ بِنُو عَبْدِ بْنِ صَنْعَمٍ
مُطِيعٌ فِي الهَوَاجِرِ كُلِّ عَيٍّ بِصَيْرٍ بِالنَّوَى مِنْ كُلِّ نَجْمٍ

(تاريخ الطبري ٥ : ٣٨، والكمال لابن الأثير ٣ : ٣٦)

خطب عثمان بن عفان

رضي الله عنه

١٠٢ - خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبري قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبةً ، فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« إنكم في دار قُلَمَةٍ^(٣) ، وفي بقية أعمار ، فبادرُوا آجالكم بخير ما تقدرُونَ عليه ، فلقد أُتِيتُمْ ، صَبَّحْتُمْ أَوْ مُسِّيتُمْ ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا طُوِيَتْ عَلَى العُرُورِ ، فَلَا

[١] نسل . [٢] بنو جاسم حتى قديم . [٣] أى اقتلاع ، ومزلا منزل نلعة « بتسكين اللام وضما ونجما » أى ليس بموطن أو لا تملكه أو لاندري متى تتحول عنه .

تَعَرَّيْنِكُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرُّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، اعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى ثُمَّ جِدُّوا وَلَا تَعْفُلُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُعْقَلُ عَنْكُمْ ، أَيْنَ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا وَإِخْوَانِهَا الَّذِينَ آثَرُوهَا وَعَمَرُوهَا ، وَمُتَّعُوا بِهَا طَوِيلًا ، أَلَمْ تَلْفِظْهُمْ ؟ أُرْمُوا بِالدُّنْيَا حَيْثُ رَمَى اللَّهُ بِهَا ، وَاطْلُبُوا الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا ، وَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) . وأقبل الناس بيا يعونه .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٤٣)

١٠٣ - خطبته بعد البيعة

وقال أيضاً : خطب عثمان الناس بعد ما بويع ، فقال : « أما بعد ، فإنى قد حُمَّتُ وَقَدْ قَبِلْتُ ، أَلَا وَإِنى مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، أَلَا وَإِن لَكُمْ عَلَىَّ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : اتِّبَاعٌ مِنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسُنَّتُمْ ، وَسُنَّةُ أَهْلِ الْخَيْرِ فِيمَا لَمْ تَسْنُوا عَنْ مَلَأَ ، وَالْكَفَّ عَنْكُمْ إِلَّا فِيمَا اسْتَوْجَبْتُمْ ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ قَدْ شُهِيتَتْ إِلَى النَّاسِ ، وَمَالٌ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا تَتَّقُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثِقَةٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلَّا مَنْ تَرَكَهَا » . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٤٩)

١٠٤ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة : لما ولى عثمان صعد المنبر ، فجلس على ذروته ، فرماه الناس بأبصارهم ، فقال :

« إن أول مرَّكَبٍ صَعِبَ ، وَإِن مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا ، وَمَا كُنَّا خُطْبَاءً ، وَإِذْ نَعِشُ لَكُمْ تَأْتِيكُمْ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والعمد الفريد ٢ : ١٣٣)

فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً» فانصرفوا عنه ، وأذنوه بالحرب .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٢١ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٠٨ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اجلسوا ، فجلسوا : المحاربُ والمسلمُ ، فقال لهم ياهل المدينة ، أستودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى ، ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ، ويجمعكم على خيركم ؟ أتقولون إن الله لم يستجب لكم ، وهنتم عليه ، وأنتم أهل حقه ؟ أم تقولون هان على الله دينه ، فلم يبال مَنْ وَلى ، والدين لم يتفرق أهله يومئذ ؟ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة ، وإنما كان مكابرة ، فوكل الله الأمة إذ عصته ، ولم يشاوروا في الإمامة ، أم تقولون إن الله لم يعلم عاقبة أمرى ؟ أنشدكم بالله أتعلمون لى من سابقة خير ، وقدم خير ، قدمه الله لى يَحِقُّ على كلِّ من جاء بعدى أن يعرفوا لى فضلها ؟ فهلا لا تقتلونى ، فإنه لا يحلُّ إلاتل ثلاثة : رجل زنى بعد إحصانه ، أو كفر بعد إيمانه ، أو قتل نفساً بغير حق ، فإنكم إذا قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ، ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً » . (تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٠٩ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إن الله عزَّ وجلَّ إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يُعطيكموها لتركونوا إليها ، إنَّ الدنيا تَفْنَى والآخرة تبقى ، فلا تُبْطِرَنَّكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ،

١٠٥ - خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب حين نقم الناس عليه ما تقموا ، فقال :

« إن اكل تىء آفة ، وإن اكل نعمة عاهة ، فى هذا الدين عيابون طئانون ، ظهورون لكم ماتحبون ، وبُسْرُورَ ما تكرهون ، يقولون لكم ونقولون ، طغام^(١) . بل النعام ، يتبعون أول ناعق ، أحبُّ مواردهم إليهم النازح^(٢) ، لقد أفررتم لابن الخطاب بأكثر مما تقمتم على ، ولكنه وقكم^(٣) وقكم^(٤) ، وزجركم زجر البعام المخزّمة^(٥) ، والله إني لأؤرب ناصرا ، وأعز نفرا . وأقن - إن قلت هلم - أن تجاب دعوتى من عمر ، هل تفقدون من حقوقكم سبئا ، فالى لا أفعل فى الحق ما أساء ؟ إذن فلم كنت إماما ؟ »

(إبحار القرآن ص ١١٨ ، صح الأعثى ١ : ٢١٤ ، البيان والبيان ١ : ٢٠٠)

١٠٦ - خطبته التى نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله ، وما جئت شبيعا إلا وأنا أعرفه ، ولكنى مئنتى نفسى وكذبتنى ، وصلّى عنى رشدى ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مَنْ زَلَّ فَلْيَتَّبِ ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَّبِ ، وَلَا يَتِمَادَى فى الهلكة ، إنَّ مَنْ تَمَادَى فى الجورِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطريق) فأنا أول من اتعض ، أستغفر الله مما فعلت ، وأتوب إليه ، فنبلى نزع

[١] أوعاد الناس الواحد والجمع وبه سواء ، أو رءاحده كسجاية . [٢] المورد البارح : الذى نزع ماؤه ، أى عاص وقلّ أو بعد . [٣] وقم الدابة : يجذب عائلها ، ووقه : قهره وأدله ، أوردّه : أفتح الرد وجرنه أسدّ الحرن . [٤] قعه : صرته بالقبعة . وقهره وأدله . [٥] خرم البعير : جعل فى حاب محرّه الخزامه والطير كماها محرّومة ومحرمّة لأن وترات أثره فيها منقوبة ، وكذا العام .

وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فليزوني رأيهم ، فوالله لئن ردّني الحق عبداً ، لأستئنّ بسنة العبد ، ولأذلّن ذلّ العبد ، ولأكونن كالرفوق ، إن ملك صبر ، وإن عتيق شكر ، وما عن الله مذهب إلا إليه ، فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليّ ، لئن أبت يميني لتتابعتني شمالي .

(تاريخ الطرى ٥ : ١١١ ، والكمال لان الأبر ٣ : ٨٠)

١٠٧ - خطبته في الرد على الشوار

وقال يرد على النوار :

« الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، أما بعد : فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تُنصفوا في القضاء ، أما قولكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قيصاً قصّيه الله عزّ وجلّ ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكني أتوب وأنزع ، ولا أعود لشيء عابه المسامون ، فإنني والله الفقير إلى الله ، الخائف منه . »

قالوا : إن هذا لو كان أول حدّث أحدثته ثم تبت منه ، ولم تُقم عليه ،

لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك إلى آخر ما قالوا .

فقال عثمان : « أما أن أتبرأ من الإمارة ، فإن تصلبوني أحبّ إليّ من أن

أتبرأ من أمر الله عزّ وجلّ وخلافته ، وأما قولكم تقاتلون من دوني ، فإنني لا أمر

أحدًا بقتالكم ، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمرى ، ولعمري لو كنت أريد

قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبهشوا الرجال ، أو لحقت

بعض أطرافى بمصر أو عراق ، فالله الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا على ،

اتقوا الله جلّ وعزّ، فإن تقواه جنة من أسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كتبتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخواناً». (تاريخ الطبري ٥ : ١٢٦ ، ١٤٩)

خطب الوفود

١١٠ - خطبة عطار بن حاجب بن زرارة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عطار بن حاجب ابن زرارة، في أشرف من بنى تميم، فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحُجرات: أن اخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك من صياحهم رسول الله ﷺ فخرج إليهم، فقالوا يا محمد، جئناك لنفاخرك، فأذن لساعرنا وخطيبنا، قال نعم، قد أذنت لخطيبكم فليقل، فقام إليه عطار فقال :

« الحمد لله الذي له علينا الفضل، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عدداً، وأيسره عدّة، فمن مثلنا في الناس، أسنا براء وس الناس وأولى فضلهم؟ فمن يفاخرنا فليعدّ مثل ما عدّنا، وإننا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإننا نعرف بذلك، أقول هذا الآن لتأثونا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشّماس، قم فأجب

الرجل في خطبته، فقام ثابت فقال :

١١١ - خطبة ثابت بن قيس بن الشماس

« الحمد لله الذي ، السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوى رحمته ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً ، ثم كان أول الخلق استجابة لله ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ، ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتلنا يسيراً ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم . »

ثم قالوا يا محمد : ائذن لشاعرنا ، فقال نعم ، فقام الزبير بن بدر ، فألشد قصيدة في الفخر ، وبعث النبي ﷺ إلى حسان بن ثابت فرد عليه ، فقال الأقرع بن حابس التميمي : إن هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣)

١١٢ - عمرو بن الأهمم والزبير بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهمم عن الزبير بن بدر (١) فقال عمرو :

[١] هما سيدان من بني تميم .

« مطاع في أذنيه ^(١) ، شديد العارضة ^(٢) ، مانع لما وراء ظهره » فقال الزبيرقان :
 « والله يا رسول الله ، إنه ليعلم منى أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى »
 فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال ، فوالله ما عامته إلا ضيق الصدر ، زمرَ
 المروءة ^(٣) ، أحق الوالد ، لثيم الخال ، حديث الغنى » فلما رأى أنه خالف قوله
 الآخر قوله الأول ورأى الإنكار فى عين رسول الله ﷺ ، قال يا رسول الله :
 رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت
 فى الأولى ، واقصد صدقت فى الأخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
 ذلك : « إنَّ مِنَ النَّبِّانِ لَسِحْرًا » .

(البيان والدين ١ : ٣١ ، والعقد الفريد ١ : ١١٧ ، ومعجم الأسماء للميدانى ١ : ٥)

١١٣ - خطبة طهفة بن أبى زهير النهدي

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدّمت وفود العرب على النبي ﷺ قام طهفة بن أبى زهير النهدي فقال :
 « يا رسول الله أتيناك من غورى ^(٤) تهامة بأكوار الميس ، ترمى بنا العيس ^(٥)
 نستحلب الصبير ^(٦) ، ونستحلب الخبير ^(٧) ، ونستعضد ^(٨) البرير ، ونستحيل
 الرهّام ^(٩) ، ونستحيل الجهم ^(١٠) ، من أرض غائلة النطاء ^(١١) ، غليظة الوطاء ،

[١] أى و الأدين . منه أى الأقرين ، وأصله أدين حدثت نونه لإصافته إلى الصمير .
 [٢] العارضة : قوّة الكلام وتنقيحه والرأى الجيد . [٣] قليل الروءة . [٤] العور : كلّ
 ما انحدر معرّبا عن تهامة ، والأكوار جمع : كور بالضم ، وهو الرجل أو بأدانه ، والميس : شجر عظام ،
 أى بالأكوار الصنوعة منه . [٥] العيس جمع عيساء : الإبل البيض يحاط بياضها شقرة .
 [٦] الصبير : السحاب الكثيف . [٧] العشب . [٨] استعضد الثمرة : اجتماعه ، والبرير ثمر
 الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلّة الزاد . [٩] الرهام جمع رهمة بالكسر ، وهى المطر الصعيف الدائم
 ونستحيل نخال ونظن وسحابة مخيلة بضم فكسر أى تحسبها مطرة . [١٠] الجهم : السحاب قد أراق
 مائه . [١١] النطاء : البعد ، أى بعيدة بعداً مهلكاً .

نَشَفَ الْمُدْهَنُ ^(١) ، وَيَيْسَ الْجَعْنِ ^(٢) ، وَسَقَطَ الْأُمْلُوجُ ^(٣) ، ومات
 الْعُسْلُوجُ ^(٤) ، وهلك الْهَدْيِيُّ ^(٥) ، ومات الْوَدِيُّ ^(٦) ، بَرِئْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ
 الْوَتْنِ وَالْعَتَنِ ^(٧) ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوة السلام ، وشريعة الإسلام ،
 مَا طَمَى ^(٨) الْبَحْرَ ، وقام تَعَارٍ ^(٩) ، ولنا نَعَمٌ ، هَمَلٌ ^(١٠) أَغْفَالٌ ، مَا تَبَصَّ ^(١١)
 بِيَلَالٍ ، وَوَقِيرٌ ^(١٢) كَثِيرَ الرَّسَلِ ^(١٣) ، قليل الرُّسُلِ ، أصابتها سُدْيَةٌ حَمْرَاءُ مُؤَزَلَةٌ ،
 ليس بها عَدْلٌ ولا نَهْلٌ .

١١٤ - رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم بارك لهم في مَحْضِهَا ^(١٤) وَمَحْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَأَبْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدُّثْرِ ^(١٥)
 يَبَاعُ الشَّمْرَ ، وَافْجُرْ لَهُ النَّمْدَ ^(١٦) ، وبارك له في المال والولد ، من أقام الصلاة
 كَانَ مَسَامًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ
 مَخْلَصًا ، يَا بَنِي نَهْدٍ ، وَدَائِعَ ^(١٧) الشَّرْكِ ، وَوَضَائِعَ الْمُلْكِ ، لَا تُلْطِطْ فِي الزَّكَاةِ ،
 وَلَا تُلْجِدْ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَمَاقَلْ عَنِ الصَّلَاةِ » . (العقد الفريد ١ : ١١٣)

[١] مستنقع الماء : أو كل موضع حفره سبيل ، ونشف الخوض الماء : شربه . [٢] أصل النات .
 [٣] ورق كورق السرو لشجر بالبادية . [٤] ملان واخصر من الفصان وعسلجت الشجرة :
 أخرجته . [٥] ما يهدى إلى مكة لينجر . [٦] الفسيل (النخل الصغار) . [٧] الصنم
 الصنير . [٨] ابتلاً وعلا . [٩] جبل ببلاد فيس . [١٠] مهملة والأفعال جمع غفل بالضم ، وهو
 مالا سمة عليه من الدواب . [١١] بض الماء يبيض : سال قليلاً قليلاً ، والبلال : البلل ، والمراد قلة
 اللبن . [١٢] القطيع من الغنم . [١٣] الرُّسُل : القطيع من كل شيء ، والرسل اللبن ، وسنية :
 تصغير تعظيم لسنة ، وهي الفحط والجماعة ، وحمراء أى شديدة ، ومؤزلة ذات أزل بسكون الزاى ، وهو الضيق
 والشدة . [١٤] اللبن الحالمس ، ومحض اللبن : أخذ زبده . والمذيق اللبن المزوج بالماء ، مذاقه فامتدق .
 [١٥] الدُّثْرُ : المال الكثير . وقيل هو الكثير من كل شيء ، وأراد به هنا الحصب والذبات الكثير .
 [١٦] الماء القليل لامادة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . [١٧] أى النائم التي تنم
 من المشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ويقووا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضاعة ، وهى ما يأخذها السلطان

١١٥ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وفد ظبيّان بن حدّاد في سرّاة مَذْحِجٍ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثناء على الله عزّ وجل بما هو أهله : « الحمد لله الذي صدّع^(١) الأرض بالنبات ، وفتق السماء بالرّجّع^(٢) ، ثم قال : نحن قوم من سرّاة مَذْحِجٍ من يُحَابِر^(٣) بن مالك ، ثم قال : فتوّقلت^(٤) بنا القِلاصُ من أعلى الحَوْفِ ورءوس الهضاب ، يرفعها عُرُرُ^(٥) الرُّبَا ، ويخفّضها بُطنان الرِّقاق ، وتلخّطها دياجى الدُّجى ، ثم قال : وسرّوات الطائف كانت ابني مهلائيل بن قينان ، غرسوا وديانهم ، ودلّوا خشانهم^(٦) ورعوا قربانهم ، ثم ذكر نوحاً حين خرج من السفينة بمن معه ، قال فكان أكثر بنيه بناتاً ، وأسرعهم نباتاً ، عادٌ وثمود ، فرماهم الله بالذّماق^(٧) ، وأهلكهم بالصواعق ، ثم قال :

من الحراج والعشور. يريد أن يقول لهم : إن موارد المال للأمة الإسلامية هما هذان اركان ، العنّام ، وارتكّاة ، فلا تعطوا الزكاة ، ولدا غيب ذلك القول بقوله : لا تلطط في الزكاة أي لا تمنعها ، لطط حقه جحدته كألطط ، ولا تلعد في الحياة : أي لا يجرى نكح من أجل الحق ما دتم أحياء ، ولا تتاقل عن الصلاة ، أي عن أدائها في وقتها ، وبروى : ولا ياطط في الزكاة ، ولا يلحد في الحياة (بالبناء للمجهول) ، ولا تتاقل عن الصلاة . [١] شقّ . [٢] المطر بعد المطر . [٣] هو مراد بن مالك (وهو مَذْحِج) ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . [٤] تونل في الجبل : صعد ، والقلاص جمع قلوص ، وهي النانة الشابهة أو الباقية على الدير ، والحوف : بلد بيمان . [٥] في الأصل : «عوار» ولا معنى له هنا ، وأرى أن صوابه «عرد» جمع جرّة كقبة وعرة السنام : النخعة العليا ، أي دروته وأعلاه ، أي أمها تسير في أعلى الرّبا وذراها ، وربما كان الأصل «عراعر» بفتح العين الأولى جمع عرعة بصمهما ، وعرعة الجبل والسام وكلّ شيء رأسه ، وبطان جمع باطن ، وهو الدامض من الأرض ، أي المطئن منها ، والرّفاق جمع رقّ بالفتح ، وهي كلّ أرض إلى جنب واد ينسبط الماء عليها أيام المد ثم ينضب وديابى الليل حنّادسه كأنه جمع دجاجة ، والديج جمع دجبة ، وهي الظلمة . [٦] الحشن والأخشن : الأخرش من كلّ شيء جمعه خشان . [٧] الأملس : المستدير من الحجارة .

وَكَانَتْ بَنُو هَانِيٍّ مِنْ ثَمُودَ تَسْكُنُ الطَّائِفَ ، وَهِيَ الَّذِينَ خَطُّوا مَشَارِبَهَا ،
 وَأَتَوْا جَدَّاءُهَا ^(١) ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، وَرَفَعُوا عَرِيشَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ حَمِيرٌ
 مَلَكَوا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكُهُولَ النَّاسِ وَأَعْمَارَهَا ^(٢) . وَرِءُوسَ الْمُلُوكِ
 وَعَرَّارَهَا ، فَكَانَ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَفَارَسَ الْحُمْرَاءُ ، وَالْجَزِيَّةُ الصُّفْرَاءُ ^(٣) ،
 فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النُّقْمَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ
 قَبَائِلٌ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوا عَلَى عَهْدِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ ^(٤) ، وَبَنَوْا فِيهَا
 الْمَصَانِعَ ^(٥) ، وَاتَّخَذُوا الدِّسَائِعَ ^(٦) ، ثُمَّ تَرَامَتْ مَذْحِجٌ بِأَسْنَنَتِهَا ، وَتَنَزَّتْ ^(٧)
 بِأَعْتَتِهَا ، فَغَلَبَ الْعَرِيزُ أَذْلَهَا ، وَقَتَلَ الْكَثِيرَ أَقْلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرٍو بْنِ
 خَالِدِ بْنِ جَذِيمَةَ يَحْبِطُونَ عَضِيدَهَا ^(٨) ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرشِحُونَ ^(٩)
 حَضِيدَهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ نَعِيمَ الدُّنْيَا أَقْلٌ وَأَصْغَرَ عِنْدَ اللَّهِ
 مِنْ خُرءٍ بُعِيضَةٍ ، وَلَوْ عَدَّتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ ذَبَابٍ لَمْ يَكُنْ لِكَافِرٍ مِنْهَا خَلَاقٌ ،
 وَلَا لِمُسْلِمٍ مِنْهَا لِحَاقٌ » . (العهد العرید : ١ : ١١٠)



[١] أتى الماء تأتية سهل وأصاح محراه ، أى سهلوا طرق المياه إليها . [٢] جمع غمرنكث الفين ، وهو
 الحدث لا تجر به له ، والعرار : الرنعة والسودد . [٣] أى الذهبية . [٤] جمع شريعة ، وهى مورد
 الشاربة كالشريعة . [٥] الباني من التصور والحصون . [٦] جمع دسبعة ، وهى الحفنة والدسكرة .
 [٧] تنزى : توثب وتسرع [٨] العصيد : مقاطع من الشجر ، أى يضر بونه ليسقط ورقه فيتخذوه
 علفاً لإبلهم . [٩] الترشيح : الترية وحسن القيام على المال ، والحفيد : ماخضد من الشجر ونحى
 عنه ، وكل ما قطع من عود رطب (فعيل بمعنى مفعول) أى يصاحونه ويقومون بأمره .

خطب الوفود

بين يدي عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر^(١) فقال :

١١٦ - خطبة هلال بن بشر

« يا أمير المؤمنين : إنا غُرِّمَةٌ مِّنْ خَلْفِنَا مِنْ قَوْمِنَا ، وَسَادَةٌ مِّنْ وَرَاءِنَا مِنْ أَهْلِ
مِصْرِنَا ، وَإِنَّكَ إِنْ تَصَرَّفْنَا بِالزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَانِنَا ، وَالْفَرَائِضِ لِعِيَالِنَا ، يَزِدُّكَ بِذَلِكَ
الشَّرِيفُ تَأْمِيلًا ، وَتَكُنْ لَهُمْ أَبَا وَصُولًا ، وَإِنْ تَكُنْ مَعَ مَا نَمَتُّ^(٢) بِهِ مِنْ
وَسَائِلِكَ ، وَنُذِلِّي بِهِ مِنْ أَسْبَابِكَ كَالْحَدِيدِ^(٣) ، لَا يَحْمَلُ وَلَا يُرْتَحَلُّ ، نَرْجِعُ بِأَنْوَفِ
مِصْلُومَةٍ^(٤) ، وَجِدُودِ عَائِرَةٍ ، فَحِينًا^(٥) وَأَهَالِنَا بِسَجَلٍ^(٦) مُتْرَعٍ مِنْ سِجَالِكَ الْمَتْرَعَةِ »

١١٧ - خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يا أمير المؤمنين ، سَوِّدَ الشَّرِيفَ ، وَأَكْرَمَ الْحَسِيبَ ، وَازْرَعْ عِنْدَنَا مِنْ
أَيْدِيكَ مَا تَسُدُّ بِهِ الْخِصَاصَةَ ، وَتَطْرُدُ بِهِ الْفَاقَةَ ، فَإِنَّا بِقُفِّ^(٧) مِنَ الْأَرْضِ يَا بَسْ

[١] وفي البيان والنبين : ابن وكيم . [٢] تتوسل به . [٣] في البيان والنبين « كالجدّة »
وفي نهاية الأرب « كالجدل » ولا معنى لهما هنا ، وأرى أن صوابه « كالحدل » بحاء مفتوحة ودال
مكسورة ، وصف من الحدل بفتحيتين وهو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر ، أو المائل العنق من خفة
أو وجع لا يملك أن يقبضه ، وارتحل البعير ورحله : حطّ عليه الرجل ، وإذا كان البعير حدلا فهو لا يرتحل
لعدم توازن المدلين عليه ، وكذا لا يحمل من مبركه ليرتحل فهو إذن لا يستخدم ولا ينتفع به ، فالمعنى أنك إن
لم تعطنا تكن كالبعير الحدل العديم الجدوى . [٤] المقطوعة من أصلها . [٥] الميع : الإعطاء .
[٦] الدلو العظيمة مملوءة (مذكر) ومترع : مملوء . [٧] ما ارتفع من الأرض كالثقة .

الأكناف ، مُقَشِّعِرِ الذُّرْوَةِ ، لَمْ تُتَّجَرَ وَلَا زَرَعٌ ، وَإِنَّا مِنَ الْعَرَبِ الْيَوْمَ إِذْ
أَتَيْنَاكَ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ .

١١٨ - خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيَدِ اللَّهِ ، وَالْحَرْصُ قَائِدُ الْحَرْمَانِ ، فَاتَّقِ
اللَّهَ فِيمَا لَا يُغْنِي عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَيْلًا وَلَا قَالًا ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رِعْيَتِكَ مِنَ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ شَيْئًا يَكْفِيكَ وَفَادَةَ الْوَفُودِ ، وَاسْتِمَاحَةَ الْمُتَمَاتِحِ ^(١) ، فَإِنَّ كُلَّ
أَمْرٍ يُجْمَعُ فِي وَعَائِهِ إِلَّا الْأَقْلَ مَنْ عَسَى أَنْ تَقْتَحِمَهُ الْأَعْيُنُ فَلَا يُوقَدُ إِلَيْكَ »
(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٧١)

١١٩ - خطبة الأحنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل
البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ،
وتكلم الأحنف فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيَدِ اللَّهِ ، وَقَدْ أَتَمَّتْكَ وَفُودُ أَهْلِ الْعِرَاقِ
وَإِنْ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ نَزَلُوا مَنَازِلَ الْأُمِّ الْخَالِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ
الْجَبَابِرَةِ ، وَمَنَازِلَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَبَنِي الْأَصْفَرِ ، فَهَمُّ مِنَ الْمِيَاهِ الْعَذِيبَةِ ، وَالْجَنَانِ
الْمُخْصِبَةِ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى ^(٢) وَحَدَقَةِ الْبَعِيرِ ، تَأْتِيهِمْ ثَمَارُهُمْ غَضَّةً قَبْلَ أَنْ

[١] استماحه : سأله الإطعام والامتناع الإيعاء . [٢] الحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج
مع الولد فيها أغراس وخطوط حمراء وخضراء ونزلوا في مثل حولاء الدابة . يريدون الحصب وكثرة الماء
والحصرة ، والسلى جلدة فيها الولد (من الناس والواشي) .

تغير، وإنا نزلنا أرضاً نَشَّاشَةً^(١) طَرَفٌ فِي فَلَاةٍ ، وَطَرَفٌ فِي مَلْحٍ أُجَاجٍ^(٢) ،
جَانِبٌ مِنْهَا مَنَابِتُ الْقَصَبِ ، وَجَانِبٌ سَبَخَةٌ نَشَّاشَةٌ لَا يَجِفُّ تَرَابُهَا ، وَلَا يَنْبِتُ
مَرَعَاهَا ، تَأْتِينَا مَنَافِعُهَا فِي مِثْلِ مَرِيءِ النِّعَامَةِ ، يُخْرِجُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ مَنَّا
يَسْتَعْذِبُ^(٣) الْمَاءَ مِنْ فَرَسَخَيْنِ ، وَتُخْرِجُ الْمَرْأَةَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، تُرْتِّقُ^(٤) وَلَدَهَا
تَرْيِيقَ الْعِزِّ تَخَافُ عَلَيْهِ الْعَدُوَّ وَالسَّبِيحَ ، فَإِلَّا تَرَفَعُ خَسِيْسَتِنَا^(٥) وَتُنْعَشُ رَكِيْسَتِنَا^(٦)
وَتَجْبُزُ فَاقَتِنَا ، وَتُرِيدُ فِي عِيَالِنَا عِيَالًا ، وَفِي رَجَالِنَا رَجَالًا ، وَتُصَفِّرُ^(٧) دَرَهْمَنَا ،
وَتَكْبُرُ قَفِيْزِنَا^(٨) ، وَتَأْمُرُ لَنَا بِجَفْرِ نَهْرٍ نَسْتَعْذِبُ بِهِ الْمَاءَ هَلَكْنَا .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد . قال الأحنف : فما زلت

(العقد العريذ ١ : ١١٦ ، وشرح العيون ٦٨)

أسمعها بعدها

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزيد جرد ملك الفرس

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث
إلى يَزْدَجِرْدَ ملك الفرس رجلاً من أهل المنطرة^(٩) والرأى والجلد يدعونه، فاخترهم وأنفذهم
إليه بالمدائن ، فلما دخلوا عليه أمر التَّزْجَانَ بينه وبينهم فقال : سلهم ماجاء بكم وما دعاكم
إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أننا أجمعناكم^(١٠) وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

[١] سبعة : نشاشة لايجف ثراها ولايبث مرعاها، والسبعة بفتح الباء وسكونها أرض ذات نز وملح .

[٢] ملح مر . [٣] استعذب : اسقى عذبا . [٤] الترييق : لإدامة النظر . [٥] رفعت من

خسيسته جعلت به فعلا فيه رفعه . [٦] الرّكس : قلب أول الشيء على آخره ، وار تكس اتكس ووقع .

[٧] صفره : صبه صفرة ، أى تدلنا بالدرهم الأبيض دبنارا أصفر وتجعل فضلنا ذهباً .

[٨] مكيال . [٩] المنظر . [١٠] من أجم الماء إذا تركه يجمع ، أى أرحناكم واصرفنا عنكم .

فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أحببت عنكم ، ومن شاء آثرته ، فقالوا : بل تكلم ، فتكلم النعمان فقال :

١٢٠ - خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رَحِمَنَا فَأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ، ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر ، وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدعُ إلى ذلك قبيلةً إلا صاروا فرقتين : فرقة تُقَارِبُه ، وفرقة تُبَاعِدُهُ ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواصُّ ، فكثرت بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن يقبذ إلى من خلفه من العرب . وبدأ بهم وفعل ، فدخلوا معه جميعا على وجهين : مُكْرَه عليه فاعتبط ، وطائع أتاه فازداد ، فمرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه ، من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم ، فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حَسَنَ الحَسَن ، وَقَبِيحَ القَبِيحِ كُلِّهِ ، فَإِن أَيْتِم فَأْمُرُ من الشر ، هو أهون من آخر شر منه ، الجزاء ^(١) ، فَإِن أَيْتِم فالمناجزة ، فَإِن أجبتم إلى ديننا خَلَفْنَا فيكم كتاب الله ، وأقناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وإِن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ، وإلَّا قاتلناكم . »



فقال يزيد جرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذاتَ يَئِن منكم ، قد نوكل بكم قري الضواحي فيكفونناكم ، لا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فإن كان غم ورحمكم ، فلا يغزكم منا ، وإن

كَانَ الْجَهْدُ دَعَاكُمْ ، فَرَضْنَا لَكُمْ قُوْتًا إِلَى خِيْبِكُمْ ، وَأَكْرَمْنَا وَجُوْهَكُمْ ، وَكَسَوْنَاكُمْ ،
وَمَلَكْنَا عَلَيْكُمْ مَلَكَ يَرْفُقُ بِكُمْ ، فِقَامُ الْمَغِيْرَةِ بْنِ زُرَّارَةَ فَقَالَ :

١٢١ - خِطْبَةُ الْمَغِيْرَةِ بْنِ زُرَّارَةَ

أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ هُوَ لَاءُ رِءُوسِ الْعَرَبِ وَوَجُوْهِهِمْ ، وَهَمْ أَشْرَافُ يَسْتَحْيُونَ
مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يَكْرُمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَيَعْظُمُ حَقُوقَ الْأَشْرَافِ
الْأَشْرَافُ ، وَيَفْخَمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ جَمْعُوهُ لَكَ ،
وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يُحْسِنُ بِمِثْلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ،
فِجَاوِئِي لِأَكُوْنُ الَّذِي أَبْلَعُكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَيَّ ذَلِكَ ، إِنْكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ
تَكُنْ بِهَا عَالِمًا ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا ، وَأَمَّا
جُوعُنَا فَلَمْ يَكُنْ يَشْبَهُ الْجُوعَ ، كَمَا نَأْكُلُ الْخِنَافِسَ ، وَالْجَمَلَانَ ^(١) وَالْعَقَارِبَ
وَالْحَيَّاتِ فَمَرَى ذَلِكَ طَعَامَنَا ، وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَإِنَّمَا هِيَ ظَهْرُ الْأَرْضِ ، وَلَا نَبْلَسُ
إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أُوْبَارِ الْإِبْلِ ، وَأَشْعَارِ النِّعَمِ ، دِينَنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَيُغَيِّرَ
بَعْضُنَا عَلَيَّ بَعْضًا ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لِيَدْفِنُ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كَرَاهِيَةٌ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ
طَعَامِنَا ، فَكَانَتْ حَالِنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ لَكَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا
مَعْرُوفًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلَدَهُ ، فَأَرَضَهُ خَيْرَ أَرْضِنَا ، وَحَسَبَهُ خَيْرَ
أَحْسَابِنَا ، وَيَدِينُهُ أَكْثَرَ بِيُوْتِنَا ، وَقَبِيْلَتُهُ خَيْرَ قَبِيْلَتِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي
الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا ، أَصْدَقْنَا وَأَحْلَمْنَا فَدَعَانَا إِلَى أَمْرٍ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدٌ أَوْلَّ مِنْ
تَرْبٍ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْخَلِيْفَةُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ وَقَلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَبْنَا ، وَزَادَ وَتَقَصَّنَا

[١] نَجْعٌ جَعَلَ بَضْمٌ فَفَتَحَ ، وَهُوَ الْحَرْبَاءُ .

فلم يقل شيئاً إلا كان ، فخذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كُنْتُ إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلىٰ ما يصير كل شيء . وإن رحمتي أدركتكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل ، لأدُلِّمكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأحِلِّمكم داري دار السلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم على هذا ، فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قُتِلَ منكم أذخاته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه ، فاختر إن شئت الجزية عن يدي وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك » فقال يزيد جرد : أتستقباني بمثل هذا ؟ لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم ، لاشيء لكم عندي ، ثم قال : اثبتوني بوقر^(١) من تراب ، فقال احموه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

(تاريخ الطبري ٤ : ٩٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٣)

١٢٢ - مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليه ربعي بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له الأترُجَان (واسمه عبود من أهل الحيرة) ما جاء بكم ؟ قال :

« الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنُخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا

بدينه إلى خلقه لندعوم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نُفَضَى إلى موعود الله ، قال وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى .

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٧)

١٢٣ — خطبة المغيرة بن شعبة فى حضرة رستم

وبعث إليه أيضاً المغيرة بن شعبة ، فتكلم بحضرتة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الله خالق كل شىء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فإنما هو يصنعه والذى له ، وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن فى البلاد ، وعَظَمَ السلطان فى الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا نكرهه ، فالله صنعه بهم ، ووضعهم فيهم ، وهو له دونكم ، وأما الذى ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه . ولسنا نكرهه ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرِّخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخائهم يتوقعون الشدائد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كَانَ شُكْرُكُمْ يَقْضُرُ عَمَّا أُوتِيتُمْ ، وَأَسَاءَ كَمْ ضَعْفُ الشُّكْرِ إِلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ ، وَلَوْ كُنَّا فِيهَا ابْتَلَيْنَا بِهِ أَهْلَ كُفْرٍ ، كَانَ عَظِيمَ مَا تَتَابَعُ عَلَيْنَا ، مُسْتَجَلِبًا مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً يُرْفَهُ بِهَا عَنَّا ، وَلَكِنْ الشَّأْنُ غَيْرَ مَا تَذَهَبُونَ إِلَيْهِ ، أَوْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَنَا بِهِ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ فِيْنَا رَسُولًا ، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ . »

(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨)

١٢٤ — خطبة خالد بن الوليد فى وقعة اليرموك

والى خالد بن الوليد جيوش المسلمين ، وقد اجتمعوا بأبئر مؤك لحرب الروم .

وأراد قوادها الخروج إلى الرُوم متساندين،^(١) فخطبهم خالد، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

« إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قومًا على نظام وتعبية، على تساند وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن من ورائكم من لو يعلم علمكم، حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به، بالذي ترؤن أنه الرأي من واليكم ومحبتته » .

قالوا فهات، فما الرأي؟ قال: « إن أبا بكر لم يعشنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر^(٢)، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المساميين مما قد غشيتهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم، ولقد عامت أن الدنيا فرقت بينكم، فالله الله، فقد أفرِدَ كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دَانَ لِأَحَدٍ من أمراء الجنود، ولا يزيد عليه أن دانوا له، إن تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هَامُوا فَإِنْ هُوَ لَاءَ قَدْ تَهَيَّئُوا، وهذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نرُدُّهم، وإن هزمونا لم نُفْلِحْ بعدها، فهلموا فلتتعاور^(٣) الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدًا، والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم، ودعوني أتأمر اليوم » فأمروه وهم يرون أنها كخَرَجاتهم، فكان فيها النصر المبين للمسلمين .

(تاريخ الطبري ٤ : ٣٣، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٠)

[١] أى تحت رايات شتى لاجتماعهم راية أمير واحد . [٢] التياسر : التساهل .

[٣] تتعاقب عليها .

١٢٥ - خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبلّة (١)

حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الدنيا قد تولت حذاءً (٢) مُدْبِرَةً ، وقد آذنت أهلها بِصَرْمٍ (٣) ، وإنما بقي منها صُبابَةٌ (٤) كَصُبابَةِ الْإِنَاءِ يَصْطَبُهَا صَاحِبُهَا ، ألا وإنكم مفارقوها لِمَحَالَّةٍ ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ، ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُبَلِّغُ في النار من شفيرها (٥) ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا (٦) ، ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ ، ولثلاثينَ عليها ساعةٌ وهي كظيظ (٧) بالزحام ، ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعَ سابعة ، مالنا طعامٌ إِلَّا وَرَقُ الْبَشَامِ (٨) ، حتى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرًا ، فشققتها بيني وبينه نصفين ، والتقطت بُرْدَةً فشققتها بيني وبينه ، فَأَتَرَرْتُ بِنِصْفِهَا ، وَأَتَرَرَتْ بِنِصْفِهَا ، وما منا أحد اليوم إِلَّا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط إِلَّا تناسختها (٩) جَبْرِيَّةٌ ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيمًا ، وفي أعين الناس صغيرًا ، وستجربون الأمراء من بعدى ، فتعرفون وتذكرون . »

(العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والبدین ٢ : ٢٧ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٨٨)

[١] موضع قرب البصرة . [٢] السريعة الماصية التي لا يتعلق بها شيء . [٣] آذنت : أعلنت ، والصرم : القطع . [٤] الصبابة : بقية الماء في الإناء . [٥] الشفير : حرف كل شيء . [٦] سسة : والمراد أنها بعيدة الأقطار شاسعة الأرجاء . [٧] من كلمة الطمام ملاءة حتى لا يطين النفس ، ورجل كظّ وكظيظ ومكذوط تبهله الأمور حتى يعجز عنها . [٨] البشام : شجر عطر الرائحة يستاك به . [٩] في الحديث « لم تكن نبوة إِلَّا تناسخت » أى تحوّل من حال إلى حال ، يعنى أمر الأمة وتناير أحوالها ، والجبرية الجبروت .

١٢٦ - خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط من إمارة الكوفة ، وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ٣٠ هـ ، فلما قدم الكوفة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«والله لقد بُعثت إليكم وإني لكاره ، ولكنى لم أجد بداً إذ أمرت أن أتمم ، ألا إن الفتنة قد أطلعت خُطْمها^(١) وعينها ، والله لأضربنَّ وجهها حتى أقمعها أو تُعَيِّنِي^(٢) ، وإني لرأى^(٣) نفسى اليوم » ثم نزل . (تاريخ الطبرى ٥ : ٦٣)

١٢٧ - الخنساء تحرض أولادها على القتال

حضرت الخنساء حربَ القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم :

« يا بَنِيَّ ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره ، إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ماخُنتُ أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت^(٤) حسبكم ، ولا غبَّرت^(٥) نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدَّ الله للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عزَّ وجلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » فإذا أصبحتم غدداً ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مستنصرين . »

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد ،

[١] الحطم . جمع خظام ، وهو ما وضع فى أنف البعير ليقناده به ، والمراد ظهورها ونشوبها .

[٢] أى تعجزنى . [٣] الرود : الطلب . [٤] النهجين : التقيج . [٥] غيره : لطحه

بالغار ، أى دنست .

يُنْشِدُونَ الْأَرَاغِيزَ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى اسْتَشْهِدُوا جَمِيعًا ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْخَبْرَ قَالَتْ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ » .
فَكَانَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْطِيهَا أَرْزَاقَ أَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ دَرَاهِمٍ ، حَتَّى قَبِضَ وَمَاتَتْ الْخَنَسَاءُ . (خزائن الأدب ١ : ٣٩٥)

١٢٨ - خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية^(١)

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقصَّ عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أتقوم بمنزل هذا الكلام على الناس ؟ فقال يا أمير المؤمنين : إني أهيب لك مني لهم ، فقام عثمان في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً - وكان أول من خطب إلى جانب المنبر - فقال :

« الحمد لله الذي أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَجَعَلَنَا مَتَحَابِينَ بَعْدَ الْبَغْضَاءِ ، الَّذِي لَا تُجْحَدُ نَعْمَاؤُهُ ، وَلَا يَزُولُ مَلِكُهُ ، لَهُ الْحَمْدُ كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ ، وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ ، انْتَحَبَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاخْتَارَهُ بِعَامِهِ ، وَأُتِمَّتْهُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنَ النَّاسِ أَعْوَانًا ، قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ تَصْدِيقَهُ وَمَحَبَّتَهُ ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ^(٢) وَوَقَّرُوهُ ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، فَاسْتَشْهِدَ^(٣) اللَّهُ مِنْهُمْ عَلَى الْمَنَاهِجِ الْوَاضِحِ ، وَالْبَيْعِ الرَّابِحِ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأْتَمَّ .

[١] فتحها عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٦ هـ ، وأمدته عثمان بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير .
[٢] التعزير : التعظيم والتعظيم والإطاعة ، وهو أيضاً صرب دون الحد أو هو أشد الصرب ضد .
[٣] استشهد (مبنيًا للمجهول) قتل في سبيل الله .

أيها الناس : رحمكم الله! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكننا مع وال حافظ ،
حفظ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ^(١) ، ويخفص ^(٢) بنا في
الظهائر ، ويتخذ الليل جملاً ، يُعجل الرحلة من المنزل الجذب ، ويطيل اللبث
في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ، حتى انتهينا إلى
إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ، وقعقة
السلاح ، فأقنا أياماً ، نُجمُّ كراعنا ^(٣) ، ونصلح سلاحنا ، ثم دعوناهم إلى الإسلام
والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغارٍ أو الصلح ، فكانت
هذه أبعد ، فأقنا عليهم ثلاث عشرة ليلة نتأناهم ، وتختلف رسلنا إليهم ، فلما
يئس منهم قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد ، وما لصاحبه
إذا صبر واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا ، وقاتلناهم أشد القتال ، يومئذ ذلك ،
وصبرَ فيه الفريقان ، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم
رجالاً من المسلمين ، فبتنا وباتوا ، وللمسلمين دوى بالقرآن كدوى النحل ، وبات
المشركون في خمورهم وملاعبهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها
بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ،
ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيئاً واسعاً ، بلغ فيه الخمس
خمسائة ألف ، فصَفَق ^(٤) عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمون قد قرَّت
أعينهم ، وأغناهم النفل ، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين ، أبشره وإياكم بما فتح الله

[١] الأبردان : الغداة والعشي . [٢] خفض بالمكان : أقام ، والظهائر جمع ظهيرة .

[٣] الكراع : جماعة الخيل ، وأجمّ الفرس : ترك ركوبه . [٤] صفق الباب يصفقه وأصفقه

أغلقه أى أغلق عليها باب الخزان .

من البلاد ، وأذل من الشرك ، فاحمدوا الله عباد الله على آلائه ، وما أحل بأعدائه ، من بأسه الذى لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين .

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير ، فقبل بين عينيه وقال : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » يا بنى ما زلت تنطق بلسان أبى بكر حتى صممت .

(العقد المرید ٢ : ١٤٩)

١٢٩ - خطبة السيدة عائشة فى الانتصار لابيها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبى بكر رضى الله عنه فأرسلت إلى أزفلة^(١) من الناس ، فلما حضروا أسدلت^(٢) أستارها ، وعلمت وسادها ، ثم قالت :

« أبى وما أبية ، أبى والله لا تعطوه^(٣) الايدى ، ذاك طود^(٤) مُنيف^(٥) ، وفرع^(٥) مديد ، هيهات كذبت الظنون ، أنجح^(٦) إذا كديتم^(٧) ، وسبق إذ ونيتم^(٨) ، سبق الجواد إذا استولى على الأمد^(٨) ، فنى قریش ناشئاً ، وكهفها^(٩) كهلاً ، يفك عانيها ، ويريش^(١٠) مملقها ، ويرأب^(١١) شعبها ، ويَلْمُ شعبها ، حتى حلّيته^(١٢) قلوبها ، ثم استشرى^(١٣) فى دين الله ، فما برحت شكيمته^(١٤) فى ذات الله عز وجل ، حتى اتخذ بفدائه مسجداً ، يحيى فيه ما أمات المبطلون ،

[١] جماعة . [٢] سدله يسدله : كنصر وصر وأسدله أرحاه . [٣] تناولوه .

[٤] الطود : الجبل ، والديم : المشرف . [٥] فرع كل شىء أعلاه ، ومن القوم شريهم .

[٦] أنجح : صار ذا نجح . [٧] الكديبة : بضم فسكون الأرض الغليظة ، والصفاء العظيمة الشديدة

وحفر فأكدى إذا صادها فلا يمكنه الحفر (وسأله فأكدى وجده مثلاً) ، وونيتم أى فترتم وضعتم .

[٨] العاية والمنتهى . [٩] الكهف : الوزر والمالجأ ، والكهمل من جاوز الثلاثين أو ربأ وثلاثين

للى إحدى وخسين . [١٠] راش السهم يریشه أرق عليه الریش كريشه ، والمراد بينه ويساعده .

[١١] يصلح والشعب الصدع . [١٢] حلّى الشىء : استعلاه . [١٣] غضب ولج .

[١٤] الشكيمة الأفة وى اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس . وهو شديد الشكيمة أنف أبى ليناقد .

وكان رحمه الله غزير الدمعة ، وقيد ^(١) الجوانح ، شجى الشيخ ^(٢) ، فانقضت إليه نسوان مكة وولدانها ، يسخرون منه ويستهنئون به « الله يستهنئ بهم ، ويمدّهم في طغيانهم يعمهون » ^(٣) فأكبرت ذلك رجالات من قريش ، فحنت قسيها ، وفوقت ^(٤) سهامها ، وامتلوه ^(٥) غرضاً ، فما قالوا له صفاة ^(٦) ، ولا قصفوا له قناة ، ومرّ على سيسانه ^(٧) ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه ^(٨) ، ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، ومن كل فرقة أرسالاً ^(٩) وأشتاتاً ، اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رؤوفه ^(١٠) ، ومدّ طنّبه ^(١١) ، ونصب حباله ، وأجلب ^(١٢) بخيله ورجله ، واضطرب جبل الإسلام ، ومرّج ^(١٣) عهده ، وماج أهله ، وبغى الغوائل ، فظنت رجال أن قد أكثبت ^(١٤) أطماعهم ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصدّيق بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ، فجمع حاشيتيه ^(١٥) ، ورفع قطريه ^(١٦) ، فردّ رسن ^(١٧) الإسلام على غرّبه ^(١٨) ، ولمّ شعثه بطبه ، واتماش ^(١٩) الدين فنعشهُ ، فلما

[١] الوقيذ : الصريع والشديد المرض المشرف . [٢] الشجى : الحزين ، والشيخ : صوت البكاء
شج الباكى يشخ بكلس عصب بالبكاء في حلقه من غير احتجاب . [٣] العمه بفتححتين الردد في الضلال .
[٤] فوقّ السهم : جعل له فوقاً ، وهو موضع الوتر من السهم . [٥] امتلوه : مثلوه .
[٦] الحجر الصلد : الضخم . [٧] شدّته . حملة على سيسان الحق أى على حدّه ، والسيسان : عظم
الظهر ، والعرب تصرّبه مثلاً لشدة الأمر . [٨] جران البعير : مقدم عنقه من منبجه إلى منحره .
[٩] جمع رسل بفتححتين ، وهو القطيع من كلّ شيء . [١٠] نسطاطه . [١١] جبل طويل
يشدّ به سرادق البيت أو الوتد . [١٢] أجل : صاح ، والحيل : الحيلة ، ومنه ياخيل الله اركبي ،
والرّحل : اسم جمع راحل كالصحف والرك ، أى صاح بالركاب والمشاة وترى ورجلك بكسر الجيم وضماها .
[١٣] المرج : بفتححتين الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب (وإعما يسكن مع الهرج) .
[١٤] أكذب : قرب ، والنهز جمع نهزة بضم الون وهى الفرصة . [١٥] حاشية كلّ شيء :
جانبه وطوره . [١٦] القطر : الناحية . [١٧] الجبل . [١٨] الغرب : حدّ الشيء .
[١٩] انتشل ونعشه الله كأنعشه ، ونعشه : رفعه .

أراح^(١) الحَقَّ على أهله ، وقرّر الرءوس على كواهلها^(٢) ، وحقن الدماء في
 أهبها^(٣) ، أتته منيته ، فسد ثمته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ،
 ذاك ابن الخطاب ، فله دَرَّ أم^(٤) حملت به ، ودَرَّت عليه ، لقد أوحدت^(٥) به ،
 ففّخ^(٦) الكفرة ، وديحها^(٧) ، وشرد الشرك شذَر مَذَر^(٨) ، وببج^(٩) الأرض
 وجمّعها^(١٠) ، فقاعت أكلها^(١١) ولفظت خبأها ، ترأمة^(١٢) وَيَصْدِف عنها ،
 وَتَصِدِّي^(١٣) له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيئها ، وودّعها كما صحبها ، فأروني ، ماذا
 ترتنون ، وأىّ يوحىّ أبى تنقمون ، أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظنّنه إذ نظر
 ليكم^(١٤) ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، ثم أقبلت على الناس بوجهها ،
 فقالت أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ، قالوا : اللهم لا .

(صحح الأعمى ١ : ٢٤٨ ، والعقد المرمد ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٠)

١٣٠ - رثاؤها لأبيها

لما توفى أبو بكر رضى الله عنه ، وفقت عائشة على قبره فقالت :
 « نضر^(١٥) الله وجهك يا أبتِ ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت
 للدنيا مُذِلًّا بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلّ الحوادث
 بعد رسول الله صلى عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقْدُك ، إن كتاب

-
- [١] أراح على فلان حقه : رده عليه . [٢] الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .
 [٣] جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . [٤] الدرّ : الابن والنفس والعمل .
 [٥] أوحدت المرأة : ولدت واحداً ، أى جاءت به منفرداً لانظير له . [٦] أذلّ وفهر .
 [٧] داخ البلاد : وودّحها ، وديحها : تهرها واستولى على أهلها . [٨] تفرّقوا شذرو مذر :
 ذهبوا فى كلّ وجه . [٩] سمها : كناية عن الفح . [١٠] فهر أهلها واسترح ما فيها من
 الكنوز وأموال الملوك . [١١] الأكل : ما يؤكل ، أى أخرجت خيراتها . [١٢] تعطف
 عليه ويصدق أى يعرض . [١٣] تتمرّض . [١٤] أى فيما يصلحكم فولى عليكم عمر .
 [١٥] من النضرة والضارة فتوح النون وهى الحسن .

الله لِيَعِدُّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ فَيْكَ حُسْنَ الْمَوْضِ مِنْكَ ، وَأَنَا أَسْتَنْجِزُ مَوْعِدَ اللَّهِ تَعَالَى
بِالصَّبْرِ فَيْكَ ، وَأَسْتَقْضِيهِ ^(١) بِالْأَسْتِغْفَارِ لَكَ ، أَمَا لَنْ قَامُوا بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، لَقَدْ قَمْتُ
بِأَمْرِ الدِّينِ ، لِمَا وَهَى شَعْبُهُ ^(٢) ، وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ ^(٣) ، وَرَجَفَتْ ^(٤) جَوَانِبُهُ ،
فَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ تَوْدِيْعَ غَيْرِ قَالِيَةٍ ^(٥) لِحَيَاتِكَ ، وَلَا رَارِيَةٍ ^(٦) عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ .
(زهر الآداب ١ : ٤٠ ، العهد الفريد ٢ : ٧ ، نباهة الأرب ٥ : ١٦٧ ، البيان والتبيين ٢ : ١٦٠)

١٣١ - خطبتها حين أنبت بقتل عثمان

كانت السيدة عائشة خرجت إلى مكة للحج وعثمان محصور ، ثم خرجت
من مكة تريد المدينة ، فلما كانت بِسَرَفٍ أَنْبَتَ بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ ، فَانصرفت إلى
مكة ، فَقصدت الْحِجْرَ ، فَسترت فِيهِ ، وَاجتمع إليها الناس ، فقالت :
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْعَوْغَاءُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَأَهْلِ الْمِيَاهِ وَعبيدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظامًا بِالْأَمْسِ ، وَتَقَمَّوْا عَلَيْهِ اسْتِعْمَالًا مِنْ حَدَثَتْ
سِنَّتُهُ ، وَوَدَّ اسْتِعْمَلِ أَمْثَالَهُمْ قَبْلَهُ ، وَمَوَاضِعَ مِنَ الْحِمَى ^(٧) حَمَاهَا لَهُمْ فَتَابِعَهُمْ ،
وَنَزَعْ لَهُمْ عَنْهَا ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا حِجَّةً ، وَلَا عِذْرًا ، بَادَرُوا بِالْعِدْوَانِ ، فَسَفَكُوا الدَّمَّ
الْحَرَامَ ، وَاسْتَحَلُّوا الْبِلْدَ الْحَرَامَ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَأَخَذُوا الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَاللَّهُ لِأَصْبَعِ
مِنْ عُثْمَانَ خَيْرٍ مِنْ طِبَاقِ الْأَرْضِ أَمْثَالِهِمْ ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الذِّي اعْتَدُوا بِهِ عَلَيْهِ ، كَانَ

[١] أطلب قضاءه . [٢] وهي ضعف ، والشعب الجمع . [٣] الصدع : الشو .

[٤] اضطربت . [٥] مبغضة . [٦] طائبة ولائمة . [٧] من المطاعن التي وجهت إلى
عثمان رضى الله عنه أنه حمى الحمى عن المسلمين مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم سواء في الماء
والسكلا ، ولما سئل في ذلك قال إنما عدت ذلك لإيبل الصدقة ، وقد أصلفته الآن ، وأنا أستغفر الله ، وروى
الوادئى أن عثمان كان يحمى الربة والشرف والبيع ، فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس ولا بنتى أمية ،
حتى كان آخر الزمان ، فكان يحمى الشرف لإيبله ، وكافت ألف بعير وإيبل الحكيم بن أبي العاص ، ويحمى
الربة لإيبل الصدقة ، ويحمى البيع لحيل المسلمين وخبله وخيل بنى أمية - شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٢٣٥

ذنباً لخالص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، أو الثوب من درنه ، إذ ماصوه ^(١)
كما يماص الثوب بالماء . (الكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٢)

فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضی الله عنها البصرة ، للطلب بدم عثمان ، خرج إليها من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمربد ، وجعلوا يشوبون ، حتى غصَّ بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

١٣٢ - خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضی الله عنه وفضله ، والبلد وما استُجِلَّ منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :

« إن في ذلك إعزازَ دين الله عزَّ وجل وسلطانَه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصدبتم ، وعاد أمركم إليكم ، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام . »

وتكلم الزبير بمثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جهَّورِية الصوت

١٣٣ خطبة السيدة عائشة بالمربد

حمدت الله عزَّ وجل ، وأثنت عليه وقالت :

« كان الناس يتجنَّون ^(٢) على عثمان رضی الله عنه ، وَيُزْرُونَ ^(٣) على عماله ، ويأتوننا بالمدينة ، فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، فننظر في ذلك فنجده برياً ،

[١] الموس : غسل ابن والدك باليد . [٢] تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . [٣] زرى عليه : طابه كالأزرى لكنه قليل .

تقياً وفيأ، ونجدهم فَجَرَّةَ غَدْرَةٍ كَذَبَةٍ، يحاولون غير ما يُظهرون، فلما قَوُوا على المكاثرة كأثروه، فاقحموا عليه داره، واستحلوا الدم الحرام، والمال الحرام، والبلد الحرام، بلا تِرَةٍ^(١) ولا عذر، أَلَا إِنَّ مما ينبغي، لا ينبغي لكم غيره، أَخَذَ قَتْلَةَ عثمان رضى الله عنه، وإقامة كتاب الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) الآية « .
(تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٥ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٥)

١٣٤ - خطبة عدى بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام عليّ

لما شَخَّصَ الإمام عليّ كَرَّمَ اللهُ وجهه من المدينة إلى البصرة وقد علم بمسير طلحة والزبير وعائشة إليها، قام عدى بن حاتم إليه فقال: يا أمير المؤمنين لو تقدمتُ إلى قومي أخبرهم بمسيرك، وأستنفرهم، فإن لك من طيء مثل الذى معك، فقال عليّ نعم فافعل، فتقدم عدى إلى قومه، فاجتمعت إليه رؤساء طيء، فقال لهم:

« يا معشر طيء: إنكم أمسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشُّرك، ونصرتم الله ورسوله فى الإسلام على الرِّدَّة، وعلى قادمٍ عليكم، وقد ضَمِنْتُ لهُ مثلَ عِدَّةٍ مِّنْ مَّعْهَ مِنْكُمْ، نَخْفُوا^(٢) مَعَهُ، وقد كُتِمْتُمْ تَقَاتِلُونَ فى الجاهلية على الدنيا، فقاتلوا فى الإسلام على الآخرة، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغامٌ كثيرةٌ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة، وقد ضَمِنْتُ عنكم الوفاء، وباهيت بكم الناس، فأجيبوا قولى، فإنكم أعز العرب داراً، لكم فضلٌ معاشكم وخيلكم، فاجعلوا فضل

[١] عذر . [٢] أى ارتحلوا مسرعين .

المعاش لِلْعِيَالِ^(١) ، وفضول الخيل للجهاد ، وقد أظلمكم علىّ والناس معه من المهاجرين والبدرين^(٢) وَالْأَنْصَار ، فكونوا أكثرهم عدداً ، فَإِنْ هَذَا سَبِيلٌ لِلْحَى فِيهِ الْغَنَى وَالسَّرُور ، وللقَتِيل فِيهِ الْحَيَاة وَالرِّزْق .

فصاحت طيبيُّ نعم نعم ! حتى كَادَ أَنْ يُصَمَّ مِنْ صِيَابِهِمْ .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

١٣٥ - خطبة زفر بن زيد

يستنفر قومه لنصرة عليّ أيضاً

وقام إلى عليّ زفر بن زيد الأسدي - وكان من سادة بني أسد - فقال : يا أمير المؤمنين ، إن طيبتنا إخواننا وجيراننا قد أجابوا عديّاً ، ولي في قومي طاعة ، فأذن لي فأتيهم ، قال : نعم ، فأتاهم فجمعهم ، وقال :

« يا بني أسد : إن عديّ بن حاتم ضمّني لعليّ قومه ، فأجابوه ، وقضوا عنه ذمّته^(٣) ، فلم يعتلّ الغنيّ بالغنيّ ، ولا الفقير بالفقر ، وواسى بعضهم بعضاً ، حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة ، والأنصار في الأثرة^(٤) ، وهم جيرانكم في الديار ، وخذلّواكم^(٥) في الأموال ، فأنشدكم الله لا يقول الناس غداً : نصرت طيبيّ ، وخذلتّ بنو أسد ، وإن الجار يُقاس بالجار ، كالنعل بالنعل ، فإن خفتهم فتوسّعوا في بلادهم ، وانضموا إلى جباهم ، وهذه دعوة لها ثواب من الله في الدنيا والآخرة » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٦)

[١] جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الإتيان عليه . [٢] أي الذين حفرُوا وقعة بدر .
[٣] العهد والحرمة . [٤] أي يؤثّر كلّ منهم أخاه على نفسه وبفضله كما فعل الأنصار بالمهاجرين
« وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » [٥] الحظا. جمع خليط وهو الشربك

١٣٦ - خطبة سعيد بن عبيد الطائي

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بالرّبذة^(١) ، أتته جماعة من طيبيّ ، فقيل لعلّيّ : « هذه جماعة من طيبيّ قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزى الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » ثم دخلوا عليه ، فقال عليّ : ما شهدتمونا به ؟ قالوا شهدناك بكلّ ما تحبّ ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلمتم طائعين ، وقاتلتم المرتدين ، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين » فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال : « يا أمير المؤمنين : إن من الناس من يُعبرّ لسانه عما في قلبه ، وإني والله ما كلُّ ما أجد في قلبي يُعبرّ عنه لساني ، وسأجهدُ (وباللّهِ التوفيق) أما أنا فساأنصح لك في السّرّ والعلانية ، وأقاتل عدوك في كلّ موطن ، وأرى لك من الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك ، لفضلك وقرابتك » .

قال : رحمك الله ! قد أدّى لسانك عما يُخِنُّ^(٢) ضميرك ، فقتل معه بصفين

رحمه الله ! (تاريخ الطبري ٥ : ١٨٤)

١٣٧ - خطبة أبي موسى الأشعري المتوفى سنة ٥٢ هـ

وكتب الإمام عليّ من الرّبذة أبا موسى الأشعري - وكان عاملاً على الكوفة -

ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فثبّطهم وخطبهم ، فقال :

[١] قرب المدينة ، وكان الامام حين بلده خبرخروج عائشة وطلحة والزبير ، وأنهم قد توجهوا نحو العراق ، [خرج من المدينة يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الرّبذة أتاه أنهم قد أمعنوا فأقام بالرّبذة أياماً . [٢] يخين : أى يستد ويخنى .

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن ، أعلم بالله جلّ وعزّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً ، فأنا مؤدّيه إليكم ، كأن الرأي ألاّ تستخفوا بساطان الله عزّ وجلّ ، ولا تجترئوا على الله عزّ وجلّ ، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها ، حتى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلفوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان ، فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرثومة^(١) من جرائم العرب ، فأغمّدوا^(٢) السيوف ، وأنصلوا^(٣) الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١١٣)

١٣٨ - خطبة أخرى له

وخطب أيضاً في هذا الصّدّد ، فقال :

« أيها الناس : أطيعوني تكونوا جرثومة من جرائم العرب ، يا أوى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا . إن الفتنة إذا أقبلت شُبّهت ، وإذا أدبرت بُيّدت ، وإن هذه الفتنة باقرة^(٤) كداء البطن ، تجري بها الشّمال والجنوب ، والصّبا^(٥) والدّبور ، فتسكن أحياناً ، فلا يُدزى من أين توثى ، تدّر الحليم كآبن أمس ، شيهوا^(٦) سيوفكم ، وقصدوا^(٧)

[١] جرثومة الشيء : أصله . [٢] غمد السيف بغمده كنصر وصرّب وأغمده : جعله في العمدة .
[٣] أنصل السهم ونصله بالشدّيد : جعل فيه نصلاً وأزاله عنه - ضد - . [٤] فتنة باقرة صادعة للألّفة شاة للعصا . وفي الكامل لابن الأثير : فاقرة بالفاء ، وهي الداهية تكسر فقار الظهر .
[٥] الصبا : ريح تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تقابها .
[٦] شام سيفه يشيمه : غمده واستلّه ضد . [٧] التقصيد والقصد : الكسر بأى وجه كان أو

رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم ، خلأوا قريشاً إذا
 أبوا إلا الخروج من دار الهجرة ، وفراق أهل العلم بالإمرة ، ترشق^(١) فتقها ،
 وتَشَعَّب^(٢) صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها سعت ، وإن أبت فعلى أنفسها جنت ،
 سمنها تهريق في أديعها ، استنصحنوني ولا تستغشونني ، وأطيعوني يسلم لكم دينكم
 ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة من جناها .

١٣٩ - خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان ، فشق^(٣) يده المقطوعة ، فقال :

« يا عبد الله^(٤) بن قيس ، رُدُّ الفُرات عن أدراجه^(٥) ، أَرُدُّه من حيث
 يحيى ، حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك ، فستقدر على ما تريد ، فدع عنك
 ما لستَ مُدركه ، ثم قرأ : (الم ، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا
 وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
 الْكَاذِبِينَ) سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وأنفروا^(٦) إليه أجمعين ،
 تصيبوا الحق .

١٤٠ - خطبة القعقاع بن عمرو

فقام القعقاع بن عمرو فقال :

« إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن ترشُدوا^(٧) ، ولأقولن لكم

بالصف ورمح قسده كفرح وقصيد وأقصاد متكسر . [١] رتق الفتق : سده . [٢] الشعب :
 الإصلاح والإفساد والجمع والتفريق ، ضدّ . [٣] رفع ، قطعت يده يوم جلواء ، وقيل بالقادسية . في
 قتال الفرس ، وقتل يوم الجبل (أسد النابغة ٢ : ٢٣٤) . [٤] هو اسم أبي موسى .

[٥] جمع درج بفتحيتين وهو الطريق . [٦] اذهبوا . وكانت السيدة عائشة قد كتبت إليه كتاباً
 تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها ، فقال أمرت أن تفر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ،
 فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به . [٧] رشد : كنصر وفتح .

قولاً هُوَ الحق ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدوُّ هذا الأمر ، فلا تستنصحوه ، فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طمن فيها ، وجرى إليها ، والقول الذى هو الحق أنه لا بدّ من إمارة تنظّم الناس ، وتترع^(١) الظالم ، وتُعزِ المظلوم ، وهذا على يلى بما ولى ، وقد أنصف فى الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

١٤١ - خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :

« أيها الناس : إنه لا بدّ لهذا الأمر ، وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم ، ويُعزِ المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه^(٢) ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه فى الدين ، فمن نهض إليه ، فإننا سائرُونَ معه . »

١٤٢ - خطبة الحسن بن على

وقام الحسن بن على رضى الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميكم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأن يلبيه أولو النهى أمثلُ فى العاجلة ، وخير فى العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتُم ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجى هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإنى أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفرَ ، فإن كنت مظلوماً أعاننى ، وإن كنت ظالماً أخذ منى ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعنى ، وأول من غدر ، فهل استأثرت بجال ، أو بدّلت حكماً؟ فانفروا ، فمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر . »

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١١٤)

١٤٣ - وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بندي قارٍ، دَعَا القَعْقَاعَ بنَ عمرو، فأرسله إلى أهل البصرة، وقال له: اِنِّ هَذِينَ الرَّجْلَيْنِ - طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ - يَابْنَ الحَنْظَلِيَّةِ، « وَكَانَ القَعْقَاعُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَادْعُهُمَا إِلَى الأُلْفَةِ وَالجَمَاعَةِ، وَعَظَّمْ عَلَيْهِمَا الفُرْقَةَ، وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِيمَا جَاءَكَ مِنْهُمَا، مِمَّا لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ وَصَاةٌ^(١) مَنِي؟ فَقَالَ: نَلْقَاهُمْ بِالَّذِي أَمَرْتُ بِهِ، فَإِذَا جَاءَ مِنْهُمَا أَمْرٌ لَبَسَ عِنْدَنَا مِنْكَ فِيهِ رَأْيٌ، اجْتَهَدْنَا الرَّأْيَ، وَكَلَّمْنَاهُمْ عَلَى قَدْرِ مَا نَسْمَعُ وَنَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي، قَالَ: أَنْتَ لَهَا .

نُفِرَ القَعْقَاعُ حَتَّى قَدِمَ البَصْرَةَ . فَبَدَأَ بِمَائِشَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَسَلِمَ عَلَيْهَا، وَقَالَ: أَيُّ أُمَّةٍ: مَا أَشْخَصَكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ البَلَدَةَ؟ قَالَتْ: أَيُّ مُبْنَى: إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ، قَالَ: فَابْعَثِي إِلَى طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرِ، حَتَّى تَسْمَعِي كَلَامِي وَكَلَامَهُمَا، فَبِعَثْتَ إِلَيْهِمَا جَاءًا، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَشْخَصَهَا وَأَقْدَمَهَا هَذِهِ البَلَدَةَ؟ فَقَالَتْ: إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ، فَمَا تَقُولَانِ أَتَمَّا؟ أُمَّتَابِعَانِ أُمَّ مُخَالِفَانِ؟ قَالَا: مُتَابِعَانِ، قَالَ: فَأَخْبِرَانِي، مَا وَجَّهَ هَذَا الإِصْلَاحُ؟ فَوَاللَّهِ لئن عَرَفْنَاهُ لَنُضَلِّحَنَّ، وَلئن أَنكَرْنَاهُ لَأَنْصَلِّحَ، قَالَا: قَتَلَةَ عُمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِنَّ هَذَا إِنْ تُرِكَ، كَانَ تَرْكًا لِلْقُرْآنِ، وَإِنْ مُجِلَّ بِهِ، كَانَ إِحْيَاءً لِلْقُرْآنِ، فَقَالَ: قَدْ قَتَلْتُمَا قَتَلَةَ عُمَانَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ، وَأَنْتُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ أَقْرَبُ إِلَى الإِسْتِقَامَةِ مِنْكُمْ اليَوْمَ، قَتَلْتُمْ سِتْمَائَةَ إِلا رَجُلًا، فَغَضِبَ لَهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ، وَاعْتَزَلُوكُمْ، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، وَطَلَبْتُمْ ذَلِكَ الَّذِي أَفْلَتَ - يَعْنِي حُرْقُوصَ بنِ زُهَيْرٍ - فَمَنْعَهُ سِتَّةَ آلَافٍ

وهم على رجل ، فإن تركتموه كستم تاركين لما تقولون ، فإن قاتلتموهم والذين
اعتزلوكم فأديلوها^(١) عليكم ، فالذي حذرتهم وقرّبتهم^(٢) به هذا الأمر أعظم مما
أراكم تكرهون ، وأنتم أحيتهم مُضَرَّ وريعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم
وَخِذْلَانِكُمْ نُصْرَةً لِهَؤُلَاءِ ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدّ العظيم ،
والذنب الكبير .

فقلت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول ، هذا الأمر دواؤه
التسكين ، وإذا سكن اختلجوا^(٣) ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير
رحمة ، وَدَرَكٌ بِئَارِ هَذَا الرَّجُلِ ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أبيتم إلا
مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شرّ وذهاب هذا الثأر ، وبشة الله في
هذه الأمة هزَاهِزَهَا^(٤) ، فَأَثِرُوا العافية تُرْزَقُوهَا ، وكونوا مفاتيح الخير ، كما
كتمتكم تكويون ، ولا تعرّضونا للبلاء ، ولا تعرّضوا له ، فَيَصْرَعْنَا وَإِيَّاكُمْ ، وَأَيْمُ
اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ الْآيَتِمْ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلٍّ
حاجته من هذه الأمة ، التي قلّ متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي
حدث ليس يُقَدَّرُ ، وليس كالأمر ، ولا يقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ،
ولا القميّة الرجل .

فقالوا : نعم ، إذن قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع ، فإن قدّم على ، وهو
على مثل رأيك ، صلح هذا الأمر ، فرجع إلى عليّ فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف
القوم على الصلح^(٥) . (تاريخ الطبري ٥ : ١٩١)

[١] أي علوكم وانتصروا عليكم . [٢] قرّبه (كسجم) قرب منه (كككرم) .
[٣] اضطربوا وتفككوا . [٤] الهززة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس .
[٥] ولكن السبّيين أجبطوا مساعي الصلح ، إذ خرجوا و الفلّس دون أن يشعر بهم أحد فقصدهم مضرم
مضر البصرة ، وريعتهم ربيعة البصرة ، وبنهم بين البصرة ، ووضعوا فيهم السلاح . فثار كل قوم في وجوه
أصحابهم ، ودارت رحى القتال بينهم ، وكلا الفريقين لا يعلم بكنه تلك المكيدة ، وكان بينهما ما كان .

١٤٤ - خطبة علي بن أبي طالب

فلما رجع التّعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير ، جمع الإمام عليّ الناس ، ثم قام على الغرأثر ، فحمد الله عزّ وجلّ ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الجاهلية وشقأها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة بالجماعة ، بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم حدّث هذا الحدّث ، الذي جرّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أديبارها ، والله بالغ أمره ، ومُصِيبٌ ما أراد ، ألا إني راحلٌ غدًا فارتحلوا ، ألا ولا يرتهلن غدًا أحدٌ أعان على عثمان رضى الله عنه بشيء ، فى شيء من أمور الناس ، وليغن السفهاء عن أنفسهم . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٩٤)

١٤٥ - خطبة السيدة عائشة يوم الجمل (توفيت سنة ٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة رضى الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت :
« أيها الناس : صه صه ، إن لى عليكم حقّ الأمومة ، وحرمة الموعظة ، لا يتهمنى إلا من عصى ربه ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري^(١) ونحري^(٢) ، فأنا إحدى نسائه فى الجنة ، له ادخرنى ربي ، وخلصنى من كل بضاعة ، وبنى ميز منافقكم من مؤمنكم ، وبنى أرخص الله لكم فى صعيد الأبواء^(٣) ، ثم أبى

[١] السحر : الرثة . [٢] الصعيد : التراب أو وجه الأرض ، والأبواء : قرية بها قبر آمنه بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، تشير إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى (جلّ وعلا) للساهين فى التيمم إذ لم يجدوا ماء يتوضؤون به ، وفى الحديث : « عن عائشة رضى الله عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بدأت الجيش انقطع عقد لى ، فأقام رسول الله على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت

ثَانِي اٰمِنِيْنَ اللّٰهَ ثَالِثُهُمَا ، وَاوَّلُ مِنْ سُمِّيَ صِدِّيقًا ، مَضَى رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًا عَنْهُ ، وَطَوَّقَهُ اَعْبَاءُ الْاِمَامَةِ ، ثُمَّ اضْطَرَبَ حَبْلُ الدِّيْنِ بَعْدَهُ ، فَسَكَ اَبِي بَطْرَفِيَه ، وَرَتَقَ لَكُمْ فَتَقَ النِّفَاقِ ، وَاَعَاضَ تَبَعِ الرَّدَّةِ ، وَاَطْفَا مَا حَشَّ (١) يَهُودَ ، وَاَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ جُحُظُ الْعِيُوْنَ ، تَنْظُرُوْنَ الْغَدْرَةَ ، وَتَسْمَعُوْنَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَبَ الثَّأِي (٢) ، وَاُوْدَ (٣) مِنَ الْعِلْظَةِ ، وَاَتَاشَ مِنَ الْهُوَّةِ ، وَاَجْتَحَى (٤) دَفِيْنَ الدَّاءِ ، حَتَّى اَعْطَنَ (٥) الْوَارِدُ ، وَاُوْرَدَ الصَّادِرُ ، وَعَلَّ (٦) النَّاهِلَ ، فَقَبِضَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ ، وَاِطْنَا عَلَى هَامَاتِ (٧) النِّفَاقِ ، مُذَكِّيًا (٨) نَارَ الْحَرْبِ لِلْمَشْرِكِيْنَ ، فَانْتَضَمَتْ طَاعَتِكُمْ بِجَبْلِهِ ، فَوَلَّى اَمْرَكُمْ رَجُلًا مُرْعِيًا اِذَا رُكِنَ اِلَيْهِ ، بَعِيْدَ مَا بَيْنَ الْاَلْبَتِيْنَ (٩) ، عُرْكَةَ لِلاَّذَاةِ بِجَبِيْهِ (١٠) ، صَفُوْحًا عَنْ اَذَاةِ الْجَاهِلِيْنَ ، يَقْضَانِ اللَّيْلَ فِيْ نَصْرَةِ الْاِسْلَامِ ، فَسَلَكَ مَسْلِكَ السَّابِقَةِ ، فَفَرَّقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ اَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنُ ، وَاَنَا نُصِبُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ مَسِيْرِيْ هَذَا ، لَمْ اَلْتَمَسْ اِثْمًا ، وَلَمْ اُوْنِسْ فِتْنَةَ اَوْطَمِكُمْوَهَا ، اَقُوْلُ قَوْلِيْ هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا ، وَاِعْذَارًا وَاِنْذَارًا ، وَاَسْأَلُ اللّٰهَ اَنْ يَّصِلِيْ عَلٰى مُحَمَّدٍ ، وَاَنْ يَّخْلِفَهُ فَيْكُمُ بِاَفْضَلِ خِلَافَةِ الْمُرْسَلِيْنَ » . (العقد الفريد ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦)

عائشة ، أهدت برسول الله صلى الله عليه وسلم والداس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، جاء أبو بكر ورسول الله قد نام ، فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت عائشة دعابتي أبو بكر ، وقال ماشاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خاصرقي ، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء ، فأمر الله آية التيمم ، فتييموا ، فقال أسيد بن الحضير (بصيغة التصغير) ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، قالت فعشنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تمه « (راجع الحديث كاملا في باب التيمم من صحيح البخاري ١ : ٧٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٤٦) . [١] حش النار : أوقدها . [٢] الثأى والثأى بسكون الهززة وفتحها : الإنسداد . [٣] أوّده فتأوّد : عطفه فاعطف . [٤] اجتجاه : استأصله . [٥] أعطى الإبل : حبسها عنده الماء . [٦] العلّ والعلل : (بفتحين) الشرب بعد الشرب تباعاً على يملّ بكسر العين وضهما ، والنهل : أول الشرب نهل ينهل كفتح . [٧] جمع هامة وهي الرأس . [٨] مشعلا . [٩] الآية : الحرة بفتح الحاء (أرض ذات حجارا نخرة سود) ولابتأ المدينة حرتان تكتنفانها ، أرادت أنه واسع الصدر واسع العطن فاستعارت له الآية كما يقال رحب الصاء واسع الجباب . [١٠] أي يصرك الأذى يجنبه أي يحتمله . وفي هذه الخطبة تحريف شديد في الأصل وقد اصلحته كما يتبين بالمرآة .

١٤٦ - خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجليّ - وكان على ثغر همدان استعمله عليه عثمان - كتاباً يخبره فيه بما كان بينه وبين أصحاب الجمل ، وما أوتى من الانتصار عليهم ، واستعمال ابن عباس على البصرة ، فلما قدم زفر على جرير بكتاب علىّ وقرأه جرير ، قام زفر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن عليّاً كتب إليكم بكتاب ، لا تقول بعده إلا رجيعاً ^(١) من القول ، إن الناس بايعوا عليّاً بالمدينة غير محاباةٍ بيعتهم ، لعلمه بكتاب الله ، ويُرَى الحق فيه ، وإن طلحة والزبير نقضاً بيعة عليّ على غير حدث ، ثم لم يرضيا حتى نصباً له الحرب ، وألبأ ^(٢) عليه الناس ، وأخرجنا أم المؤمنين عائشة من حجابٍ ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها ، فاقفيهما فأعذر في الدعاء ، وخشيّ البغي ، وحمل الناس على ما يعرفون ، فهذا عيان ^(٣) ما غاب عنكم ، وإن سألتهم الزيادة زدناكم . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٤٧ - خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقام جرير بن عبد الله البجليّ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وهو المأمون على الدين والدنيا ، وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم ، والحمد لله على أفضيته ، وقد بايعه السابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعون بإحسان ، ولو

[١] الرجيع : كل مردّد . [٢] حرّضاً . [٣] مصدر عاين الشيء إذا رآه بعينه .

جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان عليّ أحقّ بها ، ألا وإن البقاء في الجماعة ، والفناء في الفرقة ، وعليّ حاملكم ما استقمتم له ، فإن ملتم أقام ميّلكم .
قال الناس سمعاً وطاعة ، ورضانا رضا من بعدنا .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٤٨ - خطبة زياد بن كعب

وكتب الإمام عليّ كرم الله وجهه ، إلى الأشعث بن قيس - وكان عاملاً بأذربيجان ، استعمله عليها عثمان - بمثل ما كتب به إلى جرير بن عبد الله ، ووجه بالكتاب مع زياد بن كعب ، فلما قرأ الأشعث كتاب عليّ ، قام زياد بن كعب خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه من لم يكفه القليل ، لم يكفه الكثير ، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ، ولم يشف منه الخبر ، غير أن من سمعه ليس كمن عينه ، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا علياً راضين به ، وإن طلحة والزبير نقضا بيعة عليّ على غير حدّ ، وأخرجوا أم المؤمنين علي غير رضا ، فسار إليهم ولم ينلهم ، فتركهم وما في نفسه منهم حاجة ، فأورثه الله الأرض ، وجعل له عاقبة المتقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٤٩ - خطبة الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« أيها الناس : إن عثمان رحمه الله ولأني أذربيجان ، وهلك وهي في يدي ، وقد بايع الناس علياً ، وطاعتنا له لازمة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم ، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك » . (الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

فتنة معاوية

استطلاع الامام على كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

لما أراد الامام على كرم الله وجهه المسير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فجمعهم .

١٥٠ - خطبة الامام على

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنكم ميامينُ الرأى ، مَرَّاجِحُ الحلم ، مُبَارِكُو الأَمْر ، مَقَاوِيلُ

بالحق ، وقد عزمنا على المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

١٥١ - خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جدٌ خَيْر ، هم لك ولأشياحك أعداء ،

وهم لمن يطلب حرث^(١) الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك ، لَا يُبْقُونَ جُهْدًا ،

مُشَاحَّةً^(٢) على الدنيا ، وَضِنًا^(٣) بما في أيديهم منها ، ليس لهم إِرْبَةٌ^(٤) غيرها ،

إِلَّا مَا يَخْدَعُونَ بِهِ الْجُهَّال ، مِنْ طَلَبِ دَمِ ابْنِ عَفَّانٍ ، كَذَبُوا ! لَيْسُوا لِدَمِهِ

يَنْفِرُونَ^(٥) ، وَلَكِنِ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ ، انْهَضْ بِنَا إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الْحَقِّ ،

[١] أى متاعها . [٢] بجلا عليها وحرصا . [٣] ضن ضنا : بالكسر وضنائة بالفتح بخل .

[٤] الإربة : الأرب . [٥] نفر للأمر : ذهب له .

فليس بعد الحق إلا الضلال ، وإن أبوا إلا الشقاق ، فذاك ظني بهم ، والله ما أراهم يبايعون ، وقد بقي فيهم أحد ممن يُطَاع إذا نهى ، ولا يسمع إذا أمر .

١٥٢ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن استطعت أن لا تُقيم يوماً واحداً فافعل ، اشخص بنا قبل استعمار^(١) نار الفجّرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم إلى حظّهم ورُشدِهم ، فإن قبلوا سعدوا ، وإن أبوا إلا حرّبتنا ، فوالله إن سفك دماهم ، واجدّد في جهادهم ، لقربة عند الله ، وكرامة منه . »

١٥٣ - خطبة قيس بن سعد بن عبادة

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين : انكش^(٢) بنا إلى عدونا ولا تُعرج ، فوالله لجهادهم أحبّ إلىّ من جهاد الترك والروم ، لإدهانهم^(٣) في دين الله ، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غضبوا على رجل حبسوه وضربوه وحرّموه وسيرّوه^(٤) ، وفيتننا لهم في أنفسهم حلالٌ ، ونحن لهم فيما يزعمون قطين^(٥) . »

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزيمية بن ثابت وأبو أيوب وغيرها : لم تقدّمت أشياخ قومك ، وبدأتهم بالكلام يا قيس ؟ فقال : أمّا إني عارف

[١] أى اشتعال . [٢] انكش وتكش : أسرع . [٣] الادمان : المداينة والمش .

[٤] المراد أبعده . [٥] القطين : الرقيق والحدم .

بفضلكم ، مُعْظَم لَشَأْنِكُمْ ، وَلَكِنِّي وَجَدْتُ فِي نَفْسِي الضَّغْنَ الَّذِي فِي صَدُورِكُمْ ، جَاشَ حِينَ ذَكَرْتُ الْأَحْزَابَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لِيَقُمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَلْيُجِيبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَنْ جَمَاعَتِكُمْ .

١٥٤ - خطبة سهل بن حنيف

فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : نَحْنُ سَلِمٌ لِمَنْ سَالَمْتَهُ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتَهُ ، وَرَأْيُنَا رَأْيُكَ ، وَنَحْنُ يَمِينُكَ ، وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ تَقْوَمَ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَتَأْمُرُهُمُ بِالشُّخُوصِ ، وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا صُنِعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَهُمُ النَّاسُ ، فَإِنْ اسْتَقَامُوا لَكَ ، اسْتَقَامَ لَكَ الَّذِي تَرِيدُ وَتَطْلُبُ ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ خِلَافٌ مِنَّا ، مَتَى دَعَوْتَنَا أَجْبَنَّاكَ ، وَمَتَى أَمَرْتَنَا أَطَعْنَاكَ » .

١٥٥ - خطبة الامام على

وَقَامَ الْإِمَامُ عَلِيُّ خَطِيبًا عَلَى مَنبَرِهِ ، يَحْرِضُ النَّاسَ وَيَأْمُرُهُمُ بِالْمَسِيرِ إِلَى صِفِّينَ ، لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ :

« سِيرُوا إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ ، سِيرُوا إِلَى أَعْدَاءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ ، سِيرُوا إِلَى بَقِيَّةِ الْأَحْزَابِ ^(١) ، وَقَتَلَةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ » .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ فَقَالَ لَهُ : أَتُرِيدُ أَنْ تَسِيرَ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ نَقْتُلُهُمْ كُفْلًا ، كَمَا سَرَتْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَتَلْتَهُمْ كُفْلًا ؟ هَا اللَّهُ ^(٢)

[١] يشير إلى الأحزاب التي تألقت واطأرت على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، وبنى مرة ، وبنى أشجع ، وبنى سليم ، وبنى أسد في غزوة الأحزاب - غزوة الخندق - التي كانت سنة خمس للهجرة ، وكانت عدّة الجميع عشرة آلاف مقاتل وقادهم العام أبو سفيان .

[٢] هي ها النبيه ، وهي تدخل على اسم الله في القسم عند حذف الحرف ، تقول : هَا اللَّهُ بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَوَصْلِهَا ، وَكَلَامِهَا مَعَ إِثْبَاتِ أَلْفِهَا وَحَذْفِهَا .

إذن لانفعل ذلك ، فقام الأشر فقال : من هذا المارق ؟ فَهَرَبَ الْفَزَارِيُّ ، واشتد الناس على أثره ، فَلَحِقَ فِي مَكَانٍ مِنَ السُّوقِ ، تباع فيه البراذين^(١) ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم ، حتى قُتِلَ ، فَأُتِيَ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقيل له : يا أمير المؤمنين قُتِلَ الرَّجُلُ ، قال : ومن قتله ، قالوا قتله همدان ومعهم شَوْبٌ^(٢) من الناس ، فقال : قَتِيلٌ عَمِيَّةٌ^(٣) لَا يُدْرَىٰ مَنْ قَتَلَهُ ، دِيئُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فقام الأشر فقال :

١٥٦ - خطبة الأشر النخعي

« يا أمير المؤمنين : لَا يَهْدِيَنَّكَ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا يُؤَلِّينَكَ مِنْ نَصْرِنَا مَا سَمِعْتَ من مقالة هذا الشقي الخائن ، إن جميع مَنْ ترى من الناس شيعتُك ، لَا يَرْتَدُّونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِكَ ، وَلَا يُحِبُّونَ الْبَقَاءَ بَعْدَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَسِرْ بِنَا إِلَىٰ عَدُوِّكَ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَىٰ الْبَقَاءَ مِنْ أَحَبِّهِ ، وَإِنَّا لَعَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّنَا ، وَإِنْ أَنْفُسَنَا لِنُتَمِّتَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَجْلُهَا ، وَكَيْفَ لَا نُقَاتِلُ قَوْمًا هُمْ كَمَا وَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ وَثَبَتْ عِصَابَةٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْسِ ، وَبَاعُوا خِلَاقَهُمْ^(٤) بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ » .

فقال عليٌّ : « الطريق مُشْتَرَكٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ ، وَمَنْ اجْتَهَدَ رَأْيَهُ

فِي نَصِيحَةِ الْعَامَةِ ، فَقَدْ قَضَىٰ مَا عَلَيْهِ » ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ .

[١] البراذين : الدواب جمع برذون . [٢] خايط . [٣] قتل عميا بكسر العين والميم مشددة

مع تشديد ألباء لم يدر من قتله . [٤] الحلاق : النصب الوافر من الخير .

١٥٧ - مقال من ثبطوه عن المسير

ولما أمر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المُعْتَمِّر العَبْسِيُّ ، وَحَنْظَلَةَ بن الرِّبِيع التَّمِيمِي ، في رجال كثير من غَطَفَانَ وبنى تميم ، فقال له حنظلة : « يا أمير المؤمنين : إنا قد مشينا إليك في نصيحة فاقبلها ، وَرَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فلا تردنه علينا ، فَإِنَا نُنْظَرُ نَا لَكَ وَلَمَنْ مَعَكَ ، أَقِمِّمْ وَكَاتِبِ هَذَا الرَّجُلِ ، وَلَا تَعْجَلْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنَا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي وَلَا نَدْرِي لِمَنْ تَكُونُ الْعَلْبَةُ إِذَا التَّقِيمُ ، وَلَا عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ^(١) »

وقال ابن المعتم مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معها بمثل كلامهما .

١٥٨ - رد الامام عليهم

فحمد على عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال : « أما بعد : فَإِنَّ اللَّهَ وَارِثُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَرَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، يُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، أَمَا الدَّبْرَةُ ، فَإِنَّهَا عَلَى الضَّالِّينَ الْعَاصِينَ ، ظَفَرُوا أَوْ ظَفَرِ بِهِمْ ، وَإِيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَاهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا » .

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء والله ما آثروك بنصح ، ولا دخلوا عليك إلاَّ

بنفس ، فاحذرهم ، فإنهم أدنى العدو » .

[١] الدبرة بسكون الباء وفتحها الهزيمية في القتال

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكتب معاوية ، فادفعه إلينا نجسه ، حتى تنقضي غزاتك وتتصرف » .
وقام من بنى عبس قائدُ بن بكير ، وعيَّاش بن ربيعة ، فقالا :
« يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المعتم قد بلغنا أنه يكتب معاوية ، فاحبسهُ أو مكِّننا مِنْ حَبْسِهِ ، حتى تنقضي غزاتك ثم تتصرف » .
فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »
فقال لهما علىُّ عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أكلِّمكم ، وبه أستظهر عليكم ، اذهبوا حيث شئتم » (١) .

١٥٩ - خطبة عدى بن حاتم الطائي

وقام عدىُّ بن حاتم الطائي ، بين يدي علىِّ عليه السلام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما قلتَ إلا بعلم ، ولا دَعَوْتَ إلا إلى حق ، ولا أمرت إلا برُشد ، ولكن إذا رأيت أن تستأني^(٢) هؤلاء القوم وتستديهم ، حتى تأتيهم كتبك ، وتقدِّم عليهم رُسُلك ، فعمَلتَ ، فإن يقبلوا يُصِيبوا رُشدهم ، والعافية أوسعُ لنا ولهم ، وإن يتأدوا في الشقاق ، ولا يَنزِعُوا عن العيِّ ، نَسِر إليهم ، وقد قدَّمنا إليهم العذر ، ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق ، فوالله لهم من الحق أبعَدُ ، وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم أمْسَ بناحية البصرة ، لما دعوناهم

[١] هذا وقد خرجا إلى معاوية في رجال من قومهما ، ولكنهما لم يقابلا معه واعتزلا الفريقين جميعاً

[٢] تنتظر .

إلى الحق فتركوه ، ناوخنهم بَرَاكَاءَ القتال ^(١) ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

١٦٠ - خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حُصَيْنِ الطائي - وكان من أصحاب البرانس المجتهدين - فقال :
 « الحمد لله حتى يَرْضَى ، ولا إله إلا الله رَبُّنَا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا تَصْلُحُ لنا النِّيَّةُ في قتالهم حتى نستديهم ونستأنهم ، فما الأعمال إلا تَبَاب ^(٢) ، ولا السعى إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » إننا والله ما ارتبنا طَرْفَةَ عين فيمن يتبعونه ، فكيف باتباعه القاسية قلوبهم ، التقليل من الإسلام حَظُّهم ، أعوان الظلمة ، وأصحاب الجور والعدوان ؟ ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .
 فقام رجل من طي فقال : « يا زَيْدُ بنَ حِصِينِ ، أكلامُ سيدنا عدِي بن حاتم يُهَجِّن ^(٣) ؟ » فقال زيد : « ما أنتم بأعرفَ بحقِ عَدِيِّ مَنِي ، ولكني لا أدع القول بالحق وإن سَخِطَ الناس . »

١٦١ - خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام علي فقال :
 « يا أمير المؤمنين ، أئن كنا على الحق لأنت أهدانا سبيلا ، وأعظمنا في الخير نصيباً ، ولئن كنا على ضلال إنك لأثقلنا ظهراً ^(٤) ، وأعظمنا وزراً ، قد

[١] براكاء القتال وبروكاء : موضع اصطدام القوم ، وناوخنهم مفاعلة من أناخ الإبل إذا أبركها ، والمعنى التقينا وإياهم في ساحة القتال . [٢] خمران . [٣] يقح . [٤] لأنه حينئذ يكون أكثرهم ذوباً .

أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية، وأظهرنا لهم العداوة، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك، أليس الذي نحن عليه هو الحق المبين، والذي عليه عدونا هو الحوب^(١) الكبير؟»

فقال عليه السلام: «بلى، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا، صحيح النية في نصرنا، قد قطعت منهم الولاية، وأظهرت لهم العداوة، كما زعمت، فإنك ولي الله تسبح في رضوانه، وتركض في طاعته، فأبشر أبا زينب» وقال له عمار بن ياسر: «أثبت أبا زينب، ولا تشك في الأحزاب أعداء الله ورسوله» فقال أبو زينب: «ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة، شهيداً لي عما سألت من هذا الأمر الذي أهمني مكانكما».

١٦٢ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي^(٢) على علي عليه السلام فقال: «يا أمير المؤمنين: نحن أولو جهاز^(٣) وعدة، وأكثر الناس أهل قوة، ومن ليس به ضعف ولا علة، فمر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة، فإن أخوا الحرب ليس بالسئوم ولا التئوم، ولا من إذا أمكنته الفرص أجلمها، واستشار فيها، ولا من يؤخر عمل الحرب اليوم لغد، وبعد غد».

١٦٣ - خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر:

«لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين، وقال ما يعرف، فتوكل»

[١] الحوب بالفتح والضم: الإيم. [٢] نسبة إلى أرحب: وهي قبيلة من ممدان.

[٣] جهاز السافر والروس والبيت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه.

على الله وثيق به ، واشتخص بنا إلى هذا العدو راشداً مماناً ، فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك ، رغبةً عنك إلى من ليس له مثلُ سابقتك وقدمك ، وإلا يُنهبوا ويقبلوا ، وأبوا إلا حرّ بنا نجد حرّ بهم علينا هُتْناً ، ونرجو أن يصرّعهم الله مصارع إخوانهم ثم^(١) بالأمس . »

١٦٤ — خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة^(٢) ، وحُباً للأثرة^(٣) ، وضمناً بسطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحن^(٤) في نفوسهم ، وعداوةٍ يجدونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وأخوانهم » ثم التفت إلى الناس فقال : « كيف يبايع معاوية علياً ، وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدّه عتبة ، في موقف واحد^(٥) ؟ والله ما أظنهم يفعلون ، وإن يستقيموا لكم دون أن تُقصّف فيهم قننا المران^(٦) ، وتقطع على هامهم^(٧) السيوف ، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد ، وتكون أمور جمة بين الفريقين . »

[١] هالك يريد البصرة . [٢] الأسوة بالضم والكسر القدوة : أي فرارا من أن يكونوا تابعين لك مسودين وأن تكون لهم إماما وسيدا . [٣] استأثر على أصحابه اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثرة . [٤] جمع إحنة ، وهي الحقد والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحن : أي من أجلها . [٥] هو جدّه لأمه عيبة بن أبي ربيعة ، وقد قتلهم على يوم بدر . وفي كتاب بعث به الامام إلى معاوية يقول : « فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف ممي » . [٦] القنا : الزمخ جمع قناة ، والمران : الرماح الصلبة اللدنة الواحدة مرانة ، وشجر ، والإضامة على المعنى الأوّل على حدّ قوله تعالى « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » — إن فسر العرم بالمطر الشديد — (وفسر أيضا بالأحباس والسهود تبنى في الأودية ، وبالجرذ ، وبواد جاء السيل من قبله) وعلى المعنى الثاني : أي القنا المنحذة من الشجر . [٧] الهام جمع هامة : وهي الرأس .

١٦٥ - أدب الامام علي ، وكرم خلقه

وخرج حُجْر بن عَدِيٍّ ، وعمرو بن الحَمِيْتِ ، يُظْهِرَانِ البراءة من أهل الشام ، فأرسل عليٌّ عليه السلام إليهما أَنْ كُفِّمَا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا : « يا أمير المؤمنين : ألسنا مُحَقِّقَيْنِ ؟ » قال : بلى ، قالا : « أو ليسوا مُبْطِلَيْنِ ؟ » قال : بلى ، قالا : « فإِلمَ مَنْعَتَنَا من شتمهم ؟ » قال :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَتَامِينَ ، تَشْتُمُونَ وتَبْرءُونَ ، ولكن لو وصفتهم مساوئِ أَعْمَالِهِمْ قُلتُمْ : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن أَعْمَالِهِمْ كذا وكذا ، كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقُلتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وبراءتكم منهم : اللَّهُمَّ احْصِنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَنَا ، واهدِم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحقَّ منهم مَنْ جَهَلَهُ ، ويرعوى عن الغي والعدوان منهم من لَهَجَ بِهِ ، لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَخَيْرًا لَكُمْ . »

فقالا : يا أمير المؤمنين ، نقبل عظمتك ، وتأدب بأدبك .

١٦٦ - مقال عمرو بن الحمق

وقال له عمرو بن الحَمِقِ يومئذ :

« وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي مَا أَحْبَبْتُكَ وَلَا بَايَعْتُكَ عَلَى قَرَابَةِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، وَلَا إِرَادَةِ مَالٍ تُؤْتِينِيهِ ، وَلَا التَّمَسُّكِ سُلْطَانِ تَرْفَعُ ذِكْرِي بِهِ ، وَلكِنِّي أَحْبَبْتُكَ بِخِصَالِ خَمْسٍ ، إِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَوَصِيِّهِ ، وَأَبُو الذَّرِيَّةِ ، الَّتِي بَقِيَتْ فِينَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَسْبَقَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَعْظَمَ الْمُهَاجِرِينَ سَهْمًا فِي الْجِهَادِ ، فَلَوْ أَنِّي كَلَّفْتُ نَقْلَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي ، وَنَزَحَ

البحور الطوامى^(١)، حتى يأتى على يومى فى أمر أقوى به وليك ، وأهين
عدوك ، ما رأيت أنى قد أدبت فيه كل الذى يحق على من حقا .

فقال على عليه السلام : « اللهم نور قلبه بالتقى ، واهده إلى صراطك
المستقيم ، ليت أن فى جندى مائة مثلك » . فقال حجر : إذن والله يأمر المؤمنين
صح جنلك ، وقل فيهم من يعشك .

١٦٧ - مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

« يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهها الذين نلقها^(٢) وننتجها ، قد
ضارستنا^(٣) وضارسناها ، ولنا أعوان وعشيرة ذات عدد ، ورأى مجرب ، وبأس
محمود ، وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة ، فإن شرقت شرقتنا ، وإن غربت
غربنا ، وما أمرتنا به من أمر فعلنا » .

فقال على عليه السلام : « أكل قومك يرى مثل رأيك ؟ » قال ما رأيت
منهم إلا حسناً ، وهذه يدى عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة ، فقال له على
عليه السلام خيراً .

١٦٨ - مقال هاشم بن عتبة

وقال زياد بن النضر الحارثى لعبد الله بن بديل الخزاعى :

« إن يومنا ليوم عصبصب^(٤) ، ما يصبر عليه إلا كل مشبع القلب ،
صادق النية ، رابط الجأش ، وإيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقئ منهم ولا منا

[١] جمع طامى . طمى البحر إذا امتلأ . [٢] أصله من ألحح الفعل الناقاة . [٣] ضرسته
[٤] أى شديد .

إلا الرُّذَالُ^(١)» فقال عبد الله بن بديل: أنا والله أظن ذلك، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام، فقال لهما: «ايكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما، لا تُظهراه، ولا يسمعه منكما سامع، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكل آتية مَنِيَّتُهُ كما كتب الله له، فطوبى للمجاهدين في سبيله، والمقتولين في طاعته» فلما سمع هاشم بن عُثْبَةَ ما قاله أتى علياً عليه السلام فقال:

«سر بنا يا أمير المؤمنين، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله، بغير رضا الله، فأحلوا حرامه، وحرّموا حلاله، واستهوى^(٢) بهم الشيطان، ووعدهم الأباطيل، ومنّاهم الأمانى، حتى أزاعهم عن الهدى، وقصد بهم قصد الردى، وحبّب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دينهم رغبةً فيها، كرغبتنا في الآخرة، وانتجاز موعده ربنا، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً، وأفضل الناس سابقةً وقدماً، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذي نعلم، ولكن كتب عليهم الشقاء، ومالت بهم الأهواء، وكانوا ظالمين، فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منسرحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك على من خالفك، وتولّى الأمر دونك، جَذَلَةً، والله ما أحب أن لى ما على الأرض، فما أقلت^(٣)، ولا ما تحت السماء فما أظلمت، وأنى واليت عدواً لك، وعاديت وإياً لك».

فقال على عليه السلام: «اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والمواقفة لنبيك»

[١] الدون: الخسيس أو الردى من كل شيء. [٢] استهوى: استماله والفعل متعدّ ومفعوله هنا مخدوف: أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم - فالباء للسببية - [٣] أى حمت .

١٦٩ - خطبة الامام علي

ثم إن عليا عليه السلام صعد المنبر، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد، فبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجّزوا موعوده، واعلموا أن الله جعل أمّاس^(١) الإسلام متينة، وعُراه وثيقة، ثم جعل الطاعة حظّ الأنفس ورضا الرب، وغنيمة الأكياس^(٢) عند تقرّيب العجزة، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها، ولا قوة إلا بالله، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سقه^(٣) نفسه وتناول ما ليس له، وما لا يدركه، معاوية وجنده، الفئة الطاغية الباغية، يقودهم إبليس، ويبرق لهم يارق تسويفه، ويدلّهم^(٤) بغروره، وأنتم أعلم الناس بالحلال والحرام، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمّاته، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس^(٥) عنى، وقال في غيرى كفاية، فإن الذود إلى الذود إبل^(٦) : (وَمَنْ لَا يَذُذْ عَنْ حَوْضِهِ يَتَهَدِّمُ)

ثم إنى أمركم بالشدة في الأمر، والجهاد في سبيل الله، وأن لا تقآبوا مساماً، وانتظروا النصر العآجل من الله، إن شاء الله .

[١] جمع مرس بفتحتين، ومرس جمع مرسة بفتحتين أيضاً : وهو الحبل . [٢] جمع كيس : وهو ضدّ الأحمق . [٣] أصله سفهت نفسه، فلما حوّل الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنه صار في معنى سفه نفسه بالتشديد، ومثله : رشد أمره وبطر عيشه . [٤] أى يحطهم عن منزلتهم . قال تعالى : « فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ » [٥] تأخر وتقاعد . [٦] الذود : ثلاثة أبسرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أى إذا جعت القليل مع القليل صار كثيراً فألى بمعنى مع .

١٧٠ - خطبة الحسن بن علي

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :

« الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدّى شكره ، ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا الله ولكم ، إنه لم يجمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدهم ، فاحتشدوا فى قتل عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تخاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط ^(١) القلوب ، وإن الإقدام على الاسنة نخوة وعصمة ، لم يتمنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح الذلة ، وهداهم إلى معالم الملّة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

١٧١ - خطبة الحسين بن علي

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل الكوفة : أتمم الأعبة الكرماء ، والشّعار ^(٢) دون الدثار ، جدّوا فى إطفاء ما وتر ^(٣) بينكم ، وتسهيل ما توعّر عليكم ، ألا إن الحرب شرها ورّيع ^(٤) ، وطعمها فظيع ، فمن أخذ لها أهبتها ، واستعد لها عدتها ، ولم يالم كلومها ^(٥) قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه فيها ، فذاك قين ^(٦) أن لا ينفع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوته أن يدعّمكم بالفيئة ^(٧) » ثم نزل .

(شرح ابن الحديد م ١ : ص ٢٧٨)

[١] عرق غليظ ينط به القلب إلى الوتين ، جمعه أنوطة . « والوتين عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه جمه أوتنة » . [٢] الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما فوق الشعار من الشباب . [٣] الوتر والنزة : الثأر ، وتره يتره ، ووتره حقه : تقصه إياه ، ووتره : أدركه بكرهه . [٤] الورّيع : الكاف . أى أن شرّها عظيم يدعو الناس إلى أن يكذبوا عن خوض غمارها . [٥] كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . [٦] جدير وحقيق . [٧] الفيئة : بفتح الفاء وكسرهما ، والى : النعمة ، أى نسأل الله أن يقويكم بما تقننوا من عدوكم .

وفد على على معاوية

بعد أن نزل الإمام علىّ كرم الله وجهه بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن مُحَصَّن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمدانيّ ، وشبّث بن ربعيّ التيميّ ، فقال : ائتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي : يا أمير المؤمنين : ألا تُظمِّمُه في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثرٌ عندك ، إن هو بايعك؟ فقال علىّ : ائتوه فالتقوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيه ؟ - وهذا في أوّل ذى الحجة سنة ٣٦ هـ - فأتوه ، ودخلوا عليه .

١٧٢ - خطبة بشير بن عمرو

فحمد الله أبو عمرة بشير بن عمرو ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدّمت يداك ، وإني أنشدك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها » .

فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمرة :

« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقُّ البرية كلها بهذا الأمر ، في

الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقربة من الرسول صلى الله عليه وسلم ،

قال : فيقول ماذا؟ قال : يأمرك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وإجابة ابن عمك إلى

ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك » .

قال معاوية : « وَ نُظِلْ دم عثمان رضى الله عنه ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً ،

فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شبث بن ربعي ، فتكلم :

١٧٣ - خطبة شبت بن ربيع

فحمد الله، وأثنى عليه، وقال :

« يا معاوية ، إني قد فهمت ما رددت على ابنِ مُحْصَن ، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزرو وما تطلب ، إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلا قولك : « قُتِلَ إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه » ، فاستجاب له سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورُبَّ متمنى أمر وطالبه ، الله عز وجل يحول دونه بقدرته ، وربما أُوتى المتمنى أمنيته ، وفوق أمنيته ، والله ما لك في واحدة منهما خير ، لئن أخطأت ما ترجو ، إنك لشر العرب حالاً في ذلك ، ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلي^(١) النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله . »

١٧٤ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن أول ما عرفت فيه سفهك ، وخفة حاكمك ، قطعك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقه ، ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به ، فقد كذبت ولوّمت^(٢) ، أيها الأعرابي الجلف^(٣) الجاني ، في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف »
وغضب وخرج القوم وشبت يقول : أفعلينا شهول بالسيف ؟ أقسم بالله

[١] صلي النار : كرمى ، وصلّى بها صلوا بكسر الصاد وضمها ، قاسى - رما .

[٢] لامة لوماً : عزله ، وألامه ولوّمه بالبالغة . [٣] الجف : الرجل الجاني .

لِيُعْجَبَنَّ بِهَا إِلَيْكَ ، فَأَتَوْا عَلِيًّا ، وَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِهِ ، فَأَخَذَ عَلَى يَأْمُرِ
الرَّجُلِ ذَا الشَّرْفِ فَيُخْرِجُ مَعَهُ جَمَاعَةً ، وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ مَعَاوِيَةَ آخَرَ مَعَهُ
جَمَاعَةً ، فَيَقْتَتِلَانِ فِي خَيْلِهِمَا وَرِجَالِهِمَا ، ثُمَّ يَنْصَرِفَانِ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَلْقَوْا
بِجَمْعِ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَهْلَ الشَّامِ ، لَمَّا يَتَخَوَّفُونَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِئْصَالَ
وَالهَلَاكُ . (تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٢)

وفد عليّ الى معاوية أيضا

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ توادعا عليّ ترك الحرب في الحرّم إلى انقضائه، طمعاً في الصلح
واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث عليّ عدي بن حاتم ، ويزيد بن
قيس ، وشبث بن ربعي ، وزيايد بن خصفة إلى معاوية .

١٧٥ - خطبة عدي بن حاتم

فاما دخلوا حمد الله عدي بن حاتم ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأمتنا ،
ويحقن به الدماء ، ويؤمن به السُّبُل ، ويصلح به ذات البين ، إن ابن عمك
سيّد المسامين ، أفضلها سابقاً ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له
الناس ، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذي رأوا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير من معك ،
فانتبه يا معاوية ، لا يصبك الله وأصحابك يومٍ مثل يوم الجمل » .

١٧٦ - جواب معاوية

فقال معاوية : « كأنك إنما جئت متهدداً ، لم تأت مُصلحاً ! هيئات

ياعدى، كلاً والله، إني لأبني حرب^(١) ما يُقْتَعَم^(٢) لي بالشنان، أما والله إنك لمن
المُجْلِبِينَ على ابن عفان رضى الله عنه، وإنك لمن قَتَلْتَهُ، وإني لأرجو أن تكون
ممن يُقْتَلُ^(٣) الله عز وجل به، هيهات يا عدي بن حاتم، قد حَلَمْتُ بالساعد
الأشد^(٤) .

فقال له شبت بن ربعي وزيد بن خصفة - وتنازعا جواباً واحداً -
« أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فأقبلت تضرب لنا الأمثال، دع ما لا يُنتفع
به من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمئنا وإياك نفعه^(٥) . »

١٧٧ - خطبة يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بعثنا به إليك، ولِنُؤدِّيَ عنك ما سمعنا منك،
ونحن - على ذلك - لن ندع أن ننصح لك، وأن نذكر ما ظننا أن لنا عليك به
حُجَّة، وأنك راجع به إلى الألفة والجماعة، إن صاحبنا من قد عرفت وعرف
المسامون فضله، ولا أظنه يخفى عليك، إن أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلى،
ولن يُميلوا^(٥) بينك وبينه، فأتق الله يامعاوية، ولا تخالف علياً، فإنا والله ما رأينا
رجلاً قطُ أعملَ بالتقوى، ولا أزهَدَ في الدنيا، ولا أجمعَ لحِصالِ الخير كلها منه^(٦) . »

١٧٨ - خطبة معاوية

خمد الله معاوية وأثنى عليه، ثم قال :

[١] هو جدّه . [٢] النعمّة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت ، والشنان جمع شن بالفتح ،
وهو القرية البالية ، وإذا قمع بالشنان للإبل نفرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لا يفتقه له .
[٣] أى يقتله . [٤] يعنى بذلك قوّة استمداده للقتال وتأهبه له .
[٥] التميل بين الشيئين ، كالترجيح بينهما .

« أما بعد : فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمعنا هي ، وأما الطاعة لصاحبكم فإننا لا نراها ، إن صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرق جماعتنا ، وآوى ثأرنا ^(١) وقتلتنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ، فنحن لانرد ذلك عليه ، أرايتم قتلة صاحبنا ، أستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة » .

فقال له شبت : أيسرك يا معاوية أنك أمكنت من عمار ^(٢) تقتله ؟ فقال

[١] الثأر : قاتل حبيك .

[٢] هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة . اللهم اغفر لآل ياسر » ومراد شبت بهذا القول إخراج معاوية . أقوله عليه الصلاة والسلام لعمار : « تفلك الفئة الباغية » : أى إلك يا معاوية إن قتلت عمارا - وكان من أصحاب على - كنت من الفئة الباغية ، وتفصيل الخبر فى ذلك ما روت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : « لما نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر بالابن يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام ووضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أروديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون .

لئن قعدنا والبي يعمل ذاك إذن لعل مضال

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظما متظما ، فكان يحمل اللينة ويجامى بها عن ثوبه ، فاذا وضعها رفض كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فاذا أصابه شيء من التراب نفضه وطهر إليه على رضى الله عنه فأشد :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها راکها وساجدا

وفاعما طورا وطورا قاعدا ومن يرى عن التراب حائدا

فسمها عمار بن ياسر جعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يا بن سمية (وسمية أمه) ما أعرفنى عن تعرض ، ومعها جريدة ، فقال لتسكف أو لأعترض بها وجهك ، فسمعه النبي وهو جالس فى ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنى » فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مى ، وأشار بيده فوضعها بين عينيه فكف الناس عن ذلك ، وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب فيك ، ونحاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أما أرضيه كما عصب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله ماى ولأصحابك ؟ قال : مالاك ولهم ؟ قال يريدون قتلى ، يحملون لينة ويحملون على لبنين ، فأخذ به وطاف به فى المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول « يا بن سمية لا يقتك أصحابى ، ولكن تقتك الفئة الباغية » فلما قتل بصين ، وروى هذا الحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال : ونحن قتلنا أيضا حمرة لأنا أخرجناه (العقد الفريد ٢ : ٢٣٧)

معاوية : وما يعنى من ذلك ؟ والله لو أمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلته بعثمان
رضى الله عنه ، ولكن كنت قاتلهُ بناتِل مولى عثمان ، فقال شبت :

« وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَإِلَهُ السَّمَاءِ ، مَا عَدَلْتُ مَعْتَدِلًا ^(١) ، لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْدَرَّ ^(٢) الْهَامُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ
الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبِهَا ^(٣) » فقال له معاوية : « إنه لو قد كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الْأَرْضُ
عَلَيْكَ أَضِيقَ » وتفرَّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد
ابن خَصْفَةَ التَّمِيمِي نَحْلًا بِهِ .

فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أما بعد يا أخا ربيعة ، فإن علياً قطعَ أرحامنا ، وآوى قَتْلَةَ صاحبنا ، وإني
أسألك النصرِ بِأُسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثم لك عهدُ الله جلَّ وعزَّ وميثاقُه أن أوليك
إذا ظَهَرْتُ ^(٤) أَيُّ الْمَصْرِيِّينَ أَحْبَبْتَ ، قال زياد : فلما قضى معاوية كلامه حمدت
الله عزَّ وجلَّ وأثنت عليه ثم قلت : « أما بعد فإني على يَدِّئِنَّةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمَا
أَنْعَمَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيْرًا ^(٥) لِلْمَجْرَمِيْنَ » ثم قت . (تاريخ الطبري ٦ : ٢)



[١] أى إنك إذ عدلت عمّاراً بناتل مولى عثمان أى سويت بينهما لم تكن معتدلاً فى حكمك .
[٢] ندر الشيء كقدر ندورا : سقط من خوف شىء ، أو من بين أشياء ، فظهر ، والهام الر،وس :
جمع هامة . [٣] ارحب بالضم : الانساع . [٤] أى غلبت وانتصرت . [٥] معينا وناصرا .

وفد معاوية الى علي

ورمى معاوية الى علي حبيب بن مسلمة الفهري ، وشريحيل بن السمط ، ومعن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

١٧٩ - خطبة حبيب بن مسلمة

حمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله عز وجل ، وَيُنِيبُ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ، فاستنقلم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدّوتم عليه ، فقتلتموه رضى الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - تقتلهم به ، ثم اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يُؤَلِّي الناس أمرهم من أجمع عليهم رأيهم » .

فقال له علي بن أبي طالب : « وما أنت لا أم لك والعزل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هنك ، ولا بأهل له » فقام وقال له : « والله ترىني بحيث تكره » فقال علي : « وما أنت ولو أجببت بخيالك ورجلك ؟ لأبقي الله عليك إن أبقيت علي ، أحقره^(١) وسوءاً ، أذهب فصوب وصعد ما بدا لك » وقال شرحبيل بن السمط : « إني إن كلمتك فلعمرى ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به ؟ فقال علي : نعم . لك وإصاحبك جواب غير الذي أجبت به .

[١] في كتب اللغة : حقره حقراً بفتح الحاء وحقرية يضمها وتشديد الياء ولم أجد كلمة « حقرة » وأرى أنها مثل هزأة وضحكة ، يقال رجل هزأة بضم الهاء وسكون الزاي أى يمزأ به وضحكة كذلك أى يضحك به ، فالعنى أن تكون حقرة أى حقيراً وتسوءنى سوءاً .

١٨٠ - خطبة علي بن أبي طالب

خَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أما بعد ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ ، فَأَتَقَدَّ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَاتَّشَّ (١) بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَجَمَعَ بِهِ مِنَ الْفُرْقَةِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ النَّاسَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَاسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَحْسَنَّا السَّيْرَةَ ، وَعَدَلْنَا فِي الْأُمَّةِ ، وَقَدْ وَجَدْنَا (٢) عَلَيْهِمَا أَنْ تَوَلَّيَا عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَغَفَرْنَا ذَلِكَ لهُمَا ، وَوَلَّى عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَمِلَ بِأَشْيَاءَ عَابَهَا النَّاسُ عَلَيْهِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَتَانِي النَّاسُ وَأَنَا مَعْتَزِلٌ أُمُورَهُمْ ، فَقَالُوا لِي : بَايِعْ ، فَأَبَيْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لِي : بَايِعْ ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَرْضَى إِلَّا بِكَ ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ أَنْ يَفْتَرِقَ النَّاسُ ، فَبَايَعْتَهُمْ ، فَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا شَقَاقُ رَجُلَيْنِ قَدْ بَايَعَانِي (٣) ، وَخِلَافُ مَعَاوِيَةَ ، الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ عَزًّا وَجَلًّا لَهُ سَابِقَةً فِي الدِّينِ ، وَلَا سَلْفَ صِدْقٍ فِي الْإِسْلَامِ ، طَلِيقٌ (٤) بْنُ طَلِيقٍ ، حِزْبٌ (٥) مِنْ هَذِهِ الْأَحْزَابِ ، لَمْ يَزَلْ لِلَّهِ عَزًّا وَجَلًّا ، وَلرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمَسَامِينِ عَدُوًّا ، هُوَ وَأَبُوهُ ، حَتَّى دَخَلَا فِي الْإِسْلَامِ كَارْهَيْنِ ، فَلَا غَرْوَ (٦) إِلَّا خِلَافُكُمْ مَعَهُ ، وَانْقِيَادُكُمْ لَهُ ، وَتَدْعَاؤُنَا آلَ نَبِيِّكُمْ

[١] انتشل وأخرج . [٢] وجد عليه عضو . [٣] يعنى طلحه والزبير وما كان منهما من الخلاف عليه ، واضمهما إلى السيدة عائشة . [٤] الطلقاء : هم الذين عفا عنهم النبي عليه الصلاة والسلام بعد فتح مكة فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء . [٥] حزب بدل من طليق الثاني : أى ابن حزب من هذه الأحزاب التي تألبت وتظاهرت على حربه صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، وبنى مرة ، وبنى أشجع ، وبنى سليم ، وبنى أسد (في غزوة الأحزاب ، وهي غزوة الخندق سنة ٥ هـ) وكانت عدة الجميع عشرة آلاف مقاتل ، واندتم العام أبوسنيان . [٦] دلاعرو : أى لا يحب ، وقوله إلا خلافتكم معه : أى خلافتكم علىّ معه ، أو هو « خلافتكم معه » بالحاء أى مخالفتكم له ، ومباصرتكم إياه .

صلى الله عليه وسلم، الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم، ولأن تعدلوا بهم من الناس أحداً، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإماتة الباطل، وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولكل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة.» .

فقالا: «شهد أن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوماً» فقال لهما: «لا أقول إنه قتل مظلوماً، ولا إنه قتل ظالماً.» قالا: «فن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً، فنحن منه برآء» ثم قاما فانصرفا، فقال علي: «إنك لا تسمع الموتى، ولا تسمع الضم الدعاء إذا ولوا مدبرين، وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا، فهم مسلمون.» (تاريخ الطبرى ٦ : ٤)

التحريض على القتال من قبل معاوية

١٨١ - خطبة عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرم الله وجهه) يجهز الجيوش لقتاله، دعا عمرو بن العاص، فاستشاره، فقال: «أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك، ولا تنب عنه برأيك ومكيدتك.» قال: «أما إذ أبا عبد الله فجهز الناس.» نجاء عمرو فخصص الناس، وضعف علياً وأصحابه، وقال:

«إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم، وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدم، ثم إن أهل البصرة مخالفون العلى، قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صنابيرهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سارنى شزيمة قليلة، منهم من قد قتل خليفتم، فالله الله فى حقكم أن تضيموه، وفى دمكم أن تطلوه.» .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٦)

١٨٢ - خطبة أخرى لعمر بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفين ، يجرض أهل الشام
« وقد كان منحنياً على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القوي في ساططانه ، العلي في مكانه ، الواضح
في برهانه ، أئتمده على حُسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، في كل رزية من بلاء^(١) ،
أوشدة أورها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده
ورسوله ، ثم إنا نحتسب عند الله رب العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه
وسلم ، من اشتعال نيرانها ، واضطراب خيلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإننا لله وإنا
إليه راجعون . والحمد لله رب العالمين .

أولا تعاملون أن صلاتنا وصلاتهم ، وصيامنا وصيامهم ، وحجنا وحجهم ،
وقبلتنا وقبلتهم ، وديننا ودينهم واحد ؟ ولكن لأهواء مختلفة . اللهم أصاح هذه
الأمّة بما أصلحت به أولها ، واحفظ فيما بيننا ، مع أن القوم قد وطئوا بلادكم ،
وبغوا عليكم ، فخذوا في قتال عدوكم ، واستعينوا بالله ربكم ، وحافظوا على
حُرّماتكم^(٢) » ثم جلس . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤)

١٨٣ - خطبة معاوية بن أبي سفيان يجرض أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيباً ، فقال :

« أيها الناس : أعيرونا جماجمكم وأنفسكم^(٣) لا تقتلوا^(٤) ، ولا تتخاذلوا^(٥) ،

[١] البلاء : يكون عنة ، ويكون محبة . [٢] جمع حرمة ، وهي ملا يجل انتهاكها .
[٣] أي جودوا براءتكم ، ولا تبجلوا بفوسكم على القتل . [٤] في الأصل « لا تقتلوا » على
أن الفعل مجزوم بلا التامة ، وأراه محروفاً ، وإنما هو « لا تقتلوا » مجزوم في جواب الأمر ، أي إن
تسخوا يبذل رءوسكم ونفوسكم وتقاتلوا مستبسلين تنحوا من القتل . [٥] في الأصل « ولا تتعادلوا »
وأراه مصحفاً عن « ولا تتخاذلوا » أي لتتعاونوا ، ولا يخذل بعضكم بعضاً .

فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ أَخْطَارٍ، وَيَوْمُ حَقِيقَةِ وَحِفَاطٍ^(١)، إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ، وَبِأَيْدِيكُمْ حُجَّةٌ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مِنْ نَكَثِ الْبَيْمَةِ، وَسَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَازِرٌ، قَدَّمُوا أَصْحَابَ السَّلَاحِ الْمُسْتَأْمِنَةَ^(٢)، وَأَخْرَجُوا الْحَاسِرَ^(٣)، وَاحْمَلُوا بِأَجْمَعِكُمْ، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ وَمُظْلُومٌ.»

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨١)

١٨٤ - خطبة ذى الكلاع الحميرى^(٤)

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخطب الناس، ويحرضهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق، فعقد فرسه «وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً^(٥)» وخطب الناس فقال:

«الحمد لله حمداً كثيراً، نامياً واضحاً مُنيراً، بُكْرَةً وَأَصِيلاً، أحمده وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالعرفان إماماً، وبالهدى ودين الحق، حين ظهرت المعاصى، ودرست^(٦) الطاعة، وامتلات الأرض جوراً وضلالة، واضطربت الدنيا نيراناً وفتنة، وورك^(٧) عدو الله إبليس على أن يكون قد عبده فى أكنافها، واستولى على جميع أهلها، فكان محمد صلى الله عليه وآله هو الذى أطفأ الله به نيرانها، ونزع به أوتادها، وأوهن به قوى إبليس، وآيسه مما كان قد طمع فيه من ظفريهم، وأظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

[١] أى يوم محافظ على الأرواح والأعراض والأموال ودفاع عنها . [٢] استلام : لبس اللامة ، وهى الدرع . [٣] الحاسر من لامففر له ، ولادرع ، أولاجنة له . [٤] هو ذو الكلاع الأصغر سمع بن مأكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أذواء اليمن . [٥] أى شاماً ، وقدرأ . [٦] اتحت . [٧] ورك على الأمر وروكا : قدر .

ثم كَانَ من قضاء الله أَن ضَمَّ بيننا وبين أهل ديننا بصِفَتَيْنِ ، وإنا لنعلم أَن فيهم قوماً ، قد كَانَت لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سابقةٌ ذاتُ شأنٍ وَخَطَرَ عَظِيمٍ ، ولكنني ضربت الأمرَ ظهراً وبطناً ، فلم أَرِ يسعني أَن يُهْدَرَ دَمُ عثمان ، صِهْرُ نبينا صلى الله عليه وآله ، الذي جَهَّز جيشَ العُسرةِ ^(١) ، وألحق في مُصَلِّي رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله بيتاً ، وبني سِقَايَةَ ^(٢) ، وَبَايَع له نبيُّ الله بيده. اليمني على اليسرى ^(٣) ، واختصه بكرميتيه أمُّ كلثومَ وَرُقِيَّةَ ^(٤) ، فَإِن كَانَ

[١] وذلك أَنه في عزوة تبوك - وكانت سنة تسع للهجرة - أنهق في تجهيز الغاتلة من المسلمين عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقباها (والأحلاس جمع جلس بالكسر وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ، والأقبا جمع قتب بالتحريك وهو ما يوضع على سنام البعير) وحسب فرساً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم ارض عن عثمان ، فإنه راض عنه » وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجذب البلاد ، وسدّة الحرّ ، قال تعالى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ » أي وقتها ، وهي حالهم في تلك العزوة ، ذكروا أن الرجلين كانا يقتسمان تمر ، وأن العشرة كانوا يعجبون البعير الواحد . [٢] وذلك أَنه استترى بئر رومة (ضمّ الراء : بئر بالمدينة) ثم تصدّق بها على المسلمين ، فكان رشاؤه فيها كرشاء أحدهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من حفر بئر رومة لله الجنة » وأشرف عثمان رضى الله عنه على النوار حين حصره وسعوا الماء عنه ، فقال : « أنشدكم الله ، هل علمتم أَنى استترت رومة من مالى يسعدت بها ، شعلت رشاؤى منها كرشاء رجل من المسلمين ؟ قيل : نعم ، قال : فما معنى أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ؟ ثم قال : أنشدكم الله هل علمتم أَنى اشتريت كذا وكذا من الأرض مردته في المسجد ؟ قيل : نعم ، قال : فهل علمتم أحداً من الناس مع أَن يصلى فيه قلبى ؟ ثم قال : أنشدكم الله ، هل سمعتم نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا - أشياء في شأنه ، جعل الناس يقولون : مهلا عن أمير المؤمنين .

[٣] وذلك أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قصد إلى مكة في عروة الحديبية (سنة ست للهجرة) بعث عثمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشرف قريش يخبرهم أَنه إنما جاء زائراً لا يبيت ومعظماً لحرمة ، فخرج عثمان إلى مكة وبلغ الرسالة ، واحتسته قريش عندها ، فشاع عند المسلمين أَن عثمان قد قتل ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا تبرح حتى تاجز القوم ، ودعا المسلمين إلى البيعة على الموت ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وبايع عليه الصلاة والسلام لعثمان ، فضرب بيده اليمنى على يده اليسرى وقال : هذه يد عثمان .

[٤] تزوّج عثمان السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما مات جزع عثمان عليها وقال يا رسول الله انقطع صهري منك ، قال : إن صهركمى لا يقطع ، وقد أمرنى جبريل أن أزوجك أختها بأمر الله : السيدة أمّ كلثوم .

قد أذنب ذنباً ، فقد أذنب من هو خير منه ، قد قال الله سبحانه لنبيه: (لِيَغْفِرَ
لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وقتل موسى نفساً^(١) ، ثم استغفر الله
فغفر له ، وقد أذنب نوح^(٢) ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوكم آدم^(٣) ،

[١] ودك أنه و إبان شأنه بمصر دخل مدينة ميف ذات مرة ، فوجد فيها رجلين يقتتلان قبلياً يسخر
إسرائيلياً ليحمل حطباً إلى مطح فرعون ، فاستعانه الإسرائيلي ، فقال موسى للبطي خل سبيله ، فقال له
لقد هممت أن أجهلك ، فوكره موسى (أي ضربه بجمع كفه) وكان شديد القوة والبطش فقتله ، ولم
يكن يقصد قتله (وذكروا أنه كان إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة) وقد اغتم لتلك خوفاً من عقاب الله ،
ومن اتصاف فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ
غَنَائِمٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ،
فَأَسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ » (سورة طه).

[٢] يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنعان حين حدث الطوفان ، قال تعالى :
« وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ ، يَا بُنَيَّ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّ مَعَكَ الْكَافِرِينَ ،
فَالسَّآوِي إِلَى جَهَنَّمَ يَنْصُرُوكَ مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ،
وَخَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُهْرَقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ
إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي (أي وقد وعدتني بنجاتهم) وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنْ أَعْطَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ
مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . « سورة هود »

[٣] وذلك أنه إذ أسكنه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، نهاه أن
يقرب شجرة عندها له ، فوسرس له إبليس أن يأكل منها فأطاعه ، وفي ذلك يقول الله تعالى :
« وَيَا أَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يَمُرُّ أحدكم من الذنوب ، وإنا لعلم : قد كانت لابن أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مالا^(١) على قتل عثمان فقد خذله ، وإنه لأخوه في دينه ، وابن عمه ،^(٢) وسلفه ،^(٣) وابن عمته^(٤) ، ثم قد أقبلوا من عراقهم ، حتى نزلوا شامكم وبلادكم وَيَبْضَتَكُمْ^(٥) ، وإنما عامتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أيها الأمة ، ولقد رأيت في منامي في ليالي هذه ، لَكُنَّا وَأَهْلَ الْعِرَاقِ أَعْتَوْرْنَا^(٦) مُصْحَفًا نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعا ننادى : وَيَحْكُمُ اللَّهُ ! ومع أنا والله لا نفارق العرصة^(٧) حتى نموت ، فعليكم بتقوى الله ، وليكن الثبات لله ، فإنني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يُبْعَثُ الْمُقْتَلُونَ عَلَى الثَّبَاتِ » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزنا لنا ولكم النصر ، وكان لنا ولكم في كل أمر ، وأستغفر الله لى ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

١٨٥ - خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يحطّب الناس بصفين ، وعليه قباه

سوء انهما وقال ما نهاكمما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . «سورة الأعراف» [١] ناصر وشايع . [٢] عثمان بن عفان بن أبي العاص

ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

[٣] الساف بفتح فسكون وبكسر فسكون من الرجل : زوج أخت امرأته وقد علمت أن عثمان تزوج

السيدة ربيعة أخت السيدة فاطمة زوج الإمام علي . [٤] أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة

ابن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عمه النبي صلى الله عليه وسلم .

[٥] البيضة : ساحة القوم . [٦] اعتوروا الشيء : تداولوه . [٧] العرصة : كل بقعة بين

الدور واسعة ليس فيها بناء .

من خَزِيٍّ وعمامة سوداء ، آخذاً بقائم سيفه ، واضعاً نَصْلَ السَّيْفِ فِي الْأَرْضِ متوكئاً عليه ، فقال :

« الحمد لله الواحد الفرد ، ذى الطَّوْلِ ^(١) والجَلَالِ ، العزيز الجَبَّار ، الحكيم الغَفَّار ، الكبير الْمُتَعَالِ ، ذى الْعَمَاءِ وَالْفَعَالِ ^(٢) ، وَالسَّخَاءِ وَالنَّوَالِ ، والبهاء والجمال ، وَالْمَنِّ وَالْإِفْضَالِ ، مَالِكِ الْيَوْمِ الَّذِي لَا يَبِيعُ فِيهِ ^(٣) . وَلَا خِلَالَ ^(٤) ، أحمده على حسن البلاء ، وتظَاهُرِ النِّعْمَاءِ ، وفي كل حال من شدة أو رخاء ، أحمده على نِعْمَةِ التَّوَامِ ، وآلأنه الْعِظَامَ ، حمداً يستنير بالليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة النِّجَاةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وعند الوفاة ، وفيها الخلاص يوم الْقِصَاصِ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى ، وإمام الرِّحْمَةِ والهدى ، صلى الله عليه وآله .

ثم كَانَ من قضاء الله أن جَمَعْنَا وأهلَ دِينِنَا فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ من الْأَرْضِ ، والله يعلم أنى كنت كَارِهًا لذلك ، ولكنهم لم يُبْلِعُونَا رِيقَنَا ، ولم يتركونا نرتادُ لَأَنْفُسِنَا ، وننظر لِمَاعَادِنَا ، حتى نزلوا بينَ أَطْرُفِنَا ، وفي حريمنا وَبَيْضَتِنَا ^(٥) ، وقد علمنا أَنَّ فِي الْقَوْمِ أَحْلَامًا ^(٦) وطغاما ، ولسنا نأمن طغامهم على ذَرَارِيَّتِنَا ونسائنا ، ولقد كنا نحب أن لا تقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم عِدَا حَمِيَّةٍ ^(٧) ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين .

[١] الطول : الفصل والقدرة والنبي . [٢] الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم .

[٣] لا يبيع فيه ميثاق المصر ما يتدارك به تفسيره ، أو يفدى به نفسه . [٤] الخلالة والمحالة مصدر

حالٌ : المصادفة ، أى ولا محالة فيه فينبفح لك خليلك . [٥] البيضة : ساحة القوم .

[٦] الحلم بالكسر : الأناة والعقل وهو حلِيم ، واجمع حلماء وأحلام ، والطفام : أوعد الناس .

[٧] الحمية : الأنفة (وى الأصل عدأ ، وأرى صوابه عدأ أى أعداء) .

أما والذي بعث محمداً بالرسالة لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ مِنْذُ سَنَةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا لَمْ يَسْتَطِعْ الْعِبَادُ رَدَّهُ ، فَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٥)

التحريض على القتال

من قبل الإمام عليّ أيضاً

١٨٦ - خطبة الامام علي

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه أصحابه ، متوكئاً على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يَلُونَهُ ، كأنه أحبّ أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ الْخِيَلَاءَ ^(١) مِنَ التَّجْبِرِ ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ ^(٢) مِنَ التَّكْبُرِ ، وَإِنَّ

الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ ، يَمِدُّ كَمِ الْبَاطِلِ ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَا تَنَابَذُوا ، وَلَا تَحَاذِلُوا ، أَلَا إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُئِلَهُ قَاصِدَةٌ ^(٣) ، مِنْ أَخْذِهَا لِحَاقٍ ^(٤) ،

وَمِنْ فَارِقِهَا مُحِقٍ ^(٥) ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَّقٌ ^(٦) ، لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا أَوْثَمِنَ ، وَلَا بِالْمُخْلِفِ إِذَا وَعَدَ ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا

الصِّدْقُ ، وَفَعَلْنَا الْفَضْلُ ، وَمَنَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا حَمَلَةُ الْكِتَابِ ، أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوهِ ، وَالشَّدَةِ فِي

أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحِجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ الْفِيءِ عَلَى أَهْلِهِ ، أَلَا وَإِنْ مِنْ عَجَبِ الْعَجَائِبِ أَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ

[١] الخيلاء : الكبر . [٢] النخوة : الافتخار والتعظيم . [٣] اتقصد : استقامة الطريق .

[٤] أي أدرك رضا الله وثوابه . [٥] محقه : محاه ، ومحق الله الشيء ذهب ببركته .

[٦] أي خرج عن الدين ، وأصله من مرق السهم من الرمية مروفاً إذا خرج من الجانب الآخر .

أبي سفيان الأموي، وعمر بن العاص السهمي، أصبحا يُحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، ولقد علمتم أنني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط، ولم أعصيه في أمر، أقيه بنفسى في المواطن التي ينكص^(١) فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص^(٢)، بنجدة أكرمنى الله سبحانه بها وله الحمد، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن رأسه لفي حجرى، ولقد ولت غسلة يدي وحدي، ثقليبه الملائكة المقربون معي، وإيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨١)

١٨٧ — خطبة أخرى له

وروى أن الإمام علياً قال في هذه الليلة : حتى متى لانهاض القوم بأجمعنا ؟ فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض ، ولا يُنقض ما أبرم ، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار ، حتى لفت بيننا في هذا الموضع ، ونحن من ربنا بمرأى ومسمع ، ولو شاء لعجل النعمة ، ولكان منه النصر ، حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء والقرار ، « ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى » إلا إنكم لأقو العبدو غداً إن شاء الله ،

[١] نكص عن الأمر : أجم عنه .

[٢] جمع فريضة ، وهي لمة بين الجنب والكتف لانزال ترعد .

فأطيلوا الليلة الغيَامَ ، وأكثرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وأسألوا الله الصبر والنصر ،
وَالْقُوَّةَ بِالجِدِّ والحزم ، وكونوا صادقين . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٨١)

١٨٨ - ومن كلام له كرم الله وجهه

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صنين

« معاشِرَ المسامِين : اسْتَشْعِرُوا ^(١) الخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا
عَلَى الْمَوَاجِدِ ^(٢) ، فَإِنَّهُ أَنْبَى السِّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ^(٣) ، وَأَكْمَلُوا الْأُمَّةَ ^(٤) ، وَقَلِّقُوا
السِّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا ، قَبْلَ سَلِّهَا ^(٥) ، وَالْحَظُوا الْحَزَرَ ^(٦) ، وَاطْعَمُوا الشَّرَرَ ^(٧) ،
وَنَافِحُوا بِالطُّبِّ ^(٨) ، وَصَلُّوا السِّيُوفَ بِالْخَطَا ، وَاعْلَمُوا أَنْكُمْ بَعَيْنِ ^(٩) اللهُ ، وَمَعَ
ابنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوَدُوا الْكِرَّ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ،
فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطِيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامشَوْا إِلَى
الموتِ مَشْيًا سَجْحًا ^(١٠) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ ^(١١) الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ^(١٢) ،
فَاضْرَبُوا ثَبَجَهُ ^(١٣) . فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَأَمِينٍ فِي كِسْرِهِ ^(١٤) ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَيْبَةِ يَدَا ،

[١] استشعر : لس الشعر وهـ ما يلي البدن من الثياب ، وتحلبت : لبس الجلباب ، والمراد : لادعوا
الخشية والسكينة . [٢] الواجد جمع ناجد : أقصى الأضراس ، وبعض المرء نواخذة حين يشتد
عيطه ، والمراد : استحمموا كل قوتكم . [٣] فإنه أنبى الضمير فيه يعود على المصدر المفهوم من الفعل
السابق أي فإن العوض على الواجد أنبى للسيف ، أي أدعى إلى نوبها عن رءوسكم ، نأ السيف عن
الضريبة : كل ، والهام : الرموس جمع هامة . [٤] الأمة : الدرع ، ويجوز أن يعبر بالأمة عن
جميع أدوات الحرب ، يريد أكلوا السلاح . [٥] محافة أن تستعصى عن الخروج وقت سلهما .
[٦] الحزر : النثر في أحد الثقبين ، وتلك أمانة النض . [٧] الطعن في الجوانف يميناً وشمالاً .
[٨] ناخوا : كلفوا وضاربوا ، والطبا : جمع طبة ، وهي حد السيف . [٩] أي ماجوظين بها .
[١٠] الابن السهل . [١١] العدد الكثير . يعني جمهور أهل الشام . [١٢] الرواق : كسر
الراء وضها الفسطاط ، يريد به مضرب معاوية المطب ، أي المشدود بالأظناب (جمع طناب بضم تن ، وهو
الجل) وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام .
[١٣] أي وسطه . [١٤] جانبه .

وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا ^(١) ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَنْتُمْ
الْأَغْلُونَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ ^(٢) أَعْمَالِكُمْ . (نهج البلاغة : ١ : ٥٧)

١٨٩ - خطبة أخرى للامام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تُنْجِيكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ،
وَتُشْفِي ^(٣) بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ ، إِيْمَانِ بِاللَّهِ وَرِسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ
مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ ، وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ،
وَأَخْبَرَكُمْ بِالذِّي يُحِبُّ فَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ،
كَأَنَّهُمْ بُدِيَانٌ مَرْصُوصٌ) فَسَوْوَا صَفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ،
وَأَخَّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوْا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِّلسَيْفِ عَنِ الْمِهْمِ ، وَأَرْوَطَ
لِلجَاشِ ، وَأَسَكَّنَ لِلقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتِ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدَ لِلقَتْلِ ، وَأَوْلَى بِالوَقَارِ ،
وَالتَّوَوُّوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَإِنَّهُ أَمَوَّرَ ^(٤) لِلأَسِنَّةِ ، وَرَايَتِكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا ، وَلَا
تُزِيلُوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شَجْعَانِكُمْ ، الْمَانِعِي الذَّمَّارِ ^(٥) ، وَالصُّبْرِ عِنْدَ نَزْوِلِ
الْحَقَائِقِ ، أَهْلَ الْحِفَاطِ الَّذِينَ يَخْفِرُونَ ^(٦) بِرَايَتِكُمْ وَيَكشِفُونَهَا ، يَضْرِبُونَ خَلْفَهَا
وَأَمَامَهَا ، وَلَا يُضَيِّعُونَهَا ، أَجْزَأُ كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قِرْنَهُ ^(٧) ، وَوَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ،
وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ ، فَيَجْمَعُ عَلَيْهِ قِرْنَهُ وَقِرْنَ أَخِيهِ ، فَيَكْسِبُ بِذَلِكَ اللَّائِمَةَ ،
وَيَأْتِي بِهِ دِنَاءَةً ، أَنْتَى هَذَا ، وَكَيْفَ يَكُونُ هَكَذَا ؟ هَذَا يَقَابِلُ اثْنَيْنِ ، وَهَذَا مُمْسِكٌ

[١] الصمد : الفصد ، صمده من باب نصر قصده . [٢] لن يقصكم منها شيئاً .

[٣] أشقى عليه : أشرف . [٤] اسم نفض - يل من مار ، سهم مأر : أى حفيف نائد داخل في
الأجسام . [٥] ما يلزمك حفظه وحمايته . [٦] خفره وبه وعليه يخفر بكسر الفاء ، وضما أجاره
ومنعه وآمنه . [٧] الفر : كنفوك في الشجاعة (أو طام) وأجرأه : أعناه وكماه .

يَدَهُ ، قَدْ خَلَى قَرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ هَارِبًا مِنْهُ ، أَوْ قَائِمًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ؟ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا مَقْتَهُ
اللَّهُ ، فَلَا تَعْرَضُوا لِمَقْتِ اللَّهِ ، فَإِنَّمَا مَرَدُّكُمْ إِلَى اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، لِقَوْمِ عَابِدِهِمْ :
(لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنِ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ ، وَإِذْنٌ لَا تُتَمَعُونَ إِلَّا
قَلِيلًا) وَايْمُ اللَّهِ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ الْعَاجِلَةِ ، لَا تَسَامُونَ مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ ،
اسْتَعِينُوا بِالصِّدْقِ وَالصَّبْرِ ، فَإِنَّهُ بَعْدَ الصَّبْرِ يُنْزِلُ النَّصْرَ .»

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٣)

١٩٠ — خطبة للإمام علي

وصرَّ الإمام علي كرم الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليد بن
عُتْبَةَ وهم يشتمونه ، فَخَبَّرَ بِذَلِكَ ، فَوَفَّ فِيمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ :
« انْهَدُوا ^(١) إِلَيْهِمْ ، عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَقَارُ الْإِسْلَامِ وَسِمَى الصَّالِحِينَ ،
فَوَاللَّهِ لَأَقْرَبُ قَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ قَائِدُهُمْ وَمُؤَدِّيهِمْ ^(٢) معاوية وابن النابغة ^(٣)
وَأَبُو الْأَعْوَرِ السَّامِيُّ ، وَابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، شَارِبُ الْحُرِّ ، الْمَجْلُودُ حَدَا فِي الْإِسْلَامِ ،
وَهُمْ أَوْلَى مِنْ يَقُومُونَ فَيَنْقُضُونِي وَيَجِدُونِي ^(٤) ، وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا قَاتَلُونِي ، وَأَنَا
إِذْ ذَاكَ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَهُمْ يَدْعُونِي إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَدِيمًا
عَادَانِي الْفَاسِقُونَ ، فَمَبَدَّهُمْ ^(٥) اللَّهُ ، أَلَمْ يُفْخِرُوا ^(٦) ؟ إِنْ هَذَا لَهُو الْخَطْبُ الْجَلِيلُ ،
إِنَّ فُسَاقًا كَانُوا غَيْرَ مَرْضِيَيْنِ ، وَعَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَتَّخَوْفَيْنِ ، خَدَعُوا شَطْرَ
هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَشْرَبُوا قُلُوبَهُمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ ، وَاسْتَمَالُوا أَهْوَاءَهُمْ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ ،

[١] نهى الرجل : نهض ، ونهد لعدوه : صمد له . [٢] الأذنين والؤذن : الرِّعْم .

[٣] هو عمرو بن العاص ، والناعبة : لقب أمه سلمى بنت جرملة . [٤] الحدب بالنسكين : العيب .

[٥] ذلهم ، المعد : المذال من الطريق وغيره . [٦] ألم يفخروا : التذليل والتذليل .

كالنفيح (وفي الأصل : « ألم يفتحوا » وهو تصحيف) .

قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فافضُضْ خَدَمَتَهُمْ^(١) ،
 وشتت كلمتهم ، وأبسلهم^(٢) بخطاياهم ، فإنه لا يدلك من واليت ، ولا يعز
 من عاديت . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٤)

١٩١ - خطبة أخرى له

ومرّ بأهل راية ، فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فخرّض عليهم الناس ،
 - وذكر أنهم غسان - فقال :

« إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك ، يُخْرِجُ مِنْهُمْ
 النَّسَمَ^(٣) ، وضرب يُفَلِّقُ مِنْهُ الْهَامَ^(٤) ، ويطيح^(٥) العظام ، وتَسْقُطُ مِنْهُ
 الْمَعَاصِمُ^(٦) والأكف ، وحتى يُضَدَّعَ جِبَاهُهُمْ بِعُمُدِ الْحَدِيدِ ، وتنتشر
 حواجبهم على الصدور والأذقان ، أين أهل الصبر ، وطُلابُ الأجر؟ » .
 (تاريخ الطبري ٦ : ٢٥)

١٩٢ - خطبة عبد الله بن عباس

وخطب عبد الله بن عباس أهل العراق بصفين ، فقال :

« الحمد لله رب العالمين ، الذي دحا^(٧) تحتنا سبعا ، وسمك^(٨) فوقنا سبعا ،
 وخلق فيما بينهن خلقاً ، وأنزل لنا منهن رزقا ، ثم جعل كل شيء قدراً يبلى

[١] يقال فضّ الله خدمتهم أي فرق جماعتهم ، الخدمة بالتحريك سير عليظ مضفور مثل الحلقة يشدّ في
 رسغ البعير ، ثم يشدّ إليه سراخ النعل (أي سيورها : جمع سريحة) فإذا انقضت الخدمة انحلت السراخ
 وسقطت النعل نصرب ذلك مثلاً لدهاب ما كانوا عليه وتفرقه وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحققة المستديرة .
 [٢] أبسله : أسلمه للهلكة ، أي أهلكتهم . [٣] جمع نسمة ، وهي نفس الروح (بفتح الفاء)
 ثم سميت بها النفس (بالسكون) . [٤] جمع هامة ، وهي الرأس . [٥] يصحّ أن يكون مضارع
 طيح بالتشديد : طيح بثوبه : رمى به في مصيعة ، وطيح الشيء : ضيعه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح
 شعره أسقطه ، والشيء أنناه وأذهبه ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطيح ويطوح هلك أو أشرف على
 الهلاك وذهب وسقط وتاه في الأرض . [٦] جمع معصم بكسر الميم ، وهو موضع السوار أو اليد .
 [٧] دحا الله الأرض يدحوها ويدحاما : بسطها . [٨] أي رفع .

وَيَقْنَى ، غير وجهه الحى القيوم ، الذى يحيا ويبقى .

إن الله تعالى بعث أنبياء ورُسُلًا ، فجعلهم حُجَجًا على عباده عُدْرًا وَنُدْرًا^(١) ، لا يُطَاعُ إِلَّا بِعَافِيهِ وَإِذْنِهِ ، يَمُنُّ بِالطَّاعَةِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهَا ، وَيُعْصَى بِعِلْمٍ مِنْهُ ، فَيَعْفُو وَيَغْفِرُ بِحِلْمِهِ ، لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ ، وَلَا يُبْلَغُ شَيْءٌ مَكَانَهُ ، أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، إِمَامُ الْهُدَى وَالنَّبِيُّ الْمَصْطَفَى .

وقد ساقنا قَدْرَ اللَّهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ ، حَتَّى كَانَ مِمَّا اضْطَرَبَ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَانْتَشَرَ مِنْ أَمْرِهَا ، أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَجَدَ مِنْ طَغَامِ النَّاسِ أَعْوَانًا عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصِهْرَهُ ، وَأَوَّلَ ذَكَرٍ صَلَّى مَعَهُ ، بِدْرِي^(٢) قَدْ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلِّ مَشَاهِدِهِ الَّتِي فِيهَا الْفَضْلُ ، وَمَعَاوِيَةَ مُشْرِكًا كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَالَّذِي مَلَكَ الْمَلِكُ وَحْدَهُ ، وَبَانَ بِهِ وَكَانَ أَهْلَهُ ، لَقَدْ قَاتَلَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَعَاوِيَةُ يَقُولُ : كَذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ : فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالْجِدِّ وَالْحَزْمِ وَالصَّبْرِ ، وَاللَّهِ إِنْ لَعَلَّمْنَا لَكُمْ لَعَلَى حَقٍّ ، وَإِنْ الْقَوْمُ لَعَلَى بَاطِلٍ ، فَلَا يَكُونُونَ أَوْلَى بِالْجِدِّ عَلَى بَاطِلِهِمْ مِنْكُمْ فِي حَقِّكُمْ ، وَإِنْ لَعَلَّمْنَا أَنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِيكُمْ أَوْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا وَلَا تَخْذُلْنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، وَلَا تَحُلْ عَنَّا ، وَافْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤)

[١] هما مصدران : عذره يعذره عذراً بضم فسكون ويضمتهن وأنذره إنذاراً ونذراً بضم فسكون ويضمتهن ، أو جمعان : العذر بضمتهن جمع عذير وهو العاذر ، والذير بضمتهن جمع نذير وهو النذير .

[٢] أى حضر عروة بدر الكبرى التى نثبت بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين مشركي قريش فى السنة الثانية للهجرة .

١٩٣ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بديل الخزاعي في أصحابه فخطبهم ، فقال :
« إن معاوية ادعى ما ليس له ، ونازع الأمر أهله ، ومن ليس مثله ،
وجادل بالباطل ، ليُدْحِضَ ^(١) به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ،
وزين لهم الضلالة ، وزرع في قلوبهم حب الفتنة ، وأبَسَ ^(٢) عليهم الأمور ،
وزادهم رجساً ^(٣) إلى رَجْسِهِمْ ، وأنتم والله على نور وبرهان ، قاتلوا الطعام الجفأة ،
قاتلوه ولا تخشوه ، وكيف تخشونهم ؟ وفي أيديكم كتاب من ربكم ظاهر مبين ،
قوله سبحانه : (اَتَّخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،
قاتلوهم يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ
قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) لقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله ما هم في هذه بأزكى
ولأ أتقى ولأ أبرَّ ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم . »

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

١٩٤ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوي صفوف أهل العراق ، ويقول :
« يا معشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل ، والجَنَّةِ
في الآجل ، إلا ساعة من النهار ، فأرسلوا أقدامكم ، وسووا صفوفكم ، أعيروا
ربكم مجامعكم ، واستعينوا بالله إلهكم ، واجهدوا عدو الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم
الله وأبادهم ، واضربوا ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . »

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

[١] دحمت الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلتها . [٢] التلبيس : التعليل .

[٣] الرجس : القدر والمأثم وكل ما استقدر من العمل ، والعمل المؤدى إلى العذاب .

١٩٥ - خطبة للامام عليّ

وخطب عليّ عليه السلام بصفين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ والفاجر ، وعلى حُججه البالغة على خلقه من أطاعه منهم ومن عصاه ، إن يرحم بفضله ومنه ، وإن عذب بما كسبت أيديهم ، وإن الله ليس بظلام للعبيد ، أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلاً ، ثم إنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمةً منه على خلقه ، فكان علمه فيه رءوفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسباً ، وأجملهم منظرًا ، وأسخاهم نفساً ، وأبرهم لوالد ، وأوصلهم لرحيم ، وأفضلهم علماً ، وأثقلهم حملاً ، وأوفاهم لعهد ، وآمنهم على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظامة قط ، بل كان يُظلم فيعفر ، ويقدر فيصفتح ، حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله ، فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البرّ والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم عن معصيته .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فلست أحمده ، وقد

حضرتم عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيكم معكم

وَيُنِزُ أَظْهُرَكُمْ يَدْعُوَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَالْعَمَلِ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَلَا سِوَاءَ^(١) مَنْ صَلَّى قَبْلَ كُلِّ ذِكْرٍ، لَا يَسْبِقُنِي بِصَلَاةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَحَدٌ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقٍ، وَاللَّهِ إِنَّا عَلَى الْحَقِّ، وَإِيَّاهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، فَلَا يَجْتَمِعُ مَنْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرَّقُوا عَنْ حَقِّكُمْ، حَتَّى يَغْلِبَ بَاطِلُهُمْ حَقِّكُمْ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يُعَذِّبَهُمْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ» .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٣)

١٩٦ - خطبة سعيد بن قيس

وَقَامَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ يُخِطِبُ أَصْحَابَهُ بِقُنَاصِرِينَ^(٢)، فَقَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِينِهِ، وَأَوْرَثَنَا كِتَابَهُ، وَآمَنَّا عَلَيْنَا بِنَبِيِّهِ، فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَتَامًا لِلنَّبِيِّينَ، وَحُجَّةَ اللَّهِ الْعَظِيمَ، عَلَى الْمَاضِينَ وَالغَابِرِينَ، ثُمَّ كَانَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرَهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْبَبْنَا وَكَرِهْنَا - أَنْ ضَمَّنَا وَعَدَّوْنَا بِقُنَاصِرِينَ، فَلَا يَجْمَلُ بِنَا الْيَوْمَ الْحِيَاصُ^(٣)، وَلَيْسَ هَذَا بِأَوَانَ انْصِرَافٍ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ^(٤)، وَقَدْ خَصَّنَا اللَّهُ بِمَنَّةٍ بِرَحْمَةٍ لَا نَسْتَطِيعُ أَدَاءَ شُكْرِهَا، وَلَا تَقْدِيرَ^(٥) قَدْرَها، إِنْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[١] أى ولا مثل من صلى . [٢] قال صاحب اللسان والقاموس : قنصرين موضع بالشأم ، ولم يذكره ياقوت في معجمه .

[٣] حاص عنه يحص حصاً ومحصاً وشاصاً عدل وحاد ، والحياص والحايصة : مفاعلة من الحيص أى العدول والهرب . قال صاحب اللسان : وفي حديث مطرف (بتشديد الراء المكسورة) أنه خرج من الطاعون ثقيل له في ذلك ، فقال : « هو الموت نحايصه ولا بد منه » « قال أبو عبيد معناه : نروغ عنه » وليس بين العبد والميت مفاعلة ، وإنما المعنى أن الرجل في فرط حرصه على الفرار من الموت كأنه يباريه ويغالبه ، فأخرجه على المفاعلة لكونها موضوعة لإفادة المبالاة والمغالبة بالفعل ، كقوله تعالى : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول معنى نحايصه إلى قولك نحصر على الفرار منه اه .

[٤] النوص والمناص : التأخر والفرار ، ناص عن قرنه ينوص : برّ وراغ ، أى وليس الوقت وقت تأخر وفرار . [٥] قدر الشيء قدره من التقدير وبابه صرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » أى ما عظموه حق تعظيمه .

وآله الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ معنا وفي حَيْرِنَا ، فوالله الذي هو بالعباد بصير ، أن لو كَانَ قَائِدَنَا رجلاً مَخْدُوعًا ، إِلَّا أَنْ مَعْنَا مِنَ الْبَدْرِيِّينَ سَبْعِينَ رَجُلًا ، لكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ تَحْسُنَ بَصَائِرُنَا ، وَتَطِيبَ أَنْفُسُنَا ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا رَأَيْسُنَا ابْنُ عَمِّ نَبِينَا ، بَدْرِيُّ صِدْقٍ ، صَلَّى صَغِيرًا ، وَجَاهَدَ مَعَ نَبِيِّكُمْ ﷺ كَثِيرًا ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقٌ مِنْ وَثَاقٍ ^(١) الْأَسَارَى ، إِلَّا أَنَّهُ أَخُو جُفَاةٍ ، فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ، وَأُورِثَهُمُ الْعَارَ ، وَاللَّهِ مُحِلٌّ بِهِمُ الذَّلَّ وَالصَّغَارَ ^(٢) ، إِلَّا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ عَدُوَكُمْ غَدًا ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ مِنْ الْجِدِّ وَالْحَزْمِ وَالصِّدْقِ وَالصَّبْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، إِلَّا إِنَّكُمْ تَفُوزُونَ بِقَتْلِهِمْ ، وَيَشْقَوْنَ بِقَتْلِكُمْ ، وَاللَّهِ لَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْقَاتِلَ جَنَاتِ عَدْنٍ ، وَأَدْخَلَ الْمَقْتُولَ نَارًا تَلَطَّى ، لَا تَفْشُرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهَا مُبْسُؤُونَ ^(٣) ، عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا عَصَمَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهُ الْعَظِيمَ لِي وَلِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

١٩٧ - خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وحرّض يزيد بن قيس الأرحبي أهل العراق بصفين ، فقال :

« إن المسلم من سلم دينه ورأيه ، وإن هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلوننا على إقامة دين رَأُونَا ضِيَعْنَاهُ ، وَلَا عَلَى إِحْيَاءِ حَقِّ رَأُونَا أَمْتَنَاهُ ، وَلَا يقاتلوننا إِلَّا عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا ، لِيَكُونُوا فِيهَا جَبَابِرَةً وَمَلُوكًا ، وَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ - لَا أَرَاهُ اللَّهُ

[١] الوثاق بالفتح وبكسر : ما يشد به ، وأوثقه و الوثاق شده « فَشَدُّوا الْوِثَاقَ »

[٢] الذل والضم . [٣] من أبلس إذا بئس وتبحر .

ظهوراً ولا سروراً - إذن لوليكم مثل سَعِيدٍ^(١) والوليدِ^(٢) وعبدِ الله بن عامرٍ^(٣) السفية ، يحدث أحدهم في مجلسه بذيتَ وذيتَ^(٤) ، ويأخذ مال الله ، ويقول : لا إثمَ علىَّ فيه ، كأنما أعطى ثرائه من أبيه ، كيف ؟ إنما هو مال الله ، أفاءه علينا بأسيافنا ورماحنا ، قاتلوا : عبادَ الله : القومَ الظالمين ، الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم فيهم لومةُ لائم ، إنهم إن يظهروا عليكم ، يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم ، وهم من قد عرفتم وجرّبتم ، والله ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلا شراً ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم »

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٠ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٥)

١٩٨ - خطبة هاشم بن عقبة المرقال

وَشَدَّ هَاشِمُ بْنُ عُثْبَةَ الْمَرْقَالُ^(٥) فِي عِصَابَةِ مَنْ أَصْحَابِهِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَرَارًا ، فَلَيْسَ مِنْ وَجْهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ ، إِلَّا صَبَّرَ لَهُ ، وَقَاتَلَ فِيهِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :

[١] هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل أبوه العاص يوم بدر كافرًا ، قتله علي بن أبي طالب ، وقد استعمل عثمان بن عفان سعيداً على الكوفة بعد الوليد بن عقبة ابن أبي معيط ، وولاه معاوية في خلافته المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ، ويولى مروان إذا عزله . [٢] هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أب بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه (أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس) وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . [٣] هو عبد الله بن حاصر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضاً بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، ولم يزل والياً على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين . [٤] ذيت وذيت مائة الآخر ، أى كيت وكيت .

[٥] هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، وثاب بالمرقال لأنَّ علياً رضى الله عنه أعطاه الراية بصفين ، فكان يرقل بها أى يسرع ، وهو الذى انتحج جلولاه من بلاد الفرس ، وكانت جلولاه تسمى فتح الفتح ، وفتحت عينه يوم اليرموك بالشام ، وقتل في وقعة صفين ، قطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك .

« لا يهولنَّكم ما ترَوْنَ من صَبْرهم ، فوالله ما ترَوْنَ فيهم إلاَّ حَمِيَّةَ العرب ،
وصبرها تحت رَاياتها ، وعند مراكزها ، وإنهم لَعَلَى الضلال ، وإنكم لعلَى الحق ،
يا قوم اصْبِرُوا وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدونا ، على تُودَّةٍ رُوَيْدًا ،
ثم اثْبُتُوا وتناصروا ، واذكروا الله ، ولا يسأل رجلٌ أخاه ، ولا تُكْذِرُوا
الالتفات ، واصمُدُوا^(١) صمدم ، واجاهدوا محتسبين ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم
وهو خير الحاكمين » . (تاريخ الطبرى ٦ : ٢٣)

١٩٩ - خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر يوم صفين ، فقال :

« انهضوا معى : عبادَ الله : إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدمِ ظالمٍ ، إنما
قتله الصالحون المنكرون للعدوان ، الآمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين
لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم ، ولو درَس^(٢) هذا الدين ، لم يمتلئوه ؟ فقلنا :
لأحدائه ، فقالوا : إنه لم يُحدِث شيئًا ، وذلك لأنه مكَّنه من الدنيا ، فهم
يا كلونها ويرعونها ، ولا يباليون لو انهدمت الجبال ، والله ما أظنهم يطلبون بدمٍ ،
ولكن القوم ذاقوا الدنيا ، فاستحلَّوها واستمرَّءوها^(٣) ، وعلموا أن صاحب الحق
لو وليهمْ لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها ، إن القوم لم يكن لهم
سابقةٌ فى الإسلام ، يستحقون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا :
قُتِلَ إمامنا مظلومًا : لىكونوا بذلك جبابرة وملوكا ، تلك مكيدة قد بلغوا بها ما
ترَوْنَ ، ولولاها ما تابعهم من الناس رجلٌ ، اللهم إن تنصُرنا ، فطالما نصرت ،

[١] أى افسدوا جهتهم [٢] احمى . [٣] استمرأ الطعام : وجده مرثياً أى منيئاً حميد المعبة .

وإن تجعل لهم الأمر فادّخِرْ لهم بما أحدثوا لعبادك العذابَ الاليمَ .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٢١ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١٢٣)

٢٠٠ - خطبة الأشتر النخعي

وقام الأشتر يخطب الناس بِقُنَاصِرِينَ ، وهو يومئذ على فرس أدهم مثل
حَلَك^(١) الغراب ، فقال :

« الحمد لله الذى خلق السموات العُلى ، الرحمن على العرشِ اسْتَوَى ، له ما فى
السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، أحمدُه على حسنِ البلاء ،
وتظاهر النعماء ، حمداً كثيراً ، بُكْرَةً وأصيلاً ، من هداه الله فقد اهتدى ،
ومن يضلَّ فقد غوى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدين كله
ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وآله .

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقدر ، أن ساقنا المقاديرُ إلى أهل هذه
البلدة من الأرض ، فَلَفَّتْ بيننا وبين عدو الله وعدونا ، فنحن بحمد الله ونعمه
ومنه وفضله ، فريرةٌ أعيننا ، طيبةٌ أنفسنا ، نرجو بقتالهم حُسْنَ الثواب ،
والأمن من العقاب ، معنا ابن عم نبينا ، وسيف من سيوف الله على بن أبى
طالب ، صلى مع رسول الله ﷺ ، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر ، حتى كان شيخاً
لم يكن له صبوة^(٢) ، ولا نبوة^(٣) ، ولا هفوة^(٤) ، ولا سقطة^(٥) ، فقيهٌ فى دين الله
تعالى ، عالم بحدود الله ، ذورأى أصيل ، وصبرٌ جميل ، وعفافٍ قديم ، فاتقوا الله
وعليكم بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق ، وأن القوم على الباطل ، إنما تقاتلون

[١] الحلك : شدة السواد ، وفى الأصل : «حئل» وهو تحريف . [٢] الصبوة : جهلة الفتوة .

[٣] نبا السهم عن الهدف : قصر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير فى الدين ولا وهم .

معاوية وأنتم مع البدرين قريبٌ من مائة بدرى، سوى مَنْ حَوْلَكُمْ من أصحاب محمد، أكثرُ ما معكم رياتٌ قد كانت مع رسول الله ﷺ، ومعاوية مع رياتٍ قد كانت مع المشركين على رسول الله ﷺ، فمن يَشْكُ في قتال هؤلاء؟ إلاميّت القلب، أنتم على إحدى الحُسَيْنين، إما الفتح، وإما الشهادة، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه، وأستغفر الله لي ولكم». (شرح ابن أبي الحديد م: ١ ص ٤٨٤)

٢٠١ - خطبة الأشر في المنهزمين من الميمنة

ولما أنهزمت ميمنة العراق، قال له عليّ: يا مالك، قال: لبئيك، قال: أنت هؤلاء القوم فقل لهم: «أين فراركم من الموت الذي لن تُعجزوه، إلى الحياة التي لن تبقى لكم» فمضى فاستقبل الناس منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات، وقال: إلى أيها الناس، أنا مالك بن الحارث، أنا مالك بن الحارث، ثم ظن أنه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: أنا الأشتر، إلى أيها الناس، فأقبلت إليه طائفة، وذهبت عنه طائفة، فنادى: أيها الناس، عضضتم بهن^(١) آبائكم، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أيها الناس: أخلصوا إلى مَذْحِجَا^(٢)، فأقبلت إليه مذحج فقال:

«عضضتم بضم بضم الجنديل، ما أرضيتم ربكم، ولا نصحتم له في عدوكم، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح^(٤)،

[١] المهن: اسم يكمى به من الفرج. [٢] كان الأشتر من النخع (بالتحرّك)، وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن. [٣] الصمّة: جمع صتمة (كفرصة)، وهي الصخرة الصلبة كالصقيبة. [٤] الغارة.

وَفُرْسَانَ الطَّرَادِ ، وَحُتُوفَ الْأَقْرَانِ ، وَمَذْحِجَ الطَّعْمَانَ ، الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسْبِقُونَ
بثَّارِهِمْ ، وَلَا تُطَلُّ دِمَائِهِمْ ، وَلَا يُعْرَفُونَ فِي مَوْطِنٍ بِمُخْسَفٍ ^(١) ، وَأَنْتُمْ حَدُّ أَهْلِ
مِصْرَ كُمْ ، وَأَعَزُّ حَيٍّ فِي قَوْمِكُمْ ، وَمَا تَفْعَلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَاتَّقُوا
مَأْثُورَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ ، وَأَصْدُقُوا عَدُوَّكُمْ اللَّقَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِي
نَفْسَ مَالِكٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ هَوْلَاءَ (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ) رَجُلٌ عَلَى مِثَالِ
جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمْ الْقِرَاعَ ^(٢) ، اجْلُؤُوا
سَوَادَ وَجْهِهِ ، يَرْجِعُ فِي وَجْهِهِ دَمِي ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ لَوْ قَدْ فَضَّهَ ، تَبِعَهُ مِنْ بَجَائِبِهِ كَمَا يَتَّبِعُ مُؤَخَّرَ السَّيْلِ مُقَدَّمَهُ .
قَالُوا خذ بنا حيث أحببت .

(تاريخ الطبري ٦ : ١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٧)

٢٠٢ - خطبة أخرى له فيهم

وروى أنه لما اجتمع إليه عظيم من كان انهزم عن الميمنة حرّضهم ،
ثم قال :

« عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبَلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشَدُّوا
عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورِينَ ^(٣) ، ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ
وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسْبِقُوا بِوَتْرٍ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَآيْمُ
اللَّهِ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَوْلَاءَ الْقَوْمِ
لَا يَقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنِ دِينِكُمْ ، لِيُمَيِّتُوا السُّنَّةَ ، وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيَمِيدُوكُمْ فِي ضَلَالَةٍ
قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطَيَّبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدِمَائِكُمْ

[١] الحسب : الدل . [٢] المقارعة والمناضلة . [٣] وتره : إذا أصابه وتر ، وهو الثأر .

دون دينكم ، فإن ثوابكم على الله ، والله عنده جنات النعيم ، وإن الفرار من الزحف ، فيه السلب للجز ، والغلبة على النفي ، وذل المخيا والمات ، وعار الدنيا والآخرة ، وسخط الله وأليم عقابه .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧)

٢٠٣ — خطبة على فيهم وقد عادوا إلى موافقهم

ولما رأى الإمام كرم الله وجهه ميمته قد عادت إلى موافقها ومصافها ، وكشفت عن إزائها من عدوها ، حتى ضاربهم في موافقهم ومراكرهم ، أقبل حتى انتهى إليهم فقال :

« إني قد رأيت جوثكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يحوزكم الطغاة الجفأة ، وأعراب أهل الشام ، وأنتم لهاميم ^(١) العرب ، والسنام الأعظم ، وعمار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون ، فلولا إقبالكم بعد إداركم وكرهكم بعد انحيازكم ، وجب عليكم ماوجب على المولى يوم الزحف دبره ، وكتتم من الهالكين ، ولكن هوّن وجددي ، وشقّ بعض ألاح ^(٢) نفسي ، أني رأيتكم بأخرة ^(٣) حزتموهم كما حازوكم ، وأزلموهم عن مصافكم كما أزالوكم ، تحسوتهم ^(٤) بالسيوف تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرودة الهيم ^(٥) ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبتتكم الله عز وجل باليقين ، وليعلم المنهزم أنه

[١] اللهم ، واللهيم (بكسر اللام والميم بهما) : الساق الجواد من الحيل والناس .

[٢] الألاح : اليبط وحرارة الغم . [٣] يقال جاء أخرة وبأخرة محركتين وقد يضم أولها .

أي آخرأ . [٤] من الحس بالفتح : وهو القتل والاستئصال . [٥] العطاش : جمع أهيم وهيماء .

(والهيام بالضم : أشد العطش) .

مُسَخِّطٌ رَبَّهُ ، وَمُؤَبِّقٌ^(١) نَفْسَهُ ، إِنْ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةٌ^(٢) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ،
وَالذَّلُّ الْإِلْزَامُ لَهُ ، وَالْعَارَ الْبَاقِي ، وَاعْتَصَارَ النَّيْءِ مِنْ يَدِهِ ، وَفَسَادَ الْعَيْشِ عَلَيْهِ ،
وَإِنْ الْفَارُّ لَا يَزِيدُ الْفِرَارَ فِي عَمْرِهِ ، وَلَا يُرْضَى رَبَّهُ ، فَوَتِ الْمَرْءُ مُحِقًّا قَبْلَ إِتْيَانِ
هَذِهِ الْخِصَالِ ، خَيْرٌ مِنَ الرِّضَا بِالتَّلْبُّسِ بِهَا وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٨)

٢٠٤ - خطبة خالد بن معمر

ولما ولى الإمام خالد بن معمر راية ربيعة ، وحمل عليها أهل الشام حملة
شديدة ، وانهمز ناس من قومه ، صاح بمن انهمز ، وقال يومئذ :
« يا معشر ربيعة : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ آتَى بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ مَنبِتِهِ ،
وَمَسَقَطِ رَأْسِهِ ، فِجْمَعِكُمْ فِي هَذَا الْمَكَانِ جَمْعًا يَجْمَعُكُمْ مِثْلَهُ مُنْذُ نَشَرَكُمُ فِي الْأَرْضِ ،
فَإِنْ تُمْسِكُوا أَيْدِيَكُمْ وَتَنْكَلُوا^(٣) عَنْ عَدُوِّكُمْ ، وَتَرْوُلُوا عَنْ مَصَافِكُمْ ، لَا يُرِضُ
اللَّهُ فَعْلَكُمْ ، وَلَا تَعْدَمُوا مِنَ النَّاسِ مَعِيرًا يَقُولُ : فَضَحْتَ رِيبَةَ الدَّمَارِ^(٤) ،
وَحَاصَتْ^(٥) عَنِ الْقِتَالِ ، وَأُتِمَّتْ مِنْ قِبَلِهَا الْعَرَبُ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَشَاءَ بِكُمْ الْعَرَبُ
وَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ ، وَإِنْكُمْ إِنْ تَمَضُوا مُقْبِلِينَ مُقَدِّمِينَ ، وَتَصْبِرُوا مُحْتَسِبِينَ ، فَإِنْ
الْإِقْدَامَ لَكُمْ عَادَةً ، وَالصَّبْرَ مِنْكُمْ سَجِيَّةً ، وَاصْبِرُوا وَنِدَّتْكُمْ أَنْ تُؤَجَّرُوا ، فَإِنْ
ثَوَابَ مَنْ نَوَى مَا عِنْدَ اللَّهِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَكِرَامَةُ الْآخِرَةِ ، وَلَنْ يُضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا » . (تاريخ الطبري ٦ : ١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٩٦)

[١] مهلك . [٢] أى غضبه . [٣] أى تنكصوا وتجنبوا .

[٤] ما تحب حمايته وحفظه . [٥] هربت وفرت .

٢٠٥ — خطبة عقبة بن حديد النمرى

وقال عُقْبَةُ بن حديد النَمَرِي يوم صفين لأهله وأصحابه :

« أَلَا إِنْ مَرَعَى الدنْيَا قَدْ أَصْبَحَ هَشِيماً ^(١) ، وَأَصْبَحَ شَجْرُهَا خَضِيذاً ^(٢) ،
 وَجَدِيدُهَا سَمَلاً ^(٣) ، وَحُلُوها مُرٌّ المَذَاقُ ، أَلَا وَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ نَبأَ امرئٍ صادِقٍ : إِنْى قَدْ
 سَمِمتُ الدنْيَا ، وَعَزَفَت ^(٤) نَفْسِى عَنْها ، وَقَدْ كُنْتُ أُتَمِنُ الشَّهادَةَ ، وَأَتَعَرِّضُ
 لَهَا فى كُلِّ جَيْشٍ وَغارَةٍ ، فَأَبى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلا أَنْ يُبَلِّغَنِى هَذا اليَوْمَ ، أَلَا وَإِنى
 مَتَعَرِّضٌ لَهَا مِنْ ساعَتى هَذه ، قَدْ طَمَعْتُ أَلَّا أَحْرَمَهَا ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ ، عبادَ اللهِ
 بِجِهادِ مَنْ عادى اللهُ ، أَخوفاً مِنَ المَوْتِ القادِمِ عَلَيْكُمْ ، الذاهِبِ بِأَنْفُسِكُمْ لِاحْمالَةٍ ؟
 أَوْ مِنْ ضَرْبَةٍ كَفَّ بِالسيفِ ؟ أُنَسْتَبَدِلُونَ الدنْيَا بِالنَظَرِ فى وَجهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
 وَمِرافِقَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ، وَالشَّهادَةِ وَالصَّالِحِينَ فى دارِ القَرارِ ؟ ما هَذا
 بِالرأى السَّديدِ ! » .

ثم مضى فقال : « يا إِخوتى إِنى قَدْ بَعْتُ هَذه الدارَ بِالنِّبْطِ أَمامِها ، وَهَذا
 وَجْهِ إِليها . لا تُبْرَحْ وَجوهُكُمْ ، وَلا يَقْطَعْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رِجالَكُمْ » فَتَبِعَهُ
 إِخوتُهُ وَقالوا : « لا نَطْلبُ رِزقَ الدنْيَا بِعَدْكَ ، فَتَقْبَحَ اللهُ العِيشَ بِعَدْكَ : اللهُمَّ
 إِنّا نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنا عِنْدَكَ » . فَاسْتَقَدَمُوا فَقاتَلوا حَتى قَتَلوا .

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٥ ، شرح ابن الحديد م ١ ص ٤٩٠)

٢٠٦ — خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد

وَكانَ مِنَ « مُحارِبِ » . رِجالٍ يُقالُ لَهِ خَنْثَرُ بنِ عُبَيْدَةَ بنِ خالِدِ ، وَكانَ مِنَ

[١] المشيم من النبات : الياض المتكسر . [٢] مقطوعاً ، خصده : كضربه ، فهو خضيد ومخضود .

[٣] السمل : الخلق من الثياب . [٤] انصرفت .

أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يوم صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ،
فأخذ ينادى :

« يا معشر قيس ، أطاعةُ الشيطانِ آثرٌ^(١) عندكم من طاعةِ الرحمن ؟ ألا إنَّ
الفرار فيه معصيةُ الله سبحانه وسخطُهُ ، وإن الصبر فيه طاعةُ الله عزَّ وجلَّ
ورضوانه ، أفتختارون سخطَ الله تعالى على رضوانه ، ومعصيتهُ على طاعتهِ ؟ ألا
إنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً نفسه ، ثم قال :

لَا وَآلَتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَوَلَّى الدُّبُرُ^(٢) أنا الذى لا ينثنى ولا يفِرْ
وَلَا يُرَى مع المَعَازِلِ الغُدْرُ^(٣)

(نارح الطبرى ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٩٥)

٢٠٧ - تحريض معاوية أيضاً

وخطب معاوية الناس بصفين فقال :

« الحمد لله الذى دنا فى علوه ، وعلا فى دنوه ، وظهر و بطن ، وارتفع فوق
كل ذى منظر ، هو الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ،
ويقدر فيغير ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمراً أمضاه ، وإذا عزم على شىء قضاه
لأيوامر^(٤) أحداً فيما يملك ، ولا يُسأل عمماً يفعل وهم يسألون ، والحمد لله ربَّ
العالمين على ما أحببنا وكرهنا .

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، وَاَلْفَتْ
بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

[١] أفضل . [٢] وأل : طلب النجاة ، وخلص . [٣] المعازيل : جمع معزال بكسر الميم ،
وهو الضعيف الأحمق (ومن لاسلاح معه ، ومن يعتزل أهل الميسر لوماً) ، والغدر : جمع غدور مبالغة
من طادر . [٤] أى لا يشاور .

« وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يا أهل الشام ، إنكم غداً تَلْقَوْنَ أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بَغَوْا عليكم ، فأقْبَلُوا من بلادهم حتى نزلوا في بَيْضَتِكُمْ^(١) ، وإما أن تكونوا قومًا تطلبون بدم خليفتم وصهر نبيكم ، وإما أن تكونوا قومًا تَدْبُونَ عن نسائكم وأبنائكم ، فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ، وأسألوه الله لنا ولكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الفاتحين »
(شرح ابن أبي الحديد م ١١ ص ٤٩٧)

٢٠٨ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصَّفَيْنِ بِصِفِّينِ فقال :

« يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، أَمَا أَنْصَفِكُمْ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَارِضَى أَنْفُسِهِ ؟ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَخْطَأْتُمْ فِي خِذْلِ عِثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَإِقْتِحَامِكُمْ^(٢) عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِصَفِّينِ ، فَلَوْ كُنْتُمْ إِذْ خِذَلْتُمْ عِثْمَانَ خِذَلْتُمْ عَلِيًّا ، كَانَ هَذَا بِهَذَا ، وَلَكِنَّكُمْ خِذَلْتُمْ حَقًّا ، وَنَصَرْتُمْ بَاطِلًا ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا كَأَنْفُسِ شَعْلَتُمْ^(٣) الْحَرْبِ ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَدْ وَاللَّهِ وَجِدْتُمْ رِجَالَ الْحَرْبِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ سَرَاعًا إِلَى بِرَازِكُمْ ، غَيْرَ أَنْكَاسٍ^(٤) عَنْ حَرْبِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بَعْلَى أَمْرًا

[١] ساحتكم . [٢] قبح في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير روية ، وأقحمت الفرس النهر : أدخلته فيه فانفجعت واقترحت . [٣] شمل النار ، وأشعلها : ألهبها .
[٤] أنكاس : جمع نكس (بالكسر) ، وهو الضعيف المقصر .

قَطُّ إِلَّا هَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَةَ ، وَوَعَدْتُمُوهُ الظَّفَرَ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخْلَفْتُمُوهُ ، وَهَانَ عَلَيْنَا بِأَسْكُمْ ، وَمَا كُنْتُمْ لِتُخْلُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ شِدَّتِكُمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَّرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ أَذِلَّةً عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، لَا يَرَوْنَ حَرْبَكُمْ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عِدْدًا وَمَدَدًا ، وَقَدْ وَاللَّهِ كَأْتَرُوكُمْ بِالثِقَلَةِ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانُوا مِثْلَكُمْ فِي الْكَثْرَةِ ، وَاللَّهِ لَا تَرَالُونَ أَذِلَّةً فِي الْحَرْبِ بَعْدَهَا أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَدْ أَخَذْتَ الْحَرْبَ مِنَّا وَمِنْكُمْ مَا قَدَّرْتُمْ ، وَنَحْنُ أَحْسَنُ بَقِيَّةً ، وَأَقْرَبُ إِلَى الظَّفْرِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ » فَضَحِكَ قَيْسٌ وَقَالَ :

٢٠٩ - جواب قيس بن سعد

« وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَرَاكَ يَا نِعْمَانَ تَجْتَرِي عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ، أَمَا الْمُنْصَفُ الْحَقُّ فَلَا يَنْصَحُ أَخَاهُ مِنْ غَشِّ نَفْسِهِ ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ الْغَاشِ لِنَفْسِهِ ، الْمَبْطَلُ فِيمَا نَصَحَ غَيْرَهُ ، أَمَا ذَكَرَ عُمَانَ فَإِنْ كَانَ الْإِيْجَازُ يَكْفِيكَ نَخْدَهُ ، قَتَلَ عُمَانَ مَنْ لَسْتَ خَيْرًا مِنْهُ ، وَخَذَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرُ مَنْكَ ، وَأَمَا أَصْحَابُ الْجَمَلِ فَقَاتَلْنَاكُمْ عَلَى النَّكَّثِ ، وَأَمَا مَعَاوِيَةَ ، فَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى بَيْعَتِهِ لَقَاتَلْتُمْهُمُ الْأَنْصَارُ ، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا لَسْنَا كَالنَّاسِ ، فَنَحْنُ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ كَمَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، نَلْقَى السِّيَوفَ بِوُجُوهِنَا ، وَالرِّمَاحَ بِنُجُورِنَا ، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَلَكِنْ انظُرْ يَا نِعْمَانَ ، هَلْ تَرَى مَعَ مَعَاوِيَةَ إِلَّا طَلِيقًا أَعْرَابِيًّا ، أَوْ عِمَانِيًّا مُسْتَدْرَجًا ^(١) ، وَانظُرْ أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ ، الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ثُمَّ

انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصوئِحْبِكَ^(١) ، ولستما والله بدرين
ولا عَقَبَيْنِ^(٢) ، ولا لكما سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن .

(الإمامة والسياسة : ١ : ٨٣)

خطب الشيعيات في وقعة صفين

٢١٠ - خطبة عكرشة بنت الأترش

دخلت عكرشة بنت الأترش على معاوية متوكئة على عُكَّاز ، فسلمت
عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير
المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لعلني حتى ، قال : ألسنت المتقلدة حمائل السيوف
بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، إن الجنة
لا يرحل من أوطانها ، ولا يهزم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها
بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا فوماً مستبصرين في دينهم ،
مستظهرين^(٣) بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية ذلف^(٤) إليكم بعجم العرب ،
غلف^(٥) القلوب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ،
واستدعاهم إلى الباطل فلبؤوه ، فالله الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل
فإن ذلك ينقض عرا الإسلام ، ويطنق نور الحق ، هذه بذر الصغرى ،

[١] أراه يعني به عمرو بن العاص ، وتدكار أكبر أعوان معاوية ونصرائه ، عاقده على نصرته ، على أن
يجعل له مصر طعمة . [٢] أي لائمن حضروا وقعة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يمن
بإيهوه في العقبة .

[٣] مستبصرين . [٤] ذلف : شىء شىء المقيد ، وفى التعبير به إيماء إلى ضعف معاوية ووهن قوته .

[٥] جمع أغلف وقلب أغلف كأنما عشى بملاف فهو لا يمشى .

وَالْعَقَبَةَ^(١) الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ، امضوا على بصيرتكم ،
واصبروا على عزيزتكم ، فكأنى بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام كالحُمُرِ الناهقة ،
تَصْقَعُ^(٢) صَقَعُ البعير .

فكأنى أراكِ على عصاكِ هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون هذه
عكرشة بنت الأطرش بن رَواحة ، فإن كدتِ تَقْدِئِينَ أهل الشام لولا قدر الله ،
وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين بقول الله
جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَأٌ كُ .
الآية » وإن اللبيب إذا كرهَ أمراً لا يُحبُّ إعادته ، قال صدقت ، فاذا كرى
حاجتك ، قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فترد على فقرائنا ، وإنا
قد فقدنا ذلك ، فما يُجْبِرُنا لنا كسير ، ولا يُنْعِشُ لنا فقير ، فإن كان ذلك عن
رأيك ، فمثلك تنبه من الغفلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما
منك من استعان بالخَوَنة ، ولا استعمل الظامة ، قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا
من أمور رعيتنا أمور تنبثق^(٣) ، وبحور تنفهيق^(٤) ، قالت : يا سبحان الله !
والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب . قال
معاوية : يا أهل العراق ، نبهكم على بن أبي طالب ، فلم تُطَاقوا ، ثم أمر بردُّ
صدقاتهم فيهم ، وإنصافهم . (العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصح الأعشى ١ : ٢٥٣)

[١] تشير إلى بيعة العقبة (الأولى والثانية) حين بايع المسلمون الأوّلون من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة على نصرته : أى أن هذه الواقعة دفاع عن الإسلام ونصرة له كتناك .

[٢] الصقع : رفع الصوت ، صقع بصوته رفعه . وى صحح الأعشى تصقع تصقع البعير . من فصع الجمل بجرته

ردّها إلى جوفه . [٣] انبتقى : انفجر ، وانبتقى السيل عليهم أقبل ولم يحسبوه . [٤] تنسع .

٢١١ - خطبة أم الخير بنت الحريش

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سُرّاقة البارقي برخلها ، وأعلم أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فغير زائفة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر تحتلج في صدرى . فلما شيعها ، وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير : إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بقولك فيّ بالخير خيراً ، وبالشر شراً ، فإلى عندك ؟ قالت يا هذا ، لا يُطمعك بركبى ، أن أسرك بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك ، أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرّم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ! بحق ما دعوتني بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة ^(١) السلطان مدحضة ^(٢) لما يجب علمه ، ولكل أجل كتاب ، قال صدقت ، فكيف حالك يا خالة ، وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رقيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم . قالت يا أمير المؤمنين : يعيدك الله من دحض ^(٣) المقال ، وما تُردى عاقبه ، قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمّار بن ياسر ؟ قالت لم أكن والله زورته ^(٤) قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى

[١] البديهة أول كل شيء وما يفعا منه . [٢] المدحضة : المزلة . [٣] دحضت الحجة دحضا من باب نفع بطلت ووجه زلقت وكان دحض زلقى . [٤] زور الشيء : حسنه وقومّه وهذبه .

عند الصدمة ، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال هات ؟ قال كأني بها بين بردين زُبَيْرَيْنِ^(١) كشيبي النسيج ، وهي على جبل أزمك^(٢) ، ويدها سوط منتشر الضفيرة ، وهي كالفحل يهدر^(٣) في شقشقته تقول :

« يا أيها الناس : اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدليل ، وبين السبيل ، ورفع العلم ، ولم يدعكم في عمياء مُدْهِمَةً ، فأين تريدون رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ، أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ » ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وييدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرضى التقي ، والصديق الأكبر ، إنها إحن^(٤) بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أُحديّة^(٥) وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك ثارات بنى عبد شمس ، ثم قالت : « قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّكُمْ يَنْتَهُونَ » صبراً يامعشر المهاجرين والأنصار

[١] الزبير : ما يعلو الثوب الجديد كالذي تراه في القطيفة . وى رواية أخرى : عليها برد زيدي نسبة إلى زييد (فتح الزاي) بلد باليمن . [٢] من الرمكة بالضم وهي لوى الرماد . [٣] بصوت والشقشقة شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج . [٤] جمع إحنة : وهي الضفينة والهد توميء إلى ما كان من قتل على يوم بدر أحماء معاوية (حنظلة بن أبي سفيان) وجده لأمه (عنتبة بن ربيعة) وخله (الوليد بن عتبة) . [٥] تشير إلى ما حدث من هند زوج أبي سفيان (أم معارية) في غزوة أحد إذ بقرت بطن حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله وأخذت كبده لتأكلها فلا كتها ثم أوساتها .

قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غداً ، وفد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة فرّت من قسورة^(١) ، لا تدرى أين يُسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استقصوا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسَعَوْا لها ، فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره ، وأبى سبطينه ، خُلِقَ من طينته ، وتفرع من نَبْتِهِ^(٢) ، وجعله باب دينه ، وأبان ببغضه المناققين ، وهاهو ذامفكّ الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أُحُدٍ ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً ، ورِدّة وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ، قد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله !

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ما حرّجت^(٣) في ذلك . قالت والله ما يسوءنى يابن هند أن يجرى قتلى على يديّ من يُسعِدنى الله بشقاقه . قال هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقواين في عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به

[١] الأسد والزماة من الصيادين ، والواحد تسور . [٢] الذبعة في الأصل واحدة النع : شجر العسى والسهم . [٣] أئمت .

راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية : يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تُثنينين ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بعثمان تقصاً ، ولقد كان سباًقاً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه^(١) ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية ، (فإن قريشاً تحدثت أنك أحلمها) أن تُعفيني من هذه المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها . قال : نعم وَنِعْمَةً^(٢) عَيْنٍ ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بجائزة رقيقة ، وردها مكرمة .

(العقد الفريد ١ : ١٣٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٤٨)

٢١٢ - خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية

وذُكرت الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية عند معاوية يوماً ، فقال جلسائه : أيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال فأشيروا علىّ في أمرها ، فأشار بعضهم بقتلها ، فقال بثس الرأي ، أيحسن بمثلي أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعدّة من فرسان قومها ، وأن يمهد لها وطاء^(٣) لينا ، ويستترها بستر خفيف^(٤) ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن

[١] الحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء . [٢] أى أفعل ذلك إنعاماً لعينك وإكراماً .

[٣] الفراش . [٤] أصله من خصف النمل يخرجه كضرب ظاهر بعضها على بعض وخرزها وهي

نمل خفيف ، وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف .

كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ الْخِيَارَ إِلَىٰ فَإِنِّي لَا آتِيهِ ، وَإِنْ كَانَ حَتِّمٌ ، فَالطَّاعَةُ أَوْلَىٰ ،
فَعَمَلُهَا وَأَحْسَنُ جِهَاتِهَا ، عَلَىٰ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَىٰ مَعَاوِيَةَ . قَالَ مَرَجِبًا بِكَ
وَأَهْلًا ! قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّعْمَةَ . قَالَ : كَيْفَ كُنْتَ فِي مَسِيرِكَ ؟ قَالَتْ رَيْبِيَّةَ بَيْتٍ ، أَوْ
طِفْلًا مُمَهَّدًا . قَالَ بِذَلِكَ أَمْرَانَاهُمْ . أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ وَأَنَّىٰ لِي بِعِلْمِ
مَا لَمْ أَعْلَمْ ؟ قَالَ : أَلَسْتَ الرَّابِكَةَ الْجَلَّالَةَ الْأَحْمَرَ ، وَالوَاقِفَةَ بَيْنَ الصَّفِينِ بِصِفَتَيْنِ ، تَحْضِينَ
عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَوَقِّدِينَ الْحَرْبِ ؟ فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ
الرَّأْسُ وَبِتَرَ الذَّنْبِ ، وَلَنْ يَعُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالدهرُ ذُو غَيْرٍ ^(١) ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ،
وَالأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الأَمْرُ . قَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ أَنَحْفَظِينَ كَلَامَكَ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَتْ
لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُهُ ، وَلَقَدْ أُنْسِيْتَهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَحْفَظُهُ ، اللَّهُ أَبُوكَ حِينَ تَقُولِينَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : ارْعَوْا وَارْجِعُوا ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلَابِيبَ
الظُّلْمِ ، وَجَارَتْ بِكُمْ عَنِ قِصْدِ الْمَحْجَةِ ^(٢) ، فَيَالِهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءَ صَمَاءَ بَكَاءَ ، لَا تَسْمَعُ لِنَاعِقِهَا ،
وَلَا تَسْقُوقُ لِقَائِهَا ، إِنْ الْمَصْبَاحُ لَا يَضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَلَا تَنْبُرُ الْكُوكُبُ مَعَ
الْقَمَرِ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ . أَلَا مَنْ اسْتَرَشَدْنَا أَرَشَدْنَا ، وَمَنْ سَأَلْنَا
أَخْبَرْنَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْحَقُّ كَانَ يُطَلَبُ ضَالَّتَهُ فَأَصَابَهَا ، فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى الْغُصَصِ ، فَكَأَنَّ قَدْ أَنْدَمَلَ شَعْبُ الشَّتَاتِ ، وَالتَّأَمَّتْ كَلِمَةُ
الْحَقِّ ، وَدَمَغَ الْحَقُّ الظُّلْمَةَ ، فَلَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ فَيَقُولُ : كَيْفَ وَأَنَّىٰ ؟ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، أَلَا وَإِنْ خِضَابُ النِّسَاءِ الْحَنَاءِ ، وَخِضَابُ الرِّجَالِ الدَّمَاءُ ، وَهَذَا

[١] أحداث جمع غيرة بالكسر أو مفرد ، وجمعه أغيار . [٢] حادة الطريق .

اليوم ما بعده : والصبر خير في الأمور عواقبا :

إيهاً^(١) في الحرب قَدْ ما غير نا كصين ، ولا متشا كسين »

ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شَرِكْتُ عليكِ في كلِّ دم سفكه . قالت أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ! فمثلك بَشْرٌ بخير وسرٍّ جليسه . قال أويسرك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سُرِرْتُ بالخَبْر ! فأنى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية ، وقال : والله لوفائكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته ، اذ كرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين : آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبية . قال صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكساء . (العقد المرید : ١ : ١٣٠ ، وصبح الأعشى : ١ : ٢٥٢)

اختلاف اهل العراق في المواعدة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستعزَّ القتال . فال رأسٌ من أهل العراق لعلى : إن هذه الحرب قد أكلتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأى المواعدة . وقال بعضهم : لا بل تقاتلهم اليوم على ما فائناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت المواعدة ، وجذحت إلى الصلح والمسألة ، فقام على خطيباً ، فقال :

٢١٣ - خطبة الامام على كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أمرى على ما أحب ، حتى قدَحْتُم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهى لعدوكم أنْهَكُ ، وقد كنتُ بالأمس أميراً ،

[١] إيهاً : كلمة زجر بمعنى حسك (وإياه بالكسر منونة وغير منونة كلمة استعادة واستنطاق) والقدم المصى أمام وهو يمشى القدم إذا مضى في الحرب ، ورجل قدم : أى شجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مقبراً قدم في سبيل الله » القدم الاقدام ، أقدم على قرنه لإقداما وقدمتا تقدم عليه بجرأة صدر .

فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً، فأصبحت اليوم متهماً، فليس لي أن أحكم على ما تكرهون .

٢١٤ - خطبة كردوس بن هانيء

وقام كردوس بن هانيء ، فقال :

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ، ولا تبرأنا من علي منذ تولينا ، وإن قتلنا لشهيد ، وإن حينا لفائر ، وإن علياً على يدنة من ربه ، وما أجب القوم إلا انصافاً ، وكل مُحِقُّ مُنْصِفٌ ، فمن سلّم له نجا ، ومن خالفه هوى . »

٢١٥ - خطبة سفيان بن ثور

وقام سفيان بن ثور ، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله ، فردوه علينا فقاتلناهم ، وإنهم دعونا إلى كتاب الله ، فإن ردناه عليهم ، حلّ لهم منا ، ما حلّ لنا منهم ، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ، وإن علياً ليس بالراجع الناكس ، وهو اليوم على ما كان عليه أمس ، وقد أكاثنا هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إلا في الموادة . »

٢١٦ - خطبة حريث بن جابر

ثم قام حريث بن جابر فقال :

« إن علياً لو كان خلوا من هذا الأمر لكان المرجع إليه ، فكيف وهو قائده وسائقه ، وإنه والله ما قبل من القوم اليوم إلا الأمر الذي دعاهم إليه أمس ، ولورده عليهم كاتم له أعيب ، ولا يُلْحِدُ في هذا الأمر إلا راجع على عقبه ، أو مُسْتَدْرِج مغرور ، وما بيننا وبين من طعن علينا إلا السيف . »

٢١٧ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أخرجنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كُفينا مَمُونته ، فأما إذ استغينا ، فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاك القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فأريك أفضل »

٢١٨ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحُصَيْن بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :

« إِنَّمَا بُنِيَ هذا الدين على التسليم ، فلا تدفعوه بالقياس ، ولا تهديموه بالشبهة ، وإنا والله لو أنا لا تقبل من الأمور إلا ما نعرف ، لأصبح الحق في الدنيا قليلاً ، ولو تُرِكْنَا وما نهوى ، لأصبح الباطل في أيدينا كثيراً ، وإن لنا راعياً قد حمدنا وِردَه وصدّره ، وهو المأمون على ما قال وفعل ، فإن قال لا ، قلنا لا ، وإن قال نعم ، قلنا نعم » .

٢١٩ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حنيف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملاً لعلي على البصرة وله فضل ، فقال :

« أيها الناس : اتهموا رأيكم ، فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدِيثية يوم أبي جندل^(١) ، وإنا ليريد القتال إنكاراً للصالح حتى ردنا

[١] هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية (سنة ست للهجرة) بعث قريش من قبلها سهيل بن عمرو ليكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في المصالحة ، وقد جرى بينهما

عنه رسول الله ﷺ وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراراً ، فأجبناهم إليه إعداراً ، فلسنا والقوم سواء ، إنا والله ما عدلنا الحى بالحى ، ولا القتل بالقتل ، ولا الشامى بالعراق ، ولا معاوية بعليّ ، وإنه لأمر منه غير نافع ، وإعطائه غير ضائر ، وقد كَلَّتْ البصائر التي كنا نقاتل بها ، وقد حمل الشكّ اليقين الذي كنا نثول إليه ، وذهب الحياء الذي كنا نمارى به ، فاستظلموا في هذا القيء (١) ،

الصلح وكتبت صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكف بعضهم عن بعض على أن من أتى محمداً من قريش نفي إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف والحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلمون حين خرجوا لا يشكرون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ، ولما رأى سهيل ابنه أبا جندل فام إليه فصر بوجهه وأخذ بتلبينه « بفتح التاء : ما في موضع اللب (أى البحر) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، جعل ينثره بتلبينه ويجرّه ابرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا مهشر المسلمين أورد إلى المشركين يفتنونى في دىي ؟ فراد الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناكم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نقدر بهم ، ورتب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون . وإنما دم أحدهم دم كلب . ويدنى قائم السيف منه . قال عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ففض الرجل بأبيه ونفذت القضية .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان ممن حبس بمكة ، فبعث قريش في أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا النذر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . فانطلق إلى قومك . قال يا رسول الله : أتردني إلى المشركين يفتنونى في دىي ؟ قال يا أبا بصير انطلق ، فانطلق معهما حتى إذا كان في بعض الطريق عدا على أحدهما فقتله وهرب الآخر ، ورجع أبو بصير إلى المدينة فقال يا رسول الله وقت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أتهجانى الله منهم ، وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وخرج المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة إليه ، وانفلت إليه أبو جندل بن سهيل ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ، وضيقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير الاقتطموها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا أوام ، فلاحاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة . [١] الوء : ما كان شمساً فينسه الظل .

واسكنوا في هذه العافية ، فإن قاتم تقاتل على ما كنا تقاتل عليه أمس ، فهيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد .

٢٢٠ - خطبة عدى بن حاتم

ثم قام عدى بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عليّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وقَفَ عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجمل على النكث ، وأهل الشام على البغي ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله ، فسلموا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، ولئن كان إلى الإسلام إنه لأخو نبي الله والرأس في الإسلام ، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهمكهم عبادة ، ولئن كان إلى العقول والنحائر ^(١) إنه لأشد الناس عقلاً ، وأكرمهم نجيزة ، ولئن كان إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كان إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في شؤري عمر رضى الله عنهم ، وبايعوه بعد عثمان ، ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام ، فما الفضل الذي قرّبكم إلى الهدى ، وما النقص الذي قرّبه إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد ، لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض ، وكتاب سابق .»

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كل من تشعب

على عليّ رضى الله عنه .

٢٢١ - خطبة عبد الله بن حجل

ثم قام عبد الله بن حجل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما المكثر المنكر بأعلم بها من المقل المتترف ، وقد أخذت الحرب بأنفسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضعيف ، فإن تجب القوم إلى مادَعَوْكَ إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وقلوبنا بين جوانحننا ، وقد أعطيناك بقيمتنا ، وشرحت بالطاعة صدورنا ، ونفدت في جهاد عدوك بصيرتنا ، فأنت الوالي المطاع ، ونحن الرعية الأتباع ، أنت أعلمنا بربنا ، وأقربنا بنبينا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فسدد رأيك نتبعك ، واستخر الله تعالى في أمرك ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالي المطاع » .

فسرّ على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

٢٢٢ - خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يوم قدوم طلحة والزبير عليك ، فدعانا حُكَيْم^(١) إلى نصره عاملك عثمان بن حنيف^(٢) فأجبناه ، فقاتل عدوك ، حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكتفهم مثل

[١] هو حكيم بن حبله . [٢] كان عامل على البصرة ، وقد نشب القتال بينه وبين أصحاب عائشة

حين قدموا البصرة .

أَكْفَّ الإِبِلَ ، وجباهم مثل رُكْبِ المَعَزِ ، فَأَسْرَ الحَى ، وَسَلَبَ القَتِيلَ ، فَكُنَّا
أَوَّلَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بِلَاءَنَا بِصَفِينِ ، وَقَدِ كَلَّتِ البَصَائِرُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ،
وَبَقِيَ الحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتَ بَالِغٌ بِهَذَا حَاجَتِكَ ، وَالأَمْرُ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللهُ
فَرُّنَا بِهِ .

٢٢٣ - خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّامُ إِلَّا بِهَلَاكِ العِرَاقِ ، وَلَا
يَدِينُ لَهُ العِرَاقُ إِلَّا بِهَلَاكِ الشَّامِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا
نَقْصَنَا أَضْرَمَ ، فَإِذَا فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِنِ رَأَيْتَ غَيْرَهُ ^(١) فَفِينَا وَاللَّهِ مَا يُقْلُ بِهِ
الْحَدُّ ^(٢) ، وَيُرْدُّ بِهِ الكَلْبَ ^(٣) ، وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِبرَادٌ وَلَا صَدْرٌ .

٢٢٤ - خطبة الاحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنِ النَّاسَ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَائِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكَلِّتَ
فِي مَوْضِعِهِ حَسَنًا ، وَإِنِّه لَوْ نَكَلَ الآخِرِ عَنِ الأَوَّلِ لَمْ يَقْلُ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ
اليَوْمَ ، مَا قَدِ قِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ نَقَاتِلِ القَوْمَ لَنَا وَلَا لَكَ ، إِنَّمَا
قَاتَلْنَاكُمْ لِلَّهِ ، فَإِنِ حَالَ أَمْرُ اللهِ دُونَنَا وَدُونَكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَأَحْقْنَا
بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى إِلَّا القِتَالَ .

[١] أى فان رأيت غير رأينى « وهو الذى عبر عنه بقوله : إني أرى أمرا . . . الخ » وفى الأصل

« غيرك » وأراه محرفا . [٢] أى ففينا من البأس ما يقل به حد الأعداء وقوتهم .

[٣] الكلب : داء يشبهه الجنون يأخذ الكلاب فتعقر الناس ويعتري الناس أيضا من عضها ، وقد
استعاره هنا لطمع الأعداء فيهم وغارتهم عليهم .

٢٢٥ - خطبة عمير بن عطار

ثم قام عمير بن عطار، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم ، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب ، وعيب الواقف ، فقاتل القوم ، إننا معك . »

٢٢٦ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام علي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها ، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غاد عليهم بنفسى بالغداة ، فأحاطكمهم بسيفي هذا إلى الله . »

وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله ، فأصبح أصحاب معاوية ، وقد رفعوا المصاحف على الرماح ، وقلدوها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم . »

٢٢٧ - مقال عدى بن حاتم

فقام عدى بن حاتم ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل ، لا تُعَوَّق أهل الحق ، وقد جزع

القوم حين تأهبت للقتال بنفسك ، وليس بعد الجزع إلا ماتحب ، نأجز القوم »

٢٢٨ - مقال الأشتر النخعي

ثم قام الأشتر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجنباك لنديا . إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولكن بحمد الله الخلف لك ، ولو كان له مثل رجالك ، لم يكن له مثل صبرك ، ولا نصرتك ، فافرج^(١) الحديد بالحديد ، واستعين بالله » .

٢٢٩ - مقال عمرو بن الحمق

ثم قام عمرو بن الحمق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجنباك لنديا ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجنباك إلا لله تعالى ، وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكثرفيه اللجاج ، وطالت له النجوى^(٢) ، وقد بلغ الحق مقطعه ، وليس لنا معك رأى »

٢٣٠ - مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنالك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدري كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحمد لأهل العراق مني ، ولا بأوتر^(٣) لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله البقيا »

[١] أي شقّ سلاحهم ومزقه بسلاحك . [٢] السارّة . [٣] أي ولا أشدّ وترا . من وتره إذا أدركه بمكروه .

٢٣١ - مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَخْفِنَكَ الذين لا يوقنون ، أَحْكَمْ بعد حكم ، وَأْمُرْ بعد أمر؟ مضت دماؤنا ودماؤهم ، ومضى حكم الله علينا وعليهم .»

٢٣٢ - مقال عمار بن ياسر

فإما أظهر على أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجها إليك معاوية يبضاء ، من أقرَّ بها هلك ، ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا على أعقابنا ، بعد مائة ألف قُتلوا منا ومنهم ، أفلا كان هذا قبل السيف؟ وقبل طلحة والزبير وعائشة قد دعوك إلى ذلك فأبيت ، وزعمت أنك أولى بالحق ، وأن ما خالفنا منهم ضالٌّ حلال الدم ، وقد حكم الله تعالى في هذا الحال ما قد سمعت ، فإن كان القوم كفاراً مشركين ، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يَفِيئُوا^(١) إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، والله ما أساموا ، ولا أدوا الجزية ، ولا فاءوا إلى أمر الله ولا طَفَّتْ^(٢) الفتنة » فقال علىّ والله إني لهذا الأمر كاره

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل علىّ يبين لهم أنها خُدعة ومكيدة يرام بها توهين قوتهم ، وتشتيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقوله ، ولا يدعون لنصحه ، وأقبل الأبعث بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا لعليّ : « لا تردّ ما دعاك القوم إليه ، قد أنصفك القوم ، والله لئن تقبل هذا

منهم لا وفاء معك ، ولا نرمي معك بسهم ولا حجر ، ولا نقف معك موقفاً »
وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذ
دعيت إليه ، وإلّا نَدْفَعُكَ بِرُمَّتِكَ إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا ببن عفان » فلم
يربداً من الإذعان وقبول التحكيم . (الإمامة والسياسة ١ : ٨٩)

التحكيم بين علي ومعاوية

٢٣٣ - كلام عبد الله بن عباس لابي موسى الأشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضره للتحكيم
على كرهٍ من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس
وأشرافهم ، فقال له :

« أبا موسى : إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك ، لفضل لا تُشَارِكُ
فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ، ولكن
أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكمُ يَمَانِيّاً ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانٍ ،
وأيمُ الله إني لأظن ذلك شرّاً لك وانا ، فإنه قد ضُمَّ إليك داهيةُ العرب ، وليس
في معاوية خَلَّةٌ ^(١) يستحق بها الخلافة ، فإن تَقَدَّفَ بحقك على باطله ، تُدْرِكُ
حاجتك منه ، وإن يطمعُ باطلُهُ في حقك ، يُدْرِكُ حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى
أن معاوية طليقُ الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدعى الخلافة
من غير مشورة ولا يَبْعَةَ ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه ، فلقد

صدق ، استعمله عمر وهو الوالى عليه بمنزلة الطيب يَحْمِيهِ مَا يَشْتَهِي ، وَيُوجِرُهُ^(١) ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أَكْثَرَ من استعمال ممن لم يَدْعِ الخِلافةَ ، واعلم أن لعمرٍ ومع كل شئٍ يَسُرُّكَ خَبَأٌ^(٢) يسوءك ، ومهما نَسِيت فلا تنسَ أن علياً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعة هُدًى ، وأنه لم يقابل إلا العاصين والناكثين »

فقال أبو موسى : « رحمك الله والله مالى إمام غير عليّ ، وإني لواقف عند مارأى ، وإن حق الله أحبُّ إلى من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله » .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥)

٢٣٤ - وصية شريح بن هانىء لأبي موسى الأشعري

ولما أراد أبو موسى المسير ، قام إليه شريح بن هانىء الحارثى ، فأخذ يديه وقال :

« يا أبا موسى : إنك قد نُصِبْتَ لأمر عظيم لا يُجْبِرُ صدَّعُهُ ، ولا تُسْتَقَالُ فلتته ، ومهما تَقُلْ من شئٍ لك أو عليك ، يَثْبُتْ حَقُّهُ ، وَيُرَى صِحَّتُهُ ، وإن كان باطلاً ، وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأسَ على أهل الشام إن ملكهم عليّ ، وقد كانت منك تَتَّبِطَةُ^(٣) أيام الكوفة والجل ، فإن تَشَفَعَهَا بِمَثَلِهَا يَكُن الظن بك يقيناً ، والرجاء منك ياساً ، ثم قال :

أبا موسى : رُمِيتَ بِبِشْرٍ خَصَمٍ فلا تُضِعِ الدراق (فدأتك نفسى)
وأعطِ الحقَّ شامبهم وخبذه فإن اليوم فى مهل كأمس

[١] وجره الدراء (كوعده) وأوجره إياه : جعله فى يده ، وأوجره الريح : طعه ، ووجره : أسمع ما يكره . [٢] الحب : ماخي . [٣] أى تعروق .

وَإِنْ غَدَاً يَجِيءُ بِمَا عَلَيْهِ كَذَاكَ الدَّهْرُ مِنْ سَعْدٍ وَنَحْسٍ
 وَلَا يَخْدَعُكَ عَمْرُو ، إِنْ عَمْرًا عَدُوُّ اللَّهِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ
 لَهُ خُدْعٌ يَحَارُ الْعَقْلَ مِنْهَا مُمَوَّهَةٌ مَزْخَرَفَةٌ بَلْبَسُ
 فَلَا تَجْمَلُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ كَشَيْخٍ فِي الْحَوَادِثِ غَيْرِ نِكْسٍ^(١)
 هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ فَرَدَا سَوَى عَرَسٍ^(٢) النَّبِيِّ ، وَأَيُّ عُرْسٍ ؟
 فَقَالَ أَبُو مُوسَى : « مَا يَنْبَغِي لِقَوْمِ اتِّهَمُونِي أَنْ يَرْسَلُونِي لِأَدْفَعُ عَنْهُمْ بِالْحَلَا ،
 أَوْ أُجْرٌ إِلَيْهِمْ حَقًّا » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٣٥ - وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

ولما خكّم أبو موسى الأشعري أنه الأحنف بن قيس ، فقال له :
 « يَا أَبَا مُوسَى ، إِنْ هَذَا مَسِيرُ لُهُ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ عِزِّ الدُّنْيَا أَوْ ذُلِّهَا آخِرَ الدَّهْرِ ،
 ادْعِ الْقَوْمَ إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ ، فَإِنْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ أَنْ يَخْتَارَ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ قَرِيْشِ الْعِرَاقِ
 مَنْ أَحْبَبُوا ، وَيَخْتَارَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ قَرِيْشِ الشَّامِ مَنْ أَحْبَبُوا ، وَإِيَّاكَ إِذَا لَقِيتَ
 ابْنَ الْعَاصِ أَنْ تَصَافِحَ بَنِيَّةً ، وَأَنْ يُقْعَمَكَ عَلَى صَدْرِ الْمَجَاسِ ، فَإِنَّهَا خَدِيعَةٌ ، وَأَنْ
 يَضْمَكَ وَإِيَّاهُ بَيْتٌ ، فَيُكْمِنُ لَكَ فِيهِ الرِّجَالُ ، وَدَعُهُ فَلَيتَكَلَّمُ ، لِتَكُونَ عَلَيْهِ بِالْخِيَارِ ،
 فَالْبَادِيُّ مُسْتَعْلَقٌ^(٣) ، وَالْمَجِيبُ نَاطِقٌ » .

فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف ، وأشار به ، فكان من الأمر

[١] كشيح : يريد به الإمام علياً ، والكس : الضعيف والمفصر عن غاية الكرم .
 [٢] أي زوجته ، يريد السيدة خديجة رضي الله عنها ، وأي عرس : أي وأي عرس هي . اسـتهام
 المراد به العظيم .
 [٣] أصله بن قولهم : استنلقى في بيعه لم يجعل لي خياراً في ردّه أي أن البادي ليس له الخيار في رد ما قال .

ما كان ، فلقيةُ الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل والله قدميك في خُفِّ واحدة » .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦)

٢٣٦ - وصية معاوية لعمر بن العاص

وقال معاوية لعمر :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوةً لأهل الشام ، وفُرقةً لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول ، فإذا هو قال فاصمْتْ ، واعلم أن حسن الرأي زيادةٌ في العقل ، إن خوفك العراق نخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر نخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً ، نخوفه بمعاوية ، وإن أتاك بالجميل فأتهِ بالجميل » .

٢٣٧ - رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرج الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أمرك على مثل حدِّ السيف ، لم تنل في حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً ، وإن الدين منصور ، أرأيت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ »

فقال معاوية : « قل ما تريد وترى » . (الإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٣٨ - مقال شرح حبيل بن السمط لعمر

ولما ودَّعه شَرَحَ حَبِيلُ بْنُ السَّمْطِ قَالَ لَهُ :

« يا عمرو إنك رجل قريش ، وإن معاوية لم يبعثك إلا لعله أنك لا تؤثني من عجز ولا مكيدة ، وقد علمت أن وطأة هذا الأمر لك ولصاحبك ، فكن عند ظننا بك » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٠)

٢٣٩ - خطبة أبي موسى الأشعري

ولما التقى الحُكَّانُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْحِوَارِ مَا دَارَ ، أَقْبَلَا إِلَى النَّاسِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى ، فَحَمَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلَمْ نَرَأِ صَلاَحَ لِأَمْرِهَا ، وَلَا أَلْمٌ لِشَعْمِهَا ، مِنْ أَمْرِ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيِي وَرَأَى عَمْرُو عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَنْ نَخْلَعَ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ، وَتَسْتَقْبِلَ هَذِهِ الْأُمَّةُ هَذَا الْأَمْرَ ، فَيُؤَلَّوْا مِنْهُمْ مَنْ أَحْبَبُوا عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ عَلَيْهَا وَمَعَاوِيَةَ ، فَاسْتَقْبِلُوا أَمْرَكُمْ ، وَوَلُّوا عَلَيْكُمْ مَنْ رَأَيْتُمْ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ أَهْلًا ^(١) . »
ثم تنحى .

٢٤٠ - خطبة عمرو بن العاص

وأقبل عمرو بن العاص فقام فقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

[١] وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « وإني رأيت زعمراً أن يخلع علياً ومعاويةً ونجمها لعبد الله بن عمر فإنه لم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً » وفي رواية المسعودي في مروج الذهب : « وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه (وأهوى إلى عمامته فخلعها) واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصحب أباه النبي صلى الله عليه وسلم ، مبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر ، وأطراه ورغب الناس فيه » .

« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلق صاحبه ، وأنا أخلق صاحبه كما خلقه ،
واثبت صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ،
وأحق الناس بمقامه » .

فقال أبو موسى : « مالك - لا وقفك الله - غدرت وفجرت ! إِنَّمَا مَمْلُوكٌ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ^(١) » قال عمرو :
« إِنَّمَا هُمَثَلُ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٨ ،
والامامة والسياسة ١ : ١٠١ و مروج الذهب ٢ : ٣٢)

٢٤١ - خطبة الامام على بعد التحكيم

وخطب الامام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :

« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، ^(٢) وَالْحَدَثُ ^(٣) الجليل ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
صلى الله عليه وآله ، أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب ، تُورث
الحسرة ، وتُعقبُ الندامة ، وقد كنت أمرتك في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت
لكم مخزون رأبى ، لو كان يُطاعُ لِقَصِيرٍ ^(٤) أمرى ، فأبيتم على إباء المخالفين الجفاة ،
والمنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصحُ بنُصْحِهِ ، وَضَنَّ الزنادُ بِقَدْحِهِ ، فكنت
وإياكم كما قال أخوه هوازن ^(٥) :

أمرتكم أمرى بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فلم تستبينوا النُصْحَ إِلَّا ضَحَى الغد

[١] لث الكاب كقطع : أخرج لسانه من العطش أو التعب ، وكذا الرجل إذا أهيا .

[٢] من فدحه الدين أى أتفه . [٣] الحادث . [٤] قصير : هو مولى حذيمة الأبرش ، وكان
قد أشار على سيده أن لا يأمن الزبائى ملكة الجريرة ، وقد دعت إليها ليتزوجها ، وخالفه وقصد إليها ، فقال
قصير « لا يطاع قصير أمرى » فذهبت مثلاً . [٥] هو دريد بن الصمة .

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترعوهما حَكَمَيْنِ قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحيا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله ، فخكا بغير حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ ، ولا سُنَّةٍ ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشُدْ ، فبرى الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . استَعِدُّوا وتأهبوا للمسير إلى الشام . » .
(نهج البلاغة ١ : ٤٤ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٢٤٢ - خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام عليّ : **ثم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمرو ، فقام الحسن فتكلم فقال :**

« أيها الناس ، فدأ أكثرتم في أمر أبي موسى وعمرو ، وإنما بُعِثَ ليحكما بالقرآن دون الهوى ، فحكما بالهوى دون القرآن ، فمن كان هكذا لم يكن حكما ، ولكنه محكوم عليه ، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله ابن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : خالف (يعني أبا موسى) أباه عمر إذ لم يرضه لها ، ولم يره أهلا لها ، وكان أبوه أعلم به من غيره ، ولا أدخله في الشورى إلا على أنه لا شيء له فيها ، شرطاً مشروطاً من عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة ، وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، الذين يعقدون الإمامة ، ويحكمون على الناس ، وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا علم ما عنده من رد أو قبول . » . ثم جلس .

٢٤٣ - خطبة عبد الله بن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ)

ثم قال عليّ لعبد الله بن عباس : **قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :**
« أيها الناس : إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض

به، وراغب عنه ، وإنما سار أبو موسى بهدى إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كانا حكماً عليه بالقرآن لقد حكما عليه ، ولئن كانا حكماً بهما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه » ثم جلس .

٢٤٤ - خطبة عبد الله بن جعفر

فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فتكلم ، فقام وقال :

«أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه لعلی ، والرضا فيه إلى غيره ، جئتم بأبي موسى ، فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصاحا بما فعلا الشأم ، ولا أفسدا العراق ، ولا أماتا حقّ عليّ ، ولا أحييا باطل معاوية ، ولا يذهب الحقّ قلة رأي ، ولا نفخة شيطان ، وإنا لعليّ اليوم كما كنا أمس عليه » ثم جلس .
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

فتنة الخوارج

٢٤٥ - مناظرة عبد الله بن عباس لهم

لما رجع الإمام عليّ كرم الله وجهه من صفين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضلالا ، ونزلوا حروراء^(١) في اثني عشر ألفاً ، وأمروا على القتال شبّث بن ربعيّ

[١] بظاهر الكوفة .

وعلى الصلاة عبد الله بن الكوّاء ، فبعث إليهم على عبد الله بن عباس ، فقال لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك ، نخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« ما نفعتم من الحكمين ؟ وقد قال الله عز وجل : « إن يُريدَا إصلاحًا يُوقِقَ اللهُ بَيْنَهُمَا ^(١) » فكيف بأمة محمد ﷺ ؟ فقالت الخوارج : قلنا أمّا ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه ، فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : « يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ^(٢) » فقالوا له : أو تجعل الحكم في الصيد ، والحديث يكون بين المرأة وزوجها . كالحكم في دماء المسلمين ؟ وقالت الخوارج قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أعدل عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ، ويسفك دماءنا ؟ فإن كان عدلا فلسنا بجدول ، ونحن أهل حرب ، وقد حكمتم في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرحموا ^(٣) ، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عز وجل

(١) الآية في الصلح بين الزوجين « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا » .

(٢) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ » . (٣) يشيرون إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينه كتاباً ، وجعلتم بينكم وبينه الموادة والاستفاضة^(١) وقد قطع الله عز وجل الاستفاضة والموادة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة ، إلا من أقر بالجزية » (تاريخ الطرى ٦ : ٣٦ ، والكامل للمرد ٢ : ١٢٠)

٢٤٦ - مناظرة الامام على لهم

ثم خرج إليهم على حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس ، فقال : اتته عن كلامهم . ألم أنهك رحمك الله ؟

ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« اللهم إن هذا مقام من أفلج^(٢) فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن

نطق فيه وأوعث^(٣) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، ثم قال لهم : من

زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال على : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتكم يوم

صفين . قال أنشدكم بالله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم إلى

كتاب الله ، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ،

إني صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا ، فكانوا شرراً أطفال وشرراً رجال ، امضوا على

حکم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة وإدهانا^(٤) ومكيدة ،

فرددتم على رأيي ، وقلتم لا بل نقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولى لكم

ومعصيتكم إياى ، فلما أيتم إلا الكتاب ، اشترطت على الحكيم أن يحيا

ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن

[١] استفاض المكان استفاضة : اتسع وهي هنا مرادة للموادة .

[٢] الفلج والإفلاج : الظفر والفوز . [٣] أوعث : وقع في الوعث (الوعث بالسكون المكان السهل

الدهس تغيب فيه الأقدام والطريق المسر) . [٤] الإدهان : الفس .

نخالف حكماً يُحكّم بما في القرآن ، وإن أياً فنحن من حكمهما بُراء . قالوا له :
 نخبرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما
 حكمنا القرآن ، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما
 يتكلم به الرجال قالوا : نخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم
 الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ،
 ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم .

(تاريخ الطبري ٦ : ٣٧ ، الكامل المبرد ٢ : ١٢٨)

٢٤٧ - سورة أخرى

وروى صاحب العقد المناظرة بين عليّ وبين الخوارج بصورة أخرى وهاكها :
 « قالوا إن علينا ما اختلف عليه أهل النهر وان والقرى وأصحاب البرانس ،
 ونزلوا قرية يقال لها حروراء - وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم عليّ بن أبي
 طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليبرز إليّ ،
 فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يا ابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم
 بالحكمين ، ومقامكم بالكوفة ؟ قال : قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده ،
 فزعمت أن قتلانا في الجنة ، وقتلناهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا ،
 وحكمت كافراً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم :
 كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ بايعتكم ، وإن قضى عليكم بايعتموني ،
 فلولا شكك لم تفعل هذا ، والحق في يدك ، قال عليّ : يا ابن الكواء ، إنما
 الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ قال : نعم ، قال عليّ : أما قتالك معي
 عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتلانا

وقتلهم ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي ، وأما إرسالي المنافق
وتحكيمة الكافر ، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنساً ، ومعاوية حَكَمَ عمراً ،
أتيت بأبي موسى مبرنساً ، فقلت : لا نرضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل
منكم فقال : يا علي لا تُعْطِ هذه الدنْيَةَ فإنها ضلالة ؟ وأما قولي لمعاوية : إن جرّني
إليك كتابُ الله تبعْتُك ، وإن جرّك إليّ تبعني . رحمتَ أني لم أعط ذلك إلا من
شك ، فقد علمت أن أوثق ما في يديك هذا الأمر ، فخذني ويحك عن اليهودي
والنصراني ومُشركي العرب ، أهُم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام ؟
قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال عليّ : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم
كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا ؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : « قُلْ فَأَنُوبَا بَكِتَابٍ مِّنْ
عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » . أمّا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لا يوثق بكتاب هو أهدى مما في يديه ؟ قال : بلى ،
قال : فلم أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما أعطاهم ؟ قال : إنصافاً
وحجة ، قال : فإنني أعطيت القوم ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال
ابن الكواء : فإنني أخطأت هذه واحدة زِدني ، قال عليّ : فما أعظم ما نقتم
عليّ ؟ قال : تحكيم الحكمين ، نظرنا في أمرنا ، فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيراً ،
قال عليّ : فمتى سُمي أبو موسى حَكَمًا ، حين أُرْسِلَ ، أوحين حَكَمَ ؟ قال : حين
أُرْسِلَ ، قال : أليس قد سار وهو مسلم ، وأنت ترجو أن يَحْكَمَ بما أنزل الله ؟
قال : نعم ، قال عليّ : فلا أرى الضلال في إرساله ، فقال ابن الكواء ، سُمي
حَكَمًا حين حَكَمَ ، قال : نعم إذن فإرساله كان عدلاً ، أَرَأيت يا ابن الكواء لو أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مؤمناً إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله ، فارتدت علي عقيبها كافرين ، كان يضرب نبي الله شيئاً ؟ قال : لا ، قال علي : فما كان ذنبى إن كان أبو موسى ضلّ ، هل رضيتُ حكومته حين حَكَمَ ، أو قوله إذ قال ؟ قال ابن الكواء : لا ، ولكنك جعلت مساماً وكافراً يحكمان في كتاب الله ، قال علي : ويحك يا ابن الكواء ! هل بعث عمرا غير معاوية ؟ وكيف أحكمتُ وحكمتُ على ضرب عنقى ، إنما رَضِيَّ به صاحبه ، كما رضيت أنت بصاحبك ، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكان في أمر الله ، أرايت لو أن رجلاً مؤمناً تزوج يهودية أو نصرانية ، نخافا شقاق بينهما ، ففزع الناس إلى كتاب الله ، وفي كتابه « فَأَبْمَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا » فجاء رجل من اليهود ، أو رجل من النصارى ، ورجل من المسلمين ، اللذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء : وهذه أيضاً ، أمهلنا حتى ننظر ، فانصرف عنهم على .

فقال له صعصعة بن صوحان : يا أمير المؤمنين ، ائذن لى فى كلام القوم ، قال : نعم ما لم تبسُط يداً ، فنادى صعصعة ابن الكواء ، نخرج إليه فقال : أنشدكم الله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره^(١) ، وأن لا تخرجوا بأرض تسمون بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لَقِينَا بأمرٍ ، قولك فيه صغير فأمسك .

قالوا إن علياً خرج بعد ذلك إليهم ، نخرج إليه ابن الكواء ، فقال له علي : يا ابن الكواء ، إنه من أذنب فى هذا الدين ذنباً يكون فى الإسلام حَدَثًا ، استبتأه من ذلك الذنب بعينه ، وإن توبت أن تعرف هدى ما خرجت منه ، وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء : إننا لا ننكر أننا قد فُتِنَّا ، فقال له

[١] أى لغير منفعة الشخصية بل لام شعث المسلمين وجمع كلمتهم يعنى عليا وأصحابه .

عبد الله بن عمرو بن جرموز: أدركنا والله هذه الآية « أَلَمْ ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء ، فرجعوا فَصَلَّوْا خَلْفَ عَلِيِّ الظَّهْرَ ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولا م بعضهم بعضاً ، ثم خرجوا على علي ، فقتلهم بالنهر وان .
(العقد الفريد ٢ : ٢٤٠)

٢١٨ - مناظرة ابن عباس لهم

فأما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، وراه ضللاً ، فأتى الأشعث بن قيس علياً ، فقال يا أمير المؤمنين : إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضللاً ، والإقامة عليها كفرًا وتبت ، فخطب على الناس فقال :

« من زعم أنى رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضللاً فهو أضلُّ منها ، فخرجت الخوارج من المسجد فخمت ، فقيل اهلى إنيهم خارجون ، فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .
فأما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها فرحت اطول السجود ، وأيديا كَثَفَاتٍ ^(١) الإبل ، وعليهم قُمْصٌ مُرْحَضَةٌ ^(٢) وهم مشرؤون .
قالوا : ما جاء بك يا بن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار . فقالوا : إنا أتينا عظيماً حين حكمنا الرجال في دين الله . فإن تاب كما تبنا ، ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ، فقال ابن عباس : نَشَدْتُمْ اللَّهَ إِلَّا مَا صَدَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ . أما عامتهم أن

[١] ثفة البعير : ركبته . [٢] قمص جمع قميص ، ورحض الثوب : غسله .

الله أمر بتحكيم الرجال في أرب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا اللهم نعم ، قال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال ، للهدنة بينه وبين الحديبية^(١) ، قالوا: نعم ولكن عليا محافضا نفسه من خلافة المساميين ، قال ابن عباس: أذلك يزيلها عنه ؟ وقد محار رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سُهَيْل^(٢) بن عمرو لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك ، فقال للكاتب^(٣) اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكمين أن لا يجورا ، فعلى أولى من معاوية وغيره ، قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى على قال: فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا: صدقت ، قال ابن عباس: ومتى جار الحَكَمَ فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فاتبعهُ منهم ألفان وبقى أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على

البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي . (العقد الفريد ١ : ٢١٢)

٢٤٩ - خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام على كرم الله وجهه ذات يوم يخطب ، فإنه لفي خطبته ، إذ حكمت^(٤) المحكمة في جوانب المسجد ، فقال على : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل ، إن سكتوا عممناهم ، وإن تكلموا حجبناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غير مؤدع^(٥) ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من

[١] أى وبين أهل الحديبية ، والحديبية بئر قرب مكة ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست هجرية .

[٢] النائب عن قريش و قد صدق الصلح مع المسلمين . [٣] وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

[٤] أى قالوا لاحكم إلا الله ، ويسمى الخوارج المحكمة : أى الذين يمنعون التحكيم .

[٥] أى غير متروك ولا مقطوع : أى حمدا دائما .

إعطاء الدنيّة^(١) في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين إذهان^(٢) في أمر الله عز وجل ، وذل راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على أباقتل تُخَوِّفنا ؟ أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مُصَفَّحات^(٣) ، ثم لتعلمنَّ أيُّنا أولى بها صلياً^(٤)»
ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ،
وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنُخيلة . (تاريخ الطبرى ٦ : ٤١)

٢٥٠ - خطبة عبد الله بن وهب الراسبي

ولما بعث الإمام على أبا موسى الأشعري لإِيقاد الحُكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، ويُنبئون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا - التي الرضا بها والركون إليها ، والإيثار إليها عناءً وتَبَارُكٌ^(٥) - آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من^(٦) وُضِرَّ ، فإنه من يُمِنُّ وَيُضَرُّ في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوانُ الله عزَّ وجلَّ ، والخلودُ في جناته ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بعض كُور^(٧) الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المُضِلَّة »

[١] يريد بها قول التحكيم . [٢] الإذهان والمداهة : إظهار ما يستر . [٣] أي نضربكم بمحدها لابعرضها ، صربه بالسيف مصعجا : أي بعرضه . [٤] صلي النار وبها صليا : فاسى حرّها . [٥] هلاك . [٦] أي قطع وهجر . [٧] جمع كورة بالضم ، وهي المدينة والصنع .

٢٥١ - خطبة حرقوص بن زهير السعدى

فقام حُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ فقال :

« إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وَشِيكٌ ^(١) ، فلا تدعوا نكم زَيْنَتَهَا وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تَدْفِتَتِكُمْ عن طلب الحق وإنكار الظلم ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

٢٥٢ - خطبة حمزة بن سنان الأسدى

فقام حمزة بن سنان الأسدى فقال :

« يا قوم إن رأى ما قد رأيتم ، والحق ما قد ذكركم ، فولوا أمركم رجلا منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسناد ، وراية تحفون بها ، وترجعون إليها » .
فعرضوها على زيد بن حُصَيْنِ الطائى فأبى ، وعلى حُرْقُوصِ بن زهير فأبى ، وعلى حمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى العبسى فأبى ، وعلى عبد الله بن وهب فقال : « هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ، ولا أدعها فرقا ^(٢) من الموت » فبايعوه (لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ هـ) .

٢٥٣ - خطبة شريح بن أوفى العبسى ^(٣)

ثم اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى ، فقام شريح فقال :
إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا على الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ،
والقول بالحق ، والجهاد فى تقويم السبيل ، وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة

[١] سريح . [٢] جزعاً وخوفاً . [٣] قال ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة : « ثم اجتمعوا
فى منزل زهير بن حُصَيْنِ الطائى ، فقالوا : إن الله أخذ عهودنا ومواثيقنا . . . إلى آخر الخطبة ، ولم
يذكر قائلها ، وكر الطبرى فى تاريخه : أنهم اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى ، وذكر الفترات
الأخيرة من هذه الخطبة وعزاها إلى شريح » .

والسلام : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا على أهل دَعْوَتِنَا أَنْ قَدِ اتَّبَعُوا الْهَوَى ، وَنَبَذُوا حَكْمَ الْقُرْآنِ ، وَجَارُوا فِي الْحِكْمِ وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ جِهَادَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَضَ ، وَأَقْسَمَ بِالَّذِي تَعْنُو^(١) لَهُ الْوَجُوهَ ، وَتَخَشَعَ دُونَهُ الْأَبْصَارَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ ، وَقِتَالَ الْقَاسِطِينَ^(٢) مُسَاعِدًا ، لِقَاتَلْتَهُمْ وَحْدِي فَرَدًّا حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ رَبِّي ، فِيرَى أَنِّي قَدْ غَيَّرْتُ (إِرَادَةَ رِضْوَانِهِ) بِلِسَانِي ، يَا إِخْوَانِنَا ، اضْرِبُوا جِبَاهَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ يُطْعِمَ اللَّهُ كَمَا أَرَدْتُمْ أَنَا بِكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْآمِرِينَ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمَ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْصَاءِ حَكْمِ الضَّلَالَةِ ، فَاخْرَجُوا بِنَا إِلَى بَلَدٍ تَعَمَّدَ فِيهِ الْجَمَاعُ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قُلْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَصَمَدْتُمْ لِقَوْلِ الصَّدَقِ ، فَاخْرَجُوا بِنَا إِلَى « الْمَدَائِنِ^(٣) » نَسْكُنُهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سَكَانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

٢٥٤ - مقال زيد بن حصين الطائي

فقال زيد بن حصين الطائي :
 « إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مُجْتَمِعِينَ أَتْبِعْتُمْ ، وَلَكِنْ اخْرَجُوا وَحِدَانًا مُسْتَخْفِينَ ،

[١] تدل وتحض . [٢] الجائرين . [٣] على نهر دجلة شرقاً .

فأما المدائن ، فإن بها قوماً ينعونكم منها ، ويمنعونها منكم ، ولكن اكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة ، فأعلموهم بخروجكم ، وسيروا حتى تنزلوا جسر النهروان (١) .

قالوا : هذا هو الرأي ، فاجتمعوا على ذلك ، وكتبوا به إليهم .

(تاريخ الطبرى ٥ : ٤٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٤)

٢٥٥ - خطبة عليّ في تخويف أهل النهروان

فلما نزلوا بالنهروان ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث (٢) ، أتاهم الإلمع عليّ

كرم الله وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها العصابةُ التي أخرجها عداوةُ المراءِ واللجاجَةِ ، وصدّها عن الحق

الهُوى ، وطَمَحَ بها النَزَقُ (٣) وأصبحت في اللبسِ والخَطْبِ العظيمِ ، إني نذير

لكم أن تُصَبِّحُوا تُلْفِيكُمْ الأمةُ غداً صَرَعى بأثنا (٤) هذا النهر ، وبأهضام (٥)

هذا الغائط (٦) ، على غير بينة من ربكم ، ولا سلطان ميين معكم ، وقد طَوَّحَت

بكم الدار ، واحتبلكم (٧) المقدار .

[١] النهروان : بليدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ . [٢] من ذلك أنهم لقوا عبد الله ابن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته وهي حبلى متمّ (أى دنا ولادها) فقالوا : ماتقول في أبى بكر وعمر ؟ فأثنى عليهما خيراً ، قالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محققاً في أولها وفي آخرها ، قالوا : فما تقول في عليّ قبل الحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم وأشدهُ توفيقاً على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها ، لا على أفعالها ، ثم قرّبوه إلى شاطئِ النهر فذبحوه ، وسال دمه في الماء ، وبقروا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأصابوا مسلماً وانصرانياً ، وقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيراً ، وقالوا : احفظوا ذمة ببيكم ، وأرسل إليهم على رسولاً ينظر فيما بلنه عنهم فقتلوه ، فبعث إليهم أن ادفنوا لنا قتلة إخواننا منكم بقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فاعلم الله يقب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم ، فمثوا إليه ، فمالوا كلما قتلهم ، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءكم . [٣] الطيش . [٤] جمع نبي بالكسر أى منطفاته . [٥] جمع هضم (بالفتح وبكسر) وهو المظمن من الأرض . [٦] الغائط الطعائن الواسع من الأرض . [٧] أوقعكم في الحباله .

ألم تعلموا أنني نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهنٌ (١) ومكيدة لكم ؟ ونبأتم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنى أعرفُ بهم منكم ؟ (عرفتهم أطفالا ورجالا ، فهم أهل المكر والغدر) وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم ؟ فعصيتموني وأكرهتموني حتى حكمت ، فلما أن فعلتُ شرطتُ واستوثقتُ ، فأخذت على الحكّامين أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميّتا ، مأمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنَبَذْنَا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأول ، فوالذي بكم ، ومن أين أتيتُم ؟ » .

قالوا : « إنا حكّمنا ، فلما حكّمنا اثمنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا . فإن تبت كما تبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أيدت فاعتزنا ، فإننا منا بدوك على سوائٍ (٢) إن الله لا يحب الخائنين » .

فقال على : « أصابكم حاصِبٌ (٣) ، ولا بقي منكم وَاِبْرٌ (٤) ، أبعدَ إيماني برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجرتي معه ، وجهادى فى سبيل الله ، أشهد على نفسى بالكفر ؟ لقد ضللتُ إذنَ وما أنا مِنَ المُهتدينَ ، فأوبوا شرَّ مآبٍ (٥) ،

[١] دهن الرجل إذا ناق . [٢] هو من قوله تعالى « وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » وممناه إذا هادنت قوما فعلت بهم النقض للعهد ، فلا توقع بهم سابقاً إلى النقض حتى تلمهم أنك نقضت العهد ، فتكونوا فى علم النقض مستونين لثلاثتهم وك بالفسد ، ثم أوقع بهم . [٣] الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء (الطص) ، و-حصبه : رماه بالحصباء . [٤] أى أحد ويروى آبر ، وهو الذى يأبر النخل أى يصله ، ويروى آثر ، وهو الذى يأثر الحديث أى يرويه ويحكىه ، ويروى آبر ، وهو الواجب . [٥] أى ارجعوا شرّ مرجع .

وارجعوا على أثرِ الأَعْقَابِ^(١) أما إنكم ستَمْلِقُونَ بعدى ذُلًّا شاملاً، وَسَيَفًا قاطعًا،
وَأَثَرَةً^(٢) يتخذها الظالمون فيكم سُنَّةً «

٢٥٦ - سورة أخرى

وفي رواية أخرى أن عليًّا قال لأهل النهر :

« يا هؤلاء: إن أنفسكم قد سَوَّلت لكم فراقَ هذه الحكومة، التي أنتم
ابتدأتموها وسألتموها^(٣) وأنا لها كاره، وأنبأتكم أن القوم سألوكموها مكيدة
ودهنًا، فأيتيم عليًّا إباءَ المخالفين المنابذين، وعدلتهم عنى عدول النكداء^(٤)
العاصين، حتى صرفتُ رأبي إلى رأيكم، وأنتم والله معاشرُ أخفاءِ الهام^(٥)،
سُفهاءِ الأحلام، فلم آتِ (لا أبا لكم) بُجْرًا^(٦)، ولا أردت بكم ضُرًّا، والله
ما خبَلتكم^(٧) عن أموركم، ولا أخفيت شيئًا من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم
عُشْوَةً^(٨)، ولا دنيت^(٩) لكم الضُرَّاءَ، وإن كان أمرنا لأمرِ المسلمين ظاهرًا،
فأجمع رأي مَلَئِكِمْ على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن
ولا يعبدوا، فتأها^(١٠) وتركا الحق وهما يُبصرانه، وكان الجوز هوأهما (وقد سبقَ
استيشاقنا عليهما في الحكم بالعدل) وَالصَّدُّ للحق بسوء رأيهما وجورِ حكمهما،

[١] الأعقاب جمع عقب (بسر القاف) : وهو مؤخر القدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :
« وَرُزِدْ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ » يدعو عليهم بانكاس حلهم وارتدادهم وعودهم من العز
إلى الذل . [٢] أى استبداداً عليكم باليؤ والغنائم .
[٣] المراد : سألتوني أن أحيب إليها . [٤] رجل نكد (بكر الكاف وفتحها وسكونها) وأنكد
أى عسر ، وقرم أنكد وماكيد ، ولم أر في كتب اللغة جمعه على نكداء . [٥] أخفاء : جمع خفيف
والهام : الرؤوس ، وهو كناية عن قلة العقل . [٦] البجر ، بالضم والفتح : الشر والأمر العظيم ،
ويروى حراما . [٧] منعتكم وحبستكم . [٨] العشوة مثلثة : ركوب الأمر على غير بيان ،
وبالفتح الطامة ، ويقال : أوطأه عشوة ، أى غرته وحملته على أن يركب أمراً غير مستبين الرشيد ، فربما
كان فيه عطبه . [٩] دناء وأدناه : قرّبه . [١٠] ضلا .

والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق ، وأتيا بما لا يُعَرَف ، فيئِنوا لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ أن اختار الناس رجلين ^(١) أحل لكم أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم ، وتسفكون دماءهم ؟ إن هذا هو الخسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ »

فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، وتَهَيَّئُوا للقاء الرب ، الرِّوَّاحَ الرِّوَّاحَ إلى الجنة ، فزحف عليهم على أفئدتهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُقْلِتْ منهم إلا عشرة (وكان ذلك سنة ٣٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ) .

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٧ ، والامامة والسياسة ١ : ١٠٩ ونهج البلاغة ١ : ٤٤ - ٥٤)

٢٥٧ - خطبة المستورد بن علفقة

واجتمع بعد وقعة النهروان بالثخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله ابن وهب ، ومن لجأ إلى راية أبي أيوب ^(٢) ، ومن كان أقام بالكوفة فقال : لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتعاقدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن علفقة من بني سعد بن زيد مناة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته ، مُهْلِنًا مَقَالَتَهُ ، مُبْلِعًا عن ربه ، ناصحاً لأمتيه ،

[١] همزة الاستفهام مقبولة قبل أن ، أي هل اختيار الناس رجلين أحل لكم ذلك .

[٢] وذلك أن الإمام قبل أن يزحف عليهم في وقعة النهروان نصب لهم راية أمان مع أبي أيوب الأنصاري ، فناداهم أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم من لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب ثلثة إخواننا منكم في سفك دماءكم » .

حتى قبضه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا ، ثم قام الصديق فَصَدَقَ عن نبيه ، وقاتل من ارتدَّ عن دين ربه ، وذَكَرَ أن الله عز وجل قرَن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداهما طَعْنٌ على الأخرى ، لابل على جميع منازل الدين ، ثم قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام الفاروق فَفَرَّقَ بين الحق والباطل ، مُسَوِّياً بين الناس في إعطائه ، لا مُؤَثِّرًا لِأقاربه ، ولا مُحَكِّمًا في دين ربه ، وهأتتم تعلمون ما حدث ، والله يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » فكلُّ أَجَابٍ وِبايعٌ ^(١) .

(الكامل للبرد ٢ : ١٥٤)

خور أصحاب الامام وتقاعسهم عن نصرته

٢٥٨ - خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم أن يمضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس - وكان على البصرة - أن يُشَخِّصَ ^(٢) إليه مَنْ قَبْلَهُ مِنَ النَّاسِ ، فأمرهم ابن عباس بالشخص مع الأحنف ابن قيس ، فَشَخَّصَ معه منهم ألف وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل البصرة : قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بأشخاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يشخص إليهم منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم

[١] وقد وجه إليهم الإمام على ، عبد الله بن عباس داعياً فابوا ، فسار إليهم فطحنهم جميعاً لم يفلت منهم إلا خمسة منهم المستورد . [٢] شخص كنعن شخصاً : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

في الديوان^(١) ستون ألفاً، سوى أبنائكم وعبيدكم^(٢) ومواليكم، ألا فانفروا^(٣)، ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلاً، فإني موقعٌ بكل من وجدته تخلف عن دعوته، عاصياً لإمامه، حزيناً يُمقِبُ ندماً، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم، فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه» .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٢٥٩ - خطبة الامام وقد أراد الانصراف من النهروان

ولما أراد الامام الانصراف من النهروان ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى معاوية وأشياعه القاسطين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، « واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

٢٦٠ - مقال الأشعث بن قيس

فقال الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين : نفدت نبأنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت^(٤) أسنة رماحنا

[١] الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وهو فارسي معرب . قال القافقشندي في صبح الأعشى ١ : ٩٠ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجابن فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ، ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسمى الكتاب بذلك لحدوثهم بالأمور ، ووقوعهم على الجلي منها والحقى « اه ، ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر الدولة العباسية ، وكان عمر بن الخطاب رضی الله عنه أول من دوّن الدواوين في العرب سنة ٢٣ أي رتب الجرائد للعمال ورجال الجيش فيها أسماءهم ومراتبهم في النسب وأرزاقهم (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣) . [٢] جمع عبد . [٣] نمر إلى الشيء : أمرع إليه . [٤] سقطت .

وعاداً أكثرها قصيداً^(١) فارجع بنا إلى مصرنا ، فلنستعد بأحسن عُدَّتنا ، ولعلَّ أمير المؤمنين يزيد في عَدَدنا مثل من هلك منا ، فإنه أقوى لنا على عدونا .
فأقبل على الناس حتى نزل بالأنخيلة^(٢) ، ثم دخل الكوفة .

(الامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨ ،
وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٧٩)

٢٦١ - خطبة الامام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج

يستنفر الناس لقتال معاوية

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :
« أيها الناس استعدوا لقتال عدوِّ ، في جهادهم القربةُ إلى الله عز وجل ،
وذكرُ الوسيلة عنده ، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه ، مؤزعين^(٣) بالجور والظلم
لا يعدلون به ، جفافة عن الكتاب ، نكب^(٤) عن الدين ، يعمهون^(٥) في الطغيان
ويتسكعون^(٦) في عمرة الضلال ، فأعدوا لهم ما استطعتم من قُوَّةٍ ومن
رباط^(٧) الخيل ، وتوكلوا على الله وكنى بالله وكيلا »

فما نفرُوا ولا تيسرُوا ، فتركهم أياماً حتى إذا أيسر من أن يفعلوا دعا
رؤساءهم ووجوههم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذي ينظرون^(٨) ، ففهم المعتل ،
ومنهم المتكبر ، وأقلهم من نشيط ، فقام فيهم خطيباً فقال :

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٧٩ ، والامامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١)

[١] رمح : قصد ، وفصيد ، وأنفاد أى متكسر . [٢] وعسكر بها حين نزلها ، وأمر الناس أن
يلزموا معه معسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقولوا من زيارة أبنائهم ونساءهم حتى يسبوا إلى
عدوهم من أهل الشام . فحملوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوه وما معه إلا نفر من وجوه الناس
يسير ، وبقي العسكر خالياً ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل
الكوفة . [٣] أوزعه باليء : أغراه فأوزع به بالضم . [٤] من نكب عن الطريق : أى
عدل ومال . [٥] من العمه (محركة) : وهو التحير والتردد في الضلال . [٦] تسكح : مشى
مشياً متعسفاً ، وتحير . [٧] اسم للخيل التي تراط في سبيل الله ، فقال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به
كالرباطة أو جمع ربيط فمیل بمعنى مفعول . [٨] يؤخرهم .

٢٦٢ - خطبة له أيضا في استنفارهم لقتال معاوية

« عبَادَ اللَّهِ : مَا لَكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّمَا قَاتَلْتُمْ ^(١) إِلَى الْأَرْضِ ! أَرْضِيَّتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ بَدَلًا ، وَبِالنَّدْلِ وَالْهُوَانِ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا ؟ أَوْ كَلِمَا نَدَبْتُمْ إِلَى الْجِهَادِ دَارَتِ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنْكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَكْرَةٍ ، وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَا لَوْسَةٌ ^(٢) فَاتَمَّ لَا تَعْقِلُونَ ، وَكَأَنَّ أَبْصَارَكُمْ كَمُهْمَةٌ ^(٣) فَاتَمَّ لَا تُبْصِرُونَ ، اللَّهُ أَنْتُمْ ! مَا أَنْتُمْ إِلَّا الْأَسْوَدُ الشَّرِيُّ ^(٤) فِي الدَّعَةِ ^(٥) ، وَتَعَالَبُ رَوَاغَةٌ حِينَ تُدْعَوْنَ إِلَى الْبَأْسِ ! مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي ^(٦) ، مَا أَنْتُمْ بِرَكْبٍ يُصَالُ بِكُمْ ، وَلَا ذِي عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهِ ، لَعَمْرُ اللَّهِ لِبئْسَ حُشَّاشٌ ^(٧) الْحَرْبِ أَنْتُمْ ، إِنْكُمْ تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ وَلَا تَحَاشَوْنَ ^(٨) ، وَلَا يَتَأَمُّ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، إِنْ أَخَا الْحَرْبِ الْيَقْظَانُ ذُو الْعَقْلِ ، وَبَاتَ لِلدِّلِّ مَنْ وَادَعَ ، وَغُلِبَ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَالْمَغْلُوبُ مَقْهُورٌ وَمَسْلُوبٌ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَا بَعْدَ : فَإِنْ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَإِنْ لَكُمْ عَلَيَّ حَقًّا ، فَأَمَا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالْنَصِيحَةُ لَكُمْ مَا صَحِبْتُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئَتِكُمْ عَلَيَّ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعَامُوا ، وَأَمَا حَقِّي عَلَيْكُمْ ، فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنُّصْحُ لِي فِي الْعَيْبِ وَالْمَشْهَدِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمَرْتُكُمْ ، فَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِكُمْ خَيْرًا تَنْزِعُوا عَمَّا أَكْرَهُ ، وَتَرْجِعُوا إِلَى مَا أَحَبَّ ، تَمَلُّوا مَا تَطْلُبُونَ وَتَدْرِكُوا مَا تَأْمَلُونَ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١٠)

[١] تَنَاقَلْتُمْ . [٢] مِنَ الْأَسْرِ : كَشَمْسٍ ، وَهُوَ الْجُنُونُ وَاخْتِلَاطُ الْعَقْلِ ، أَلْسٌ (كَمَى) قَهْوٌ مَا لَوْسٌ . [٣] كَمُهْمَةٌ : جَمْعُ أَكْمَهٍ ، نَكْبَةٌ نَصْرَةٌ (كَفْرَجٌ) اعْتَرَتْهُ ظُلْمَةٌ تَطْمَسُ عَلَيْهِ . [٤] الشَّرِيُّ : مَوْضِعٌ نَسَبَ إِلَيْهِ الْأَسَدُ ، قِيلَ هُوَ شَرِيُّ الْفِرَاتِ وَنَاحِيَتِهِ وَهُوَ عِيَاضٌ وَأَجَامٌ وَمَأْسَدَةٌ . [٥] أَى فِي وَقْتِ الدَّعَةِ وَالْحَفْضِ . [٦] يُقَالُ : لَا آتِيكَ سَجِيسَ اللَّيَالِي : أَى أَبْدَأُ . [٧] جَمْعُ حَاشٍ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ حَشٍّ النَّارِ : أَى أَوْقَدَهَا [٨] أَى وَلَا تَتَحَشَّوْنَ عَنْ ذَلِكَ وَتَتَلَفَنُونَ بِالِدِفَاعِ عَنْهَا مِنْ حَاشِيَةِ الشَّيْءِ وَهِيَ نَاحِيَتُهُ كَمَا يَقُولُ تَنْحَى عَنْهُ : أَى تَبَاعَدُ عَنْهُ مِنَ النَّاحِيَةِ .

وروى الشريف الرضى هذه الخطبة في نهج البلاغة بصورة أخرى وهي :

٢٦٣ - صورة أخرى

«أف لكم ، لقد سئمت عتابكم ، أرَضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة عَوْضًا ، وبالذل من العز خَلْفًا؟ إذا دعوتكم إلى جِهَادِ عدوكم دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كأَنْكُمْ من الموت في نَعْمَةٍ (١) ، ومن الذُّهُولِ في سَكْرَةٍ ، يُرْتَجِّجُ (٢) عَلَيْكُمْ حَوَارِي فِتْمَمَهُوْنَ أَفَكَانَ قُلُوبُكُمْ مَا لَوْسَةٌ فَأَتَمُّ لَا تَعْقِلُونَ ! مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي ، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ (٣) ، وَلَا زَوَافِرٍ (٤) عَزِيٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كِبَابِلٌ ضَلَّ رِعَايَتُهَا ، فَكَلَّمَا مُجِعت من جانب انتشرت من آخر ، لبئس لعمرُ الله سَعَرُ (٥) نَارِ الحَرْبِ أَنْتُمْ ، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافَكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ (٦) ، لَا يَنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَآيَمُّ اللهُ إِنِّي لِأُظْنَ بِكُمْ أَنْ لَوْحَسَ (٧) الْوَعْيَى ، وَاسْتَحْرَّ الْمَوْتُ ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، انْفِرَا جِ الرَّأْسِ (٨) ، وَاللهُ إِنْ أَمْرًا يُمْكِنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرِقُ (٩) لَحْمَهُ ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرَى (١٠) جِلْدَهُ ، لِعَظِيمِ مُعْجَزَتِهِ ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ (١١) فَأَمَّا أَنَا : فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطَى ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ (١٢) تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشٌ (١٣) الْهَامِ ، وَتَطْيِحُ السُّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

[١] الغرة : الشدة . [٢] يغلغ : والحوار : المحاوره . [٣] أى يستند إليكم ويمال على العدو بقوتكم . [٤] جمع زامرة ، والزامرة من البناء ركنه ، ومن الرجل هشيرته . [٥] من سمر النار والحرب : كمنع أوقدها مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو هو جمع ساعر ، كقولهم : قوم كظم للنيظ جمع كظم . [٦] أى فلا تمتعضون . [٧] اشتد ، وكذا استحر ، وأصل الوعى : الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب وغى لما فيها من الأصوات والجلبة . [٨] أى انفراجا لا الثمام بعده . [٩] عرق العظم عرقا : أكل ما عليه من اللحم ، كمنعرقه . [١٠] يمزق . [١١] الخطاب عام لكل من أمكن عدوه من نفسه . [١٢] [١٣] العرب تدنو من الرّيف . عظامها الرقيقة .

أيها الناس : إن لي عليكم حقاً ، ولكم عليّ حقٌ ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفيرُ فيثمكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حق عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحةُ في المشهدِ والمغيبِ ، والإجابةُ حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم . (نهج البلاعة ١ : ٤٢)

وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« والله يا أهل العراق ، ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين^(١) عليكم ، فقالوا : « أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ » فقال :

« نعم والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إني أرى أمورهم قد علّت ، وأرى أموركم قد خبّت^(٢) ، وأراهم جادّين في باطلهم ، وأراكم وانين^(٣) في حقكم ، وأراهم مجتمعين ، وأراكم متفرقين ، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين ، وأراكم لي عاصين ، أما والله لئن ظهروا عليكم بعدى ، لتجدنهم أربابَ سوء ، كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم ، وحلوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تكشون^(٤) ككشيش الضباب ، لا تأخذون لله حقاً ، ولا تمنعون له حرمة ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويؤخفون علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يخرمونكم ويحبسونكم ، ويؤذنون الناس دونكم ، فلو قد رأيتم الحرمان ، ولقيتم النذل والهوان ، ووقع السيف ، ونزل الخوف ، لندمتم وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم ، وتذكرتم ما أتم فيه من الخفض والعافية ، حين لا ينفعكم التذكار . »

[١] منتصرين . [٢] من خبت النار ، أي سكنت وانطفأت .

[٣] من ونى إذا فتر وضمف . [٤] كشّ الصب ككشياً : صوت

٢٦٤ - خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمهم الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ ، إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُفَقِّهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المُحِلِّين ، فوالله لكأنكم صُمُّ لا تسمعون ، وقلوبكم غُلْفٌ ^(١) مطبوعٌ عليها ، فلا تستجيبون ، عبادَ الله أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس ، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام ، فذو حق محرومٌ مشتومٌ عرضُهُ ، ومضروب ظهرُهُ ، وملطوم وجهه ، وموطوء بطنه ، ومُلْتَقَى بالعرَاءِ ^(٢) ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدعَ بالحق ، ونشَرَ العدل ، وعَمِلَ بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، ولا تتولَّوا مُجْرِمِينَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، اشحذوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ، واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعِيتُمْ فأجيبوا ، وإذا أمرتم فأطيعوا ، تكونوا بذلك من الصادقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

٢٦٥ - خطبة الامام وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان ابن بشير الأنصاري في ألفين ، فأتوا عين التمر ^(٣) فأغاروا عليها ، وبها عامل

[١] جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غشى غلافا فهو لا يبي . [٢] الرءاء : الفضاء لا يستتر فيه بهيء . [٣] بلد على الفرات شمالي الكوفة .

لعلى في ثلثمائة ، فكتب إلى علي يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتشاقلوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« يا أهل الكوفة : كلما سمعتم بمنسِر^(١) من مناسر أهل الشام أظلكم ، أنجَحَر^(٢) كل امرئ منكم في بيته، وأغلق بابَه، أنجَحَارَ الضَّبِّ في جُحْرِهِ، والضَّبُعُ في وِجَارِهَا^(٣)، المغرور من غرَرتموه ، وَلَمَنْ فازَ بِكُمْ فازَ بالسهم الأَخِيبَ ، لأحرارُ عند الهداءِ، ولا إخوانُ ثقةٍ عند النَجَاءِ^(٤)، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا مُنيتَ به منكم ؟ عُميُّ لا تبصرون ، وَبُكُمْ لا تنطقون ، وَصُمُّ لا تسمعون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٧٧)

وروى الشريف الرضي في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهي :

٢٦٦ - صورة أخرى

مُنيت^(٥) بمن لا يُطيع إذا أمرتُ ، ولا يجيب إذا دعوتُ ! لا أبألكم ، ما تنتظرون بنصركم رَبِّكُمْ ؟ أمادِينُ يجمعكم ، ولا حَمِيَّةَ تُحْمِشِكُمْ^(٦) ؟ أقوم فيكم مُسْتَضْرِحًا ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَعَوِّثًا^(٧) ، فلا تسمعون لي قولًا ، ولا تُطيعون لي أمرًا ، حتى تَكشِفَ الأمورَ عن عواقبِ المساءة ؟ فما يُدركُ بكم ثأر ، ولا يُبلغُ بكم مَرَامٌ ؟ دَعَوَاتِكُمْ إلى نصرِ إخوانكم ، فَجَرَّجَرْتُمْ^(٨) جَرَّجَرَةَ الجملِ الأَسْرَّ^(٩) وتناقضتم

[١] المنسر : تظعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . [٢] من انجحر الصب : أى دخل جحره .
[٣] الوحار بالكسر والفتح : جحر الضع وغيرها . [٤] النجاء : السرعة في السير ، نحوث
نجاه أى أسرع وتسبق ، وغالوا : الجاء النجاء ، والجا النجا فلدوا وقصروا . [٥] بليت .
[٦] تمضيكم . [٧] فائلا واغوثاه . [٨] الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرتة ،
وأكثر ما يكون ذلك عند الاعياء والتعب . [٩] المصاب بداء السرر (بالتحريك) ، وهو وجع في
الكركرة (رعى زور البعير) .

تثاقُلَ النَّضْوِ ^(١) الْأَذْبَرَ ، ثم خرج إلى منكم جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ^(٢) ضَعِيفٌ ، كَأَنَّما يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ » .
(نهج البلاغة ١ : ٤٦)

٢٦٧ - خطبة الامام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة ^(٣)

ووجه معاوية الضحّاك بن قيس فأغار على الحيرة وغنم من أموال أهلها ، وبلغ ذلك عليّاً فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيباً فقال :
« أيها النَّاسُ المجتمعةُ أبدانهم ، المختلفةُ أهواؤهم ، كلامُكم يُوهي الصَّمَّ ^(٤) الصَّلَابَ ، وفعلكم يُطمعُ فيكم الأعداءُ ، تقولون في المجالسِ كَيْتَ وَكَيْتَ ^(٥) ، فإذا جاء القتالُ قلمَ حَيْدِي حِيَادِ ^(٦) ، ما عَزَّتْ دعوةٌ من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أعاليلُ بأضاليلَ ^(٧) ، دفاعَ ذِي الدِّينِ المَطُولِ ^(٨) ، هيهات لا يمنع الضيمُ الذليلُ ، ولا يُدْرِكُ الحقُّ إلا بِالْجِدِّ ، أَيَّ دارٍ بعد داركم تمنعون ؟ ومع أي إمامٍ بعدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غرّرتموه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخببَ ، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوقَ ناصيلِ ^(٩) ، أصبحتُ والله لأصدق قولكم : ولا أطمع في نصركم ، ولا أوعِدُ العدوَّ بكم ، ما بالكم ؟ مادواؤكم ؟

[١] النضو : البعير المهزول ، والأدبر : المدبور أى المجرور . [٢] جنيد : تصغير جند ، ومتذائب : أى مضطرب من قولهم : تذاابت الرياح ، أى اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئبا لاضطراب مشيته . [٣] شمالي الكوفة . [٤] يوهي : يشق ويخرق ، والصمّ : جمع أصمّ ، وهو الحجر الصلب المصمت . [٥] بفتح آخرهما ويكسر : أى كذا وكذا . [٦] حيدى حياذ : كلمة يقوها الهارب الهارب ، من حاد حيدانا بمعنى مال وانحرف ، أى ابعدى وتنعى عى أيها الحرب ، وهى نظيرة قولهم (يبحى فباح) أى اتسمى . [٧] الأضاليل : جمع أصولة بالضم ، وهى الضلال ، وفى كتب اللغة : العلالة « بالضم » والتعلة (كتحية) ، والصلة (بالفتح) ما يتعلل به « ولم أجد فيها كلمة أعاليل ولا مفردهما ، ولا بدّ أن تكون جمع أصولة بالضم : كأضاليل وأعاجيب والأعيب . الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تملل بأباطيل لاجدوى لها . [٨] مبالغة فى ماطل . [٩] سهم أفوق مكسور الفوق (بضم الفاء) والفوق : مدخل الوتر من السهم ، والناصل : العارى عن النصل .

ما طبَّيْكُمْ؟ القومُ رجالٌ أمثالكم! أقولُ لآبِغِيرِ عِلْمٍ ، وغفلةٌ من غيرِ وِزَعٍ ، وطمعاً
في غيرِ حقٍّ ! »

وزاد ابن قُتَيْبَةَ في الإمامة والسياسة :

« فرَّقَ اللهُ بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من خيرٍ لي منكم ، وأعقبكم
بعدي من شرِّ لكم مني ، أما إنكم ستلقون بعدي ذلاًّ شاملاً ، وسيفأ
قاتلاً ، وأثرةً يتخذها الظالمون بعدي فيكم سنةً ، تفرِّقُ جماعتكم ، وتبكي عيونكم
وتُدخلُ الفقرَ بيوتكم ، تَمَنُّونَ والله عندها أن لو رأيتموني ونصرتموني ،
وستعرفون ما أقول لكم عمَّا قليل .

استنفرتكم فلم تنفروا ! ونصحتُ لكم فلم تقبلوا ! وأسمعتكم فلم تعوا !
فأنتم شهود كأغياب ، وضُمُّ ذو وِاسْمَاعٍ ، أتلو عليكم الحكمة ، وأعظكم
بالموعظة النافعة ، وأحشكم على جهادِ المُحِلِّين^(١) ، الظلمة الباغين ، فما آتى على
آخر قولي ، حتى أراكم متفرقين ، وإذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً^(٢)
عزِينَ^(٣) ، تضربون الأمثال ، وتناشدون الأشعار ، تربت^(٤) أيديكم ، وقد
نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها ، وشغلتموها
بالأباطيل والأضاليل .

(نهج البلاغة ١ : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦)

٢٦٨ - خطبة الامام

وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

ووجه معاوية سُفْيَانِ بْنِ عَوْفِ الْغَامِذِيِّ فِي جَيْشٍ ، فَأَغَارُوا عَلَى الْأَنْبَارِ^(٥)

[١] أي الذين خرجوا على إمامهم واستحلوا قتاله . [٢] الخلق : محرقة جمع حلفة (سكون اللام)
وحلقة القوم : الذين يسمعون مستديرين . [٣] جمع عزة (بالكسر) : وهي الطائفة من الناس .
[٤] دعاء عليهم : أي خسرتم ولا أصبتم خيراً ، وأصله من ترب الرجل : أي انقصر كأنه لصق بالتراب .
[٥] بلد على الفرات .

وَقَتَلُوا عَامِلَ عَلِيٍّ عَلَيْهَا وَهُوَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانِ الْبَكْرِيُّ ، وَاحْتَمَلُوا مَا كَانَ فِي الْأَنْبَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَأَمْوَالِ أَهْلِهَا ، وَانْتَهَى الْخَبْرُ إِلَى عَلِيٍّ فَخَرَجَ مُغَضَّبًا ، حَتَّى أَتَى النَّخِيلَةَ ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ فَرَقِيَ رِبَاوَةَ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللَّهُ لَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتَهُ ^(٢) الْوَثِيقَةُ ، فَمَنْ تَرَكَ رَغْبَةً عَنْهُ ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذَّلِّ ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ ، وَدِيَّتُ ^(٣) بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ ^(٤) ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ ^(٥) ، وَأُدِيلَ ^(٦) الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ ، وَسِيمَ الْحَسْفِ ^(٧) ، وَمُنِعَ النَّصْفَ ^(٨) ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا ، وَقُلْتُ لَكُمْ اغزَوْهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَغزَوْكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ ^(٩) دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا ، فَتَخَذَلْتُمْ وَتَوَاكَلْتُمْ وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي ، وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ، حَتَّى شُدَّتْ ^(١٠) عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ ، وَمُنِكَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ ، هَذَا أَخُو غَامِدٍ ^(١١) قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ ، وَقَتَلَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانِ الْبَكْرِيُّ ، وَرَجُلًا مِنْهُمْ كَثِيرًا وَأَنْسَاءً ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاحِلِهَا ^(١٢) .

[١] الربوة والرباوة مثلثين : ما ارتفع من الأرض . [٢] وفأيته . [٣] ذل ، وأصله من داث الشيء من باب باع لان وسهل ومنه الديوث ، وهو الرجل الذي لا غيرة له على أهله ، والصغار : الذل . [٤] قأ : كجمع وكرم ، قماءة : ذل وصعر . [٥] هكذا في رواية ابن أبي الحديد من أسهب بالقم أي ذهب عقله ، وفي نهج البلاغة : (طبع الشام) بالأسمداد . [٦] من أداله الله من عدوه ، أي نصره عليه ، والباء في قوله « بتضييع الجهاد » السببية . [٧] أي أولى الذل والضيم ، وفي رواية المبرد « وسيمي الحسف » بالإضافة ، والسيمي : العلامة قال المبرد : هكذا حدثونا وأظنه سيم الحسف من قول الله عز وجل « يَسُومُونَكُمْ مِثْقَالَ الذَّنَابِ » [٨] النصف بالسكر وبثا ، والنصف والنصفة محركين الإيناف . [٩] وسطها وأصلها . [١٠] شن الغارة عليهم : صها من كل وحه ، من شن الماء على رأسه إذا صبه . [١١] يريد سفيان بن عوف الغامدي فأد الحلة على الأنبار . [١٢] جمع مسلحة بالفتح : وهي الثمر

والذى نفسى بيده ، لقد بلغنى أنه كان يُدْخَل على المرأة المسلمة ، والأخرى المَعَاهِدَةَ (١) ، فَيُنْتَزَعُ حِجْلُهَا (٢) وَقُلُوبُهَا (٣) ، وَقَلَائِدُهَا وَرُعُومُهَا (٤) ، مَا تَمْتَنَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ (٥) وَالِاسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ (٦) ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ (٧) ، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ دُونَ هَذَا أَسْفًا ، مَا كَانَ عِنْدِي فِيهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا .

يَا عَجِبًا كُلَّ الْعَجَبِ ! عَجِبٌ مُيِّتَ الْقَلْبِ ، وَيَشْغَلُ الْفَهْمَ ، وَيُكْثِرُ الْأَحْزَانَ ! مِنْ تَضَافُرٍ (٨) هُوَ لِأَنَّ الْقَوْمَ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، حَتَّى أَصْبَحْتُمْ (٩) غَرَضًا تَرْمُونَ وَلَا تَرْمُونَ ، وَيَعَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُعِيرُونَ ، وَيَعْصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ وَتَرْضَوْنَ ، إِذَا قَلْتَ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فِي الشِّتَاءِ ، قَلْتُمْ هَذَا أَوْانَ قُرٍّ (١٠) وَصِرَّ ، وَإِنْ قَلْتَ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فِي الصَّيْفِ ، قَلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ (١١) الْقَيْظُ ، أَنْظِرْنَا (١٢) يَنْصَرِمِ الْحَرْعَنَا ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ تَفْرُونَ ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفْرٌ ! يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالٍ ! وَيَا طَعَامَ (١٣) الْأَحْلَامِ ! وَيَا عَقُولَ رَبَّاتٍ

[١] الماعهدة : ذات العهد ، وهى الذمية . [٢] الحجل بالكسر والفتح : الحلحال ، وسمى القيد حجلاً لأنه يكون مكان الحلحال . [٣] القلب : سوار المرأة . [٤] الرئثة بالفتح : القِرط ، والجمع رعات بالكسر ، وجمع الجمع رعث بصحيتين . [٥] قول : إنا لله وإنا إليه راجعون . [٦] أى تأهين ، وفى رواية المبرد : « مومورين » أى لم يبل أحدا منهم بأن يروا فى بدن ولا مال . [٧] جرح . [٨] تعاون وتناصر . [٩] وفى رواية نهج البلاغة : « فحجاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى » وزادت رواية الجاحظ بعد ذلك : « وفيما ينهب » ، والترج : محركة الهم ، والعرض : الهدف . [١٠] القرمثلثة القاف : البرد ، والصر : شدة البرد ، وفى النهج : « وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء ، قلمت هذه صبارة انقر ، أمهلنا : ينسلخ عنا البرد » وصبارة الشتاء بتشديد الراء : شدة برده . [١١] شدة الحر . [١٢] أى أمهلنا حتى ينسلخ الحر ، وفى رواية النهج : « أمهلنا يسخ عن الحر » بتشديد الباء المفتوحة أى يخفف ويسكن ، وكل من خفف عنه شئ فقد سبغ عنه ، ومنه قولهم : اللهم نسح عنى الحمى : أى خففها . [١٣] أوغاد الناس ومن لا عقل له ولا معرفة عنده ، والأحلام العقول : جمع حلم بالكسر ، ويجمع أيضاً على حلوم ، وفى رواية النهج : « حلوم الأطفال » .

الْحِجَالُ^(١) ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُرْكَمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ، مَعْرِفَةٌ وَاللَّهُ جَرَّتْ نَدْمًا ، وَأَعْقَبْتُ سَدَمًا^(٢) ! قَاتَلَكُمْ اللَّهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا^(٣) ، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا^(٤) ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيانِ وَالْخِذْلَانَ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قَرِيشٌ : إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ فِي الْحَرْبِ ! اللَّهُ ذَرُّهُمْ^(٥) ! وَمَنْ ذَا يَكُونُ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي ، أَوْ أَشَدَّ لَهَا مِرَاسًا ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتَ الْعَشْرِينَ ، وَلَقَدْ نَيْفْتُ^(٦) الْيَوْمَ عَلَى السِّتِينَ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ (يَقُولُهَا ثَلَاثًا) .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَمَعَهُ أَخُوهُ^(٧) فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَأَخِي هَذَا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) فَرُّنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَنَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ جَبْرُ الْغَضَا^(٨) ، وَشَوْكُ الْقِتَادِ^(٩) » فَدَعَا لهُمَا بِخَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لهُمَا : « وَأَيْنَ تَقْعَانُ مِمَّا أُرِيدُ ؟ » ثُمَّ نَزَلَ .

(نهج البلاغة ١ : ٣٥ ، الكامل للبرد ١ : ١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٥ ، والأعاني ١٥ : ٤٣)

[١] الحجال : جمع حجلة بالتحريك ، وهي الفبسة ، وموضع يزبن بالستور والشياب للعروس - كناية عن النساء . [٢] السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غيظ مع حزن . [٣] القيج : ما يكون في القرحة من صديدها ، وشحنتم : ملأتم ، وفي رواية الكامل : « ولقد ملأتم جوفى غيظًا » . [٤] النغب : جمع نغبة بالفتح والضم ، وهي الجرعة ، والتهمام : الهم ، وأنفاساً أى جرعة بعد جرعة ، يقال : أكرع و الإيناء نفسين أو ثلاثة . [٥] لله ذرّه : أى عمله ، والدرّ أيضاً : اللبن ، أى لله الذرى الذى رضعه ، وهو تعجب أريد به التهكم ، وفي رواية النهج : « لله أبوم ! » [٦] نيمت : زدت ، ورواية النهج : « وهأنذا قد ذرّفت على الستين » أى زدت أيضاً . [٧] الرجل وأخوه : يعرفان بابنى عفيف من الأنصار . [٨] شجر جره يبق طويلا . [٩] شجر صلب له شوك كالإبر .

٢٦٩ - خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتلَّ الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله لم يبعث نبياً إلاَّ اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق ، لا يَنْتَقِصُ من حقنا أهل البيت أحدٌ ، إلاَّ نقصه الله من عمله مثله ، ولا يكون علينا دولةٌ ، إلاَّ وتكون لنا العاقبة ، ولتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بعد حين » .

(مروح الذهب ٢ : ٥٣)

٢٧٠ - خطبة معاوية وقد باعته هلاك الأشر

ولما نَمَى إلى معاوية هلاك الأشر النخعي^(١) ، قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان ، فُطِعت إحداهما يوم صفين (يعني عمار بن ياسر) ، وقُطِعت الأخرى اليوم (يعني الأشر) » .

(تاريخ الطبري ٦ : ٥٤)

[١] هو مالك بن الحارث بن عبد بعوث الحمصي توفي سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسموماً سمه معاوية ، وذلك أن الإمام علياً كان قد ولى على مصر محمد بن أبي بكر بصدد ذلك عليه ، وخرحت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشر وأتت معاوية عينونه فأخبروه بولاية الأشر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فعلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجليستار (رجل من أهل الحراج) ، فقال له إن الأشر قد ولى مصر، فإن أنت كفيئته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، (وقيل قال له أترك خراجك عشرين سنة) فاحتل له بما قدرت عليه ، وخرج الأشر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجليستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الحراج ، فزل به الأشر ، وسأل الدهقان أي الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل العسل ، فأهدى له عسلاً قد جعل فيه سمّاً وقال : إن من شأنه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تلف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن معه ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : « للبدن والفم » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنوداً منها العسل » .

فتنة البصرة

تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها (سنة ٣٨ هـ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سير إلى البصرة فإن جُلَّ أهلها يرون رأينا في عثمان ، ويُعطيون قتله ، وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم مَوْتُورُونَ حَمَقُونَ لِمَا أصابهم ، وَدُّوا لو يجدون من يدعوهم ويجمعهم ، وينهض بهم في الطلب بدم عثمان ، ودفع إليه كتاباً ، وأمره إذا قدم أن يقرأه على الناس ^(١) ، ففضى حتى نزل البصرة في بني تميم ، فسمع بقدمه أهل البصرة ، فجاءه كل من يرى رأى عثمان ، فاجتمع إليه روس أهلها .

٢٧١ - خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإنَّ إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفان ، قتله على بن أبي طالب ظالماً ، فطلبتُم بدمه ، وقَاتَلْتُم من قَتَلَه ، فجزاكم الله من أهل مصر خيراً ، وقد أُصِيبَ منكم المَلَأُ الأَخْيَارَ ، وقد جاءكم اللهُ بِأَخْوَانِ لَكُمْ ، لهم بِأَسْمُؤُكُمْ يُنْقِي ، وعددٌ لَا يُحْصَى ، فلقُوا عدوكم الذين قتلوكم ، فبلغوا الغاية التي أرادوا

[١] وكان الذي سدد لمعاوية رأيه في تسيير ابن الحضرمي كتاب كتبه إليه عباس بن صهار العبيدي ، وفيه : « أما بعد : فقد بلغنا وقتك بأهل مصر الذين بعوا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم طمعاً وبعياً ، فقرت بذلك البيوت ، وشفيت بذلك النفوس ، وبردت أئمة أقبام كانوا لقتل عثمان كارهين ، ولعدوهم معارقين ، ولكم موالين ، وبك راضين ، فإن رأيت أن تبعث إلينا أميراً طيباً ذكياً ذا عفاف ودين إلى الطلب بدم عثمان فعلت ، فإنني لا إخال الناس إلا يجمعين عليك ، وإن ابن عباس عاث عن المصير والسلام » فكتب إليه معاوية « أما بعد : فقد قرأت كتابك ، فعرفت نصيحتك ، وقبلت مشورتك . رحمة الله وسدّدك ، اثبت هداك الله على رأيك الرّشيد ، فكأنك بالرجل الذي سألت قد أتاك ، وكأنتك بالجيش قد أطل عليك ، فسررت وحييت والسلام .

صابرين ، وَرَجَعُوا وَقَد نَالُوا مَا طَلَبُوا ، فَالْتَمَوْمْ ^(١) وَسَاعِدِوهُمْ ، وَتَذَكَّرُوا تَارِكُمْ ،
لِتَشْفُوا صُدُورَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ .

٢٧٢ - خطبة الضحاك بن عبد الله الهلالي

فَقَامَ إِلَيْهِ الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ فَقَالَ :

. « قَبِّحَ اللَّهُ مَا جَعَلَنَا بِهِ ، وَمَادَعَوْتَنَا إِلَيْهِ ، جَعَلْتَنَا وَاللَّهِ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبَاكَ :
طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، أَتَيْنَانَا وَقَد بَايَعُنَا عَلِيًّا وَاجْتَمَعْنَا لَهُ ، فَكَلَمْتُنَا وَاحِدَةً ، وَنَحْنُ عَلَى
سَبِيلِ مُسْتَقِيمٍ ، فَدَعَاوَانَا إِلَى الْفُرْقَةِ ، وَقَامَا فِينَا بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ ، حَتَّى ضَرَبْنَا
بَعْضُنَا بِبَعْضٍ عُدْوَانًا وَظُلْمًا ، فَاقْتَلْنَا عَلَى ذَلِكَ ، وَآيَمَ اللَّهُ مَا سَامِنَا مِنْ عَظِيمٍ وَبَالٍ
ذَلِكَ ، وَنَحْنُ الْآنَ مُجْمَعُونَ عَلَى بَيْعَةِ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، الَّذِي أَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَعَفَا
عَنِ الْمَسِيءِ ، وَأَخَذَ بَيْعَةَ غَائِبِنَا وَشَاهَدَنَا ، أَفْتَأْمُرُنَا الْآنَ أَنْ نَحْتَلِعَ أَسْيَافِنَا مِنْ
أَنْعَمَادِهَا ، ثُمَّ يَضْرِبَ بَعْضُنَا بِبَعْضًا ، لِيَكُونَ مَعَاوِيَةَ أَمِيرًا ، وَتَكُونَ لَهُ وَزِيرًا ،
وَنَعْدِلَ بِهَذَا الْأَمْرِ عَنْ عَلِيٍّ ؟ وَاللَّهِ لَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ عَلِيٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، خَيْرٌ مِنْ بِلَاءِ مَعَاوِيَةَ وَآلِ مَعَاوِيَةَ ، لَوْ بَقُوا فِي الدُّنْيَا ، مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ ^(٢) . »

فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَازِمِ السَّامِيِّ ، فَقَالَ لِلضَّحَّاكِ : « اسْكُتْ فَلَسْتُ بِأَهْلٍ أَنْ
تَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَقَالَ : « نَحْنُ يَدُكَ وَأَنْصَارُكَ ،
وَالْقَوْلُ مَاقَلْتَ ، وَقَد فَهَمْنَا عَنْكَ ، فَادْعُنَا أُنَّى شِئْتَ » فَقَالَ الضَّحَّاكُ لِابْنِ حَازِمِ :
« يَا بَنَ السَّوْدَاءِ ^(٣) ، وَاللَّهِ لَا يَعِزُّ مَنْ نَصَرْتَ ، وَلَا يَذِلُّ بِجِذْلَانِكَ مَنْ

خَذَلْتَ » فَتَشَاتَمَا

[١] ساعدوهم . [٢] ما ظرفية ، أي مادامت الدنيا باقية .

[٣] وكانت أمه سوداء حبشية يقال لها مجلى .

٢٧٣ - خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

فقام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشي التميمي فقال :

« عبادَ الله : إنالم ندعُكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتتلوا وتتنازوا ^(١) ، ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم ، وتوازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلمؤا شعثكم ، وتصلحوا ذات بينكم ، فهلاً مهلاً رحمكم الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذي يقرأ عليكم » .

فأما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف ابن قيس : « أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل ^(٢) » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا ببعثكم ، ففتح بكم واقعة ، وتصيبكم قارعة ^(٣) ، ولا يكن بعدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم وألكن لا تحبون الناصحين » .

* * *

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يعزبه عن محمد بن أبي بكر - فأفزع ذلك زياداً وهاله ، وخلى قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجبأها ، وأجمعت الأزد على زياد ، وأعدوا له منبراً وسريراً وشُرطاً .

[١] النزب : محركة اللقب ، والتناز : التعاريف والتداعي بالألقاب . [٢] أصل المثل للحارث بن عباد البكري حين قتل جساس بن مرة كليياً ، وهاجت الحرب بين بكر وتغلب (حرب البسوس) وكان الحارث قد اعتزلهما ، والقصة مشهورة . [٣] داهية .

٢٧٤ - خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتم أوليائي وأولَى الناسِ بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابنُ الحضرمي فيكم ، لم أطمع فيه أبداً ، وأنتم دونه ، فلا يطمع ابن الحضرمي فيّ وأنتم دوني ، وليس ابنُ آكلةِ الأَكبادِ - في بقيةِ الأحزابِ وأولياءِ الشيطانِ - بأدنى إلى العُدَّةِ من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبَحْتُ فيكم مضموناً ، وأمانةً مُودَّةً ، وقد رأينا وقَعَتكم يومِ الجمل ، فاصبرُوا مع الحقِّ صَبْرَكُمْ مع الباطل ، فإنكم لا تُحْمَدُونَ إلا على النجدة ، ولا تُعَذَّرُونَ على الجبن » .

٢٧٥ - خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يوم الجمل وكان غائباً - فقال :

« يا معشر الأزد : ما أبقت عواقب الجمل عليكم إلا سوءَ الذكر ، وقد كنتم أمس على عليّ عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم^(١) له ذلٌّ ، وَخِذْلَانُكُمْ إياه عار ، وأنتم حتى مِضْمَارِكُم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فإن سارَ القوم بصاحبهم فَسِيرُوا بصاحبكم ، وإن استمدُّوا معاوية فاستمدُّوا عليّاً عليه السلام ، وإن وادعوكم فوادعوهم » .

٢٧٦ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صبرة ابنه ، فقال :

« يا معشر الأزد : إنا قلنا يومِ الجمل نمنع مِصْرَتَنَا ، ونُطِيعُ أَمْنًا ، ونطلب دم

خليفتنا المظلوم ، جُددنا في القتال ، وأقنا بعد انهزام الناس ، حتى قُتل منا مَنْ لا خير فينا بعده ، وهذا زيادٌ جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من عليٍّ ما نخاف من معاوية ، فَهَبُوا لَنَا أَنْفُسَكُمْ ، وامنعوا جاركم ، أو فأبلغوه مأمنه .
فقال الأزد : « إيمانحن لكم تبع فأجبروه » .

٢٧٧ - خطبة الامام عليّ

واستنفر عليّ بنى تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة مَنْ يكفيه أمر ، ابن الحضرمي ، ويردّ عادية بنى تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد ، فخطبهم وقال :
« أليس من العجب أن ينصرني الأزد ^(١) ، وَتَحْذَلْنِي مُضَرٌّ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ تَمِيمِ الْكُوفَةِ بِي ، وَخِلَافُ تَمِيمِ الْبَصْرَةَ عَلَيَّ ، وَأَنْ أَسْتَجِدَّ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْخَصَ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا فَلِلْمُنَابَذَةِ وَالْحَرْبِ ، فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ مُصَمًّا بِكُمْ لَا يَفْقَهُونَ حِوَارًا ، وَلَا يُجِيبُونَ نِدَاءً ، كُلُّ هَذَا جُبْنًا عَنِ الْبَأْسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا ^(٢) ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ ^(٣) ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلْمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ ^(٤) تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ ^(٥) أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْتَقِي صَاحِبَهُ كَأَسَى الْمُنُونِ ، فَرَّةٌ لَنَا مِنْ عَدُونَا ،

[١] هم من العرب اليمانيين . [٢] قتلهم الأقارب في دات الله كثير ، قتل عليّ عليه السلام الحِمِّ الغير من بنى عبد مناف وبنى عبد النزار في يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هاشم بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شعبة بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب السيرة . [٣] لقم الطريقي : الجادة الواضحة منها .

[٤] التصاول : أن يصل كل من الفريقين على صاحبه .

[٥] التخالس : التسلب ، أى يبي كل أن يسلب روح الآخر .

وَمَرَّةً لَعَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ^(١) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا
النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ^(٢) ، وَتَمَبَّوْنَا أَوْطَانَهُ ، وَلَعَمْرِي لَوْ
كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِيمَ اللَّهِ
لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا^(٣) ، وَاتَّبَعْنَاهَا نَدْمًا .

فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْيُنُ بْنُ ضَبِيْعَةَ الْمُجَاشِعِيِّ^(٤) فَقَالَ :

« أَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبَ ، وَأَتَكْفِلُ لَكَ
بِقَتْلِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالتَّهْيِؤِ لِلشَّخْصِ ، فَشَخَّصَ
إِلَى الْبَصْرَةِ .

٢٧٨ - خُطْبَةُ أَعْيُنِ بْنِ ضَبِيْعَةَ

فَلَمَّا قَدِمَهَا دَخَلَ عَلَى زِيَادٍ ، وَهُوَ بِالْأَزْدِ مَقِيمٌ فَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى
رَحْلَهُ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا قَوْمَ : عَلَى مَاذَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُهَرِّيقُونَ دِمَاءَكُمْ ، عَلَى الْبَاطِلِ مَعَ
السُّفَهَاءِ الْأَشْرَارِ ؟ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا جِئْتُكُمْ حَتَّى عُيِّبْتُ إِلَيْكُمْ الْجُنُودَ ، فَإِنْ تُدْبِئُوا إِلَى
الْحَقِّ يُقْبَلُ مِنْكُمْ وَيُكَفَّرَ عَنْكُمْ ، وَإِنْ أُيْتِمَ فَهُوَ وَاللَّهِ اسْتِنْصَالُكُمْ وَبَوَارِكُمْ » .

فَقَالُوا بَلْ نَسْمَعُ وَنَطِيعُ ، فَنَهَضَ بِهِمْ إِلَى جَمَاعَةِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَخَرَحُوا إِلَيْهِ
مَعَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَوَأَفْتَهُمْ عَامَةً يَوْمَهُ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ وَيَقُولُ : « يَا قَوْمَ لَا تَتَمَكَّنُوا
بِيعْتِكُمْ ، وَلَا تُخَالِفُوا إِمَامَكُمْ ، وَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا ، فَقَدْرًا يَتِمُّ وَجْرَتُمْ كَيْفَ

[١] الإذلال . [٢] جران البعير : مقدم عنقه ، وهو كناية عن التمكن كالعير باقى حرانه على الأرض . [٣] يقال لمن أسرف في الأمر : لتحتلبن دما ، وأصلها الناقة يفرط في حلبها فيحلب الحالب الدم . [٤] مجاشع بن دارم أبو قبيلة من تميم ، وأعين بن ضبيعة ، هو الذي نقر الجمل الذي كانت عليه طائفة يوم الجمل .

صنع الله بكم عند نكثكم يبعثكم وخلافكم»
فكفوا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى
إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، وكتب زياد إلى
الإمام بذلك ، فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

٢٧٩ - خطبة جارية بن قدامة

فلما دخل البصرة بدأ زياد ، فواجه ساعة وساءله ، ثم خرج من عنده ،
فقام في الأزدي فقال :

« جزاكم الله من حَيٍّ خيراً ، ما أعظم غناءكم ^(١) ، وأحسن بلاءكم ،
وأطوعكم لأمركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضيعة من أنكره ، ودعوتم إلى الهدى
إذ تركه من لم يعرفه » ثم قرأ عليهم كتاب علي عليه السلام ، فقام صبرة بن
شيمان ، فقال : « سمعنا وأطعنا ، ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولن
سالم سلم ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك ، وإن أحببت أن ننصرك
نصرتك » وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير
معه ، ومضى نحو بني تميم .

٢٨٠ - خطبة زياد

فقام زياد في الأزدي فقال :

« يا معشر الأزدي : إن هؤلاء كانوا أمس سلماً ، فأصبحوا اليوم حرباً ، وإنكم
كنتم حرباً فأصبحتم سلماً ، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت
فيكم إلا على الأمل ، فما رضيتم أن أجرتوني ، حتى نصبتكم لي منبراً وسريراً ،

وجعلتم لى شُرطاً وأعواناً ومُنَادياً ومُجمعة ، فافقدتُ بحضرتكم شيئاً إلا هذا الدرهم لا أجيبه اليوم ، فإن لم أجبه اليوم أجبه غداً إن شاء الله ، واعلموا أن حربكم اليوم معاويةَ أيسرُ عليكم في الدنيا والدين من حربكم أمسَ علياً ، وقد قدمَ عليكم جاريةُ بن قُدامة ، وإمّا أرسله علىّ ليصدعَ أمر قومه ، والله ما هو بالأمر المطاع ، ولو أدركَ أمّله في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولكن لى تبمّا ، وأنتم الهامةُ العظمى ، والجُمرةُ الحامية ، فقَدّمُوهُ إلى قومه ، فإن اضطرَّ إلى نصركم ، فسيروا إليه إن رأيتم ذلك .

٢٨١ - خطبة أبي صبرة شيان

فقام أبو صبرة شيان فقال :

« يا زياد ، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا علياً ، وقد مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسّيئ ، والنوبة مع الحق ، والعفوم مع الندم ، ولو كانت هذه فتنةً لدعوننا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئفاف الأمور ، ولكنها جماعةٌ ، دماؤها حرام ، وجروحها قصاصٌ ، ونحن معك نحب ما أحببت »
 فعجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظن في الناس مثل هذا »

٢٨٢ - خطبة صبرة بن شيان

ثم قلم صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أصبنا بمصيبة في دين ولا دنيا ، كما أصبنا أمسَ يوم الجمل ،

وإننا لنرجو اليوم أن يُمَحَّصَ^(١) ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، وأما أنت ، يا زياد ، فوالله ما أدركتَ أملكَ فينا ، ولا أدركنا أملنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن رادوكَ إليها غدًا إن شاء الله تعالى ، فإذا فعلنا فلا يكن أحدٌ أولى بك منا ، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإننا والله نخاف من حرب عليٍّ في الآخرة ، ما لانخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطوّعك .

٢٨٣ — خطبة خنفر الحماني

ثم قام خنفر الحماني فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا ، لم نرضَ ذلك لأنفسنا ، سر بنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قطُّ إلا اكتفينا بعمقونا^(٢) دون جُهدنا ، إلا ما كان أمس . »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي ، فاقتتلوا ساعة ، فالبثوا بنى تميم أن هزموا ، وحصروا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عِدَّة من أصحابه ، وحرقت جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً ، وسارت الأزد بزياد ، حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة ١ : ٥٣)

[١] من محس الذهب بالنار كقطع أخلصه مما يشوبه . [٢] الغزو : الريادة .

٢٨٤ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل على كرم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتاباً مُصْحَبَةً صَعَصَعَةَ بنِ صُوحَانَ ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأتى باب معاوية ، فقال لِأَذِنِهِ ، اسْتَأذِنُ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَبِالْبَابِ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ - فَأَخَذَتْهُ النَّعَالُ وَالْأَيْدِي ، لِقَوْلِهِ « أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْجَلْبَةَ ، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمَعَاوِيَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنِي أَبِي سُفْيَانَ ، هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الرَّسُلُ تُقْتَلُ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ لَقَتَلْتُكَ ، ثُمَّ اعْتَرَضَهُ مَعَاوِيَةُ فِي السَّكَّامِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَخْبِرَهُ ، لِيَعْرِفَ طَبْعًا أَوْ تَكَلُّفًا ، فَقَالَ لَهُ مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ مِنْ نِزَارٍ ، قَالَ وَمَا كَانَ نِزَارٌ ؟ قَالَ كَانَ إِذَا غَزَا انْكَمَشَ ^(١) ، وَإِذَا لَقِيَ افْتَرَشَ ^(٢) ، وَإِذَا انْصَرَفَ احْتَرَشَ ^(٣) ، قَالَ فَمَنْ أَيُّْ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ مِنْ رَبِيعَةَ ، قَالَ وَمَا كَانَ رَبِيعَةَ ؟ قَالَ : كَانَ يَطِيلُ النَّجَادَ ^(٤) ، وَيَعْمَلُ الْعِبَادَ ، وَيَضْرِبُ بِبِقَاعِ الْأَرْضِ الْعِمَادَ ، قَالَ : فَمَنْ أَيُّْ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ مِنْ جَدِيدِلَةَ ، قَالَ وَمَا كَانَ جَدِيدِلَةَ ؟ قَالَ كَانَ فِي الْحَرْبِ سَيْفًا قَاطِعًا ، وَفِي الْمَكْرُمَاتِ غِيثًا نَافِعًا ، وَفِي اللَّقَاءِ لَهَبًا سَاطِعًا ، قَالَ فَمَنْ أَيُّْ أَوْلَادِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، قَالَ وَمَا كَانَ عَبْدِ الْقَيْسِ ؟ قَالَ كَانَ حَسَنًا أَيْضًا ^(٥) وَهَابًا ، يَقْدَمُ لَضَيْفِهِ مَا وَجَدَ ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا فَقَدَ ، كَثِيرُ الْمَرْقِ ، طَيِّبُ الْمَرْقِ ، يَقُومُ لِلنَّاسِ مَقَامَ الْغَيْثِ مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ وَيَحْكُ يَا بَنِي صُوحَانَ ! فَمَا تَرَكْتَ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ مَجْدًا وَلَا نَجْرًا ؟ قَالَ بَلَى وَاللَّهِ يَا بَنِي أَبِي سُفْيَانَ ! تَرَكْتَ لَهُمْ مَا لَا يَصْلِحُ

[١] انكمش وتكش : أسرع والكمش الرجل السريع . [٢] افترش فلانا : غلبه وصرعه .
 [٣] احترش الشيء : جمعه وكسبه . [٤] حائل السيف ، وهو كناية عن طول القامة .
 [٥] أي أبيض اللون كناية عن أنه حرّ لارقيق أو أبيض العرض تقيه .

إِلَّا لَهُمْ ، تَرَكَتْ لَهُمُ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ^(١) ، وَالسَّرِيرَ وَالْمُنْبَرَ^(٢) ، وَالْمَلِكَ إِلَى الْمُحَشَّرِ ، فَفَرَحَ مَعَاوِيَةَ ، وَظَنَّ أَنَّ كَلَامَهُ يَشْتَمِلُ عَلَى قَرِيشٍ كُلِّهَا ، قَالَ صَدَقْتَ يَا بَنَ صُوحَانَ ، إِنَّ ذَلِكَ لَكُنْكَ ، فَعَرَفَ صَعَصَعَةَ مَا أَرَادَ ، فَقَالَ لَيْسَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ فِي ذَلِكَ إِصْدَارٌ وَلَا إِيرَادٌ^(٣) ، بَعُدْتُمْ عَنِّي أَنْفِ^(٤) الْمَرْعَى ، وَعَلَوْتُمْ عَنِّي عَذْبُ الْمَاءِ ، قَالَ وَلَمْ ذَلِكَ ؟ وَيَا بَنَ صُوحَانَ ! فَقَالَ الْوَيْلُ لِأَهْلِ النَّارِ ، ذَلِكَ لِبَنِي هَاشِمٍ ، قَالَ قُمْ ، فَأَخْرَجُوهُ . فَقَالَ صَعَصَعَةَ : الْوَعْدُ يَبْنَى وَيَبْنُوكَ لَا الْوَعْدُ ، مَن أَرَادَ الْمَنَاجِزَةَ ، يَقْبَلُ الْمَحَاجِزَةَ^(٥) ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ لَشَيْءٍ مَا سَوَّدَهُ قَوْمُهُ ، وَوَدِدْتُ أَنِّي مَن صَلَبُهُ ، ثُمَّ التَفْتُ إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ فَقَالَ : هَكَذَا فَتَكُنُ الرِّجَالُ !

(صحيح الأعمش ١ : ٢٥٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٧٧)



وروى أبو علي القالي هذا الخبر في الأملى بصورة أخرى ، قال :
« دخل صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ عَلَى مَعَاوِيَةَ أَوَّلَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ - وَقَدْ كَانَ يُبَلِّغُ مَعَاوِيَةَ عَنْهُ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ نِزَارٍ ، قَالَ : وَمَا نِزَارُ ؟ قَالَ : كَانَ إِذَا غَزَا الْخَوْشَ^(٦) ، وَإِذَا انْصَرَفَ انْكَشَ ، وَإِذَا لَقِيَ الْفَرَسَ ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ رِبِيعَةَ ، قَالَ : وَمَا رِبِيعَةُ ؟ قَالَ : كَانَ يَغْزُو بِالْخَيْلِ ، وَيُغَيِّرُ بِاللَّيْلِ ، وَيُجُودُ بِاللَّيْلِ ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أُمَّهَرٍ^(٧) ،

[١] الأحمر : الذهب ، والأبيض : الفضة (والسيف أيضا) والأصفر : الذهب . كناية عن العنى والثروة (وقد كان لقريش في الجاهلية مركز تجارى هام) . [٢] كناية عن الملك والمقدرة الخطائية . [٣] أورد إليه الماء . وأصدرها ردًا وأرجعها . [٤] روضة أنف لم ترع . [٥] وفي مروج الذهب : « من أراد المشاجرة قبل المحاورة » والوارى في الأمثال : « المحاجزة قبل المناخزة » أى المسالمة قبل المعالجة في القتال ، يصرب لمن يطلب الصلح بعد القتال . [٦] لم أجد هذه الكلمة في كتب اللغة ، وأرى أنها محرفة عن (احترش) كما ورد في رواية صحيح الأعمش ، وإن اختلف تأليف الجمل في الروايتين . [٧] وفي نسخة : « من أسد ، قال وما أسد ؟ »

قال : وما أمره ؟ قال : كان إذا طلب أفضى ^(١) ، وإذا أدرك أرضى ، وإذا آب
أُنصى ^(٢) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من جدّيلة ، قال : وما جديلة ؟
قال : كان يُطيلُ النّجاد ^(٣) ، وَيُمِدّ الجياد ، وَيُجِيدُ الجِلَاد ، قال : فمن أىّ ولده
أنت ؟ قال : من دُعْمِيّ ، قال : وما دُعْمِيّ ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ،
وخيراً نافعاً ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أفضى ، قال : وما أفضى ؟
قال : كافٍ ينزل القارّات ^(٤) ، ويكثر الغارات ، وَيَحْمِي الجارات ، قال : فمن أىّ
ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطالُ ذادَةَ ^(٥) ،
جَحَاجِحَةَ ^(٦) سادة ، صناديد قادة ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أفضى ،
قال : وما أفضى ؟ قال : كانت رماحهم مُشْرَعَةً ^(٧) ، وَقُدُورُهُمْ مُشْرَعَةً ^(٨) ،
وَجِفَافُهُمْ مُشْرَعَةً ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من لُكَيْزٍ ، قال : وما لُكَيْزٍ ؟
قال : كان يباشر القتال ، ويعانق الأبطال ، وَيُبَدّد الأهوال ، قال : فمن أىّ ولده
أنت ؟ قال : من عَجَلٍ ، قال : وما عَجَلٍ ؟ قال : الليوثُ الضَّرَّاعِمَةُ ^(٩) ، الملوك
القَمَاقِمَةُ ^(١٠) ، القُرُومُ القَشَاعِمَةُ ^(١١) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من كعب ،
قال : وما كعب ؟ قال : كان يُسَعِّرُ ^(١٢) الحرب ، وَيُجِيدُ الضَّرْبَ ، ويكشف
الكَرْبَ ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من مالك ، قال : وما مالك ؟ قال :

[١] أفضى إلى الشيء : وصل إليه . [٢] أنفى بغيره : هزله ، وأنصى الثوب : أبله .

[٣] حائل السيف . [٤] القارات : جمع قارة ، وهى الحيل الصبيرة . [٥] جمع ذائد ،

وهو المدافع . [٦] جمع جمعج : وهو السيد ، كالجحجاج . [٧] مسددة . [٨] مملوءة .

[٩] جمع ضرغام ، وهو الأسد . [١٠] جمع ققام بالفتح وبضم ، وهو السيد .

[١١] القروم ، جمع فرم : كشمهم ، وهو السيد ، والقشاعمة : جمع تشعم ، كجعفر ، وهو الرجل المسن

(كناية عن كثرة التجربة) والأسد . [١٢] سهر الحرب : كنع ، وسعرها : أوقدها .

هو الهُمَامُ للهِمَامِ ، وَالْقَمَقَامُ للَقَمَقَامِ ، فقال معاوية : ما تركت لهذا الحَيِّ من قريش شيئاً ، قال : بل تركتُ أكثره وأحبّه ، قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الوَبْرَ وَالْمَدْرَ ^(١) وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ ، وَالصَّفَا وَالْمَشْعَرَ ^(٢) ، وَالْقُبَّةَ وَالْمَفْخَرَ ، وَالسَّرِيرَ وَالْمُنْبَرَ ، وَالْمَلِكَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، قال : أما والله لقد كَانَ يَسُوهُ نِي أَنْ أُرَاكَ أَسِيرًا ، قال : وأنا والله لقد كَانَ يَسُوهُ نِي أَنْ أُرَاكَ أَمِيرًا ، ثم خرج فبعث إليه ، فَرُدُّ ، ووصله وأكرمه .

(الأملأ : ٢ : ٢٣٠)

*
* *

وروى المسعودى فى مروج الذهب قال :

« قال معاوية يوماً وعنده صعصعة ، وكان قدِمَ عليه بكتاب على ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخذُ من مال الله فهو لى ، وما تركت منه كان جائراً لى » فقال صعصعة :

تَمْنِيكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ جَهْلًا ، مُعَاوِيَةَ لَا تَأْتُمُّ

فقال معاوية : يا صعصعة تعلمتَ الكلام ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يجهل ، قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرِك ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذى لا يؤخرُ نفساً إذا جاء أجلها ، قال : ومن يحول بينى وبينك ؟ قال : الذى يحول بين المرء وقلبه ، قال معاوية : انسع بطنك

[١] كناية عن البادية ، والمدر : المدن والحضر . [٢] شعار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ، والشعيرة والشعارة بالفتح ، والشعر موضعها ، والشعر الحرام : بالزدلفة .

للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير، قال : اتسع بطنٌ من لا يشبع^(١) ، ودعا عليه مَنْ لا يجمع^(٢) . (مروج الذهب ٢ : ٧٩)

٢٨٥ — خطبة عبد الله بن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرَا كلمة التقوى . أكرمُ الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم . خير الأمور أوساؤها ، وشر الأمور مُحدثاتها . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . خير الغنى غنى النفس ، وخير ما أتى في القلب اليقين . الخمر جماع الآثام . النساء حباله الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة . شر الناس من لا يأتي الجماعة إلا ذُبْرًا ، ولا يذكر الله إلا هَجْرًا^(٣) . أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، سبب المؤمن فسق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية . من يتألَّ^(٤) على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عفا الله عنه . الشقي من شقى في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره . الأمور بعواقبها . ملاك العمل

[١] يعرض معاوية إذ كان مبطانا (أى أكلوا) وكان أيضاً بطينا (أى عظيم البطن) ، وقد قال به سيدنا علي في وقعة صفين :

أصربهم ولا أرى ماويه المحاط العين العظيم الحاويه

(والحاوية ما تحوى من الأعماء أى العظيم البطن) . [٢] دعا عليه : معطوف على لا يشبع أى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، والمراد من لا يجمع النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على معاوية بالنهم وعدم الشعم ، ومعنى لا يجمع أى لا يجمع الدنيا ولا يجمع إليها ، وهو تعريض آخر بمعاوية ، أما دعاء رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير في أسد النابة — ٤ : ٣٨٦ — قال : « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كنت ألعب مع الصبيان فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال فساء ، فخطاني حطاة — والخطو : تحريك الشيء من عزوا — وقال اذهب فادع لى معاوية ، قال فحُتت فقلت هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لى معاوية ، قال : فحُتت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية » . [٣] الهجر كتف الذى يمتنى مثقلا صـ عيفا : أى لا يعرف الله إلا وقت الشدة . [٤] تألى : أقسم .

خواتيمه . أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يَصْبِرُ عليه . ومن لا يعرف البلاء ينكره . (إيجاز القرآن ١٢٢ ، المقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧)

٢٨٦ — وصية دريد بن الصمة

قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ لمالك بن عوف النَّصْرِيَّ قَائِدَ هِوَاذِنِ يَوْمِ حُتَيْنَ^(١) :
« يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم له ما بعده من أيام ، مالي أسمع رُغَاءَ البعير ، ونَهَيْقَ الحمير ، وبكاء الصغير ؛ ويُعَارِ^(٢) الشاء . قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ، ليقاتل عنهم ، فَأَنْقَضَ^(٣) به^(٤) ، ثم قال راعي^(٥) ضأنٍ والله ، وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك ، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك ، فُضِحَتْ^(٦) في أهلك ومالك ، ويحك ، إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ^(٧) هِوَاذِنِ إلى نخور الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم ، وعلماء قومهم ، ثم ألق الصبأ^(٨) على متون الخيل ، فإن كانت لك ، لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ، كنت قد أحرزت أهلك ومالك . قال لا والله ما أفعل ، إنك قد كبرت وَذَهَلَ^(٩) عقلك . قال دريد هذا يوم لم أشهده ، ولم يَفْتِنِي^(١٠) ، ثم أنشأ يقول :

[١] غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هِوَاذِنِ وثقيف سنة ثمان بعد الفتح انهزم فيها المسلمون أو لا ثم لمواشيتهم وشدوا على عدوهم فهزموهم . [٢] اليعار : صوت الغنم أو المعزى أو الشديد من أصوات الشاء . [٣] يقال أنقض أصابعه : ضرب بها التصوت ، وأنقض بالدابة : الصق لسانه بالحناك ثم صوت في حلقه . [٤] يضرب به المثل في الحق فيقال : « أحق من راعي ضأن » . [٥] بيضة القوم : جماعتهم وأصلهم ، وفي الحديث : « ولا تملط عليهم عدواً من عدوهم فيستبيح بيضتهم » يريد جماعتهم وأصلهم . [٦] أى ذوى الصبا : أى الشبان .

يا ليتني فيها جَدَعٌ أَخْبَّ فيها وَأَصَعُ^(١)
أقود وطفاء الزمَعُ كأنها شاة صَدَعُ^(٢)

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، القمد الفريد ١ : ٤١)

٢٨٧ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبيه

. أوصى عُمَيْرُ بن حبيب بنيه فقال :

« يا بني إياكم ومخالطة السفهاء ، فإن مجالستهم داء ، وإن من يحلم عن السفية يُسَرِّبْجَمَهُ ، ومن يُجِبِّه يندم ، ومن لا يَقَرَّ بقليل ما يأتي به السفية ، يقر بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن بالثواب من الله عزَّ وجلَّ ، إنه من يوقن بالثواب من الله عزَّ وجلَّ لا يجد مسَّ الأذى » . (الأمل ٢ : ٦٠)

٢٨٨ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبيه

أوصى قيس بن عاصم المُنْقَرِي بنيه فقال :

« يا بني ، خذوا عني ، فلا أحد أصلح لكم مني ، إذا دفتمونني فانصرفوا إلى رجالكم ، فسودوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خَلَفُوا أباهم ، وإذا سودوا أصغرهم ، أزرى ذلك بهم في أكفأهم ، وإياكم ومعصية الله ، وقطيعة الرحم ، وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتَّضَع ، وعليكم بهذا المال فأصلجوه ، فإنه منبهة للكريم ، وجنة لعرض اللئيم ، وإياكم

[١] الحب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأوضعت : أسرعت في سيرها .

[٢] الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والزمع جمع زمعة ، وهي هنة زائدة وراء الطلف أو

الشمرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة ، والصدع : من الأوعال والإبل التي الشاب اقوى .

والمسألة ، فإنها أخِر^(١) كَسَبَ الرجل ، وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفنى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يُدْخِلُوا عليكم بى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكلَّ عِرْقٍ لثيم أن تلبسوه ، فإنه إن يسرركم اليوم ، يسوِّكم غداً ، واكظموا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ، فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءنا لسلفوا فلن تبيدَ وللآباءِ أبناءُ

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٥٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١)

٢٨٩ - وصية العباس بن عبد المطلب (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لى أبى :

يا بُنَيَّ ، إني أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار ، فاحفظ عنى ثلاثاً : لا يُجْرَبَنَّ عليك كذباً ، ولا تَقْتَبْ عنده مُسَلِّماً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً . قال فقلت يا أبه . كلَّ واحدة منها خير من ألف ، فقال : كلَّ واحدة منها خير من عشرة آلاف . (تهذيب الكامل ١ : ١٥)

٢٩٠ - خطبة أكرم بن صيفى يدعو قومه إلى الإسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم بن صيفى ابنه حَيْشِماً ، فأتاه بخبره ، فجمع بنى تميم وقام فيهم خطيباً فقال :

[١] أخر بقصر الهمرة لاغير : أى أدنى وأردل ، ومن رواه بالمد أخطأ .

« يا بني تميم : لَا تُحْضِرُونِي سَفِيهَا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْمَعُ يَحْزَنُ ^(١) ، إِنْ السَّفِيهَ يُوهِنُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيَتَبَّبُ مَنْ دُونَهُ ^(٢) . لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . كَبُرَتْ سِنِّي وَدَخَلْتَنِي ذِلَّةً ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنِّي حَسَنًا فَاقْبَلُوهُ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنِّي غَيْرَ ذَلِكَ فَاقْوَمُونِي أَسْتَقِيمَ . إِنْ أَبِي شَافَةَ هَذَا الرَّجُلَ مَشَافَهَةً ، وَأَتَانِي بِخَبْرِهِ ، وَكَتَابَهُ بِأَمْرِ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَأْخُذُ فِيهِ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَلَعَ الْأَوْثَانَ ، وَتَرَكَ الْحَلْفَ بِالْبَيْرَانِ ، وَقَدْ عَرَفَ ذُوو الرَأْيِ مِنْكُمْ أَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَأَنَّ الرَأْيَ تَرْكُ مَا يَنْهَى عَنْهُ ، إِنْ أَحَقَّ النَّاسَ بِمَعُونَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَسَاعِدَتِهِ عَلَى أَمْرِهِ أَتَمَّ ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا ، فَهُوَ لَكُمْ ^(٣) دُونَ النَّاسِ ، وَإِنْ يَكُنْ بِاطْلَاقِكُمْ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْكَفِّ عَنْهُ وَبِالسُّتْرِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أُسْقُفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَكَانَ سُفْيَانَ ابْنَ مَجَاشَعٍ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، فَكَوْنُوا فِي أَمْرِهِ أَوْلَا ، وَلَا تَكُونُوا آخِرًا ، ائْتُوا طَائِعِينَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا كَارِهِينَ ، إِنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْلَمْ يَكُنْ دِينًا كَانَ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ حَسَنًا ، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا أَمْرِي ، أَسْأَلُ لَكُمْ أَشْيَاءَ لَا تُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، وَأَصْبَحْتُمْ أَعَزَّ حَيٍّ فِي الْعَرَبِ ،

[١] خال : ظن ، ومعارفه إخال بالكسر وهو الأفضح ، وبنو أسد يقولون أحال بالفتح وهو القياس ، وقوله « من يسمع يحل » مثل ، معناه من يسمع أخبار الناس ومعاييرهم يقع في نفسه عليهم المذكور .
 [٢] في جمع الأمثال « ويثبت من دونه » من أنبته أي أنعمه بالجراح ، والمعنى تضعف ويوهن ، ومنه قوله تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُذَيَّبُواكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِمُواكَ »
 ليذيبوك أي ليجرحوك جراحة لا تقوم معها أو ليجسوك ، وو سرح العيون « ويثب من دونه » من تيبه بالتشديد أي أهلكه ، ومنه قوله تعالى : « وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْمِيمًا » .

[٣] يريد للعرب .

وأكثرهم عدداً، وأوسعهم داراً ، فإنني أرى أمراً لا يَحْتَنِبُه عزيزٌ إلا ذلّاً ، ولا يَلْزَمُه ذليلٌ إلا عزّاً ، إن الأول لم يدع للآخر شيئاً ، وهذا أمرٌ له ما بعده ، من سبق إليه غمّر المعالي ^(١) ، واقتدى به التالي ، والعزيمة حزم ، والاختلاف عجز .

فقال مالك ^(٢) بن نُؤَيْرَةَ : قد خَرَفَ شيخكم ، فلا تتعرضوا للبلاء ، فقال أكثم : ويل للشجبي من الخليلي ، وَالْهَنْبِي عَلَى أَمْرٍ لَمْ أَشْهَدُهُ وَلَمْ يَسْعَنِي ^(٣) .

ثم رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق ، وبعث بإسلامه مع من أسلم ممن كان معه ^(٤) . (مجمع الأمثال ٢ : ٢١٨ ، سرح العيون ص ١٤)

٢٩١ - وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته

لما حضرت أبا طالب ^(٥) الوفاة ، جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال :

« يا معشر قريش : أنتم صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَقَلْبُ الْعَرَبِ ، فِيكُمْ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ ، وَفِيكُمْ الْمُقَدَّمُ الشَّجَاعُ ، وَالوَاسِعُ الْبَاعُ ، وَعَالِمُوا أَنْكُمْ لَمْ تَتْرَكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيبًا إِلَّا أَحْرَزْتُمُوهُ ، وَلَا شَرْفًا إِلَّا أَدْرَكْتُمُوهُ ، فَلَكُمْ بِذَلِكَ عَلَى النَّاسِ الْفَضِيلَةُ ، وَلَهُمْ بِهِ إِلَيْكُمْ الْوَسِيلَةُ ، وَالنَّاسُ لَكُمْ حَرْبٌ ، وَعَلَى حَرْبِكُمْ أَلْبٌ ^(٦) ، وَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَعْظِيمِ هَذِهِ الْبَيْتَةِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - فَإِنَّ فِيهَا مَرَضَاتَ لِلرَّبِّ ، وَقَوَامًا

[١] من عمره الماء : أى غطاه . [٢] وقد أسلم ثم ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض بي تميم ، وسار إليه خالد بن الوليد فقتله ، وقصته في التاريخ مشهورة .

[٣] وفي سرح العيون : ولم يسبقني [٤] وذكر عن ابن عباس أن قوله تعالى : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » نزل في أكثم ومن تبعه من أصحابه . [٥] توفي في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وإسلامه

مختلف فيه « اقرأ فصلا طويلا في ذلك في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣١١ » .

[٦] أى ذوو ألب ، والألب : التديير على العدو من حيث لا يعلم .

للمعاش ، وثباتاً لِلوِطْأَةِ ، صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ فِي صَلَّةِ الرَّحِمِ مَنَسَأَةً^(١) فِي الْأَجَلِ ،
وزيادة في العدد ، اتركوا البُنَى والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيوا
الداعي ، وأعطوا السائل ، فَإِنَّ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ ، وَعَلَيْكُمْ بِصَدَقِ
الحديث ، وأداء الأمانة ، فَإِنَّ فِيهِمَا مَحَبَّةً فِي الْخَاصِّ ، وَمَكْرُمَةً فِي الْعَامِّ .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، وَالصَّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ ،
وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمرٍ قَبْلَهُ الْجَنَانُ^(٢) ، وأنكره
اللسان ، مَخَافَةَ الشَّنَّانِ^(٣) ، وَأَيُّمُ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى صَعَالِيكَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ
الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَعَظَّمُوا
أمره ، فحاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانا ،
وُدُورَهَا خِرَابًا ، وَضَعْفَاؤُهَا أَرْبَابًا^(٤) ، وَإِذَا أَعْظَمَهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَبْعَدُهُمْ
مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ ، قَدْ مَحَضَّتَهُ^(٥) الْعَرَبُ وَدَادَهَا وَأَصْفَتَ لَهُ بِلَادَهَا ، وَأَعْطَتْهُ
قِيَادَهَا ، يَامَعِشْرَ قَرِيشٍ : كُونُوا لَهُ وُلاةً ، وَحِزْبُهُ حِمَاةً ، وَاللَّهُ لَا يَسْلُكُ أَحَدَ سَبِيلَهُ
إِلَّا رَشِدًا ، وَلَا يَأْخُذُ بِهَيْدِيهِ أَحَدٌ إِلَّا سَعِدَ ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مَدَّةٌ ، وَفِي أَجَلِي
تَأخِيرٌ ، لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِرَ^(٦) ، وَلِدَافَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَّ .

(بلوغ الأرب ١ : ٣٢٧)

٢٩٢ - خطبة مالك بن نمط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نمط

أبو ثور فقام بين يديه ثم قال :

[١] أي فسحة وامتداداً من نساء أي آخره . [٢] القلب . [٣] البغض والكراهية .

[٤] سادة . [٥] محضه الود ، وأحضه : أخلصه . [٦] الهزاهر والهزهرة : تحريك البلايا

والحروب الناس .

« يا رسول الله ، نَصِيَّةٌ^(١) من هَمْدَانَ ، من كل حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوبِ نَوَاجٍ^(٢) ، متصلةٌ بِجبالِ الاسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مَخْلَافٍ^(٣) خَارِفٍ^(٤) ، وَيَامٍ ، وشَاكِرٍ ، أهل السَّوَادِ والقُرَى ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ^(٥) ، عهدهم لا يَنْقُضُ ، ما أقام لَعَلَعٌ^(٦) ، وما جرى الْيَعْفُورُ بِصُلْعٍ^(٧) . » (صحح الأعمش ٢ : ٢٤٤)

٢٩٣ - سفانة بنت حاتم

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الْإِمَامُ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ قَالَ : لما أَتَيْنا بِسبائِيا طَيِّئٍ ، كانت في النساءِ جاريةً جميلةً - وهى سَفَّانَةُ بنتِ حاتم^(٨) - فلما رَأَيْتُها أُعْجِبْتُ بِها ، فقلت لأَطْلُبَنَّها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليُجْعَلها من فِئْتِي ، فلما تَكَلَّمْتُ أُنْسِيتُ جِمالها ، لما سمعت من فصاحتها ، فقالت :

« يا محمد : هلك الوالد ، وغاب الوافِد ، فإن رَأَيْتَ أن تُخْلِىَ عَنى ، فلا تُسَمِّتِ بى أَحياءِ العرب ، فإنى بنت سيد قومى^(٩) . كَأَن أبى يَفُكُّ العانى^(١٠) ، وَيُجَمِّى الدَّمَار ، وَيَقْرِى الضَّيْف ، وَيُشْبِعُ الجائِع ، وَيُفَرِّجُ عن المَكروب ، وَيَطْعَمُ الطَّعام ، وَيُفْشِى السلام ، ولم يَرُدَّ طالِبَ حاجَةٍ قَطُّ ، أنا بنت حاتم طيِّءٌ »

[١] النصية من القوم : الحيار ، وهمدان : من عرب اليمن . [٢] الفلص : جمع قلوب ، وهى من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، والنواجى : جمع ناحية ، وهى المسرعة فى الدير . [٣] المخلاف : الكسوة . [٤] خارف : لقب مالك بن عبد الله أبى قبيلة من همدان ، وبام ، وشاكر ، قبيدان من همدان باليمن . [٥] الأنصاب : جمع نصب بضم نين ، وهو حجر نصب وعبد من دون الله ، وقيل النصب جمع واحدها نصاب ، قبل هى الأصنام وقيل غيرها . [٦] اسم جبل . [٧] اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، والصلع : الموضع لا يثبت شيئاً .

[٨] السفانة فى الأصل : اللؤلؤة . [٩] جواب الشرط محذوف وهذا تعليل له أى فافعل فإنى ...

[١٠] العانى : الأسير .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خلّوا عنها ، فإن أباهما كان يجب مكارم الأخلاق ، والله يجب مكارم الأخلاق » . (الأغانى ١٦ : ٩٣)

٢٩٤ - خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء

. روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام جدب ، فقال : أتيناك يا رسول الله ، ولم يبقَ لنا صبي يرْتَضِع ، ولا شاربٌ^(١) تجترُّ ، ثم أنشده :
 أتيناك وَالْمَدْرَاءُ يَدْمَى لَبَانَهَا^(٢) وقد شُعِلَتْ أُمُّ الرَضِيعِ عَنِ الطِّفْلِ
 وَأَتَى بِكُفَيْهِ الْفَتَى لاسْتِكَاءِ من الجوع حتى ما ميمِرٌ ولا يُجْمَلِي^(٣)
 ولا شَيْءٌ مما يأكل الناس عندنا سوى الحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعَلْمِزِ الْفَسَلِ^(٤)
 وليس لنا إلا إِلَيْكَ فِرَارُنَا وأين فِرَارُ الناسِ إلا إلى الرُّسُلِ ؟

فقام النبي ﷺ يجرُّ رداءه حتى صعِدَ المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« اللهم اسْقِنَا عَيْشًا مُغِيثًا ، مَرِيئًا هَنِئًا مَرِيئًا^(٥) ، سَحًّا سَجَالًا^(٦) ، غَدَقًا^(٧) طَبَقًا^(٨) ، دِيمًا دِرْرًا^(٩) ، تُحْبِي بِهِ الْأَرْضَ ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ ، وَتُدِرُّ بِهِ الضَّرْعَ ،

[١] الشارف من النوق : المسة الهرمة كالشارفة . [٢] أى يدعى صدرها لامتئانها . فسهاى الخدمة حيث لا نجد ماتعطيه من يخدمها من الجذب وشدة الرمان . [٣] أى ما يضر وما ينفع ، أو ما يأتى بكلمة ولا فعلة مرة ولا حلوة . [٤] العامى : الذى أتى عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شجاك طال طامى » والعلمر : طعام من الدم والوركان يتخذى الذبابة ، والفسل : الردى . الردل من كل شىء .

[٥] المربع الخصب ، أى تخرص به الأرض التى يربى عليها . [٦] أى متداولاً بين البلاد ، ينال كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : النصيب والدلو المملوءة العظيمة ، ويقال الحرب سجال : أى نصرتها بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . [٧] الغدق : الماء الكثير .

[٨] أى مائثاً للأرض مغطياً لها ، يقال غيث طبق : أى عام واسع يطبق الأرض . [٩] هوجع درة بالكسر يقال لسحاب درة : أى صب واندفاق ، وقيل الدرر : الدار ، كقوله تعالى : « دِينًا قِيَمًا » أى قائماً .

واجعله سُقِيًّا نَافِعَةً ، عاجلاً غيرَ رَائيثٍ ^(١) ،

فوالله ما ردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى نَحْرِهِ ، حتى أَلْقَت السماء
أَرْوَاقَهَا ^(٢) ، وجاء الناس يَضِجُونَ : الفرقَ الفرقَ يا رسول الله ، فقال : اللهم
حَوَّالَيْنَا ولا علينا ! فأنجأب ^(٣) السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها
كألا كليل ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ^(٤) .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣١٦)

٢٩٥ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبي زُبَيْدٍ : حَرَمَلَةٌ بن المندر الطائي
- وكان نصرانياً - يا أخا تَبَعَ المسيح ، أَسْمِعْنَا بعض قولك ، فقد أُنْبِئْتُ أنك تجيد ،
فأنشده قصيدة له في وصف الأسد ، فقال عثمان : تالله تَفْتَأُ تذكر الأسد
ما حَيَّيت ! والله إنى لأحسبك جَبَانًا هَرَّابًا ، قال : كَلَّا ، يا أمير المؤمنين ، ولكنى
رأيت منه مَنْظَرًا ، وَشَهَدْتُ منه مَشْهَدًا ، لا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يتجدد ويتردد في
قلبي ، ومعدور أنا يا أمير المؤمنين غيرُ ملوم ، فقال له عثمان : وَأَنَّى كَانَ ذلك ؟ قال :
« خرجت في صِيَابَةٍ ^(٥) أشرف من أبناء قبائل العرب ، ذوى هيئة
وشارية ^(٦) حسنة ، ترمى بنا المَهَارَى ^(٧) بأكسائها ^(٨) ، ونحن نريد الحارث
ابن أبي شَمْرٍ العَسَّانِي ملك الشَّام ، فاخْرَوْط ^(٩) بنا السير في حَمَارَةِ القَيْظِ ، حتى

[١] أى غير بطيء . [٢] أَلْقَت السحابة أرواقها أى مطرها ووبلها .

[٣] انكشف . [٤] النواجد : أقصى الأضراس .

[٥] الصيابة بالشديد وتخفف : الخالص والصميم والحيار من الشيء .. [٦] الشارة : الهيئة واللباس
والزينة ، والجمال . [٧] مهرة بن حيدان (بفتح الميم والحاء) : حى تنسب إليه الإبل المهرية ،
وجمها مهاري (بفتح الميم والراء) ومهار (منقوصاً) ومهاري . [٨] الأكساء : جمع كساء
(كقفل وعنق) وكساء كل شيء : مؤخره . [٩] اخروط بهم الطريق : طال وامتد .

إذا عُصِبَتِ الأفواه ، وَذُبُلَّتِ الشِّفَاهُ ، وشالت ^(١) المياه ، وأذكتِ الجوزاءِ
 المعزاءِ ^(٢) ، وذاب الصَّيْهَبُ ^(٣) ، وَصَرَ الجُنْدُبُ ^(٤) ، وأضاف المصْفُور الضَّبَّ
 في وَكْرِهِ ، وجاوره في جُجْرِهِ ، قال قائل : أيها الركب ، غُورُوا ^(٥) بنا في دَوْحِ
 هذا الوادى ، وإذا وادٍ قد بدلنا كثير الدَّعَلِ ^(٦) ، دائم الغلَلِ ^(٧) ، أشجاره
 مُغْنَةٌ ^(٨) ، وأطيَّاره مُرْنَةٌ ^(٩) ، فَحَطَطْنَا رحالنا بأصول دَوْحَاتِ كَنْهَبِلَاتِ ^(١٠) ،
 فَأَصْبَدْنَا من فضلات المَزَاوِدِ ، وأتبعناها الماء البارد ، فَإِنَّا لنصيف حرَّ يومنا وممَّاطلته ،
 إذ صَرَ أَقْصَى الخليل أذنيه ^(١١) ، وَخَصَّ الأَرْضَ بيديه ، فوالله ما لبث أن جال ،
 ثم سَحَّحَمَ ^(١٢) فبال ، ثم فعل فعله الفرسُ الذى يليه واحدا فواحدا ، فتضعضعت
 الخليل ، وتكتمكمت ^(١٣) الإبل ، وتقهقرت البغال ، فبن نافرٍ بِشِكاله ^(١٤) ،
 وناهضٍ بعقاله ، فعلمنا أنأقد أتينا ، وأنه السبع لاشك فيه ، ففزع كل واحدنا إلى
 سيفه ، فاستلَّهُ من جُرْبَانِهِ ^(١٥) ، ثم وقفنا رَزْدَقًا أرسالا ^(١٦) ، وأقبل أبو الحارث من

[١] قلت . [٢] أذكت : أشعلت ، والمعزاء من المعز بالتحريك : وهو الصلابة ، مكان أمعر
 وأرض معزاء ، كناية عن اشتداد الحر . [٣] الصيهب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع
 تجمي عليه الشمس حتى يشوى اللحم عليه . [٤] نوع من الجراد ، وصر : صوت .
 [٥] الغور والغور : الدخول في الشيء ، والدوح : جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة .
 [٦] الدغل : الشجر الكثير المتفص ، واشتراك التت وكثرته . [٧] الغلل والغليل والغلاة :
 العطش أو شدته أى دائم العطش إلى الماء . [٨] أغن الذباب صوت ، ويقال : واد مغن وهو الذى
 صار فيه صوت الذباب ، ولا يكون الذباب إلاق ورا محصب معشب ، والعة (بالضم) صوت فى الحيشوم ،
 والأغن : الذى تتكلم من قبل خياشيمه عن يعن بالفتح فهو أغن ، ومنه فالوا واد أغن أى كثير العشب
 لأنه إذا كان كذلك ألقه الذباب فى أصواتها غنة ، وروضة عناء كذلك ، أو تمر فيها الرياح غير صادية
 الصوت لكثافة عشبها . [٩] رنت وأرنت : صاحت . [١٠] الكنهيل : شجر عظام ، والزواد :
 جمع مرود كنير ، وهو وعاء الزباد . [١١] صر الحمار بأذنه وصرها وأصر بها : سواها ونصيها للاستماع .
 [١٢] الخجمة وللتحجم : ضياح الفرس حين يقصر فى الصهيل ويستعين بنفسه ، وصوته إذا طل العلف .
 [١٣] خافت ووزعت ، كهكمته فتكتمكع : جيبته وخوفته . [١٤] الشكال : الحبل الذى تشد به
 قوائم الدابة . [١٥] الجرنان : غمد السيف . [١٦] الرزدق : الصف من الناس ، والأرسال :
 جمع رسل كسبب وهو القطيع من كل شيء .

أَجْتَه ، يتظالم ^(١) في مشيئته ، كأنه مجنوب أو في هيجار ^(٢) ، لصدره نحيط ^(٣) ولبلاعمه غطيط ^(٤) ، ولطرّفه وميض ، ولأرْساغِهِ تقيض ^(٥) ، كأنما يجنبه هسيماً ، أو يظاً صريعاً ^(٦) ، وإذا هامة كالمجن ^(٧) ، وخذ كالمسن ، وعينا سجرأوان ^(٨) كأنهما سراجان يتقدان ، وقصرة ريلة ^(٩) ، ولهزة رهلة ^(١٠) وكتمة مغبط ^(١١) ، وزوزة مفرط ^(١٢) وساعد مجدول ، وعضد مفتول ، وكف شنة البرائن ^(١٣) إلى مخالب كالمحاجن ^(١٤) ، فضرب يديه فأرهب ^(١٥) وكشّر ^(١٦) فأفرج عن أنياب كالماول ، مصقولة ، غير مفلولة ، وفم أشدق ^(١٧) كالغار الأخوق ^(١٨) ، ثم تخطى فأسرع يديه ، وحفز ^(١٩) ورّكبه برجليه ، حتّى صار ظله مثليه ، ثم أقمى ^(٢٠) فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ^(٢١) ، ثم تجهّم فأزّأه ^(٢٢) فلا وذو ^(٢٣) بيته في السماء ، ما اتقيناها إلاّ بأخ لنا من فزارة ، كأن ضخص

- [١] من ظلم كنع إذا غمز في مشبه . [٢] جنبه : قاده إلى جنبه ، فهو جنب ومجنوب ومجنب والهجار : حبل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حفره ، وإن كان مرحولاً شد إلى الحقب .
 [٣] النحيط : الزبير ، والناحظ : من يعمل شديداً . [٤] غط البعير غطيظاً هدر ، والنائم صوت وكدا المدبوح والمخنوق . [٥] تقيض الأصابع والأضلاع والمفاصل : أصراتها .
 [٦] ثمر صريم : أى مقطوع . [٧] المجن : الرس . [٨] عين سجرأ : خالطت بياض حمرة . [٩] القصرة : أصل العنق ، والريالة بالفتح : كثرة اللحم وهى رلة ومترلة .
 [١٠] اللهم ثمان ناثان تحت الأذنين ، والجمع لهازم ، ورهل لجه : كفروح اشمج وورم من غير داء
 [١١] السكتد : مجتمع السكتفب ، أو الكاهل ، أو ما بين الكاهل إلى الظهر ، وأعبط النبات غطى الأرض ، وكشف وتداني ، وأرض مبطّة بفتح الباء ، أى وكاهل معطى بالشعر .
 [١٢] من أفرطه إذا ملأه حتى أسال الماء وهو مفرط . [١٣] شنة : أى غليظة خشنة ، شند كفه : كفروح وكرم ، والبرائن : جمع برثن كبرقع وهو مخلب الأسد . [١٤] المحاجن : جمع محجن كد ومكلسة : النسا المعوجة ، وكل معطوف معوج . [١٥] أرهب : أثار الغار ، والرهب (كشمه وسبب) الغبار . [١٦] كشر عن أسنانه : أبدى . [١٧] من الشدق (كسب) وهو ساء الشدق . [١٨] من الحوق (كسب أيضاً) وهو السعة ومنه مفازة خوقاء . [١٩] حفزه دفعه . [٢٠] أقمى : جلس على استه مفترشاً رجله ناصباً يديه . [٢١] ك : فام منتصباً والمكفهر من الوجوه : الضارب لونه إلى النبرة مع غلظ ، والمتهبس . [٢٢] تجهمه وجهمه (ك : وسمع) استقبله بوجهه كربه ، وازبأر : تنفث . [٢٣] ذو : بمعنى الذى فى لغة طبي :
 «لحي من ذو عندهم ما كفاينا» .

الْجُزَارَةَ ^(١) ، فَوَقَّصَهُ ^(٢) ، ثُمَّ نَقَّضَهُ نَقْضَةً ، فَقَضَقَضَ ^(٣) مَتْنِيَهُ ، فَجَعَلَ يَلْعُجُ فِي دَمِهِ ، فَذَمَّرَتْ ^(٤) أَصْحَابِي ، فَبَعَدَ لِأَيِّ ^(٥) مَا اسْتَقْدَمُوا ، فَهَجَّجْنَا ^(٦) بِهِ ، فَكَّرَ مَقْشَعِرَ الزُّبْرَةِ ^(٧) ، كَأَنَّهُ بِهِنَّ شَيْهَمًا ^(٨) حَوْلِيًّا ، فَاخْتَلَجَ ^(٩) رَجُلًا أُعْجَرَ ذَا حَوَايَا ، فَنَقَّضَهُ نَقْضَةً تَرَايَلَتْ مِنْهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ هَمَّهِمْ فَقَرَّ قَرًّا ^(١٠) ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَّبَرَ ^(١١) ، ثُمَّ زَارَ فَجْرَ جَرِّ ^(١٢) ، ثُمَّ لَحَظَ ، فَوَاللَّهِ لَخِلْتُ الرِّقَّ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جَفُونِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ ، فَأُرْعِشَتِ الْأَيْدِي ، وَأُصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ ، وَأُطَّتِ ^(١٣) الْأُضْلاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَّصَتِ ^(١٤) الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْحَزَلَتِ ^(١٥) الْمُتُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورُ بِالْبَطُونِ ، ثُمَّ سَاءَتِ الظُّنُونُ ، فَقَالَ لَهُ عِثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أُرْعِبْتَ قُلُوبَ الْمَسَامِينِ . (الأغانى ١١ : ٢٣ ، والحامس والأصداق ص ١١٢)

٢٩٦ - تتمة في الحكم ^(١٦)

من كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه :

« إن الله قرَنَ وعده بوعيده ليكون العبدُ راغباً راهباً . ليست مع العزَاءِ مُصِيبَةٌ . الموتُ أهونُ مما بعده وأشدُّ مما قبله . ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ :

[١] الجزارة : بالصم اليدان والرحلان والعنق . [٢] وقص عقه : كسرهما . [٣] من نقض البناء أى هدمه ، وقصقض : مرق . [٤] الدر : الملامة ، والحض والهدد . [٥] الأى : الإبط ، والاحتباس . [٦] هجج بالأسد : صاح . [٧] البربة (كهرصة) هى الشعرات تنبع بين كتفى الأسد . [٨] الشيهم : ما عظم شوكة من ذكران اقتناده ، والحولى : ما أنى عليه حول . [٩] اختلج : جذب وانزع ، والأعجر : السمين ، عجر : كعرج غلظ وسمن وصخم بطنه ، والحوايا : جمع حاوية ، وهى ما تحرى من الأمعاء أى استدار ، والمعنى أنه عظيم البطن . [١٠] القَرَّ : تردد الرئير فى الصدر ، وكل صوت معه بحج ، والفرقرة : هدير البعير . [١١] البربرة : الجلبة والصياح . [١٢] الجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرتة . [١٣] الأطيط : صوت الرجل والإبل إذا أنت تعباً أو حزيناً ، وصوت الظهر ، والجرف من الجوع . [١٤] شحص بصره كنع : فتح عينيه وجعل لا يظرف ؟ [١٥] الانحزال والخنزل : مشية فى تناقل . ومتنا الظهر : مكسفا الصلب عن يمينه وشماله . [١٦] فى كتب الحديث الشريف مأثور أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجوامع كناه ، وفى نهج البلاغة ، وشرح ابن أبى الحديد عليه وذيها كثير من حكم الإمام على كرم الله وجهه فاقراها هناك .

الْبَغْيُ، وَالنَّكَثُ، وَالْمَكْرُ. ذَلِكَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ، لَا يَكُونُ قَوْلُكَ لَعْنًا فِي عَفْوٍ وَلَا عَقُوبَةٍ. إِذَا فَاتَكَ خَيْرٌ فَأَدْرِكْهُ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ شَرٌّ فَاسْبِقْهُ. إِنْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ عَيُونًا تَرَكَ. احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبَ لَكَ الْحَيَاةُ. - قَالَ لَخَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ - رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَعَانَ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ. أَطْوَعُ النَّاسَ لِلَّهِ أَشَدَّهُمْ بَغْضًا لِمَعْصِيَتِهِ. إِنْ اللَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مَا يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ، إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ تَوَلِيًّا لَهُ. لَا تَجْعَلْ سِرَّكَ مَعَ عَلَانِيَتِكَ، فَيَمْرَجُ (١) أَمْرُكَ، خَيْرُ الْخَاصِلَيْنِ لَكَ أِبْغَضُهُمَا إِلَيْكَ. صِنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ».

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

« من كتم سره كان الخيار في يده . أشقى الولاية من شقيت به رعيته . اتقوا من تُبْغِضُهُ قلوبكم . أعقل الناس أعذرهم للناس . لا تؤجل عمل يومك لغدك . من لم يعرف الشرَّ كان جديراً أن يقع فيه . ما الحمرُ صِرْفًا بأذهبَ للعقول من الطمع . فلما أدبر شيء فأقبل . مُرُّ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا . نَحْمِضُ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ وَوَلَّ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُهْلِكَ كَمَا أَهْلَكَتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَصَارِعَهَا ، وَعَايَنْتَ سُوءَ آثَارِهَا عَلَى أَهْلِهَا ، وَكَيْفَ عَرَى مِنْ كَسَتْ ، وَجَاعٍ مِنْ أَطْعَمْتَ ، وَمَاتٍ مِنْ أَحْيَيْتَ . احْفَظْ مِنَ النِّعْمَةِ احْفَظْ ظَنَّاكَ مِنَ الْمَصِيبَةِ ، فَوَاللَّهِ لَهِيَ أَخْوَفُهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِكَ وَتَحْدَعَكَ . الدُّنْيَا أَمَلٌ مَخْتَرَمٌ وَأَجَلٌ مُنْتَقِصٌ ، وَبَلَاحٌ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا ، وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ ، وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ . إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ ، مَفْسَدَةٌ لِلْجَوْفِ ، مُؤَدِيَةٌ إِلَى السَّقَمِ . رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَهْدَى إِلَى عِيُوبِي ، أَفْلَحَ مِنْ حَفْظِ مِنَ الطَّمَعِ وَالنُّغْصِ وَالْهَوَى نَفْسَهُ » .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ ^(١) اللهُ بالسلطان أكثر مما يَزَعُ بالقرآن . يكفيك من الحاسد أنه يفتن وقت سرورك . أنتم إلى إمام فعَّال أحوج منكم إلى إمام قوَّال - قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه » .

ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد مُتِّكَا . الجُرْمان خير من الامتنان . ملاك أمركم الدين ، وزينتكم العلم ، وحصون أعراضكم الأدب ، وعزكم الحلم ، وحليتكم الوفاء . القرابة تُقَطِّع ، والمعروف يُكْفِّر ، ولم يُرْ كالمودة . لا تُتَمَّارِ سفيهاً ولا حليماً ، فإن السفية يؤذيكم ، والحليم يُقْلِدِكِ ^(٢) ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزئ بالحسنات ، مأخوذ بالسيئات » .

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« ما الدُّخان على النار بأدلَّ من الصاحب على الصاحب ، الدنيا كلها غموم ، فما كان منها في سرور فهو ربح » .
ومن كلام المُعِيرَةَ بن شُعْبَةَ :

« إن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ، والجمال الصَّئُول ^(٣) ، فكيف بالرجل الكريم ! » .

ومن كلام أبي الدَّرْدَاءِ :

« السُّودَدُ اصطناع العشيِّرة ، واحتمال الجريِّرة ، والشرف كف الأذى ، وبذل الندى ، والغنى قلة التمنى ، والفقر شره النفس »

[١] يكف . [٢] يفضك . [٣] صؤل الجمل : وائب الناس أو صار يقتلهم ويهدو عليهم .

ومن كلام أبي ذرٍّ :

« إن لك في مالك شريكين : الحِذَّانُ ^(١) والوارث ، فإن قَدَرْتَ ألا تكون

أخسَّ الشركاءَ حظاً فافعل » . (مجمع الأمثال للبيداني ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٣ : ٤)

استدراك مافات من .

العَصْرُ الْجَاهِلِيُّ

سقط بعض الموضوعات من العصر الجاهلي في أثناء الطبع ، ولم أُنَبِّه لها إلا بعد البدء في طبع عصر صدر الإسلام ، فرأيت إرجاءها إلى آخر الجزء محافظة على انتظام سلسلة الترقيم ، وهامى ذى :

٢٩٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة ^(٢) إلى هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعن

له الفريقان بالطلعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ^(٣)

و بنو قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ ، وأرباب مكة ، وسُكَّانَ الْحَرَمِ ، لنا ذروة الْحَسَبِ ، ومعدن

المجد ، ولِكُلِّ فِي كُلِّ حِلْفٍ ^(٤) يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا

[١] حدثان الدهر : نوبه وأحداثه . [٢] خزاعة : حى من الأزد ، سموا بذلك لأنهم نخزعوأ عن قومهم (أى تخلفوا عنهم واقطعوا) في إقبالهم من اليمن ، وذلك أنه لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مارن على ماء بين زبيد وزمغ ، وأقبل بنو عمرو بن عامر فأنخزعوأ عن قومهم فنزلوا مكة .

[٣] البضر : الحد الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصى الجد الرابع . [٤] الخلف : العهد بين القوم والصدائة ، والصديق يخلف لصاحبه أن لا يمدربه ، وقوله « لكل في كل » أى لكل في صاحبه صدديق يجب عليه نصرته .

إلى عقوق عشيرة ، وَقَطَعَ رَحِمَ ، يابني قصي : أتم كغصني شجرة أيهما كسِرَ
أوحشَ صاحِبَهُ ، والسيف لا يصابن إلا بَعْمِدِهِ ، وراى العشيرة يصيبه سهمُهُ ،
ومن أَمَحَكَه ^(١) اللجاجُ أخرجهُ إلى البغي .

أيها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كثر ، والجود سُودُودٌ
والجهل سَفَه ، والأيام دُول ، والدهر غير ^(٢) ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ
بعمله ، فاضطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تُجانبكم السفهاء ،
وأكرموا الجليس يعمُرُ نادِيكم ، وحاموا الخليطَ يُرغَبُ في جواركم ، وأنصفوا
من أنفسكم يُوثقَ بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق
الدنيئةَ فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ، وإن نههت ^(٣) الجاهل أهون من
جريرته ^(٤) ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .
فقالت قريش : « رضينا بك أبا نضلة » ، وهي كنيته .

(بلوغ الأرب : ١ : ٢٢٢)

٢٩٨ - منافرة عبد المطلب بن هاشم و حرب بن أمية ^(٥)

تنافر عبد المطلب بن هاشم و حرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة ، فأبى

[١] أغضبه . [٢] أى ذو غير ، وغير الدهر : أحداثه الميرة ، جمع غيره بالكسر ، أو مفرد
وجمه أغيار . [٣] نُهيه عن الأمر : كفه وزجره . [٤] فى الأدل « حيرته » ، وفى
كتب اللغة : « حيرة المال ، وحيرته : خياره » ولامعى لها هنا ، وأرى أنها مصحفة عن « حيرته » .
[٥] وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودى يقال له أديسة ، يتجر وله مال كثير ، فعاط ذلك
حرب بن أمية ، وكان نديم عبدالمطلب ، فأعرى به فتياناً من قريش ليقتلوه ، وبأخذوا ماله ، وقتله حاسر بن
عبد مناف بن عبد الدار ، وصحر بن عمرو بن كعب التيمي ، جد أنى بكر رضى الله عنه ، فلم يعرف
عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأتى حرباً وولاه
وطلبهما منه فأخفاهما ، فتناظرا فى القول ، حتى تنافرا الى النجاشى فلم يدخل بينهما ، فجعل بينهما نقيض بن
عبد العزى حدَّ عمر بن الخطاب فنقر عبد المطلب عليه ، فترك عبد المطلب منادمة حرب ، ونادم عبد الله بن
جدعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ، فدفعها إلى ابن عم اليهودى ، وارتجع ماله لإشيتاً هلك ، فعرمه
من ماله .

أن يَنْفَر^(١) بينهما ، فجعلا بينهما نُفَيْلُ بن عبد العُزَّى بن رياح ، فقال ل حرب :
 « يا أبا عمرو : أتنافر رجلا هو أطولُ منك قامَةً ، وأعظمُ منك هامَةً ،
 وأوسمُ منك وَسَامَةً^(٢) ، وأقلُ منك مَلَامَةً ، وأكثرُ منك وَلَدًا ، وأجزلُ صَفْدًا^(٣)
 وأطولُ منك مِدْوَدًا^(٤) ، وإني لأقول هذا وإنيك لبعيدُ الغَضَبِ ، رفيعُ الصَّوْتِ
 في العرب ، جَلْدُ المَرِيْرَةِ^(٥) ، جليلُ العَشيرة ، ولكنك نافرت مُنْفَرًا » .
 فغضب حرب وقال : إن من انتكاس^(٦) الزمان أن جُعِلت حكا ..

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨١)

٢٩٩ — مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حُجْر الكِنْدِي بعد مقتل أبيه رجال من قبائل
 بني أسد ، وفيهم قَبِيصَةَ بن نُعَيْم يسألونه العفو عن دم أبيه^(٧) ، فخرج عليهم في
 قِبَاءٍ وَخُفٍّ وعمامة سوداء - وكانت العرب لا تَعْتَمُ بالسواد إلا في التَّراتِ -
 فلما نظروا إليه قاموا له ، وَبَدَر إليه قبيصة فقال :

« إنك في المحلِّ والقَدْر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تُحْدِثه أيامه ، وتتنقَّل
 به أحوالُهُ ، بحيث لا تحتاج إلى تذكيرٍ من واعظ ، ولا تبصيرٍ من مجرَّب ،
 ولك من سُودَدٍ مَنْصِبِكَ ، وَشَرَفِ أَعْرَاقِكَ^(٨) ، وكرم أصْلِكَ في العرب ،
 مَحْتَدٍ^(٩) يحتمل ما مُحْمَل عليه ، من إقالة العَمْرَةِ ، ورجوعٍ عن الهَفْوَةِ ، ولا تتجاوز

[١] نفره عليه : قضى له عليه بالغبلة . [٢] الوسامة : الحسن والجمال . [٣] الصفد : العطاء .
 [٤] اللذود : اللسان . [٥] المريرة : الحبل الشديد القتل ، والعزيمة . [٦] أى انقلاب الزمان
 من انتكس أى وقع على رأسه ، وفي الطبري : انتكاث بالثناء من انتكاث الحبل وهو انتقاظه .
 [٧] وكانت بنو أسد (وممن المضرية) خاضعة للولك كيندة ، وآخر ملك عليهم هو حجر أبو
 امرئ القيس ، وقد ثاروا عليه وتلوه لأنه كان قد عسف في حكمه لهم ، واشتتظ عليهم في الإتاوة التي
 يؤدونها إليه . [٨] الأعراق : جمع عرق وهو أصل كل شيء . [٩] المحتد : الأصل .

الهمم إلى غايةٍ إلا رَجَعَتْ إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأي ، و صيرة
الفهم ، وَكَرَّمَ الصَّفْح ، ما يطول رَغَبَاتِهَا ، ويستغرق طَلِبَاتِهَا ، وقد كَانَ الذي
كَانَ من الخَطْبِ الجَلِيل ، الذي تَمَّت رزيتُهُ نِزَاراً واليمين ، ولم تُخْصَصْ بذلك
كِندةٌ دوننا ، للشرف البارِع كَانَ الحُجْر ، التاجُ والعِمَّةُ فوق الجبين الكريم ،
وإخاء الحمد وطيب الشِّيم ، ولو كَانَ يُفَدَى هالك بالانفس الباقية بعده لما بَخَت
كرأئعنا بها على مثله ، ولكنه مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أخراه على أولاه ، وَلَا
يَلْحَقُ أقصاه أدناه .

فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث :
إمّا أنِ اخترتَ من بنى أسد أتسرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المكرّمات صوتاً ،
فقدناه إليك بِنِسْعَةٍ ^(١) ، تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقِي فَصْرَتِهِ ^(٢) ،
فنقول : رجل امتحنَ بهالكِ عزيزٍ ، فلم يَسْتَلَّ سَخِيمَتَهُ ^(٣) إلا تمكّنه من الانتقام ،
أوفداه بما يروح ^(٤) على بنى أسد من نعمها ، ذهى ألوف تجاوز الحِسْبَةَ ، فكان ذلك
فداءً رجعت به القُضْب ^(٥) إلى أجفانها ، لم يرددها تسليط الإحن ^(٦) على البراء ،
وإمّا أنِ وادَعْتَنَا إلى أن تضع الحوامل ، فتُسَدِّل الأزر ، وتُعَقِّد الخُمُر فوق الرايات .
فبكي امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

٣٠٠ - رد امرئ القيس عليه

« لقد علمت العرب أنه لا كُفَّ الحُجْر في دمٍ ، وأنى إن أعراضَ به جملاً ولا

[١] النسم : سوير عريضٌ تشد به الرحال ، والقطعة منه نعمة . [٢] الفصرة : أصل النقى .

[٣] السجينة : الحقد . [٤] يرجع ، وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم أى المأوى ، والعم :
الإبل والشاة أخص بالإبل ، وهو المراد هنا . [٥] السيوف . [٦] الإحن : جمع إحنة ،
وهى الحقد .

ناقة ، فأكتسب به سبة الأبد ، وفَتَّ العَضُدِ (١) ، وأما النظرة (٢) فقد أوجبتها الأجنّة في بطون أمهاتها ، وإن أكون لمطّبا سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدَةَ من بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقاً ، وفوق الأسنان علقاً (٣) :

إذا جالت الحرب في مازقٍ تُصافحُ فيه المنايا النفوسا
أتقيمون أم تنصرفون ؟

قالوا : « بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكرهه وأذية ، وحرب وبليّة » ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل :

لعلك أن تستوخيم الورْدانَ إذ غَدَتُ كِتَابُنَا في مازقِ الحربِ تُتَطَرِ (٤)
فقال امرؤ القيس : « لا والله ، ولكن أستعذبه ، فرؤيداً ، ينفرج لك دُجَاهَا
عن فُرسانِ كِنْدَةَ وكتائبِ حَمِيرٍ ، ولقد كان ذكرُ غيرِ هذا بي أولى ، إذ كنت
نازلاً برَبْعِي (٥) ، ولكنك قلتَ فأوجبت » فقال قبيصة : « ما يتوقع فوق
قدر المعاتبة والإعتاب (٦) » فقال امرؤ القيس : « هو ذلك » .

(صبح الأعشى ٢ : ٢١٦ والأغانى ٨ : ٧٢)

٣٠١ — بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان

لما قتل جَسَّاس (٧) بن مُرَّة بن ذهل الشيباني كَلَيْب (٨) بن ربيعة التغلبيّ ،

[١] فته : كسره ، وهو كناية عن الصعف والوهن . [٢] الإمهال . [٣] أى دماً .

[٤] تستوجه : أى تحمده وخيما . [٥] الربيع : الزلزل .

[٦] أعتبه : أرضاه . [٧] وسبب ذلك أن البسوس بنت نفذ التميمية خالة جساس كان لها جار من جرم يقال له سعد بن شمس ، وكانت له ذقة يقال لها سراب ، وكان كليب قد حمى أرضاً من أرض العالية ، في أنف الربيع ، فلم يكن يرعاه أحد إلا بل جساس لمصاهرة بينهما — وكانت جليمة بنت مرة أخت جساس تحت كليب — فخرجت سراب في إبل جساس ترمي في حمى كليب ، ونظر إليها كليب فأنكرها فرماها بهم فأصاب ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها ينحب دماً وليناً : فلما نظر إليها صرخ بالدل ، فخرجت البسوس فضربت يدها على رأسها ، ونادت وادلاه وسمها جساس فسكتها ، وقال لها : ليقتلن خدأ من أعظم من نانة جارك ، ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أمكنته منه الفرصة فقتله ، ونشبت من أحل ذلك الحرب (حرب البسوس) بين بكر وتغلب ابني وائل أربعين سنة « وبنو شيبان بطن من بكر » .

[٨] اسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن شمس بن تغلب بن وائل

تشمراً أخوه مُهلِل^(١)، واستعد لحرب بكر، وجمع إليه قومه، فأرسل رجالاً منهم إلى بنى شيبان، فأثوا مرة بن ذهل بن شيبان (أبا حساس) وهو في نادى قومه، فقالوا له :

« إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليباً بناب^(٢) من الإبل ، فقطعتم الرّحيم ، وانتهكتم الحُرمة ، وإنا كَرِهْنَا العَجَلَةَ عليكم دون الإِغْذار إليكم ، ونحن نعرض عليكم خِلالاً أربعا ، لكم فيها مَخْرَج ، وإننا فيها مَقْنَع ، فقال مرة : وماهى ؟ قالوا : تُحْيِي لَنَا كَلِيبًا ، أو تدفع إلينا حساساً قَاتِلَهُ فَنَقْتَلُهُ بِهِ ، أو هَمَامًا^(٣) فَإِنَّهُ كَفَى لَه ، أو تَمَكَّنْنَا مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنْ فِيكَ وَفَاءٌ مِنْ دَمِهِ ، فقال : « أَمَا إِحْيَائِي كَلِيبًا ، فهذا ما لا يكون ، وأما حساس فإنه غلام طعن طَعْنَةً عَلَى عَجَل ، ثم ركب فرسه ، فلا أدري أى البلاد احتوى عليه ، وأما همام فإنه أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، كلهم فُرْسَانٌ قَوْمِهِمْ ، فلن يساموه لى ، فأدفعه إليكم يُقْتَلُ بِجَرِيرَةٍ^(٤) غيره ، وأما أنافهل هو إلا أن تجول الخيل جَوْلَةً غَدًا ، فأكون أول قتيل بينها ؟ فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خَصْلَتَانِ ، أما إحداهما فهؤلاء بنى الباقون ، فعلقوا فى عنق أيهم شَتَمَ نِسْعَةً ، فانطلقوا به إلى رحالكم ، فاذبحوه ذَبْحَ الْجَزُورِ ، وإلا فألفُ ناقة سود الحَدَقِ ، مُحْرُ الوَبَرِ ، أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبذل لنا ولدك ، وتسموننا اللبن من دم كليب ؟ وَنَسَبَتِ الحَرْبَ بَيْنَهُمْ . »

(القعد الفريد ٣ : ٧٨ ، والسكامل لابن الأثير ١ : ١٩٠ ، والأغانى ٤ : ١٤١)

وإنما لقب كليباً لأنه كان إذا سار أخذ معه جروكاب ، فإذا صرّ بروضة أو موضع يعجه ، صر به ثم ألقاه فى ذلك المكان وهو يصيح ويعوى ، فلا يسمع صواءه أحد إلا نجسته ولم يقر به ، وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فعلى عليه . [١] اسمه عدى بن ربيعة ، وإنما قيل له المهملل لأنه أزل من هامل الشعر أى أرقه . [٢] الناقة المسنة . [٣] هو همام بن مرة أخو حساس ، وكان نديماً للمهلل . [٤] الجريرة : الجريرة .

٣٠٢ - ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وفد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر ، وذلك بعد انقضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى لَحْم ، وكان عامر قد أجار امرأ القيس بن حُجْر ، أيام كان مقياً بالجَبَلَيْنِ^(١) ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هَذَا لِكِّ لَا أُعْطِي مَلِيكَاً ظُلَامَةً وَلَا سَوْقَةً حَتَّى يُثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ^(٢)

[١] الحلان : سلمى وأجأ (كجبل) شرق المدينة ، وهما لطبيء ، قال رجل من بني سلامان جاور في طبيء :
ألفت مساكن الجاهن إني رأيت العوث يألفها العريب
(والعوث قبيلة من طبيء) . [٢] قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال عمرو بن حوين فيما زعم السيرافي ، أو امرؤ القيس فيما حكى الفراء :
وَأَلَيْتَ لَا أُعْطِي مَلِيكَاً مَنَادِقِي وَلَا سَوْقَةً حَتَّى يُثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ »
وقال اللبيداني في شرح المثل « لا غزو إلا العقيب » - ج ٢ : ص ١٣١ - « يقال عقب الرجل : وهو أن يعزو مرة ثم ثنى من سبه ، وأول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار (أبو امرئ القيس) وذلك أن الحارث بن مندلة ملك السأم ، وكان من ملوك سليج من ملوك الضجاعم (سليج كجريح قبيلة باليمن ، والصداعم كانوا ملوكاً للشأم) وهو الذي ذكره مالك بن جوير الطائي في شعره فقال :
هَذَا لِكِّ لَا أُعْطِي رِئِيساً مَنَادِقِي وَلَا مَلِيكَاً حَتَّى يُثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ
وكان قد أعار على أرض نجد ، وهي أرض حجر بن الحارث هذا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان بها أهل حجر فوجد القوم حلوقاً ، (الحلوف بالصم : الذين ذهبوا من الحمى ، ومن حضر منهم أيضاً) ووجد حجراً قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود (وهي هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية) ووقع بها فأعجبها ، وكان آكل المرار شيخاً كبيراً ، وابن مندلة شاباً جميلاً ، فقالت له : النجاء ، النجاء ، فإن وراءك طالباً حثيثاً ، وجمعاً كثيراً ، ورأياً صليباً ، وحزماً وكيداً ، فخرج ابن مندلة منذاً إلى الشام (أى مسرعاً) فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ، ووجد هنداً قد أخذت ، فقال : من أعار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : ثمانى ليال ، فقال حجر : لا غزو إلا العقيب ، فأرسلها مثلاً يعني غروه الأول والثاني .

ثم حدث في طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دون مدبر ابن مندلة فكمن فيه ، وبعث سدوس ابن شيبان ، فقال له . اذهب متكرراً إلى القوم حتى تعلم لنا علمهم ، فانطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم رجع إلى حجر فحدثه بمحدث امرأته مع ابن مندلة ، فضرب حجر بيده على المرار (والمرار كغراب : شجرة

وكان المنذر ضغنًا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عامر ، لساء مَثْوَىْ أئويته رَبِّكَ وَثَوِيَّكَ ^(١) ، حين حاولت إصْبَاءَ طَلْتِهِ ^(٢) ومخالفتَهُ إلى عشيره ، أما والله لو كنت كَرِيماً لأئويته مُكْرَمًا مُوقَرًا ، ولجانبته مُسَلِّمًا ، فقال له : أَيَّتَ اللَعْنِ ^(٣) لقد عَلِمْتَ أبناءَ أَدَدَ ^(٤) إني لأعزُّها جارًّا ، وأكرمُها جوارًّا ، وأمنعُها دارًّا ، ولقد أقام وافراً ، وزال شاكرًا ، فقال له المنذر : « يا عامر ، وإنك لتخالُّ هُضَيْبَاتِ أَجَاءِ ذَاتِ الوَبَارِ ^(٥) ، وَأَفْئِيَّاتِ سَلَمَى ذَاتِ الأَغْفَارِ ^(٦) ، مَا نَعَاتِكَ مِنَ المَجْرِ ^(٧) الجَرَّارِ ، ذِي العُدَدِ السُّكَّارِ ^(٨) ، وَالْحُصْنِ وَالْمِهَارِ ^(٩) ، والرماحِ الجَرَّارِ ^(١٠) ، وكل ما ضى النِّرَارِ ^(١١) ، بيد كل مِسْعَرٍ كَرِيمِ النَّجَّارِ ^(١٢) ؟ قال عامر : أَيَّتَ اللَعْنِ ، إن بين

مرّة إذا أكل منها الإبل تقلصت مشاوها (فأكل منها من العصب ، فسمته العرب آكل المرار ، وقيل : آكل المرار هو أبوه الحارث) ، ثم خرج حتى أغار على ابن مندله فقتله ثم قتل هنداً وأنشأ يقول :
 إن من يأمن النساء بشيء بعد هند لجاهل منور
 كل أنثى وإن تبينت منها آية الحب ، حبها خيتور
 (والحيتور : كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ، ويصحل كالسراب ، وكالذي ينزل من الهواء في شدة الحر كمنسج العنكبوت) .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني هذه القصة في الأئني (١٥ : ٨٢) ولكنه روى أن الذي أغار على حجر هو زياد بن الهبولة قال : « ثم إن زياد بن الهبولة بن عمرو بن عوف بن ضحيم بن حطاطة بن سعد ابن سليح النضاعي أغار عليه وهو ملك في ربيعة بن نزار ، وكان قد غزا بريعة البحرين ببلغ زيادا غزاته فأقبل حتى أغار في مملكة حجر فأخذ مالا كثيرا وسي امرأة حجر إلى آخر القصة » .

[١] ثوى المكان وبه : نزل ، وأثواه : أضاه ، ولثوى : المنزل ، والثوى : كنى البيت المهيأ له ، والضيف وهو المراد هنا . [٢] الظلة المعوز ، وصا الرجل مال إلى الجهل والفتوة وأصبته المرأة ، والمراد حاولت رد عره السالف إليه . [٣] أيبت اللامن نحية جاهلية أى أيبت أن تأتي ما تلعن به .

[٤] هو أدد بن زيد بن يشجب (نضم الجيم) بن عريب (بفتح العين) بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وبنو أدد : هم مذحج وطي والأشعر .

[٥] الوبار : شجرة حامضة شائكة . [٦] الغر بالتحريك صغار السكّال .

[٧] الحجر : الجيش العظيم : [٨] الكثير . [٩] الحصن : جمع حصان وهو الفرس الذكر والمهارة : جمع مهر وهو ولد الفرس . [١٠] الحرار والأحرار : جمع حر وهو خيار كل شيء .

[١١] النرار : حده الرمح والسهم والسيف . [١٢] يقال هو مسعر حرب أى موقد نارها كأنه

آلة لسعر الحرب أى إيقادها ، والنعار : الأصل .

تلك الهُضَيْبَاتِ وَالرَّعَانَ ^(١) ، والشَّعَابِ وَالْمُصْدَانَ ^(٢) ، لَفْتِيَانًا أَبْطَالًا ، وكهولا
أزْوَالًا ^(٣) ، يَضْرِبُونَ الْقَوَانِسَ ^(٤) ، وَيَسْتَنْزِلُونَ الْفَوَارِسَ ، بِالرِّمَاحِ الْمَدَاعِسِ ^(٥)
لَمْ يَتَّبِعُوا الرَّعَاءَ ^(٦) ، وَلَمْ تُرَشِّحْهُمْ ^(٧) الْإِمَاءُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا عَامٍ لَوْ قَدْ تَجَاوَبْتَ
الْخَيْلَ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ صَهِيلاً ، كَانَتْ الْأَصْوَاتُ قَمْعَقَعَةً ^(٨) وَصَلِيلًا ، وَفَقَرَّ
الْمَوْتُ ^(٩) ، وَأَعْجَزَ الْفَوْتُ ، فَتَقَارَشَتِ الرِّمَاحُ ^(١٠) ، وَحَمَى السَّلَاحُ ، لَتَسَاقَى
قَوْمُكَ كَأَسَا لَا صُحُورَ بَعْدَهَا ، فَقَالَ : مَهْلًا أَيْبَتِ اللَّعْنُ ، إِنْ شَرَّابْنَا وَيَبِيلُ ،
وَحَدَّنَا أَلِيلُ ^(١١) ، وَمَعَجَمْنَا صَلِيبُ ^(١٢) ، وَلِقَاءَنَا مَهْيَبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَامٍ ، إِنَّهُ
لَقَلِيلٌ بَقَاءُ الصَّخْرَةِ الصَّرَاءِ ^(١٣) عَلَى وَقَعِ الْمَلَّاطِيسِ ^(١٤) ، فَقَالَ : أَيْبَتِ اللَّعْنُ ،
إِنْ صَفَاتَنَا عَبْرُ الْمَرَادِيسِ ^(١٥) ، فَقَالَ : لِأَوْقِظَنَّ قَوْمَكَ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ ، ثُمَّ
لَأُعْجِبَهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةً لَا يَهْبُ رَاقِدُهَا ، وَلَا يَسْتَيْقِظُ هَاجِدُهَا ^(١٦) ، فَقَالَ لَهُ

- [١] الرِّعَانُ : جمع رعن (كشمس) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضاً على رعون .
[٢] الشعب : بالفتح الجبل وبالكسر الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج
بين الجبلين ، المصد (كشمس وكتب) والمصاد (كسحاب) الهضبة العالية وجمعه أمصدة ومصدان .
[٣] أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . [٤] القوانس : جمع قوس كجمهر ، والقوس
والقونوس : أعلى بيضة الحديد . [٥] المداعس جمع مدعس ، وهو الرمح الذي لا يثنى .
[٦] الرعاء : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . [٧] الترشيح : الترية .
[٨] القمعة حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .
[٩] أى وهز الموت فاه : أى فتحه . [١٠] تقارشت الرماح تداخلت في الحرب .
[١١] حاد ، وأله تأيلاً حدده . [١٢] عجم العود كمنصر إذا عضه يعرف صلابته من خوره
والمعجم اسم مكان منه وصلب أى صلب وهو كداية عن شدتهم ومنعتهم . [١٣] صخرة صراء : صماء .
[١٤] اللطس : كبير ، واللطاس : المعول الفليط لكسر الحجارة .
[١٥] الصفاة : الحجر الصلب الصخيم ، ويقال نافة عبر أسفار (بتثنية العين) أى قوية على السفر نشق
مامرت به ، تقطع الأسفار عليها ، وكذا الرجل الجرىء على الأسفار المباحى فيها القوى عليها ، والمردس
والمرداس : شىء صلب عريض تدك به الأرض ، وردسها دكها به ، وردس الحجر بالحجر (كمنصر وضرب)
كسره ، ومعنى العبارة إن صفاتنا تحملنك ذلك المراديس فلا تتعظم تحتها ، كناية عن صلابتهم وشدتهم .
[١٦] الهجود : النوم .

عامر : إن البغي أباد عمراً^(١) ، وصَرَخَ حُجْرًا^(٢) ، وكانا أعزَّ منك سلطانًا ، وأعظم
شأنًا ، وإن لَقَيْتَنَا لم تَلَقْ أَنْكاسًا ولا أُغْساسًا^(٣) ، فَهَبْشَ وَصَنَائِمَكَ
وَصَنَائِمَكَ^(٤) ، وَهَلُمَّ إِذَا بَدَا لَكَ ، فَنَحْنُ الْأَلَى قَسَطُوا^(٥) عَلَى الْأَمْلَاكِ قَبْلَكَ ،
ثم أتى راحلته فركبها ، وأنشأ يقول :

تَعَلَّمْ (أَيِّتَ اللَّعْنِ) أَنْ قَدَاتَنَا تَزِيدُ عَلَى نَعْمِ الثَّقَافِ تَصَعُّبًا^(٦)
أَتُوْغِدُنَا بِالْحَرْبِ ؟ أُمُّكَ هَابِلٌ رُوَيْدُكَ بَرَقَا ، لَا أَبَالِكَ ، خُلْمًا^(٧)

[١] هو عمرو بن المذثر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة مله ، وقوة
سياسته (وهو عمرو بن هند) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عممة امرئ القيس بن حجر بن الحارث ،
وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب يأنف أن تحمد أمه أمي ؟ قالوا :
ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كثوم التعلبي ، فإن أمه ليلي بنت مهامل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل ،
وزوجها كثوم بن عتاب ، وابنها عمرو ، فسكت مضرط الحجارة على ما في نفسه وبعث إلى عمرو بن كثوم
يستريه ، ويسأله أن تزور أمه أمه ، فقدم عمرو بن كثوم في درسان من بني تغلب ، ومعه أمه ليلي ، فزل
على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدمه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات ، وأرسل إلى
وجوه أهل مملكته ، فصنع لهم طعاما ، ثم دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السراق ، وجلس هو
وعمر بن كثوم وخواص أصحابه في السراق ، ولأمه هند قبة في حاب السراق ، وليلي أم عمرو
ابن كثوم معها في القبة ، وقد قال مضرط الحجارة لأمه إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف
فنجي خدمك عنك ، فإذا دنا الطرف فاستحدي ليلي ومرها وتناولك الشيء بعد الشيء ، ففعلت هند
ما أمرها به ابنها ، فلما استدعى الطرف ، قالت هند ليلي : ناولي ذلك الطبق . قالت لتقم صاحبة الحاجة إلى
حاجبتها ، فألحت عليها ، فقالت ليلي وادلاء يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كثوم ، فثار الدم في وجهه
والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه ، وثار ابن كثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق في
السراق وليس هناك سيف غيره فأخذ ، ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله ، وخرج بمادى يأل
تغلب فاتهبوا ماله وخيله ، وسبوا الذئب ، وساروا فلققوا بالحيرة (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٩٧)

[٢] هو حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) وقد تقدم خبره .

[٣] الانكاس : جمع نكس بالكسر وهو الضعيف ، والأعساس : جمع غس بالصم وهو الضعيف أيضاً .

[٤] هبش : جمع ، والوضائع : جمع وضيفة ، أنمال القوم وما يأخذه السلطان من الخراج والعشور ،

والصنائع : جمع صنيفة : يقال هو صنيفة فلان ، وصديقه إذا اصطغمه وأدبه وخرجه ورباه ، والمعنى : فتجهز

للحرب ، واجمع الأموال اللارمة لذلك واحشد رجالك المدربين على القتال . [٥] أي جاروا .

[٦] الثفاف : ماتسوى به الرماح . [٧] هبلته أمه (كفرح) فقدته ، والبرق الحب : المطمع

الخلف .

إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلَةً بِالْقَمْنَا وَحَامَتُ رِجَالَ الْعَوْتُ دُونِي تَحْدُبًا^(١)
 أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتِكَ الَّتِي تَسْمُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا^(٢)
 فَإِنْ شَدَّتْ أَنْ تَزْدَارِنَا فَاتٍ تَعْتَرِفُ رَجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقَرَبَا^(٣)
 وَإِنْكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيفًا وَكَوْنًا كَبَا^(٤)
 وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جَلَادُهُمْ وَمَلَهَى بِأَكْنَافِ السَّيْدِيرِ وَمَشْرَبَا^(٥)
 فَأَغْضُ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي تُحَكِّمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمُجْرَبَا^(٦)
 (ذيل الأمل ص ١٧٩)

٣٠٣ — قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني

كَانَ قَيْسُ بْنُ رِفَاعَةَ يَفِدُ سَنَةً إِلَى النُّعْمَانَ اللَّحْمِيِّ بِالْعِرَاقِ ، وَسَنَةً إِلَى
 الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرِ الْعَسَانِيِّ بِالشَّامِ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَهُ : يَا بْنَ رِفَاعَةَ ،
 بَلِّغْنِي أَنْتَ تَفْضِيلَ النُّعْمَانَ^(٨) عَلَى ؟ قَالَ :

[١] خطر الرجل بسيفه ورجله رفعه مرة ووسعه أخرى ، وجديلة والعوت من طيء ،
 وتحذب به تعلق ، وتحذب عليه تعطف . [٢] الحرج كسب لوان من بياض وسواد خرج كفرح فهو
 أخرج ، وظلم أخرج وهو الذي لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد ، والكهبة: الدهمة (السواد)
 أو عبرة مشربة سوادا ، كهت كمرح وكرم فهو أكهت وكاهب . [٣] ازداده : راره (انتعل من
 الريارة) واعترف الشيء عرفه ، وأدال ثوبه إذا أطال ذيله قال كثير :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها فأذالها

والحديد: الدروع ، وشيء مقرب : أي معوج معطوف ، يريد أنها دروع مررودة (الرد والسرود
 بالفتح تداخل حلق الدرع بعضها في بعض) والمعنى تحذب أبطالا قد لبسوا الدروع السابعة المزرودة ، وهالك
 معى آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ، والحديد : أي الفرس الحديد السير أي السريع ، والمعقرب
 الشديد الحلق اختتمه . وحمار مقرب الحلق أي ملووز مجشح شديد ، فالعنى : تحذب أبطالا يجهدون في ميدان
 القتال أفراسهم كرا وصولا على الأعداء . [٤] الكوكبة : الجمادة . [٥] السدير والخورتق :
 قصران بناهما النعمان الأكبر بالحيرة . [٦] الرمح الزاعي : هو الذي إذا مز كان كعوبه يجري
 بعضها في بعض لينه ، والحرب : المحدد .

[٧] كان الممازرة ملوك الحيرة من لحم ، والغساسنة : ملوك الشام من الأزدي . فكلاهما من أصل يعني ،
 وكان بينهما أحماد وأضغان وحروب . [٨] النعمان بن المنذر .

« وكيف أفضله عليك أبيت اللعن ؟ فوالله لَقَفَاكَ أَحْسَنُ من وجهه ،
ولَأَمَّاكَ أَشْرَفُ من أيه ، ولَأَبُوكَ أَشْرَفُ من جميع قومه ، ولِسِمَاكَ أَجُودُ من
يمينه ، وَلِحَرْمَانِكَ أَنْفَعُ من نَدَاهُ ، ولِقَلِيلِكَ أَكْثَرُ من كَثِيرِهِ ، ولِمَادُكَ ^(١) أَغْزَرُ
من غديره ، ولِكَرْسِيِّكَ أَرْفَعُ من سريره ، ولِجُدُولِكَ أَثَمَرُ من بحوره ، وليَوْمُكَ
أَفْضَلُ من شهره ، ولِشَهْرِكَ أَمَدُّ من حَوْلِهِ ، ولِحَوْلِكَ خَيْرُ من حُقْبِهِ ^(٢) ، ولِزَنَدِكَ
أَوْرَى من زنده ، ولِجِنْدِكَ أَغْزَى من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه
لن لحم الكثيرى النُّوك ^(٣) ، فكيف أفضله عليك ^(٤) ؟ » .

(الأملی : ١ : ٢٦١ و مروج الذهب : ١ : ٢٩٨)

٣٠٤ - قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة يفتد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل
العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند
علمه ، قال : فما أفضل المرأة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما
أفضل المال ؟ قال : ما فُضِيَ به الحقوق .

(الأملی : ٢ : ٩٣)

٣٠٥ - رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى

عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب قالوا :
« أَجْدَبَتْ بِلَادَ مَذْحِجٍ فَأَرْسَلُوا رُؤَادًا ^(٥) ، من كل بطنٍ رجلاً ، فبعثت
بنوزُيد رانداً ، وبعثت النُّعجَ رانداً ، وبعثت جُهْفِيَّ رانداً ، فلما رجع الرواد قيل

[١] التُّمَاد : الماء القليل للمادة له . [٢] الحب نالضم وبصوتين : ثمانون سسة أو أكثر ،
والدهر ، والسنة أيضاً . [٣] النوك بالهم والفتح : الحق . [٤] وذكر المسعودى أن هذا
الحديث كان بين حسان بن ثابت الأصارى ، وبين الحارث بن أبي شمر .
[٥] الرواد : جمع راند ، وهو المرسل فى طلب الكلاء .

لرأيدِ بنى زبيد ماوراءك؟ قال: رأيت أرضاً مؤشمة^(١) البقاع، ناتحة النقا^(٢)،
مستحلبة الغيطان^(٣) ضاحكة القرين^(٤) واعدة^(٥) وأحر بوفائها، راضية أرضها
عن سمائها». وقيل لرأيد جعفي: ما وراءك؟ قال: «رأيت أرضاً جمعت السماء^(٦)
أقطارها، فأمرعت أصبارها^(٧)، ودينت أوعارها^(٨)، فبطنانها غممة^(٩)،
وظهرانها غدقة^(١٠)، ورياضها مستوسقة^(١١)، ورقاقها رائخ^(١٢)، وواطئها
سائخ^(١٣)، وماشيا^(١٤) مسرور، ومضرمها^(١٥) محسور». وقيل للنحوي
ماوراءك؟ فقال: «مداحي^(١٦) سيل، وزهاء^(١٧) ليل، وغيل^(١٨) يواصي غيلاً،
قد ارتوت أجزأها^(١٩)، ودمت عزأها^(٢٠)، والتبتت أقوازها^(٢١)، فرأدها

- [١] أوشمت الأرض: إذا بدا فيها شيء من النبات (وأوشمت السماء: إذا بدا فيها برق).
- [٢] النقا: جمع نقع (كشمس) وهو الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء، وناتحة: أي راشعة، من الشج وهو خروج العرق من الجلد.
- [٣] الغوط، والعيط، والعاط، والعاظن المطئن الواسع من الأرض وجمعه عرط (باضم) وأعواط وغيطان، وغياط، واستحلبت البت إذا غطى الأرض أو كاد يعطيها. [٤] القرين: مجارى الماء من الربو إلى الرياس جمع قرى كعمى. [٥] أى تد تمام نباتها وخيرها، وأحر: أحلى.
- [٦] السماء هنا المطر، يريد أن المطر جاد بها، فطال البت، فصار المطر كأنه قد جمع أكسافه.
- [٧] مرع الوادى مثلث الرء مراعة وأمرع: أعشب وأحصب فهو مريع ومرع، وأصبارها: نواحيها جمع صبر بالكسر والضم. [٨] ديئت: لبت. [٩] الطنان: جمع نطن، وهو العارض من الأرض أى المطئن منها، وغممة: ندية. [١٠] الطهران: جمع ظهر، وهو ما ارتفع بسيراً، وغدقة: كثيرة الليل والماء. [١١] منتظمة. [١٢] الرقاق: الأرض اللينة من غير رمل، ورائخ: مفرط اللين، قال: ربحت المعين إذا كثرت ماءه، وراخ المعين يربخ. [١٣] أى تسوخ رجلاه فى الأرض من لينها، وتسوخ وتوفخ واحد. [١٤] الماشى: صاحب الماشية، مشى الرجل وأمشى: كثرت ماشيته. [١٥] المصرم: الفقير المقل. [١٦] مداحى: جمع مدحى اسم مكان من دحا الأرض يدحوها ويدحها دحوا: أى بسطها. [١٧] أى الزهاء الشخص وإعما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرته.
- [١٨] الغيل: الماء الجارى على وجه الأرض، ويواصي: يواصل. [١٩] الأجزأ: جمع جزز (بصمتين) وهى التى لم يصبها المطر، أو التى قد أكل نباتها، أو التى لا تنبت. [٢٠] دمت: لبن (دروى دمت كفروح) ودمت لان، والعزاز: الأرض الصلبة. [٢١] الأبوار: جمع قوز (كشمس) وهو المستدير من الرمل.

أَنِيقَ ^(١) وراعيها سَبِقَ ^(٢) فلا قَضَضَ ^(٣) ولا رَمَضَ ، عازِبُهَا ^(٤) لا يُفْرَعُ ،
وَوَارِدُهَا لا يُنْكَعُ ^(٥) ، فاختاروا مَرَادَ ^(٦) النخعي . (الأملال ١ : ١٨٣)

٣٠٦ - إحدى ملكات اليمن وخاطبوها

وذكروا أن ملكة كانت بسبباً ^(٧) ، فأتاها قوم يخطبونها ، فقالت : ليصف
بكل رجل منكم نفسه ، وليصدق وليؤجز ، لأتقدم إن تقدمت ، أو أدع إن
تركت ، على علم ، فتكلم رجل منهم يقال له مُدْرِكُ ، فقال : « إن أبي كان في
العز الباذخ ^(٨) ، والحسب الشامخ ، وأنا شرس الخليقة ، غير رعديدي ^(٩) عند
الحقيقة » قالت : لا عتاب على الجندل فأرسلتها مثلاً ^(١٠) ، ثم تكلم آخر منهم
ويقال له صبيس بن شرس فقال : « أنا في مال أثبت ^(١١) ، وخلق غير خبيث ،
وحسب غير عيث ^(١٢) ، أحذو النعل بالنعل ، وأجزى القرض ^(١٣) بالقرض »
فقالت : لا يسرك غائباً من لا يسرك شاهداً ، فأرسلتها مثلاً . ثم تكلم آخر
منهم ، يقال له شمأس بن عباس فقال : « أنا شمأس بن عباس ، معروف بالندى
والباس ، حسن الخلق في سجيبة ، والعدل في قضية ، مالى غير محذور على القل
والكفر ، وبابى غير محبوب على العسر واليسر » قالت : الخير متبع والشر محذور

[١] أى معجب بالمرعى . [٢] من سبق كهرح أى شم واتخم ، وراعيها : الذى يرعاها .
[٣] القفض : الحصى الصغار ، يريد أن الببات قد غطى الأرض فلا ترى هناك قصصاً ، والرمض : أن
يجمع الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول : ليس هناك رمض لأن السات قد غطى الأرض .
[٤] العازب : الذى يعزب بأبله أى يبعد بها فى الموعى . [٥] أى لا يمنع . [٦] أى مرعى .
[٧] سبأ : بلدة باليمن . [٨] العالى . [٩] الرعديدي : الجبان . [١٠] قال الميداني :
« يضرب فى الأمر الذى إذا وقع لامرد له ، قاله أبو عمرو » . [١١] كثير : عظيم .
[١٢] لم أجد فى كتب اللغة وصفاً من مادة عت على فعل ، وإنما الذى فيها « رجل عت بهتج البين أى
ضليل الجسم » وسباق الفواصل يرجح أن الوصف الذى هنا فعل ، وأرى أن معناه مشين معيب من دشت
العتة الصوف إذا أكلته فهو ثثيث بمعنى معثوث . [١٣] القرض : القطع .

فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضيفس ، لن يستقيم معك معاشرته لعشير حتى يكون فيكما لين عريكة^(١) ، وأما أنت يا شماس ، فقد حلت منى محل الأهرع^(٢) من الكنانة ، والواسطة^(٣) من القلادة ، لدمانة^(٤) خلقك ، وكرم طباعك ، ثم اسع بجِدِّ أودع ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماسا .
(مجمع الأمثال ٢ : ١١٨)

٣٠٧ — خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته

خطب صعصعة بن معاوية بن عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة فقال :
« يا صعصعة إنك جئت تشتري منى كبدي ، وأرحم ولدي عندي ، منعتك ، أو بعثك ، النكاح خير من الأئمة^(٥) ، والحسيب كفاء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية ، أنصح ابنا ، وأودع ضعيفاً قوياً ، ثم أقبل على قومه فقال :
« يا معشر عدوان : أخرجت من بين أظهركم كريمتكم ، على غير رغبة عنكم ، ولكن من خُطَّ له شيء جاءه ، رب زارع انفسه حاصدٌ سواه ، ولولا قسم الحظوظ على فدر الجدود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذي أرسل الحيا^(٦) ، أنبت المرعى ، ثم قسمه أكلًا^(٧) ، لكل فم بقلة ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كل ذى قلب واع^(٨) ،

[١] العريكة : الطيبة ورجل ابن العريكة : أى سلس الحلق . [٢] الأهرع آخر سهم في الكنانة ردياً كان أو جيداً أو هو أفضل سهامها لأنه يدخر لشدة أو هو أردوؤها ، والمراد هنا الثاني .
[٣] واسطة المقد : الجوهرة الفاخرة التي تجعل وسطه . [٤] الدمانة : السهولة .
[٥] الأبايى : الذين لأزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما ، أيم تكيد سواء كان تزوج من قبل أم لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرة كانت أو ثيباً ، وقد آمت ثيباً أيماً وأيمه وأبوماً ، وفي الحديث : « أنه كان يتموذ من الأئمة » . [٦] الحيا : المطر . [٧] الأكل : ما يؤكل والرزق .
[٨] حافظ .

ولكل شيء راعٍ ، ولكل رزق ساعٍ ، إما أكيسُ وإما أحمقُ ، وما رأيت شيئاً إلا سمعت حسبه ، ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائياً إلا داعياً ، ولا غانماً إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يُميتُ الناسَ الدَّاءَ ، لأحياهم الدواء ، فهل لكم في العلم العليم ؟ قيل ماهو ؟ قد قلبت فأصبت ، وأخبرت فصدقت ، فقال : أموراً شتى ، وشيئاً شياً ، حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لا شيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض والسموات ، فتولَّوا عنه راجعين ، فقال : وَيَأْمَهَا ^(١) نصيحةً لو كان من يقبلها .

(مجمع الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والعقد الفريد ٣ : ٢٢٣)

٣٠٨ - وصية عامر بن الظرب العدواني لقومه

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ وَخَشِيَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ أَنْ يَمُوتَ ، اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّكَ سَيِّدُنَا وَقَائِلُنَا وَشَرِيفُنَا ، فَاجْعَلْ لَنَا شَرِيفًا وَسَيِّدًا وَقَائِلًا بَعْدَكَ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ : كَلَفْتُمُونِي بَغِيًّا ، إِنْ كُنْتُمْ شَرَفْتُمُونِي فَإِنِّي أُرِيْتُمْ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي ، فَإِنِّي لَكُمْ مِثْلِي ؟ أَفَهَمُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ جَمْعِ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ لَمْ يَجْتَمِعَا لَهُ ، وَكَانَ الْبَاطِلُ أَوْلَى بِهِ ، وَإِنْ الْحَقُّ لَمْ يَنْزِلْ يَنْفِرْ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْبَاطِلُ يَنْفِرْ مِنَ الْحَقِّ .

يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ : لَا تَشْمَتُوا بِالذَّلَّةِ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِالْعِزَّةِ ، فَبِكُلِّ عَيْشٍ يَعِيشُ الْفَقِيرُ مَعَ الْغَنِيِّ ، وَمَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ ^(٢) ، وَأَعَدُّوا الْكُلَّ أَمْرًا جَوَابَهُ ، إِنْ مَعَ

[١] يقال للاستجداد وبه : أى ويل لأمه ، كقولهم : لا ب لك يريدون لا أب لك مركبه وجبلوه

كالغنى الواحد . [٢] أى من رأى يوماً على عدوه رأى مثله على نفسه .

السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال وفيها ذمامة ^(١) ، ولليد العليا ^(٢) العاقبة
والقود ^(٣) راحة ، لالك ولا عليك ، وإذا شئت وجدت مثلك ، إن عليك كما أن
لك ، وللكثرة الرعب ، وللصبر الغلبة ، ومن طلب شيئاً وجدته ، وإن لم يجده
يوشك أن يقع قريباً منه . (مجمع الأمثال ٢ : ١٨٣)

٣٠٩ — وصية دويد بن زيد لابنيه

لما حضرت دويد ^(٤) بن زيد الوفاة قال لابنيه :

« أوصيكم بالناس شراً ، لا ترهقوا لهم عبزة ، ولا ثقيلوهم عبزة ^(٥) ، قصرُوا
الأعنة ، وطولوا الأسنان ، واطعنوا شزراً ^(٦) ، واضربوا هبراً ^(٧) ، وإذا أردتم
المحاجة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجز لا المحالة ، بالجدة ^(٨) لا بالكد ، التجلد
ولا التبلد ، والمنية ولا الدنية ، ولا تأسوا على فائت وإن عزَّ فقده ، ولا تحثوا
إلى ظاعن وإن ألفَ قربه ، ولا تطعموا فتطمعوا ، ولا تهنؤوا فتخزوا ^(٩) ، ولا
يكوننَّ لكم المثل السوء « إن الموصين بنو سهوان ^(١٠) » إذا ميتٌ فأرجبوا ^(١١)

-
- [١] الدمامة بالفتح ويكسر ، والذمة : العهد ، والكفالة ، والحق ، والحرمة . [٢] اليد العليا :
المعطية ، والسفلى : السائلة ، وفي الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، وهو حث على الصدقة .
[٣] القود : القصاص . [٤] هو دويد بن زيد بن نهد الحميري ، وكان من العمرين . قيل عاش
أربعمائة وستاً وحمدين سنة ، (قالوا : ولا يد العرب مِعمرأً لإمن عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً) .
[٥] أقال الله عبثته : رمعه من سقوطه . [٦] الظعن في الجواب يمياً وشمالاً .
[٧] هب اللحم : قطعه قطعاً كبيراً ، والهبرة (بالفتح) القطعة المجنعة منه وضرب هب وهبير هابر :
أى يقطع اللحم . [٨] الطبع محرمة : الدنس . [٩] الوهن : الضعف ، والحراة : (كناية)
اللين والرخاوة خرع : كسكرم ، وخرع كفرح ضعف ، فهو خرع ، وخريج ، وانكسر .
[١٠] قال الميداني مجمع الأمثال « ١ : ٦ » : « هذا مثل تخبط في تفسيره كثير من الناس ، قال بعضهم :
لأنما يحتاج إلى الوصية من سهو ويغفل ، فأما أنت فغير محتاج إليها لأنك لا تسهو ، وقال بعضهم : يريد
بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلهم يسهو ، والأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون بالشيء
يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ، يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، والسهوان : السهو ،
ومجور أن يكون صفة أى بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فيها ونسى ، يقال رجل
سهوان وساهه ، أى لار الذين يوصون لابد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام » . [١١] أرجبه : وسعه .

حَطَّ مَضْجَعِي ، وَلَا تَضْنُوا عَلَيَّ بِرُحْبِ (١) الْأَرْضِ ، وَمَا ذَاكَ بِمُؤَدِّ إِلَيَّ رَوْحاً (٢) ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ نَفْسٍ خَافَتْهَا الْإِشْفَاقُ » .

قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ فِي حَدِيثٍ آخِرٍ إِنَّهُ قَالَ :

الْيَوْمَ يُبْنَى لِذُوَيْدٍ بَيْتُهُ يَارُبَّ نَهَبٍ صَالِحِ حَوَيْتِهِ
وَرُبَّ قِرْنٍ بَطِلٍ أَرْدَيْتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتِهِ (٣)
وَمِعْصَمٍ مَخْضَبٍ ثَنَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَيْلَيْتِهِ (٤)
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِداً كَفَيْتُهُ

(أُمَالِي السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى ١ : ١٧١)

٣١٠ — وصية زهير بن جناب الكلبي

وَأوصى زُهَيْرُ بْنُ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ (٥) بِنَيْهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِيَّ : قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَبَلَغَتْ حَرَسًا (٦) مِنْ دَهْرِي ، فَأَحْكَمْتِي
التَّجَارِبَ ، وَالْأُمُورَ تَجْرِبَةً وَاخْتِبَارًا ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَقُولُ وَعَوِّهُ ، إِيَّاكُمْ وَالْخَوَرِ
عِنْدَ الْمَصَائِبِ ، وَالتَّوَاكُلِ عِنْدَ النُّوَائِبِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ لِلْعَمَلِ ، وَشِمَاتَةٌ لِلْعَدُوِّ ،
وَسَوْءُ ظَنِّ بِالرَّبِّ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِالْأَحْدَاثِ مَغْتَرِّينَ ، وَلَهَا آمَنِينَ ، وَمِنْهَا
سَاخِرِينَ ، فَإِنَّهُ مَا سَخِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا ابْتَلُوا ، وَلَكِنْ تَوَقَّعُوهَا ، فَإِذَا الْإِنْسَانُ فِي
الدُّنْيَا غَرَضٌ (٧) تَعَاوَرَهُ الرُّمَاتُ ، فَتَقَصَّرُ دُونَهُ ، وَمَجَاوِزٌ لِمَوْضِعِهِ ، وَوَاقِعٌ عَنِ يَمِينِهِ
وَشِمَالِهِ ، ثُمَّ لَا بَدَّ لَهُ أَنْهُ مَصِيبُهُ » . (أُمَالِي الْيَدِ الْمُرْتَضَى ١ : ١٧٣)

[١] الرُحْبُ : بِالضَّمِّ مَصْدَرٌ ، وَبِالْفَتْحِ وَصْفٌ . [٢] أَى رَاحَةٍ ، أَوْ هُوَ بِالضَّمِّ أَى وَمَا ذَاكَ بِرُحْبٍ إِلَى رَوْحِي . [٣] الْبَيْلُ : السَّاعِدُ الْبَرِيانُ الْمُنْتَلِي . [٤] الْمَعْصَمُ : مَوْضِعُ السَّوَارِ أَوْ الْيَدِ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . [٥] هُوَ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابِ بْنِ هُرَيْلِ الْكَلْبِيِّ ، قَبِلَ طَاشُ مَائَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَقَبِلَ مَائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَقَبِلَ أَرْبَعِمِائَةَ وَخَمْسِينَ ، وَكَذَلِكَ يَدْعِي السَّكَّاهُ لَصِحَّةِ رَأْيِهِ . [٦] الْحَرَسُ مِنَ الدَّهْرِ : الطَّوِيلُ ، وَحَرَسٌ : كَسَمِعَ عَاشَ زَمَانًا طَوِيلًا . [٧] الْغَرَضُ : الْهَدَفُ ، وَتَعَاوَرَهُ (تَعَاوَرَهُ) أَى تَدَاوَلَهُ .

٣١١ - وصية النعمان بن ثواب العبدى لبنيه

كَانَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ: سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَسَاعِدَةٌ، وَكَانَ أَبُوهُمْ ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ، وَكَانَ يُوصِي بَنِيهِ، وَيُحْمَلُهُمْ عَلَى أَدْبِهِ، أَمَا ابْنُهُ سَعْدٌ فَكَانَ شَجَاعًا بَطْلَانًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ، لَا يُقَامُ لِسَبِيلِهِ، وَلَمْ تَقْتَهُ طَلِبَتُهُ قَطُّ، وَلَمْ يَقِرَّ عَنْ قِرْنٍ؛ وَأَمَا سَعِيدٌ فَكَانَ يُشْبِهُ أَبَاهُ فِي شَرَفِهِ وَسُودَدِهِ؛ وَأَمَا سَاعِدَةٌ فَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ وَنَدَامَى وَإِخْوَانٍ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ دَعَا سَعْدًا، وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ، فَقَالَ:

« يَا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْبُو، وَالْجَوَادَ يَكْبُو، وَالْأَثَرَ يَعْقُو ^(١)، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا، فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَعِرُّ، وَبَطْلَهَا يَحْطُرُّ، وَبِحَرْهَا يَزْخَرُّ، وَضَعِيفُهَا يُنْصَرُّ، وَجَبَانُهَا يَجْدُرُّ، فَأَقْلِلِ الْمَسْكَثَ وَالْإِنْتِظَارَ، فَإِنَّ الْفِرَارَ غَيْرُ عَارٍ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ نَارٍ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُونَ هُمْ ^(٢)، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ صَيْدَ رِمَاحِهَا، وَنَطِيحَ نِطَاحِهَا. وَقَالَ لِابْنِهِ سَعِيدًا، وَكَانَ جَوَادًا: « يَا بُنَيَّ لَا يَبْخُلُ الْجَوَادُ، فَاذْبُلِ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ^(٣)، وَأَقْلِلِ التَّلَاحَ ^(٤)، تُذْكَرُ عِنْدَ السَّمَاحِ، وَأَبْلُ ^(٥) إِخْوَانِكَ، فَإِنَّ وَفِيهِمْ قَلِيلٌ، وَاصْنَعِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ مَحْتَمَلِهِ ».

وقال لابنه ساعدة، وكان صاحب شراب: « يا بني إن كثرة الشراب، تُفسد القلب، وتقلل الكسب، وتجدد اللب ^(٦)، فأبصر نديمك، واحم حرِيمك، وأعن غريمك ^(٧) واعلم أن الظمأ القامح ^(٨)، خير من الرى الفاضح، وعليك بالقصد فإن فيه بلاغاً ».

(مجم الأمثال ١: ٤٨)

[١] عفا الأثر: درس واحي. [٢] أى طلاب النار. [٣] الطارف والظريف: المال المستحدث، والتالد، واللبد، والبلاد، والتلد: المال القديم الأصل الذى ولد عندك.
[٤] التلاحي: التنازع، ولاجاه ملاحاة ولحاء ناره. [٥] اختبر. [٦] أى تجعله جداً، والجد (بالكسر) صد، هزل. [٧] الريم: المدين (وهو الدائن أيضاً). [٨] مناه العطش الشاق خير من رى يفضح صاحبه، وفتح العير قوحاً: رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو قامح، وفتح البعير: اشتد عطشه حتى فتر شديداً.

٣١٢ - وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاور قيس بن زهير العبسي^(١) بعد يوم الهبأة النمر بن قاسط ، وتزوج

منهم ، وأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال :

« يا معشر النمر : إن لكم على حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فأمركم بخصال ،

وأنها لكم عن خصال ، عليكم بالأناة ، فإن بها تدرك الحاجة ، وتُنال الفرصة ،

وتسويد من لا تُعابون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء

من تريدون إعطاه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة

الجار على الدهر ، وتنقيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف بالعيال .

وأنها لكم عن الغدر ، فإنه عار الدهر ، وعن الرهان ، فإن به تكلت مالكم

أخي ، وعن البغي ، فإنه قتل زهيراً أبي^(٢) ، وعن الإعطاء في الفضول ، فتمعجروا

[١] هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراهن هو وحذيفة بن بدر سيد بني ديان على فرسيهما داحس (درس فيس) والغبراء (درس حذيفة) - وقيل إنهما تراهنا على داحس والغبراء فرسى قيس ، والحطار والحفاء درسى حذيفة - وتواصما الزهال على مائة بعير ، ثم قادوهما إلى رأس الميدان ، وفي طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكن حمل بن بدر في ذلك الشعاب فتبانا على طريق الفرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية ، فأرسلوهما فأحصرا ، لما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية ، وثبوا في وجهه وردوه عنها ، وعلم قيس بذلك ، ومث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس بطلب مه حق السبق ، فقال قيس كلا لأمظلك به ، فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلط له ، وكان إلى جنب قيس ربح قطعته به فدق صلبه ، واجتمع الحيان وأدوا دية الفتول ، وأخذها حذيفة دفعا للشر ، ثم إن قومه ندموه بعاد الشر بينهم ، وقامت الفتى بين الحيين ، وعدا حذيفة على مالك بن زهير أخي قيس فقتله ، وكان الربيع بن زياد عمهما معزلاً الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقتل بني ديان ، ثم تواتت أيام الحروب بينهم ، وكان أعطها يوم الهبأة حتى أصلح بينهم الحرث بن عوف وهرم بن سنان المرياني ، وحلاديات القتلى ثلاثة آلاف سير .

[٢] وسبب مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبي قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤتى الإتاوة زهير ابن جذيمة - ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد - فأنت مجوز من هوازن إلى زهير بسمن في نجي (النجي كحل الزق ، أو ما كان للسمن خاصة) فاعتذرت إليه ، وشكت السنين اللواتي تتابهن على الناس ، ومداته فلم يرض طعمه ، فدعها أي دفعها بقوس في يده فسقطت فبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان وصدرها من الفيط ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة فثاروا إليه فقاتلوه حتى قتلوه .

عن الحقوق ، وعن السَّرَفِ في الدماء ، فإن يوم الهَبَاءِ^(١) أَلزَمَنِي العار ، وَمَنَعَ الحُرْمَ إِلا مَن الأ كفاء ، فإن لم تصيبوا لهنَّ الأ كفاء ، فإن خير مَنَّا كهنَّ القبور ، (أو خير منازلها) ، واعلموا أني كنت ظالماً مظلوماً ، ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا أخي ، وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٤٩ ، وشرح العيون ص ٩٠)

٣١٣ - نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير العبسي قد اشترى من مكة درعاً حسنةً ، تسمى ذات الفضول ، ووردَ بها إلى قومه ، فرآها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بني عبس ، فأخذها منه غضباً ، فقالت الجمانة بنت قيس لأبيها : دعني أنأظِرْ جدِّي ، فإن صلح الأمر بينكما ، وإلا كنتُ من وراء رأيك ، فأذن لها ، فأتت الربيع فقالت :

« إذا كان قيسُ أبي ، فإنك يا ربيعُ جدِّي ، وما يجب له من حق الأبوَّةِ عليّ ، إلا كالذي يجب عليك من حق البُنُوَّةِ لي ، والرأي الصحيحُ تبعته العِنايةُ ، وتجِبُّ لي عن محضِهِ النصيحةُ ، إنك قد ظلمتَ قيساً بأخذ درعه ، وأجدُّ مكافأته إياك سوءَ عَزمه ، والمعارِضُ منتصِرٌ ، والبادي أظلم ، وليس قيسٌ مِمَّنْ يُخَوِّفُ بالوعيد ، ولا يَرَدُّعُه التهديدُ ، فلا تركننَّ إلى منابذتِهِ ، فالحزمُ في مُتارَكته ،

[١] وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلوا مع أصحابهما في جفر الهباءة ، فاتبعهم قيس ومن معه حتى أدركهم فيه ، وقد أرسلوا خيولهم ونزعوا سلاحهم (وكان حذيفة قد أخذ علامين من بني عبس ، فقتلها ، وهما يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا) فشد قيس والربيع ومن معهما عليهم ، وهم ينادون ليكم ليكم ، يسي أنهم يجيئون نداء الصبية لما قتلوا ينادون يا أبتاه ، فنادوا الله والرحم ، فلم يقلوا منهم ، وفتلوا حذيفة وحملوا أخاه ، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وحملوه في فيه وجعلوا لسانه في استه ، وأسرف قيس في النكابة والقتل ، وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار ، ولكن قيساً ندم بعد ذلك ورثي حمل بن بدر ، وهو أول من رثي مقتوله .

والحربُ مَتَلَفَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بِالطَّارِفِ وَالتَّلَادِ ، وَالسَّلْمُ أَرْخَى اللَّبَالِ ، وَأَبْنَى لِأَنْفُسِ الرِّجَالِ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ : لَقَدْ صَدَعْتُ بِحُكْمِهِ ، وَمَا يَدْفَعُ قَوْلِي إِلَّا غَيْرُ ذِي فَهْمٍ ، ثُمَّ أَنْشَأْتُ تَقُولُ :

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتْرَكَ الدَّهْرَ دِرْعَةً وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي
فِرَائِي أَبِي رَأَى الْبَخِيلَ بِمَالِهِ وَشَيْمَةُ جَدِّي شَيْمَةُ الْخَائِفِ الْأَبِي
(بلاغات النساء ص ١٢٥)

٣١٤ - وصية حصن بن حذيفة لبيته

وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بني بدر فقال :

« اسمعوا مني ما أوصيكم به : لَا يَتَّكِلْ آخِرُكُمْ عَلَى أَوْلَئِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُدْرِكُ الْآخِرُ مَا أَدْرَكَهُ الْأَوَّلُ ، وَأَنْكِحُوا الْكُفَّ الْغَرِيبَ ، فَإِنَّهُ عِزٌّ حَادِثٌ ، وَإِذَا حَضَرَكُمْ أَمْرَانِ ، نَخَذُوا بِخَيْرِهِمَا صَدْرًا ^(١) ، فَإِنْ كُلُّ مَوْزِدٍ مَعْرُوفٌ ، وَاصْبَحُوا قَوْمَكُمْ بِأَجْلِ أَخْلَاقِكُمْ ، وَلَا تُخَافُوا فِي مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْخِلَافَ يُزْرَى بِالرَّئِيسِ الْمَطَّاعِ ، وَإِذَا حَدِثْتُمْ فَأَرْبَعُوا ^(٢) ، ثُمَّ قُولُوا الصَّدَقَ ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْكُذْبِ ، وَصُونُوا الْخَيْلَ فَإِنَّهَا حُصُونُ الرِّجَالِ ، وَأَطِيلُوا الرِّمَاحَ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَيْلِ ، وَأَعِزُّوا الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ، فَإِنِّي بِذَلِكَ كُنْتُ أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَغْزُوا إِلَّا بِالْعَيْونِ ^(٣) ، وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْمَنُوا الصَّبَاحَ ^(٤) ، وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ الْمَالِ ، وَأَعْجِلُوا الضَّيْفَ بِالْقَرِيِّ ^(٥) ، فَإِنْ خَيْرَهُ أَعْجَلْهُ ، وَاتَّقُوا فِضِيحَاتِ الْبَغْيِ ، وَفَلَتَاتِ الْمِزَاحِ ،

[١] الصدر : الرجوع . [٢] ربع : كنع انتظر وتحبس ، وربع الحبل : فله من أربع طاقات ، والمعنى إذا حدثتم فتأنوا وتمهلوا ، أو فأحكموا القول . [٣] العيون : جمع عين وهي خيار كل شيء .
[٤] الصباج الغارة : أي ولا تسرحوا مقاتلتكم حتى تأمنوا الغارة .
[٥] قرى الضيف يقربه قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضاً ما قرى به الضيف .

ولا تُجِيرُوا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم » .

(أمالي السيد المرتضى ٢ : ١٦٨)

٣١٥ - وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني

لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ جمالاً أمَّ إياس بنت عوف بن محم الشيباني ، وكأهلها وقوة عقلها ، أراد أن يتزوجها ، فدعا امرأة من كِنْدَةَ ، يقال لها عصام ، ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ، فضت حتى انتهت إلى أمها أمانة بنت الحارث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت أمانة إلى ابنتها وقالت : أي بُنيَّة ، هذه خالتك أتت إليك لتتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تستبري عنها شيئاً أرادت النظر إليه ، من وجهه وخلق ، وناطقها فيما استنطقتك فيه ، فدخلت عصام عليها ، فنظرت إلى ما لم ترَ عينها مثله قطُّ بهجةً وحسناً وجمالاً ، فإذا هي أكل الناس عقلاً ، وأفصحهم لساناً ، فخرجت من عندها وهي تقول : (تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ القِنَاعَ) فذهبت مثلاً ، ثم أقبات إلى الحارث فقال لها : (ما وراءك يا عصام) ؟ فأرسلها مثلاً ، قالت : (صرَّحَ المَخْضُ عن الزُّبْدِ ^(١)) ، فذهبت مثلاً . قال أخبريني ، قالت : أخبرك صدقاً وحقاً :

« رأيت جبهة كالمراة الصقيلة ، يزينا شعر حالك ، كأذ ناب الخيل المصفورة ^(٢) ، إن أرسلته خيلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عنا قيد كرم جلاها الوابل ^(٣) ، وحاجبين كأنهما خطاً بقلم ، أو سوداً مجمم ^(٤) قد تقوساً على

[١] مخض الابن : أخذ زبده ، والتصرح : تبين الأمر ، وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين

[٢] في الأصل « المصفورة » وهو تحريف وصوابه « المصفورة » . [٣] المطر الشديد الضخم

[٤] الفطم : الفطم .

عيني الظبية العبهرة^(١)، التي لم يرُعها قانص، ولم يُذعرها قسورة^(٢)، بينهما أنف كحدّ السيف المصقول^(٣)، لم يخنس^(٤) به قصر، ولم يمض^(٥) به طول، حفّت به وجنتان كالأرجوان^(٦)، في بياض مخض كالجمان^(٧)، شقّ فيه فم كالخاتم، لذيد المبتسم، فيه ثنانيا غر، ذوات أشر^(٨)، وأسنان تبدو كاللدر، وريق كالحمر له نشر الروض بالسكر، يتقلب فيه لسان، ذوفصاحة ويان، يجرّكه عقل وافر، وجواب حاضر، تلتق دونه شفتان حراوان كالورد، يجلبان ريقاً كالشهد، تحت ذلك عنق كإريق الفضة، ركب في صدر كصدر تمثال دمية^(٩)، يتصل بها عضدان ممتان لهما، مكنتان^(١٠) شحماً، وذراغان ليس فيهما عظم يحس، ولا عرق يحس، ركبت فيهما كفان، دقيق قصبهما، لين عصبهما، تُعقد إن شئت منهما الأمل، وتركب الفصوص في حفر المفاصل، وقد تربّع في صدرها حقان، كأنهما رمانتان، يخرقان عليها ثيابها، تحت ذلك بطن طوى كطى القباطي^(١١) المدججة، كسي عكنا^(١٢) كالقراطيس المدرجة^(١٣) تحيط تلك العكن بسرة كمدهن^(١٤) العاج المجلو، خلف ذلك ظهر كالجذول، ينتهي إلى خصر، لولارحمة الله لا يُبتر، تحته كفل^(١٥)

[١] العبهرة والعبهر: الرقيقة البشرة اللاحمة البياض، والسمنية المثلثة الجسم .

[٢] القسورة: الرماة من الصيادين، الواحد قسور .

[٣] في جمع الأمثال «الصنيع» وهو السيف الصقيل المجرّب . [٤] خنس عنه كعرب وكرم : تأخر «والخنس: محرّكة تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، خنس كفرح فخر أخنس وهي خنساء» . [٥] وفي جمهرة الأمثال «ولم يعن» . [٦] الأرجوان: صنف أحمر .

[٧] الجمان: اللؤلؤ، أو حنوت أشكال اللؤلؤ من فضة . [٨] أشر الأسنان: التعزيز الذي فيها .

[٩] الدمية: الصورة المنقشة من الرخام أو طم . [١٠] أكتنز: اجتمع وامتلاء .

[١١] القباطي (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقاطي (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع قطبية

(بالضم على غير قياس وقد تكسر) : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر .

[١٢] العكن: جمع عكنة (كفرصة) وهي ما انطوى وتنفى من لحم البطن سمنا . [١٣] الطوية .

[١٤] المدهن: قارورة الدهن . [١٥] عجز .

يُقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ، وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصُ^(١) رَمَلٍ ، لَبَدَّهُ سَقُوطُ
الطَّلِّ ، يَحْمَلُهُ خِذَانٌ لَفَّاءَوَانٌ^(٢) ، كَأَنَّهُمَا نَضِيدُ الْجُمَانِ ، تَحْتَهُمَا سَاقَانٌ ، خَدَلْتَانِ^(٣)
كَالْبَرْدِيِّ ، وَشَيْتَا بَشْعَرٍ أَسْوَدَ ، كَأَنَّهُ حَمَلَقُ الزَّرْدِ ، يَحْمَلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ ، كَحَذْوِ
اللسانِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ ، مَعَ صَفَرِهَا كَيْفَ تَطْيِقَانِ حَمَلِ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سَوَى
ذَلِكَ . فَتَرَكْتُ أَنْ أَصْفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا وَصَفُهُ وَاصِفٌ بِنِظْمٍ أَوْ نَثْرٍ ، فَأَرْسَلَ
الملك إلى أبيها فخطبها ، فزوجه إياها^(٤) .

(المقعد الفريد ٣ : ٢٣٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، وجمهرة الأمثال ٢ : ٢٧)

٣١٦ — وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

فلما حُمِلَتْ إلى زوجها قالت لها أمها أمامة بنت الحارث .

« أَى بِنِيَّةُ : إِنْ الْوَصِيَّةُ لَوْ تَرَكْتُ لِفَضْلِ أَدَبٍ ، تَرَكْتُ لَذَلِكَ مِنْكَ ،
وَلَكِنِّهَا تَذَكِّرَةٌ لِلْغَافِلِ ، وَمَعْمُونَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ أَمْرَأَةً اسْتَعْنَتِ عَنِ الزَّوْجِ
لِغَنَى أَبِيهَا ، وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَلَكِنِ النَّسَاءُ
لِلرِّجَالِ خُلِقْنَ ، وَلِهِنَّ خُلِقَ الرِّجَالُ :

أَى بِنِيَّةُ : إِنْكَ فَارَقْتِ الْجَوْ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتِ ، وَخَلَقْتِ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ
دَرَجْتِ ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأَلْفِيهِ ، فَأَصْبِحِ بِمِلْكِهِ^(٥) عَلَيْكَ رَقِيبًا
وَمِلِيكًا ، فَكُونِي لَهُ أُمَّةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا^(٦) . يَا بِنِيَّةُ : احْمَلِي عَنِّي عَشْرَ

[١] الدعص : السكيب من الرمل المجمع . [٢] اللفاء : الفخذ الضخمة (والضخمة الفخذين) .

[٣] ساق خدلة : ممتلئة ضخمة (والجدلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها وفي العقد : « خدلجان »)

(يفتح الحاء والداد وتشديد اللام) والجدلة : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .

[٤] في مجمع الأمثال وجمهرة الأمثال ، أن الذي تزوج أم إياس هو الحارث بن عمرو ، والحارث هذا هو حد امرئ القيس ، وذكر صاحب المقدم أن الذي تزوجها هو عمرو بن حجر ، وأنها ولدت له الحارث ابن عمرو جد امرئ القيس غير أنا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف : « ثم أفليت عصام إلى الحارث فقال لها ماوراءك يا عصام ؟ . . . الخ » . [٥] أملكه إياها : زوجه ، فلكها ملكاً مثلك الميم .

[٦] الوشيك : السريع ، أى يكن عبداً سريع الإجابة .

خصال تكن لك ذُخْرًا وذكْرًا ، الصَّحْبَةُ بالقنَاعَةِ ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تَقَعْ عينُه منك على قبیح ، ولا يَشَمَّ منك إلا أطيْبَ ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيْب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوُّ عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع مَلْهَبَةٌ ، وتغيص النوم مَغْضَبَةٌ ، والاحتفاظ ببيتة وماله ، والإرءاء على نفسه وَحْشَمَةٌ وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرءاء على العيال والحشم جميل حُسن التدبير ، ولا تَفْشِي له سرًّا ، ولا تَعْصِي له أمرًا ، فَإِنَّكَ إِنِ أَفْشَيْتَ سرَّهُ ، لم تَأْمَنِ غَدْرَهُ ، وَإِنِ عَصَيْتَ أمره ، أو غَرَّتْ صدره ، ثم اتقى م ذلك الفَرْحَ إِن كَانَ تَرِحًا ، والا ككتابِ عنده إِن كَانَ فَرِحًا ، فَإِنَّ الخِصْلَةَ الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعطامًا ، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مُرَافَقَةً ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحيين ، حتى تُؤَثِّرِي رضاه على رضاك ، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يَخِيرُكَ .

(جمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والعقد الريد ٣ : ٢٢٣)

٣١٧ - لبيد بن ربيعة يصف بقلة

وفد على النعمان بن المنذر عامر بن مالك مُلَاعِبِ الأَسِنَّةِ فِي رَهْطٍ مِنْ بنى جعفر بن كلاب ، فيهم لبيد بن ربيعة ، فطعن فيهم الربيع بن زياد العبسي ، وذكر معايبهم - وكان نديمًا للنعمان ، وكانت بنو جعفر لهم أعداء - فلم يزل بالنعمان حتى صدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً ، فأوا منه جفاء - وقد كان يكرمهم ويقربهم - فخرجوا غضاباً ، ولبيد متخلفٌ في رحلهم ، يحفظ متاعهم ، وَيَمْدُو بِأَبْهَامِ كُلِّ صَبَاحٍ يَرعَاهَا - وكان أحدثهم سنًا - فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون

أمر الربيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : والله لا حَفِظْتُ لَكُمْ مَتَاعًا ، ولا سَرَّحْتُ لَكُمْ بَعِيرًا ، أو تخبروني فيم أنتم ؟ وكانت أم لبيد يتيمة في حِجْرِ الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وَصَدَّ عَنَّا وَجْهَهُ ، فقال لبيد : هل تقدرين على أن تجمعوا بيني وبينه ، فأزجره عنكم بقولٍ مُمَضٍّ مؤلم ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبدًا ؟ قالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فَإِنَا نَبْلُوكُ . قال : وما ذلك ؟ قالوا : تَشْتَمُ هذه البُقْلَةَ - وَقَدْ آمَهَمُ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قليلة الأوراق ، لاصقة بالأرض ، تدعى التَّرْبَةَ - فقال :

« هذه التَّرْبَةُ التي لا تُذْكَرُ (١) نَارًا ، ولا تُؤْهِلُ (٢) دَارًا ، ولا تُسْرُجَارًا ، غُودَهَا ضَنْبِيلٌ ، وَفَرْعُهَا كَلِيلٌ (٣) ، وخيرها قليل ، أبيض البقول مرعى ، وأقصرها فَرَعًا ، وأشدّها قَلْعًا ، فَتَعَسَّأَ لها وَجَدْعًا (٤) ، بلدها شاسع (٥) ، وَبَتَّهَا خَاشِعٌ ، وَآكِلُهَا جَانِعٌ ، والمقيم عليها قانع (٦) ، فآلقوا بني أخا بني عبس ، أَرُدَّهُ عنكم بِتَعَسٍ (٧) وَنُكْسٍ ، وأتركه من أمره في لبس » .

فلما أصبحوا غَدَوْا به معهم إلى النعمان ، فذكروا حاجتهم ، فاعترض الربيع ، فرجز به لبيد رَجَزًا ما لبث معه النعمان أن تقزَّز منه ، وأمره بالأنصراف إلى أهله . (مجمع الأمثال ٢ : ٣٣ ، جهرة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغاني ١٤ : ٩١ ،

أبناء نجباء الأبناء ص ١٧١ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٣٥)

٣١٨ - محالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر

كان مُحَالِسُ بْنُ مَزَاحِمِ الْكَلْبِيِّ ، وَقَاصِرُ بْنُ سَلْمَةَ الْجُدْيَامِيِّ . يباب النعمان

[١] تذكي : تشمل . [٢] أى ولا تؤدم أهل دار من الإهالة (ككتابة) وهو كل ما يؤدم به ، ويقال ثريدة مأهولة : أى فيها إهالة . [٣] ضعيف . [٤] قطعاً . [٥] ببعد . [٦] أى سائل . [٧] التمس : الهلاك .

ابن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن فرّتنى وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر، وقال: إن مخالسا هجاك، وأنشده في ذلك أبياتا، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان، فشكا مخالسا وأنشده الأبيات، فأرسل النعمان إلى مخالس، فلما دخل عليه قال: « لا أم لك! أتتهجو امرأ هو ميتا خير منك حيا، وهو سقيما خير منك صحيحا، وهو غائبا خير منك شاهدا؟ فيجرمة ماء المزن^(١)، وحقق بأبي قابوس^(٢)، لئن لاح لى أن ذلك كان منك، لأترعن غلصمتك من قفاك، ولأطعمنك لحمك » .

قال مخالس: « أبيت اللعن؟ كلا، والذي رفع ذروتك بأعمادها، وأمات حسادك بأكبادها، ما بلغت غير أقويل الوشاة، ونائم المصاة، وما هجوت أحدا، ولا أهجو امرأ ذكرت أبدا، وإنى أعوذ بجدك الكريم، وعزيتك القديم، أن ينالني منك عقاب، أو يفاجنني منك عذاب، قبل الفحص والبيان، عن أساطير أهل البهتان » .

فدعا النعمان قاصرا فسأله، فقال قاصر: « أبيت اللعن! وحقك لقد هجاه وما أروانيها سواه » فقال مخالس: « لا يأخذن أيها الملك منك قول امرئ آفك^(٣)، ولا تورذن سبيل المهالك، واستدل على كذبه بقوله: إنى أرويته مع ما تعرف من عداوته »، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما .

فلما خرجا، قال مخالس لقاصر: « شقي جدك، وسقل خدك، وبطل كيدك، ولاح للقوم جرّمك، وطاش عنى سهمك، ولأنت أضيق حجرا من

[١] المزن: السحاب أو أبيضه أو ذو الماء، جمع مزنة . [٢] يعنى نفسه وأبو قابوس كنيته .

[٣] كذاب .

فَدَرَفَتْ^(١) ، إِنَّ أَمَامِي مَا لَا أُسَامِي^(٢) . رَبِّ سَامِعٍ بِخَبْرِي لَمْ يَسْمَعْ بِعُذْرِي .
 كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ . فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ . كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخْذَلُ . تَبَارَكُوا
 فَإِنَّ الْبَرَّ يَنْمِي^(٣) عَلَيْهِ الْعَدَدُ . وَكُفُّوا أَسْنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْهِ .
 إِنَّ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا . لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَزَعِ التَّبَقُّ . وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ
 وَاقِعُ التَّوَقُّ . سَدُّسَاقُ ، إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ . الْاِقْتِصَادُ
 فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ^(٤) . مَنْ لَمْ يَأْسَ^(٥) عَلَى مَا فَاتَهُ وَدُعَ بَدْنُهُ ، وَمَنْ قَنِعَ بِمَا
 هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ . التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٦) . أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَى مَنْ
 أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْرِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ . وَيَلْ لِعَالَمِ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ .
 يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْمَقُ . الْوَحْشَةُ ذَهَابُ
 الْأَعْلَامِ^(٧) . الْبَطْرَ عِنْدَ الرِّخَاءِ مُحْمَقٌ وَالْعَجْزَ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفْنٌ^(٨) . لَا تَفْضَبُوا مِنْ
 الْيَسِيرِ ، فَرَبَّمَا جَنَى الْكَثِيرِ . لَا تُجَبِّبُوا فِيهَا لَمْ تُسْأَلُوا عَنْهُ . وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا
 لَا يُضْحِكُ مِنْهُ . حِيلَةٌ مِنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ . كُونُوا جَمِيعًا فَإِنَّ الْجَمْعَ غَالِبٌ ،
 تَتَّبِعُوا . وَلَا تَسَارِعُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِينُ . رَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا . اذْرِعُوا
 اللَّيْلَ وَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا . فَإِنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ . وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ . تَنَاءً وَافِي
 الدِّيارِ وَلَا تَبَاغُضُوا . فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَقَعَّقُ^(٩) عَمْدَهُ . أَلْزَمُوا النِّسَاءَ الْمَهَابَةَ^(١٠)

[١] ذرفت عينه كضرب : سال دماغها ، وذرفت العين دماغها أسانته ، وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر

رف حقيقته . [٢] ساما : باراه في السمو . [٣] يزيد وي جمع الأموال « يقي » .

[٤] أي أتق للقرة ، من حم الفرس جاما (بالفتح) ترك الضراب فتجمع موه ، وجم الماء يجم بضم
 يم وكسرهما جوما كثر واجتمع ، والبرتر تراجع ماؤها ، والجم بالفتح أيضا : الراحة . [٥] يحرن .

[٦] أي ففكر في التقدم قل أن تندم . [٧] الأعلام جمع علم وهو سيد النجوم .

[٨] الضرب الرأى والنقل ، وفي الأصل أمن وهو تحريف . [٩] تقهق : اضطرب

بحرك ، وفي الأصل يهده بدل عمدته وهو تحريف ، وهذا مثل معناه لأبد من الافتراق بعد الاجتماع ،

والمعنى يهده وهو يهده ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو

يضم الزوال والانتظار . [١٠] أي أن بهاؤكم ويوقركم ، وفي الأصل « المهابة » وهو تصحيف .

نعمَ هو الغزوة^(١) المنزلة . إن تعش ترَ ما لم تره . قد أقر صامت . المكثار
 كحاطب^(٢) ليلى . من أكثر أسقط^(٣) . لا تجعلوا سراً إلى أمة . لا تقر قوا في
 القبائل ، فإن الغريب بكل مكانٍ مظلوم ، عاقِدوا التروة^(٤) . وإياكم
 والوشائظ^(٥) فإن مع القيلة الدلة : لو سئلت العاربية قالت أُنبي لأهلي ذلاً .
 الرسول مُبلغٌ غيرُ ملوم . من فسدت بطأته غصَّ بالماء . أساء سمماً فأساء
 جابة^(٦) . الدالُّ على الخير كفاعله . إن المسألة من أضعف المسكنة . قد تجوع
 الحرّة ولا تأكل بشديها^(٧) . لم يجر سالك القصد ، ولم يعم قاصد الحق . من

[١] الشريفة . [٢] الحاطب : الذى يجمع الحطب ، وهو حطب ليل : أى مخط في كلامه .

[٣] أسقط كلمة ، وأسقط في كلمة أى أخطأ .

[٤] عاقِدوا : حالفوا ، والتروة : كثرة العدد من الناس . [٥] يقال هم وشيطة في قومهم أى
 حشوفهم . [٦] جابة بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع المصدر ، ومنها الطائة والطاراة والعاراة والعارة ،
 قال الفصل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أبي هشام ، فولدت
 له أنس بن سهيل ، نخرج معه ذات يوم ، فوقف بحزورة مكة (والحزورة كقسورة : الزاوية الصغيرة)
 فأقبل الأحنس بن شريق العنقي ، فقال : من هذا ؟ قال سهيل : ابي ، قال الأحنس : حياك الله يا فتى !
 قال : لا ، والله ما أبى في البيت ، انطلقت إلى أم حنظلة تحن دقيفاً ، فقال أبوه : أساء سمماً فأساء جابة
 فأرسلها ميثلاً . [٧] أى لا تعيش بسبب ثديها وبما يغلاز عليها من أجرة الإرضاع ، يضرب في
 صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من دله الحارث بن سليل الأسدى ، وكان شيخاً
 كبيراً وكان حليفاً لعقمة بن خصمة الطائي ، فراره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجل أهل دهرها
 فأعجب بها ، فقال له : أنتيك خاطباً ، وقد ينكح الحاطب ، ويدرك الطاب ، ويمنج الراغ ، فقال له
 علمنة : أنت كء كريم يقبل ملك الصفور ، ووحذ منك العفو ، فأقم ننظر في أمرك ، ثم انكفاً إلى أمها
 فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبنياً ، وقد خطب إلينا الرباه ، فلا ينصرفن إلا بمحاجته
 فقالت امرأته لا بنتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجعجج (أى السيد) ، الواصل المناح ، أم الفتى
 الواضح ؟ قالت : لا ، بل الفتى الواضح ، قالت : إن الفتى بعيرك ، وإن الشيخ بعيرك ، وليس الكهل
 الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير اللبن ، قالت : يا أمتاه ، إن الفتاة تحب الفتى كح
 الرعاء أتيت الكلاء ، قالت : أى بنية ، إن الفتى شديد الحجاب ، كبير المتاب ، قالت إن الشيخ يبلى شباني ،
 ويدنس ثيابي ، ويشت بي أنزاي ، فلم تزل أمها حتى غلبتها على رأيها ، فزوجها الحرث على مئة ومحمدين
 من الإبل وخادم وألف درهم ، فماتت بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يوم جالس ببناء قومه وهي
 إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يمتلجون ، (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتفتت الصمداء ، ثم
 أرخت عينها بالبكاء ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ، فقال لها :
 نككنك أمك تجوع الحرّة ولا تأكل بشديها ، الحق بأهلك فلا حاجة لي نيك .

شَدَّدَ نَقْرَ ، ومن تراخى تألَّف . الشرف التغافل . أوْفَى القول أَوْجَزُهُ . أصوب الأمور تَرَكَ الْفُضُول . التغيرير مِفْتَاحِ الْبُؤْس . التواني والعجز ينتجان الهَلَكَةَ . لكل شيء ضَرَاوَةٌ ^(١) . أحوج الناس إلى الغنى من لا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى ، وهم الملوك . حُبُّ الْمَدْحِ رَأْسُ الضَّمِياع . رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُبْلَغُ . لَا تَكْرَهُ سُخْطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَوْزُ . معالِجَةُ الْعَفَافِ مَشَقَّةٌ فَتَعَوَّذْ بِالصَّبْرِ . اقْضُ لِسَانَكَ عَلَى الْخَيْرِ وَأخِرُ الْغَضَبِ ، فَإِنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وِرَائِكَ . مَنْ قَدَّرَ أَزْمَعَ . أَمْرٌ أَعْمَالُ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِنْتِقَامِ . جَازٍ بِالْحَسَنَةِ وَلَا تَكْفِي بِالسَّيِّئَةِ . أَغْنَى النَّاسَ عَنِ الْحِقْدِ مَنْ عَظَّمَ عَنِ الْمَجَازَةِ . مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُدُوهُ . مَنْ جَعَلَ لِحُسْنِ الظَّنِّ نَصِيبًا رَوَّحَ عَنِ قَلْبِهِ . عِيَّ الصَّمْتِ أَحْمَدُ مِنْ عِيِ الْمَنْطِقِ . النَّاسُ رِجَالَانِ مُحْتَرَسٌ وَمُحْتَرَسٌ مَوْهٌ . كَثِيرُ النَّصْحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ ^(٢) . مِنْ أَلْحٍ فِي الْمَسْأَلَةِ أَبْرَمٌ ^(٣) . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . الصَّمْتُ يَكْسِبُ الْحَبَّةَ . إِنْ يَغْلِبَ الْكُذْبُ شَيْئًا إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ الصِّدْقُ . الْقَلْبُ قَدْ يُتَّهَمُ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ . الْإِنْقِبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعِدَاوَةِ ، وَتَقْرِيْبُهُمْ مَكْسَبَةٌ لِقَرِيْنِ السُّوءِ . فَكُنْ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ . فَإِنَّ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا . فُسُؤْلَةٌ ^(٤) الْوِزْرَاءُ أَضْرَمَ مِنْ بَغْضِ الْأَعْدَاءِ . خَيْرُ الْقَرْنَائِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَعِنْدَ الْخَوْفِ حُسْنُ الْعَمَلِ . مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ وَاعِظُ . وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ . إِنْ يَهْلِكْ أَمْرٌ حَتَّى يَمِلَّ ^(٥) النَّاسُ عَتِيدَ فِعْلِهِ وَيَشْتَدُّ عَلَى قَوْمِهِ . وَيَعْجَبُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ

[١] يقال: ضرى الكلب بالصيد (كفرح) صراوة أى تعود، وكلب صار، وأضرابه صاحبه عوده

وأضرابه به: أغراه، وضراءه أيضاً تضرية . [٢] التهمة . [٣] أبرمه: أضجره وأله .

[٤] فسل فسولة فهو فسل أى ردل لامروءة له، والوزراء، جمع وزير وهو النصير والظهير .

[٥] فى الأصل « يملك » وأرى صوابه يمل .

مروءته . ويعتد بقومه . والأمر يأتيه من فوقه . ليس للمختال في حسن الثناء نصيب . لا نَمَاءَ مع العَدَم . إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العِيُّ أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك . لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخوانه حاجةً . أقلُّ الناس راحةَ الحَقود . من تَعَمَّدَ الذنب لا تحمل رحمته دون عقوبته ، فإنَّ الأدب رِفَقٌ ، والرَفَقُ يُنَمِّنُ .

(جمهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٥)

٣٢١ - وصية أكرم بن صيفى لطيء

وقال أكرم بن صيفى فى وصية كتب بها إلى طيئ :

« أوصيكم بتقوى الله وَصِلَةَ الرَّحِيمِ . وإياكم وَنِكَاحَ الْحَمَقَاءِ ، فإن نكاحها غَرَرٌ ^(١) ، وَوَلَدَهَا ضِيَاعٌ . وعليكم بالخيل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل فى غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة ^(٢) ، وَرَقْوَةٌ الدَّمِ ^(٣) ، وبألبانها يُتَحَفُّ الكبير ^(٤) ، وَيُغْذَى الصغير ، ولو أن الإبل كُفِّت الطَّحْنُ لطحنت . ولن يَهْلِكَ امرؤ عرف قدره . والمُءَمِّمُ ^(٥) عُدْمُ العقل ، لا عُدْمُ المال . وَكَرَجُلٌ خير من ألف رجل . ومن عَتَبَ على الدهر طالت مَعْتَبَتُهُ . ومن رضى بالقَسَمِ ^(٦) طابت معيشته . وآفة الرأى الهوى . والعادة أَمْلَكُ ^(٧) . والحاجة مع المحبة خير من البُعْضِ مع الغنى . والدنيا دُؤْلٌ ، فما كان لك أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . والحسد داء ليس له دواء . والشماتة تُعْقِبُ . ومن يرَ يوماً

[١] الغرر : الخطر ، عرر نفسه تفريراً : عرصها للهلكة والاسم العرر . [٢] يريد مهرها .
[٣] رقاً الدم : جف وهبكن ، والرقوء كصبور ما يوضع على الدم ليرقيه ، والمعنى أنها تمنطى فى الديات فتحقق بها الدماء . [٤] التحفة : البر واللاطف والطرية ، وقد أتحفته تحفة . [٥] العدم بالقسم وبضمين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال . [٦] القسم : القدر .
[٧] وفى رواية : « العادة أملك من الأدب » .

يُرَبِّهِ . قبل الرِّمَاءُ تَمْلَأُ الكِنَانَيْنِ ^(١) . الندامة مع السفاهة . دِعَامَةُ العَقْلِ الحِلْمُ .
 خَيْرُ الأُمُورِ مَعَبَةٌ الصَّبْرُ . بقاء المودة عَدْلٌ ^(٢) التعاهد . من يَزُرُّ غَيْبًا يَزِدُّ حَبًّا .
 التفرير مفتاح البؤس . من التواني والعجز تُتَجَّتِ ^(٣) الهَلَكَةُ . لكل شيء
 ضَرَاوَةٌ . فَضَّرَ لِسَانَكَ بِالخَيْرِ . عَنِ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عَنِ المَنْطِقِ . الحزم حفظ
 مَا كُفِّتَ وَتَرَكَ مَا كَفَيْتَ . كثير النصح يَهْجُمُ عَلَى كثير الظَّنَّةِ . من أَلْفٍ ، فِي
 المسألة ثَقُلَ . من سأل فوق قدره استحق الحرمان . الرِّفْقُ يُمْنٌ ، وَالخُرْفُ شَوْمٌ .
 خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الحَاجَةَ . خَيْرُ العَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ القُدْرَةِ « (جمع الأمثال ٢ : ٨٧)

٣٢٢ - أمثال أ كثم بن صيفي (وَبُرُزْجَمِهْر) الفارسي ^(٤)

« العقل بالتجارب . الصاحب مناسب ^(٥) . الصديق مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ ^(٦) .
 الغريب من لم يكن له حبيب . رب بعيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . القريب من قُرْبٍ
 نَفْعُهُ . لو تَكَشَّفْتُمْ مَا تَدَا فْتُمْ . خَيْرُ أَهْلِكَ مِنْ كِفَاكٍ ، خَيْرُ سِلَاحِكَ مَا وَاكَاكَ . خَيْرُ
 إِخْوَانِكَ مَنْ لَمْ تَخْبُرْهُ . رب غريبٍ نَاصِحِ الجَيْبِ ^(٧) ، وَابْنِ أَبٍ مِتَّهِمِ الغَيْبِ ، أَخْوَكُ

[١] الرماء مصدر رامى كالرماة ، والكنان جمع كنانة وهي جمعة السهام ، وهو مثل معناه : تؤخذ للأمر
 أهبطه قبل وقوعه ومثله قولهم « قبل الرمي يراش السهم » أي يوضع له الريش . [٢] العدل : الاستقامة
 أي بقاء المودة في استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه . [٣] ويروي نتجت الفاقة .
 [٤] هكذا في العقد الفريد ، وليس من الميسور تمييز أمثال أحدهما من أمثال الآخر إلا في القليل ، على
 أنه قد ورد بينها أمثال لغير أ كثم ، (ولعله تمثل بها) وأخرى له قد وردت في ثنايا كلامه الذي أوردته
 آفقا ، ولكي آثرت إبراد المقال برمته كما جاء في العقد ، وبزرجمهر : مركب من بزرج معرب بزرك
 أي الكبير ، ومهر أي الروح وهو بزرجمهر بن البحتكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان
 سديد الفكر ، حصيف الرأي . [٥] المناسب والفتيب : القريب ، من النسبة (بالكسر والضم)
 وهي : القرابة ، وبينهما مناسبة أي مشاكلة ، هذا يناسب ذلك أي يقاربه شيئا .

[٦] في الأصل « من صدق عينيه » وهو يحرف ، وأراه من صدق غيبه أو غيبته أي من صدق في
 مودته ، وحفظ الأخاء ، في الغيبة لافي المحضر لحسب . [٧] جيب القميص طوقه ، وهو ناصح الجيب
 أي العلب كناية عن أنه خالص الطوية لا غش فيه .

مَنْ صَدَقَكَ ، الْأَخَ مَرَاةَ أَخِيهِ إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهَنْ^(١) . مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطَلَ^(٢) .
 تَبَاعَدُوا فِي الدِّيَارِ وَتَقَارَبُوا فِي الْمَحَبَةِ . أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ^(٣) ؟ مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ
 كُلَّهُ . إِنَّكَ إِنْ فَرِحْتَ لَأَقِ فَرَا حَا . أَحْسِنْ يُحْسِنُ إِلَيْكَ أَرْحَمُ تُرْحَمُ . كَمَا
 تَدِينُ تُدَانَ^(٤) . مَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ ، وَالدهر لا يُعْتَرُّ بِهِ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ
 فَبَدَّرَتْ^(٥) . فِي كُلِّ خَبْرَةٍ عِبْرَةٌ ، مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرُ . لَا يَعْدُو المَرءُ رِزْقَهُ
 وَإِنْ حَرَصَ . إِذَا نَزَلَ القَدْرُ عَمِيَ البَصَرُ ، وَإِذَا نَزَلَ الحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ الْأُذُنِ
 وَالعَيْنِ^(٦) . الحُرُّ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . العِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّناءِ^(٧) . القناعة مال لا ينفد .
 خَيْرُ العِنَى عِنَى النَفْسِ . مَنْسَأَقُ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خِذْ مِنَ العَافِيَةِ مَا أُعْطِيَتْ .
 مَا لِلإِنْسَانِ إِلَّا القَلْبُ وَاللِسَانُ . إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفِّيتَ .
 القَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ . قَلَّةُ العِيَالِ أَحَدُ اللِّسَارِينَ ، رَبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِأَمْنِينَ . لَنْ

[١] في الميداني : هذا المثل لهديل بن هيرة التعلبي ، وكان أعار على بني صبة فغتم فأقبل بالعامم . فقال له أصحابه قسمها بيننا ، فقال إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطاب أفواء ، فعندهما قال : « إذا عَزَّ أخوك فهن » ثم نزل قسم بينهم الغنائم ، وممنها : مياسرتك صديقك ليست بضمير يركبك منه فتدخلك الحمية به ، إنما هو حسن خلق وتفصل ، فإذا عاسرك فياسره .

[٢] قاله أبو حنبل : وذلك أن رجلاً من بني فزارة يقال له بيهس أجهز أن ناساً من أشجع في عز يشربون فيه - وكانوا قد قتلوا إخوته الستة - فاطلق بحال له يسمى أبا حنبل ، فقال له هل لك في ظار فيه ظباء لعلنا نصيب منها - ويروى : هل لك في قنينة باردة - ثم اطلق به حتى أفامه على فم العار ، ودفنه فيه فقال : صرباً أبا حنبل ، فقال بعضهم : إن أبا حنبل لبطل ، فقال أبو حنبل : مكره أخاك لا بطل ، فأرسلها مثلاً . [٣] في الميداني : أول من قاله النابغة الذبياني حيث قال :

ولست بمسئوب أخاً لآئله على شعث : أي الرجال المهذب ؟

[٤] الدين بالكسر : الجزء دانه يدينه ديناً بالفتح ويكسر ، ومعنى المثل كما تجارى تجازى : أي كما تعمل تجازى ، إن حسناً فحسن ، وإن سيئاً فسيئاً ، وقوله تدين : أراد تعمل فسمى الابداء جراء للطباقة والموافقة ، وعلى هذا قوله تعالى : « فَأَعْتَدُوا عَاقِبَةَ مِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ » . ويجوز أن يجرى كلاهما على الجزاء أي كما تجازى أنت الناس على صنيتهم كذلك تجارى على صنيتك .

[٥] في الأصل « تدين رفت » وهو تشويه ، وصوابه « عين عرفت فدرفت » .

[٦] الحيز : الهلاك ، وقوله : نزل بين الأذن والعين أي يسمع ومرأى ممن نزل به لا مختلفاً عنه .

[٧] زنى بزنى زنى وزناه .

تَعَدَّمَ الحَسَنَاءَ دَامًا^(١) . لَمْ يَعْدَمِ العَاوِي لَأْتَمًا . لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجِنَازَةِ^(٢) .
لَا تَسْخَرَنَّ مِنْ شَيْءٍ فِيَجُوزَ بِكَ ، أَخْرَ الشَّرَّ فَإِذَا شَتَّتْ تَعَجَّاتِهِ . صَغِيرَ الشَّرِّ
يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يُبْصِرُ القَلْبَ مَا يَعْمَى عَنْهُ البَصَرُ . الحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ .
العَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدٌّ^(٣) . مِنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ أَمْرَهُ . مِنْ سَرَّهُ بَنُوهُ
سَاءَتْهُ نَفْسُهُ . مِنْ تَعَظَّمَ عَلَى الزَّمَانِ أَهَانَهُ . مِنْ تَعَرَّضَ لِلسُّلْطَانِ آذَاهُ ، وَمِنْ
تَطَامَنَ لَهُ تَخَطَّاهُ . مِنْ خَطَا يَخْطُو^(٤) . كُلُّ مَبْذُولٍ مَمْلُولٌ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ
فِيهِ . كُلُّ عَزِيزٍ تَحْتَ القُدْرَةِ ذَلِيلٌ . لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ .
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ . لِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ .
قِيمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُحْسِنُ . اطْلُبْ لِكُلِّ غَلَقٍ^(٥) مُفْتَا حًا . أَكْثَرُ فِي البَاطِلِ
يَكُنْ حَقًّا . عِنْدَ القَنْطِ^(٦) يَأْتِي الفَرْجُ . عِنْدَ الصَّبَاحِ يُجَمِّدُ السَّرِيَّ^(٧) .

[١] الدام : والذيم العيب ، قال الميداني : « وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار جني بنت مالك بن عمرو العدوانية (وجني : بضم الحاء ، وتشديد الباء المفتوحة) وكانت من أجل النساء ، فسمع بجماها ملك غسان خطبها إلى أبيها ، وحكمه في مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت أمها لتبناها : إن لنا عند الملامسة رشعة فيها هنة ، فإذا أردت إدخالها على زوجها ، فطينها بما في أصدافها ، فلما كان الوقت أمجلمن زوجها ، فأغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلك : طروقتك ، الباردة ؟ فقال ما رأيت كالليلة قط لولا رويحة أنكرتها ، فقالت هي من خاف الستر » لا تقدم الحسنة داما » فأرسلتها مثلاً .

[٢] الجنازة بالكسر : الميت ، ويفتح ، أو بالكسر الميت ، وافتح السرير ، أو عكسه ، أو بالكسر السرير مع الميب ، والمراد هنا الميت ، وهذا المثل والمثلان قبله في الأصل مشومة مختلطة مكنا : « لن تقدم الحسنة ما لم يقدم العاوي لا يمثلاً بك في أهلك كالجنزة » . [٣] الجد : الحط .

[٤] يريد : من حاول الحطو وعالجه استطاعه ومرن عليه ، أي أن من أراد أمراً وتحيل له وأخذ في معالجته وممارسته ، تم له ما يبغي ، وهو كقولهم : إنما العلم بالتعلم ، « ورفع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماص » . [٥] الملق : القفل كالملاق . [٦] القنط والقنوط : اليأس .

[٧] السرى : السير ليلاً ، ويروى « عند الصباح يجمد القوم السرى » وهو مل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنهما وهو باليمامة أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المغازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة (فإلة خمس بكسر الحاء : بعد ووردها حتى يكون ورد النعم اليوم

الصدق مَنْجَاة ، والكذب مَهْوَاة . الاعتراف يهدم الاقتراف . ربّ قول أنفذُ
من صَوَّل . رب ساعة ، ليس بها طاعة . رب مَجَلَّةٌ تُعَقِّبُ رَيْثًا^(١) . بعض الكلام
أقطعُ من الحسام . بعض الجهل أبلغ من الحِلْم . ربيع القلب ما اشتهمى . الهوى
شديد العمى . الهوى الإله المعبود . الرأى نائمٌ ، والهوى يقظان . غلب عليك من
دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لاسرورَ كَطِيبِ النَّفْسِ . العمر أقصر من أن
يحتمل إلهَجْر . أحق الناس بالعضو أقدروهم على العقوبة . خير العلم ما نفع . خير القول
ما أتبع البِطْنَةَ^(٢) تذهب البِطْنَةُ . شر العمى عمى القلب . أوثق العُرَى كلمة
التقوى^(٣) . النساءُ حبايلُ الشيطان . الشباب شُعبَةٌ من الجنون . الشقى من شَقِي
في بطن أمه . السعيد من وُعِظَ بغيره . لكل امرئٍ في بدنه شُغْل . من يَعْرِفِ
البلاءَ يَصْبِرُ عليه . المقادير تُريك ما لا يخطر ببالك . أفضل الزاد ما تُرْوَدَ للمعاد .

الرابع سوى اليوم الذى شربت فيه) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارف
(الشارف النافة المسنة) فمطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك المعازة ، حتى إذا مضى يومان
وخاف العطش على الناس والحيل ، وخشى أن يذهب ما فى بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج ما فى
بطونها من الماء ، فسقى الناس والحيل ومضى ، فلما كان فى الليلة الرابعة . قال رافع : انظروا هل ترون
سدرأ عظماً (السدر بالكسر شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر
فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم هجموا على الماء فقال خالد رجزاً منه « عند الصباح يحمد القوم السرى »
[١] الريث : الإبطاء ، ويروى تهب ريثاً ، وفى الميدانى : « أن أول من قال ذلك مالك بن عوف
ابن أبى عمرو بن عوف بن محلم الشيبانى ، وكان سنان بن مالك بن أبى عمرو بن عوف بن محلم شام غنياً ،
فأراد أن يرحل بامرأته وهى أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظعن يا أختى ؟ قال : أطلب موقع
هذه السحابة . قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى دعرس
له مروان القرظ بن زبناج العبسى ، فأعجمها عنها وانطلق بها ، وجعلها بين بناته وأحوتها ولم يكشف لها سترها
فقال مالك بن عوف لسنان : مما فعلت أختى ؟ قاله : نفتنى عنها الرماح ، فقال مالك : « رب مجلة تهب
ريثاً . ورب فروةٌ يدعى ليثاً ، ورب غيث لم يكن غيثاً » ، فأرسلها مثلاً ، يضرب للرجل يشد حرصه على
حاجة ، ويخرق فيها حتى تذهب كلها » .

[٢] البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . [٣] انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

الفَحْلُ أحمى للشَّوْلِ^(١) . صاحبُ الحِطْوَةِ غداً ، من بلغ المَدَى . عواقب الصبر محمودة . لا تُبَلِّغِ الغاياتُ بالأمانِ . الصَّرِيعةُ^(٢) على قدر العزيمة . الضيفُ يُثني أو يذم . من تفكر اعتبر . كم شاهدٍ لك لا ينطق . ليس منك من غَشِكَ . ما نظر لأمرٍ مثلُ نفسه . ما سد فقرك إلا ملكٌ يمينك . ما على عاقل ضيعةٌ . الغنى في العُرْبَةِ وطن . المُقِلُّ في أهله غريب ، أول المعرفة الاختبار . يدُك منك وإن كانت سلاءً . أنفك منك وإن كان أجدعَ^(٣) . من عُرِفَ بالكذب جاز صدقه^(٤) . الصحة داعية السَّقَمِ . الشباب داعية الهرم . كثرة الصَّيَاحِ من الفُشْلِ . إذا قَدُمَتِ المصيبةُ تَرَكْتَ التعزية . إذا قَدِمَ الإخاءُ سَمَّجِ الشَّاءَ . العادة أملك من الأدب . الرفقُ يُعْمِنُ وألحُرقُ سُؤْمَ . المرأةُ رِيحانةٌ وليست بقَهْرَمانَةٍ^(٥) .

[١] الشول : جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر خفف لبنها ، وأحمى : أعمل من الخاية . [٢] الصريعة : قطع الأمر (والعزيمة) . [٣] وبروى « منك أمك وإن كان أجدع » وفي البدائي : « أول من قال ذلك فنفذ بن جمونة المازني للربيع بن كعب المازني ، وذلك أن الربيع دفع فرساً كان قد أبر على الخيل (أي زاد) كرمًا وجودة إلى أخيه كيش ليأتي به أهله ، وكان كيش أنوك مشهوراً بالحق ، وكان رجل من بني مالك يقال له قراد بن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم عرة فيأخذها ، وكان داهية فكث فيهم مقماً لا يعرفون نسبه ولا يظهره هو ، فلما نظر إلى كيش راكباً الفرس ركب ناقته ثم عارضه ، فقال يا كيش : هل لك في عاة لم أر مثلاً سمناً ولا عظماً (المانة : الفطيح من حجر الوحش) وغير معها من ذهب ؟ فأما الآن (بضمتين جمع أمان) فتروح بها إلى أهلك فتملأ قدورم ، وتمرح صدورم ، وأما العير فلا انتقار بعده ، قال له كيش : وكيف لآبه ؟ قال : أما لك به ، وليس يدرك إلا على فرسك هذا ، ولا يرى إلا بلبل ، ولا يراه غيري ، قال كيش : فدونتك ، قال : نعم وأمسك أنت راحتي ، فركب قراد الفرس وقال : انتظرنى في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد ، قال : نعم ومضى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى من غده وجاع ، فلما لم ير له أثرًا انصرف إلى أهله وقال في نفسه : إن سألتني أحمى عن الفرس قلت تحول ناقه ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن العرس ، فقال له : أين العرس ؟ قال : تحول ناقه ، قال : فما فعل السرج ؟ قال : لم أذكر السرج فاطلب له علة ، فصرعه الربيع ليقتله ، فقال له فنفذ بن جمونة : إنه عما فانك ، فإن أنفك منك وإن كان أجدع ، فذهبت مثلاً .

[٤] في بجم الأمثال (٢ : ١٧٥) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يحز صدقه » . [٥] الفهرمان : هو كالحازن والوكيل المحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمر الرجل بلعة الفرس .

الدال على الخير كفاعله . المحاجزة قبل المناجزة . قبل الرماية تملأ الكنان . لكل ساقطة لاقطة . مقتل الرجل بين فكّيه . ترك الحركة غفلة . الصمت حُبسة . من خير خير خبر . إن تسمع مُنمطر^(١) . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . قيّدوا النعم بالشكر . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب . لقاء الأحبة مسلاة اللهم . قطعة الجاهل كصلة العاقل . من رضى على نفسه كثر الساخط عليه . قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عارفها . أدوا الداء الخلق الدني ، واللسان البدي . إذا جعلك السلطان أخاً فاجعله رباً . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعرف السبق . عند الرهان يُحمد المضار . السؤال وإن قل ، أكثر من النوال وإن جال . كافي المعروف بمثله أو نشره . لا خلة^(٢) مع عيلة . لا مروءة مع ضر ، ولا صبر مع شكوى . ليس من العدل ، سرعة العدل^(٣) . عبد غيرك حر مثلك . لا يعدم الخيار ، من استشار . الوضع من وضع نفسه . المهين من نزل وحده . من أكثر أهجر^(٤) . كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » . (العقد الفريد ١ : ٢٧٢)

*
*
*

ومن أمثال أكرم بن صيفي أيضاً :

« في الجريرة تشترك العشيرة^(٥) . . إذا قرع الفؤاد ذهب الرقاد . هل

[١] أي إن تمتع أذنته للأقاويل تمطر وابلانها .

[٢] الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها ، والعيلة الفقر . [٣] اللوم .

[٤] الاهجار : الاغشاش وهو أن يأتي في كلامه بالفحش .

[٥] مثل يضرب في الحث على المواساة .

يُهْلِكُنِي فَقَدْ مَا لَا يَعُودُ؟ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْمِيَنِي أَمْرٌ وَبَدَائِهِ . رَبُّ كَلَامٍ ، لَيْسَ فِيهِ
 اِكْتِمَامٌ . حَافِظٌ عَلَى الصَّدِيقِ ، وَلَوْ فِي الْحَرِيقِ . لَيْسَ بِبَيْسِيرٍ ، تَقْوِيمُ الْعَسِيرِ .
 إِذَا أُرِدْتَ النَّصِيحَةَ ، فَتَاهَبِ لِلظَّنَّةِ . مَتَى تَمَالَجَ مَالَ غَيْرِكَ تَسَامُ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ
 سَمِينِ غَيْرِكَ . لَا تَنْطَحُ جَمَاهُ ^(١) ذَاتَ قَرْنٍ . قَدْ يُبْلَغُ الْخَضَمُ بِالْقَضْمِ ^(٢) . قَدْ صَدَعَ
 الْفِرَاقُ ، بَيْنَ الرَّفَاقِ . اسْتَأْنَوْنَا ^(٣) أَخَاكُم ، فَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . الْحُرُّ عَزُوفٌ ^(٤)
 لَا تَطْمَعُ ، فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ . . (جمهرة الأمثال ٢ : ١٠٣)

٣٢٣ - كلمات هند بنت الحنيس الأيادية

أَتَى رَجُلٌ هِنْدَ بِنْتِ الْحُنَيْسِ الْإِيَادِيَّةِ يَسْتَشِيرُهَا فِي امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَقَالَتْ :
 « انظُرْ مَنْكَاهُ ^(٥) جَسِيمَةً ، أَوْ بِيضَاءَ وَسِيمَةً ، فِي بَيْتِ جَدِّ ، أَوْ بَيْتِ حَدِّ ،
 أَوْ بَيْتِ عَزٍّ » قَالَ : مَا تَرَكْتِ مِنَ النِّسَاءِ شَيْئًا ، قَالَتْ : « بَلَى ، شَرَّ النِّسَاءِ تَرَكْتِ ،
 السُّوَيْدَاءَ الْمِمْرَاضَ ^(٦) ، وَالْحَمِيرَاءَ الْمُحِيَاضَ ^(٧) الْكَثِيرَةَ الْمُطَاطِ ^(٨) » .
 وَقِيلَ لَهَا : أَيُّ النِّسَاءِ أَسْوَأُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي تَقْعُدُ بِالْفِنَاءِ ، وَتَعْمَلُ الْإِنْيَاءَ ،
 وَتَعْتَدُّ ^(٩) مَا فِي السَّقَاءِ » قِيلَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي إِذَا مَشَتْ
 أُغْبِرَتْ ^(١٠) ، وَإِذَا نَطَقَتْ صَرَّصَرَتْ ^(١١) ، مُتَوَرِّكَةً جَارِيَةً ^(١٢) ، فِي بَطْنِهَا
 جَارِيَةً ، يَتَّبِعُهَا جَارِيَةً ^(١٣) » .

[١] الجلاء : الشاة بلا قرن مؤنث الأجم . [٢] القضم : الأكل بأطراف الأسنان ، والحصم : الأكل
 بأقصى الأضراس ، ومعنى المثل : قد تدرك الغاية البعيدة بالرفق . [٣] انتظروا .
 [٤] من عزفت نفسه عنه إذا زهدت فيه وانصرفت عنه أي أنف راغب عن الدنيا .
 [٥] الرمكاه : السمراء ، والرمكة كحمر لون الرماد . [٦] الممراض : البهائم .
 [٧] الكثرية الحيض . [٨] المطاط : المنازعة والمشاراة . [٩] تمزج .
 [١٠] أثارت الغبار في مشيتها . [١١] أحدثت صوتها . [١٢] أي حاملة لها على وركها .
 [١٣] أي هي مثناء .

قيل : فأى العلمان أفضل ؟ قالت : « الأَسْوَقُ الأَعْنَقُ ^(١) ، الذى إن سَبَّ كأنه أحمق » قيل : فأى العلمان أفضل ^(٢) ؟ قالت : « الأَوْيَقِصُ ^(٣) القصير العَضُدُ ، العظيم الحاوية ^(٤) ، الأَغْيَبِرُ العِشَاءُ ، الذى يُطِيعُ أمه ، وَيَعْبِي عَمَهُ » .
(الأملى ٢ : ٢٦٠)

*
*

وقيل لها : أى الرجال أحبُّ إليك ؟ قالت : السَّهْلُ النَجِيبُ ، السَّمْنَحُ الحَسِيدُ ، النَّدْبُ ^(٥) الأَرِيبُ ، السيد المَهِيْبُ ، قيل لها : فهل بقى أحد من الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم ، الأَهْيَفُ الهَفْهَفُ ^(٦) ، الأَنْفُ العِيَّافُ ، المُفِيدُ المُتَلَّافُ ، الذى يُخَيِّفُ ولا يُخَافُ ، قيل لها : فأى الرجال أَبْغَضُ إِلَيْكَ ؟ قالت : الأَوْزَرُ ^(٧) النَّثُومُ ، الوَكَلُ السَّنُومُ ، الضَّعِيفُ الحَيْرُومُ ، اللِّيمُ المَلُومُ ، قيل لها : فهل بقى أحد شر من هذا ؟ قالت : نعم ، الأَحْمَقُ التَّرَاعُ ، الضَّائِعُ المُضَاعُ ، الذى لَا يَهَابُ ولا يُطَاعُ ، قالوا : فأى النساء أحبُّ إليك ؟ قالت : البيضاء العَطْرَةَ ، كأنها ليلة قِرَّة ^(٨) ، قيل : فأى النساء أَبْغَضُ إِلَيْكَ ؟ قالت : العِنْفِصُ ^(٩) القصيرة ، التى إن اسْتَنْطَقْتَهَا سَكَتَتْ ، وإن سَكَتَتْ عَنْهَا نَطَقَتْ .
(ذيل الأملى ص ١٢٠)

[١] الأَسْوَقُ : الطويل الساق ، والأَعْنَقُ : الطويل العنق .

[٢] أفضل من فسل : ككرم وعلم وعى فسالة وفسولة فهو فسل أى رذل لا مروءة له .

[٣] الأَوْيَقِصُ : تصغير أوقص وهو الذى يدنو رأسه من صدره .

[٤] ما تحوى من الأمعاء أى استدار .

[٥] الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، والأريب : العاقل . [٦] الأهيف وصف من

الهييف بالتحريك ، وهو رقة الخاصرة ، والقديس الهنفاف ، أى الرقيق الشفاف . [٧] الأوره :

الأحق من وره كفرح . [٨] ليلة قرة وقراء ومقروءة : فيها القمر . [٩] العنفس : المرأة

البنيدة القليلة الحياء ، والقليلة الجسم الكثيرة الحركة .

*
* *

وقال لها أبوها يوماً : أى المال خير؟ قالت : « النَّخْل ، الراسخاتُ فى الوَحْل ، المُطعمات فى المَحْل ^(١) » قال : وأى شىء؟ قالت : « الضَّان ، قَرْيَة لا وَبَاءَ بها ، تُنتَجِبها رُخالا ^(٢) ، وَتَحلبُها عِلالاً ^(٣) ، وَتَجزُّ لها جُفْلالاً ^(٤) ، ولا أرى مثَلها مالا » قال : فالإبل مالكِ تُؤخَّرُ عنها؟ قالت : « هى أذكَّار الرجال ، وإِرْقَاءُ الدماء ، ومُهورُ النساءِ » قال : فأى الرجال خير؟ قالت :

خير الرِّجال المُرَهَّقونَ كما خيرُ تِلاعِ البلادِ أوطوُّها ^(٥)

قال : أيهم؟ قالت الذى يُسأل ولا يسأل ، ويُضيف ولا يُضَاف ، وَيُصلِح ولا يُصَلَح .
قال : فأى الرجال شرٌّ؟ قالت : « الثُّطَيْطُ النُّطَيْطُ ، ^(٦) الذى معه سُويط ^(٧) ، الذى يقول أدركونى من عبدِ بنى فلان ، فإنى قاتِلُهُ أو هو قاتلى » . قال : فأى النساءِ خير؟ قالت : « التى فى بطنها غلامٌ ، تحمل على وَرِكها غلامًا ، يَمشى وَراءِها غلامٌ » قال : فأى الجمالِ خير؟ قالت : « السَّبِجَلُ الرِّبْجَلُ ^(٨) ، الراحلة الفَجَلُ » .
قال : أرايتك الجَذَعُ ^(٩) ، قالت : لا يَضْرِبُ ، ولا يدَع ، قال : أرايتك الشَّيِّ ^(١٠)
قالت : يضرب ، وضِرَابُهُ وَفِي ^(١١) ، قال : أرايتك السَّدَسَ ^(١٢) ، قالت ذلك العَرَسَ ^(١٣) .
(ذيل الأملى ص ١٠٨)

[١] الحِل : الفدَّة والجذب واقطاع المطر . [٢] الرخال جمع رخل كحمل وكتف وهو الأثني من أولاد الصَّان . [٣] يقال عالت الناقة ، وهو أن تحلب أوَّلَ النهار ووسطه وآخره ، والاسم علال ككتاب . [٤] الجفال : الكثير من الصوف .
[٥] المرقق : من يغشاه الناس والأضياف . [٦] التيطيط : الذى لالحية له ، والنطيط : الهذيان (بكسر الهماء والراء) وهو الكثير الكلام يأتي بالخطأ والصواب عن غير معرفة .
[٧] تصغير سوط . [٨] السبجل والرَّجَل : البعير الضخم الكثير اللحم . [٩] أرايتك : كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرنى ، الجذع : البعير إذا كان فى السنة الخامسة . [١٠] البعير إذا كان فى السادسة وألقى ثنيتَه . [١١] قال أبو على : الصواب أنى أى بطنه . [١٢] السدس : البعير إذا كان فى الثامنة . [١٣] العرس : الأسد .

وقيل لها : أى الخيل أحب إليك ؟ قالت : « ذو الميعة الصنيع ^(١) ،
السليط التليع ^(٢) ، الأيد الضليع ^(٣) ، الملهب ^(٤) السريع » فقيل لها : أى
النيوث أحب إليك ؟ قالت : « ذو الهيدب المنبعق ^(٥) ، الأضخم المؤتلق ^(٦)
الصبخ المنبتق ^(٧) » وقيل لها : ما مائة من المعز ؟ قالت : مؤيل يشف الفقر
من وراثته ، مال الضعيف ، وحرقة العاجز » قيل : فما مائة من الضأن ؟ قالت
« قرية لاجمى بها » قيل : فما مائة من الإبل ؟ قالت : « بنج ^(٨) ، جمال ومال ،
ومنى الرجال » . قيل : فما مائة من الحيل ؟ قالت : « طغى من كانت له ولا
يوجد » قيل : فما مائة من الحمرة ؟ قالت : « عازبة ^(٩) الليل ، وخزى المجلس ، لا لبن
فيمحلب ، ولا صوف فيجز ، إن ربط عيها ^(١٠) أدلى ، وإن ترك ولّى ، وقيل
لها : من أعظم الناس فى عينك ؟ قالت : « من كانت لي إليه حاجة » .

(شرح العيون ص ١٨٤)

[١] ماع العرس يبيع : جرى ، وصنعة الفرس : حسن القيام عليه ، صنعت فرسى صنعا وصنعة (بفتح
الصاد يهما) والصنيع ذلك الفرس . [٢] السليط : الشديد ، والحديد من كل شيء ، والتليع :
الطويل العنق من التلع بفتحين وهو طول العنق . [٣] الأيد ككيس : القوي ، من آد يئد أيداً
أى قوى واشتد ، والصلبع وصف من ضلع كفصح ضلعة ، وهى القوة وشدة الأصلاع .
[٤] هو الذى يجتهد فى عدوه حتى يثير العبار ، من ألهب . [٥] الهيدب : السحاب المتدلى ،
والمنبتق : المنبعج بالمطر . [٦] الضخم : كشمس وسبب وأحمد وغراب : العظيم من كل شيء ، واثتلق
البرق وتألقت : لمع . [٧] الصبح : وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت ، والمنبتق : المنفجر .
[٨] بنج كقذ : أى عظم الأمر ونغم ، تقال وحدها وتكرر ، بنج الأول منون مكسور ، والثانى مسكن ،
ويقال فى الأفراد : بنج ساكنة الخاء ، وبنج مكسورة ، وبنج مكسورة مونة ، وبنج مونة مصومة ، ويقال
بنج مسكنين ، وبنج منونين مكسورين ، وبنج مكسورين مشددين منونين كلمة تقال عند الرسا والإعجاب بالشيء .
[٩] يقال : جل عازب : أى لا يروح على الحمى من المزوب وهو انفية والذهب ، وقولها : خرى
المجلس ، أى بما تحدثه من التهيق المزعج والإدلاء . [١٠] الدير : الحمار (وغلب على الوحشى) ،
وأدلى : أى أخرج قضيه ليبول أو يضرب .

وقالت: « أخبثُ الذئاب ذئبُ الفِضَا^(١)، وأخبثُ الأفاعى أفعى الجَدبِ،
وأسرعُ الظِّباءِ ظبَاءُ الحَلْبِ^(٢)، وأشدُّ الرجالِ الأَعَجَفُ^(٣)، وأجملُ النساءِ الفِخْمَةُ
الأسيلة^(٤)، وأقبحُ النساءِ الجَهْمَةُ القُفْرَةَ^(٥)، وآكَلُ الدوابِّ الرِّغوثُ^(٦)،
وأطيبُ اللحمِ عُوذَةُ^(٧)، وأغلظُ المواطئِ الحِصَى على الصِّفَا، وشرُّ المالِ مالا
يَزَكِي^(٨) ولا يَدَكِي^(٩)، وخيرُ المالِ سِكَّةٌ مأبورة^(١٠)، أو مَهْرَةٌ مأمورة^(١١) »
(جمع الأمثال ١ : ١٧٤)

خطب الكهان

٣٢٤ - الكاهن الخزاعي يُنقِرُ هاشم بن عبد مناف
على أمية بن عبد شمس

وَلِي هاشم بعد أبيه عبد مناف ، ما كَانَ إليه من السقاية والرفادة^(١٢)

[١] الفضا : شجر له جمر يبق طويلًا . [٢] الحلب : نبت ، قال حمزة : « العرب تسمى ضروباً من البهائم بضروب من المراعي تنسبها إليها ، فيقولون : ظبي الحلب ، وتيس الربلة (والربيل بحركة نبات شديد الخضرة) ، وشيطان الحماطة (والحماطة كسحابة : شجر شبيه بالتين ، أحب شجر إلى الحيات) . الخ وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغذية المعاملة في طباع الحيوان . [٣] من العجف بالتحريك وهو ذهاب السمن . [٤] الطويلة المسترسلة . [٥] الجهمه : مؤنث الجهم وهو الوجه الغليظ المجتمع السمع ، والقفرة : القليلة القفر بالتحريك أى الشعر . [٦] الرغوث : كل مرضعة كالمرغث . [٧] ما عاذ بالعظم من اللحم . [٨] زكي كرضى نما وزاد كزكا يزكو . [٩] ذكي تذكية : سمن وبدن (بضم الدال) . [١٠] السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : الصلحة ، من أبرت الحل أبره إذا لقحته وأصلحته . [١١] مأبورة : أى كثيرة الولد ، من أمرها الله أى كثرها ، وكان ينبغي أن يقال مؤمرة ، ولكنه أتبع مأبورة - اقرأ في كتاب بلاغات النساء ص ٨٠ فضلاً طويلاً في كلام هند بنت الحس وأختها جمعة .

[١٢] السقاية : هى إسقاء الحجاج الماء العذب ، والرفادة : خرج كانت تفخره قريش في كل موسم من أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاماً للحجاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .

ففسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على رياسته وإطعامه ، وكان ذا مال ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش ، فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لِسِنِّه وقدره ، فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة سُود الحَدَقِ يَنْحَرُها بِيَطْنِ مَكَّةَ ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضى بذلك أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزَاعِيّ - وهو جد عمرو بن الحَمِقِ ، ومنزله بعُسْفان ^(١) ، وكان مع أمية هَمَّمة بن عبد العزى الفِهْرِيّ ، وكانت ابنته عند أمية ، فقال الكاهن :

« والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والنعمام الماطر ، وما بالجوّ من طائر ، وما اهتدى بعلم ^(٢) مسافر ، من مُنْجِدٍ وغاز ^(٣) ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أوّل منه وآخر ، وأبوهممة بذلك خابر .»

فقضى لهاشم بالعلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فحزها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشأم عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠)

٣٢٥ - عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث

كان حُجْر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملكَ بني أسد ، وكان له عليهم إتاوة ^(٤) كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقي كذلك دهرًا ، ثم بعث إليهم من يَحْبِي ذلك منهم ، ونحجز يومئذ بتهمامة ، فطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك

[١] عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . [٢] العلم : ما نصب في الطريق يهتدى به .

[٣] أنجد : أنى نجدًا ، وغاز وأغار : أنى غورًا . [٤] خراج .

حجراً ، فسار إليهم ، فأخذ سرّواتهم^(١) وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا (فسموا عبيد العصا) وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشرفهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعراً يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المَلِيكُ عليهمُ وهم العبيدُ إلى القيامةِ

فرق لهم وعفا عنهم ، وردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم : يا عبادي ، قالوا : لبيك ربنا ، فقال : « من الملك الصلّهب^(٢) ، الغلابُ غير المغلّب^(٣) ، في الإبل كأنها الربرب^(٤) ، لا يُقلِقُ رأسه الصّخبُ ، هذا دمه ينثعب^(٥) ، وهو غدأ أول من يُستلب^(٦) » قالوا : ومن هو ؟ ربنا . قال : « لولا تجيش^(٦) نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية^(٧) » .

فركبوا كل صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر حجر ، فهجموا عليه في

قته فقتلوه . (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٣ ، والشعر والشعراء ص ٣١ ، والأغانى ٨ : ٦٣)

٣٢٦ - كاهن بنى الحارث بن كعب يحذرهم غزو بنى تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لطيمة^(٨) لكسرى ، فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فأوقع كسرى بهم ، وقتل المقاتلة ، وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها ، وبلغ ذلك بنى الحارث بن كعب من مذحج ، فشى

[١] سروات جمع سراة بالفتح وهي اسم جمع سرى كنى من سرو سروا وهو المروءة في شرف .

[٢] حجر صلّهب : شديد صلّب ، والصلّهب أيضاً : الشديد من الإبل ، والرجل الطويل ، وفي الشعر والشعراء والأغانى « الأصهب » ومن معانيه الأسد . [٣] الغلاب : الغلوب مراراً (وهو أيضاً المحكوم له بالغبلة . ضد) . [٤] الربرب : الفطيع من بقر الوحش . [٥] ينثعب .

[٦] جاشت النفس وتجيشت ارتفعت من حزن أو فزع . [٧] علانية ، يقال فعله ضاحية : أي علانية .

[٨] اللطيمة : العير تحمل الطيب وبزّ التجار .

بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتتموا بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من
تَد وحزم بن رَيَّان في عسكر عظيم ، وساروا يريدون بنى تميم ، فحذَّروهم كأنهم
كان مع بنى الحارث واسمه سلمة بن المعقل ، وقال :

« إنكم تسرون أعقاباً ^(١) ، وتغزون أحباباً ^(٢) ، سَمَدًا وَرَبَابًا ، وَتَرِدُونَ
مِيَاهًا جِبَابًا ^(٣) ، فَتَلْقَوْنَ عَلَيْهَا ضِرَابًا ، وَتَكُونُ غَنِيمَتِكُمْ تَرَابًا ^(٤) ، فَأَطِيعُوا
أَمْرِي وَلَا تَغْزُوا تَمِيمًا » ولكنهم خلفوه وقتلوا بنى تميم ، فَهَزِمُوا هَزِيمَةً نَكَرَاءً .
(تاريخ السكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغانى ١٥ : ٧٠)

٣٢٧ - أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كَانَ الْفَاكِهُ بْنُ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوِمِيَّ أَحَدَ فِتْيَانِ قَرِيشٍ ، وَكَانَ قَدْ تَرَوَّجَ هِنْدَ
بِنْتَ عُتْبَةَ ، وَكَانَ لَهُ بَيْتٌ لِلضِّيَافَةِ يَعْشَاهُ النَّاسُ فِيهِ بِلَا إِذْنٍ ، فَقَالَ ^(٥) يَوْمَافِي
ذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَهِنْدُ مَعَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا نَائِمَةً ، فَجَاءَ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَعْشَى
الْبَيْتَ ، فَلَمَّا وَجَدَ الْمَرْأَةَ نَائِمَةً وَلَّى عَنْهَا ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْفَاكِهُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، فَدَخَلَ عَلَى
هِنْدَ وَأَنْبَهَاهَا ، وَقَالَ : مَنْ هَذَا الْخَارِجُ مِنْ عِنْدِكَ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَبَهْتُ حَتَّى
أَنْبَهْتَنِي ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ ، قَالَ : الْحَقُّ بِأَيْدِيكَ ، وَخَاضَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِمْ ،
فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا : يَا بِنْتُ الْعَارِ ^(٦) وَإِنْ كَانَ كَذِبًا ، بُئِنِي شَأْنُكَ ، فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ
صَادِقًا دَسَسْتَ عَلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ ، فَيُقْتَلُ عَنْكَ الْعَارُ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا حَاكَمْتُهُ إِلَى

[١] أى يسير بعصمك عتب بعض ، فريقاً في إثر فريق ، وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية
آلاف ، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بنى قار ومن يوم جبلة ، وروى
أبو الفرج الاصبهاني أنه اجتمع من مدحج ولفها اثنا عشر ألفاً . [٢] هذه العاصلة والعاصلتان قبلها ،
وردت في الأصل بحرفه هكذا : « إنكم تسرون أعياناً ، وتغزون أحياناً ، سعاداً ورياناً » .

[٣] الجباب والأجباب جمع جب ، وهو البثر الكثيرة الماء البعيدة القعر . [٤] أورد صاحب الأغاني
من هذه القفر الست ، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة ، وعراها إلى المأمور الحارثي وهو كاهن أيضاً .
[٥] قال قبلا وقائلة وقيلولة ومقيللا : نام في القائلة وهي نصف النهار . [٦] أى اتى العار .

بعض كهان اليمين ، قالت : والله يا أبتِ إنه لكاذب ، فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُبيِّن ما قلت ، وإلا فإنا كمنى إلى بعض كهان اليمين ، قال : ذلك لك ، فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف ، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجهه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أى بنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبتِ والله ما ذلك لمكروه قبلى ، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ، ولعله أن يسمنى بسمة تبقى على السنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكنى سأخبرُهُ لك ، فصفر بفرسه ، فلما أدلى عمده إلى حبة بُرٍ ، فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى (١) عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك فى أمر ، وقد خبأنا لك خبيثة ، فما هى ؟ قال : بُرّة ، فى كمرّة (٢) ، قال : أريد أئين من هذا ، قال : « حبة بُرٍ » ، فى إحليل مُهرٍ » قال : صدقت ، فانظر فى أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ، حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها ، وقال : « انهضى غير رقعاء (٣) ولا زانية ، وستلدين ملكاً يسمى معاوية » .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : إليك عنى ، والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فولدت له معاوية .

(العقد المرید ٣ : ٢٢٤ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٩٨ ، وشرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ١١١)

[١] الوكاء ككتاب : جبل يشد به رأس القرية ، ووكاها وأوكاها وأوكى عليها شدتها بالوكاء .
[٢] الكمرّة : رأس الذكر . [٣] الرقعاء : البنى التى تكسب بالفجور ، من الرقاعة كفضاحة وهى الكسب والتجارة ، هذا ما ورد فى ابن أبى الحديد ، وفى غيره « رسحاء » والرسعاء : القبيحة ، والرسعاء أيضاً : القليلة لحم العجز والمغذين والأول أنسب .

٣٢٨ - خمسة نفر من طيِّ ١ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي

خرج خمسة نفرٍ من طيِّ من ذوى الحِجَابِ والرأى ، منهم بُرْجُ بن مُسْهِرٍ ، وهو أحدُ المَعْمَرِيْنَ ، وأُنَيْفُ بن حارثة بن لأمٍ ، وعبد الله بن سعد بن الحَشْرَجِ أبو حاتم طيِّ ، وعارف الشاعر ، ومُرَّة بن عَبْدِ رُضَى ، يريدون سَوَادَ بن قَارِبِ الدُّوسِي ، لِيَمْتَحِنُوا عامه ، فلما قَرُبُوا مِنَ السَّرَاةِ ، قالوا : لِيَخْبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مَنَّا خَيْبَةً ، وَلَا يُخْبِرَ بِهِ صَاحِبَهُ ، لِيَسْأَلَهُ عَنْهُ ، فَإِنْ أَصَابَ عَرَفْنَا عِمَامَهُ ، وَإِنْ أَخْطَأَ ارْتَحَلْنَا عَنْهُ ، نَخْبَأُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَيْبَةً ، ثُمَّ صَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَهْدُوا لَهُ إِبِلًا وَطُرْفًا مِنْ طُرْفِ الْحَيْرَةِ ، فَضْرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَةً ، وَنَحَرَ لَهُمْ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ دَعَا بِهِمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ .

فتكلم بُرْجُ - وكان أسنهم - فقال : « جَادَكَ السَّحَابُ ، وَأَمْرَعُ لَكَ الْجَنَابُ ^(١) ، وَضَفَّتْ عَلَيْكَ النَّعَمُ الرَّغَابُ ^(٢) ، نَحْنُ أَوْلُو الْآكَالِ ^(٣) ، وَالْحَدَائِقُ وَالْأَعْيَالِ ^(٤) ، وَالنَّعَمُ الْجُفَالِ ^(٥) ، وَنَحْنُ أَصْهَارُ الْأَمْلَاكِ ، وَفُرْسَانُ الْعِرَاكِ - يُورِّى عَنْهُمْ أَنْهَمُ مِنْ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ - » .

فقال سواد : « وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَالنَّعْمُ وَالْبَرَضُ ^(٦) ، وَالْقَرَضُ

[١] أمرع : أخضب ، والجناب : ماحول الدار . [٢] الصاق : السانغ الكثير ، يقال : خير فلان صاف على قومه : أى سانغ عليهم ، والرغاب : الواسعة الكثيرة جمع رغبة . [٣] الآكال : جمع أكل (كفعل وعنق) الرزق والمط من الدنيا . [٤] الأعيال جمع غيل كشمس : وهو الماء الجارى على وجه الأرض . [٥] الجفال : الكثيرة . [٦] العمر : الماء الكثير ، ويقال : رجل غمر الحلق إذا كان واسع الحلق سخيا ، والبوض : الماء القليل ، ويقال : فلان يتبرض حقه : أى يأخذه قليلا قليلا .

والفَرَضِ^(١) ، إنكم لأهلُ الهَضَابِ الثَّمِّ^(٢) ، والنخيلِ العَمِّ ، وَالصَّخُورِ الصَّمِّ^(٣) مِنْ أَجَاءِ العَيْطَاءِ ، وَسَمِي ذَاتِ الرِّقَبَةِ السَّطْمَاءِ^(٤)

قالوا : إنا كذلك ، وقد خَبَأَ لك كل رجل منا خبيئاً ، لتخبِرنَا باسمه وخبيئته ، فقال لبرج : « أقسم بالضياء والحلَّك^(٥) ، والنجوم والفلك ، والشروق والدَّلك^(٥) ، لقد خَبَأَتْ بُرْمُنُ فَرُخ^(٦) ، في إعْلِيْطِ مَرِّخ^(٧) ، تحت آسِرَةِ الشَّرِيخِ^(٨) » قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت بُرْجُ بنِ مُسَهْرٍ ، عَصْرَةَ المُمَعِرِ^(٩) ، وَتَمَالُ المِحْجَرِ^(١٠) .

ثم قام أنيف بن حارثة ، فقال : ما خبيئى وما اسمى ؟ فقال : « والسحاب والتراب ، والأصباب والأحداب^(١١) والنعم الكتاب^(١٢) ، لقد خَبَأَتْ قُطَامَةَ فَيْسِيْطِ^(١٣) ، وقُدَّةَ مَرِيْطِ^(١٤) ، في مَدْرَةِ من مَدِيِّ مَطِيْطِ^(١٥) » قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت أنيف ، قارى الضيف ، ومعمل السيف ، وخالطُ الشتاء بالصيف » .

[١] الفرس : مانعطيه لتقضاء ، والفرس : ما فرضته على ، نمسك فوهبته أوجدت به لغير ثواب .
[٢] الشم : الطوال ، وكذا العم . [٣] أجأ وسلمى : حبلا طي ، والعيطاء : الطويلة ، وكذا السطماء . [٤] الحلَّك : شدة السواد . [٥] دلكت الشمس دلوكاً : عربت أو اصفرت ، والدلك : وقت الدلوك . [٦] البرن : ظفر كل مالا يصيد من السباع والطيور مثل الحمام والضب والفأرة فإذا رن مما يصيد ، قيل لظفره محلب . [٧] المرح : شجر نقود منه النار ، والإعْلِيْطِ : وعاء ثمر المرح ، والعرب تشبه به آذان الحيل . [٨] الآسرة والإيسار : القُدَّ الذى يشد به خشب الرحل ، وشرخا الرحل حاناه . [٩] المعمر : الذى ذهب ماله ، والمعصرة : الماجأ والمسجاة .
[١٠] التمال : الغيات الذى يقوم بأمر قومه ، والمحجر : الملبأ (بصيغة اسم المفعول) المضيق عليه .
[١١] الأصباب : جمع صبت كسبب : وهو ما انخفض من الأرض ، والأحداب جمع حذب كسبب أيضاً : وهو ما علا . [١٢] الكثرة : [١٣] القظامة : ما قطنته بفيك ، والقظم بأطراف الأسنان ، والقفيط : قلامة الظفر . [١٤] القُدَّة : الريشة ، والمريط من السهام : الذى قد تمرط ريشه أى تنف [١٥] المدرة : قطعة طين يابسة ، والمدى : جدول صمير يسيل فيه ما هريق من ماء البئر ، والمطيطة : الماء الحائر فى أسفل الحوض .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم لسوأم العازب ^(١) ، والوقير الكارب ^(٢) ، والمجدد الراكب ، والمشيح الحارِب ^(٣) ، لقد خَبَّاتُ نُفَاةً فَنَنْ ^(٤) ، في قَطِيعٍ قَدِ مَرَّ ^(٥) ، أو أديمٍ قَدِ جَرَّ ». قال : ما أخطأت حرفاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت ابن سعدِ النَّوَالِ ، عطاؤك سِجَالٌ ^(٦) ، وَشَرُّكَ عُضَالٌ ، وَعَمَدُكَ طَوَالٌ ، وَيَتُّكَ لَا يُنَالُ » .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بِنَفْنَفِ اللُّوحِ ^(٧) ، والماءِ المَسْفُوحِ ^(٨) ، والفضاءِ المَنْدُوحِ ^(٩) ، لقد خَبَّاتُ زَمَعَةً طَلَاءً أَعْفَرَ ^(١٠) ، في زِعْنَفَةٍ ^(١١) أديمٍ أحمر ، تحتِ حِلْسٍ نِضْوٍ أَدْبَرَ ^(١٢) » قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت عارف ذو اللسان العَضْبِ ، والقلبِ النَّدْبِ ^(١٣) ، وَالْمَضَّاءِ الغَرْبِ ^(١٤) ، مَنَاعِ السَّرْبِ ^(١٥) ، وَمُيَيْحِ النَّهْبِ » .

ثم قام مُرَّةُ بنِ عَبْدِ رُضَى ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بالأرضِ والسَّماءِ ، والبروجِ والأَنْوَالِ ^(١٦) ، والظَّاهِمَةِ والظُّيَاءِ ، لقد خَبَّاتُ دِمَّةً ^(١٧) ، في رِمَّةٍ ^(١٨) ، تحتِ مَشِيْطِلَمَةٍ ^(١٩) ». قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟

[١] السوام : المال الراعى من الإبل ، والعازب : البعيد . [٢] الوقير : القطيع من الغنم ، والكارب : القريب . [٣] المشيح : الجاد ، في لغة هذيل ، وفي غيرها الحاذر ، والحارب : السالب ، حربه حرباً كطلبه طلياً : سله ماله . [٤] النفاة : ماتفتنه من فيك ، والفنن : واحد أمدان الأشجار وهي أغصانها . [٥] القطيع : ما يقطع من الشجر ، ومرن وحرن : لان . [٦] أى متداول بين الناس ، لكل مريق منه نصيب . [٧] النفف واللوح واحد ، وهما الهواء وإنما أضاف لما اختلف اللغزان ، وكأنته أضاف الشيء إلى غيره . [٨] المصبوب . [٩] الواسع . [١٠] الطلاء : ولد الظبي ساعة يولد ، والصغير من كل شيء ، والأدفن من الطاء : ما يعلو بيأصه حمرة ، والزمعة : الشعرات المتبدلات في رجل الأرنب . [١١] زانف الأديم : أطرافه مثل اليدين والرجلين ، ومالا خير فيه جمع زعنفة بكسر الزاي والنون ، ومنه قيل لردال الناس الرعاف . [١٢] الحلس للبعير كالبرذعة للحافر ، والنضو : المهزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذى أصابه الدبر (بالتحريك) وهو قرحة الدابة . [١٣] الدكى . [١٤] الحد . [١٥] السرب بالفتح : المشاة كلها ، وبالكسر القطيع من الأطباء والنساء وغيرها . [١٦] الأنواء : جمع نوء (كسهم) النجم : مال للغروب . [١٧] الدمة : القملة . [١٨] الرمة : العظام الالاية . [١٩] اللمة : الشعر المجاوز لشحمة الأذن ، والمشيط : المشوط .

قال : « أنت مُرَّةٌ ، السريع الكُرَّة ، البَطِيءُ الفُرَّة ، الشديد المِرَّة (١) » .
 قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « وَالناظرِ من حيثُ
 لا يُرَى ، والسَّماعِ قبل أن يُنَاجِي ، والعالمِ بما لا يُدْرَى ، لقد عَنَّتْ لكم
 عُقابٌ مُعْجَزَةٌ (٢) ، في شِعَابِيبِ (٣) دَوْحَةِ جَرْدَاءَ ، تحملُ جَدلاً (٤) ، قماريتم (٥)
 إِمَائِدًا وإِمَارَجَلًا » فقالوا: كذلك ، ثم مه؟ قال : « سَتَحَ لكم قبل طُلُوعِ الشَّرْقِ (٦) ،
 سِيدُهُ أَمَقٌ (٧) ، على ماء طَرَقَ (٨) » قالوا : ثم ماذا؟ قال : « ثم تيس أفرق (٩) ،
 سَنَدَ في أُبْرُقِ (١٠) ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بين الوابِلة (١١) والمِرْفَقِ » .
 قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه . (الأمال ٢ : ٢٩٢)

٣٢٩ — حديث مصاد بن مدعور القيني

كَانَ مَصَادُ بْنُ مَدْعُورِ الْقَيْنِيِّ رَئِيسًا ، قَدْ أَخَذَ مِنْ بَاعِ (١٢) قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ
 ذَامَالًا ، فَذَدَّ ذَوْدَهُ (١٣) مِنْ أَذْوَادِهِ لَهُ ، فَخَرَجَ فِي بَغَائِهَا (١٤) ، قَالَ : فَإِنِّي لِنِي
 طَلَبُهَا ، إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا شَجِيرًا (١٥) كَشِيفَ الظَّلَالِ ، وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَيْنًا (١٦) ،
 فَأَنَحْتُ رَاحَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَعْتُ (١٧) بَعِيرِي ، وَاضْطَجَعْتُ

-
- [١] المرّة : اقوة . [٢] المعراء : التي ابيض ذنبا ، (وفي غير هذا الموضع : التي كبرت عجيزتها) .
 [٣] الشغائب جمع شغوب كمصفور وهو الغصن الناعم الرطب ، والريحّة : الشجرة العظيمة .
 [٤] الجدل : العصور وجمعه جدول . [٥] تجادلتم . [٦] الشرق : الشمس ، والرب تقول
 لا أفعل ذلك ماطلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . [٧] السيد : الذئب ،
 والأمق : الطويل . [٨] الطرق : الماء الذي بولت فيه الإبل ، يقال : ماء طرق ومطروق .
 [٩] الأفرق من الشاء : العيد ما بين خصبيه . [١٠] سند في الجبل : صعد ، والأبرق والبرقاء
 والبرقة كفرصة : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوان .
 [١١] الوابلة : رأس العضد الذي يلي النكب .
 [١٢] المربع : ربح النيمة ، وكان يختص به الرئيس في الجاهلية [١٣] ندّ : شرد ، والذود :
 ثلاثة أبرة إلى العشرة ، أو خمسة عشر ، أو عشرون ، أو ثلاثون [١٤] طلبها
 [١٥] كثير الشجر . [١٦] تمبأ وكلالا . [١٧] شددت رسغه

في بُرْدِي ، فإذا أَرْبَعُ جَوَارِ ، كأنهن اللآلئ ، يَرَعَيْنَ بَهْمًا لَهْنًا ، فلما خالطت عيني السَّنَةُ ، أقبلن حتى جلسن قريباً مني ، وفي كف كل واحدة منهن حَصِيَّاتٌ تَقْلِبْنَهُنَّ ، نَخَطَّتْ إِحْدَاهُنَّ ثُمَّ طَرَقَتْ ^(١) ، فقالت : « قلن يا بناتِ عَرَافِ ، في صاحبِ الجبلِ النِّيَّافِ ^(٢) ، والبُرْدِ الكُثَّافِ ^(٣) ، والجِرْمِ ^(٤) لِنُخْفَافِ ^(٥) » ، ثم طَرَقَتْ الثانية ، فقالت : « مُضِلُّ أذْوَادٍ عَلاَ كِدِ ^(٦) ، كُومِ صَلاخِيهِ ^(٧) . منهن ثلاثٌ مَقَاحِدِ ^(٨) ، وأربعٌ جَدَائِدُ ^(٩) ، سُشْفٌ صَمَارِدِ ^(١٠) » ، ثم طرقت الثالثة فقالت : « رَعَيْنِ الفَرَعِ ^(١١) ، ثم هَبَطْنَ الكَرَعِ ^(١٢) ، بين العَقْدَاتِ والجَرَعِ ^(١٣) » فقالت الرابعة : « لِيَهْبِطِ العَائِطِ الأَفْيَحِ ^(١٤) ، ثم ليظهرَ في المَلَا الصَّحَّصَحِ ^(١٥) ، بين سَدِيرٍ وَأَمْلَحِ ^(١٦) ، فهناك الذَّوْدُ رِتَاعٌ بِمَنْحَرِ الأَجْرَعِ » قال : فقدمت إلى جملي فشددت عليه رحله وركبت ، ووالله ما سألتهن مَنْ هُنَّ وَلَا يَمْنَنُ هُنَّ ؟ فلما أدبرت ، قالت إحداهن : « أَبْرَحُ ^(١٧) فَتَيَّ إِنْ جَدَّ فِي طَلْبِ ، فماله غيرهن نَشَبَ ^(١٨) ، وسيثُوبُ عَنْ كَثَبِ ^(١٩) ،

[١] الطرق : ضرب الكاهن بالخصي . [٢] جبل نياف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع .
 [٣] الكثيف . [٤] الجسد . [٥] الحفيف . [٦] أضل دابته : قددها ، والعلاكد : الصلاب الشداد جمع علكد (كجعفر وزبرج وقتند) . [٧] بدير أ كوم ، وناقه كوما : عظيمة السنم والجمع كوم ، والصلاخد : العظام الشداد ، واحدها صلاحد بانغم . [٨] المفاحد جمع مقحاد ، وهي الفليضة السنم (والفحدة كركبة : السنم أو أصله) . [٩] الحدائد جمع حدود كصبور : وهي التي انقطع لبنها [١٠] ششف جمع شاسف : وهر الياص صمرا وهزالا ، والسمارد جمع صمرد كزبرج : الفليلة اللين [١١] الفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل . [١٢] الكرع : ماء السماء ينزل يستنقع ، وسمى كرها لأن المشاية تكرر فيه . [١٣] العقيدات جمع نقدة : وهي مائة من الرمل ، والجرع جمع جرعة بالسكون وبحرك : للرملة إلهادية المنت لاوعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص لاينبت ، أو الكتيب جانب منه رمل وحانب حجارة كالأجرع والجرباء . [١٤] العائط : الطمئن من الأرض ، والأفيح : الواسع . [١٥] الملا : الفضاء ، والصحصح والصحصاح ولصحصحان : مااستوى من الأرض . [١٦] سدير وأملح : موضعان . [١٧] أشد . [١٨] المال الأصيل من الناطق والصامت . [١٩] يثوب : يرجع ، والكثب : القرب .

فَفَزَّعَ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلُهَا ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خَلَّفْتَ بَوَادِيَّ عَرَجًا
عُكَامِسًا^(١) ؟ فَرَكِبْتُ السَّمْتَ^(٢) الَّذِي وُصِفَ لِي ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ ،
فَإِذَا ذَوْدِي رَوَاتِعُ ، فَضْرَبْتُ أَعْجَازَهُنَّ ، حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى الْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِبِلِي ،
فَإِذَا الرِّعَاءُ تَدْعُو بِالْوَيْلِ ، فَقُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : أَغَارَتْ بَهْرَاءُ عَلَى إِبِلِكَ ،
فَأَسْحَقَتْهَا^(٣) ، فَأَمْسَيْتُ وَاللَّهِ مَالِي مَالٌ غَيْرُ الذُّودِ ، فَرَمَى اللَّهُ فِي نَوَاصِيهِنَّ
بِالرَّغْسِ^(٤) ، وَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَكْثَرُ بَنِي الْقَيْنِ مَالًا . (الأمل ١ : ١٤٣) .

٣٣٠ - حَدِيثُ خُنَافِرِ بْنِ التَّوَمِّ الْحَمِيرِيِّ مَعَ رَيْثَةَ شِصَارَ .

كَانَ خُنَافِرُ بْنُ التَّوَمِّ الْحَمِيرِيُّ كَاهِنًا ، وَكَانَ قَدِ أُوْتِيَ بَسْطَةً فِي الْجِسْمِ ،
وَسَعَةً فِي الْمَالِ ، وَكَانَ عَاتِيًا ، فَلَمَّا وَفَدَتْ وَفُودَ الْيَمِينِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوَضِعَ الْإِسْلَامَ ، أَغَارَ عَلَى إِبِلِ لِمُرَادٍ فَاسْتَحَبَّهَا ، وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَحَقَّقَ
بِالشَّجَرِ ، فَخَالَفَ جَوْدَانَ بْنَ يَحْيَى الْفِرْضَمِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا ، وَنَزَلَ بِوَادٍ مِنْ
أَوْدِيَةِ الشَّجَرِ ، مُخَصَّبًا كَثِيرَ الشَّجَرِ مِنَ الْأَيْكِ وَالْعَرِينِ^(٥) ، قَالَ خُنَافِرُ : وَكَانَ
رَيْثِي^(٦) فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَكَادُ يَتَغَيَّبُ غَنَى ، فَلَمَّا شَاعَ الْإِسْلَامَ فَقَدَّتْهُ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ ،
وَسَاءَنِي ذَلِكَ ، فَبَيْنَا أَنَا لَيْلَةٌ بِذَلِكَ الْوَادِي نَائِمًا ، إِذْ هَوَى هُوِيَّ الْعُقَابِ ، فَقَالَ :
خُنَافِرُ ؟ فَقُلْتُ : شِصَارُ ؟ فَقَالَ : اسْمِعْ أَقُولُ ، قُلْتُ : قُلْ أَسْمِعْ ، فَقَالَ : «عِهِ تَغْتَمُّ ،
لِكُلِّ مَدَّةٍ نِهَائَةٍ ، وَكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى غَايَةٍ ، قُلْتُ : أَجَلٌ ، فَقَالَ : كُلُّ دَوْلَةٍ إِلَى

[١] العرج : نحو حمالة من الإبل ، والكماس والعكاس : الكثير . [٢] الطريق .

[٣] استأصلها . [٤] الرغس : البركة والنماء .

[٥] الأيك : الشجر اللثغ الكثير ، والنبضة تنبت السدر والأراك ، أو الجماعة من كل الشجر ،

والعرين : جماعة الشجر . [٦] الرئي : ما يترأى للإنسان من الجن فيجب .

أجل ، ثم يُتَّاح لها حَوْلٌ^(١) ، أَنْتَسِخَتْ النَّحْلُ ، وَرَجَعَتْ إِلَى حَقَائِقِهَا الْمِلْلُ ،
 إِنَّكَ سَجِيرٌ^(٢) مَوْصُولٌ ، وَالنُّصْحُ لَكَ مَبْدُولٌ ، وَإِنِّي آأَسْتُ^(٣) بِأَرْضِ الشَّامِ
 نَفْرًا مِنْ آلِ الْعُدَامِ^(٤) ، حُكَّامًا عَلَى الْحَكَامِ ، يَذْبُرُونَ^(٥) ذَارِزَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ ،
 لَيْسَ بِالشَّعْرِ الْمُؤَلَّفُ ، وَلَا السَّجْعِ الْمُتَكَلَّفُ ، فَأَصْغَيْتُ فَرُجِرْتُ ، فَعَاوَدْتُ
 فَظُلِّفْتُ^(٦) ، فَقُلْتُ : بِمِثْمَيْنِمُونَ^(٧) ، وَالْأَمَّ تَعْتَرُونَ^(٨) ؟ قَالُوا : « خِطَابُ
 كِبَّارٍ^(٩) ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، فَاسْمِعْ يَا شِصَارُ ، عَنْ أَصْدَقِ الْأَخْبَارِ ،
 وَأَسْمَلِكِ أَوْضَحِ الْآثَارِ ، تَنْجِ مِنْ أَوَارِ^(١٠) النَّارِ » ، فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا الْكَلَامُ ، فَقَالُوا :
 « فُرْقَانٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، رَسُولٌ مِنْ مُضَرَ ، مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ ، ابْتُعِثَ فَظَهَرَ ،
 فَبَاءَ بِقَوْلٍ قَدْ بَهَرَ ، وَأَوْضَحَ نَهْجًا قَدْ دَثَرَ ، فِيهِ مَوَاعِظٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَمَعَاذِلُنْ
 أَزْدَجَرَ ، أَلْفَ بِالْأَيِّ الْكُبْرِ » ، قُلْتُ : وَمَنْ هَذَا الْمُبْعُوثُ مِنْ مُضَرَ ؟ قَالَ :
 « أَحْمَدُ خَيْرِ الْبَشَرِ ، فَإِنْ آمَنْتَ أُعْطِيتَ الشَّيْبَرَ^(١١) ، وَإِنْ خَالَفتَ أُصْلِيتَ سَقَرًا ،
 فَأَمَنْتَ يَا خَنَافِرَ ، وَأَقْبَلْتَ إِلَيْكَ أَبَادِرَ ، فَبِجَانِبِ كُلِّ كَافِرٍ ، وَشَايِعِ كُلِّ مُؤْمِنٍ
 طَآهَرَ ، وَإِلَّا فَهُوَ الْفِرَاقُ ، لَا عَن تَلَاقٍ » ، قُلْتُ : مِنْ أَيْنِ أَبْغِي هَذَا الدِّينَ ؟ قَالَ :
 مِنْ ذَاتِ الْأَحْرِيِّينَ^(١٢) وَالنَّفَرِ الْيَمَانِيِّينَ ، أَهْلُ الْمَاءِ وَالطِّينِ » ، قُلْتُ : أَوْضِحْ ،
 قَالَ : « الْحَقُّ يَبْتَرِبُ ذَاتِ النَّحْلِ ، وَالْحَرَّةُ ذَاتِ النَّعْلِ^(١٣) ، فَهِنَاكَ أَهْلُ الطُّوَلِ

[١] الحول : التحول . [٢] السجير : الصديق ، والشجير : الغريب ، وقيل يقال السجير
 والشجير للصديق . [٣] أبصرت . [٤] العدام : قبيلة من الجن ، كذا قيل .
 [٥] ذبرت الكتاب : قرأه (وذبرتة أيضا : كتبه كزبرته) . [٦] منعت .
 [٧] الهينة : الصوت الحى . [٨] تنسبون . [٩] كبير . [١٠] الأوار : حر النار .
 [١١] الهاشبر بالسكون : الخير وحرك للسجع . [١٢] الحرة (بالفتح) أرض ذات حجارة نخرة سود
 وتجمع على حرات وحرار وحررين وأحررين . [١٣] النعل : المكان الفليظ من الحرة .

والفضل ، والمواساةِ وَالْبَدَلِ ، ثم امْلَسَ^(١) عني ، فبت مذعوراً أراعي الصباح ،
فلما برق لي النور ، امتطيت راحتى ، وآذنتُ^(٢) أغبدي ، واحتملتُ بأهلى ،
حتى وَرَدْتُ الجَوْفَ ، فرددت الإبل على أربابها ، بِحَوْلِهَا وَسِقَايَهَا^(٣) ، وأقبلت
أريد صنعاء ، فأصبت بها معاذ بن جبل أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فبايعته على الإسلام ، وعلمني سُوراً من القرآن ، فنَّ الله على بالهدى بعد الضلالة ،
والعلم بعد الجهالة . (الأمل ١ : ١٣٣)

٣٣١ - شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
قديم على تبع الآخر ملك اليمى ، قبل خروجه لقتال المدينة^(٤) ، شافع بن
كليب الصدفي^(٥) ، وكان كاهناً ، فقال له تبع : هل تجد لقوم ملكا يوازي
ملكى ؟ قال : لا ، إلا ملك غسان ، قال : فهل تجد ملكا يزيد عليه ؟ قال :
« أجده لباراً مبرور ، ورائد^(٦) بالقهور^(٧) ، ووصف في الزبور ، فضلت

[١] أفك . [٢] أعلمت . [٣] الحول جمع حائل وهى الأثني من أولاد الإبل ، والسقاب جمع
سقب كشمس وهو الذكر .

[٤] قال ابن إسحق : « كان تبع الآخر حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على
على المدينة ، وكان حين مر بها في بدايته لم يهجم أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غيلة ، فقدمها
وهو يجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك وخرجوا لقتاله ، فترجم الأنصار
أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار وبقرونه بالليل ، فيعجه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام ، فبينما هو
على ذلك إذ جاءه حبران من أبحار اليهود من بنى قريظة عالمان راسخان في العلم ، فقالا له : قد سمعنا
ما تريد أن تفعل ، وإنك إن آبيت إلا ذلك ، حيل بينك وبينه ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال :
ولم ذلك ؟ قال : إنها مهاجر (بفتح الجيم) نبي يخرج من هذا الحرم من قريش تكون داره وقراره ،
فانتهى عما كان يريد ، وأعجبه ما سمع منهما ، واتبعهما على دينهما ، وكان هو وقومه أصحاب أوثان ، وخرج
متوجهاً إلى اليمى ، فدعا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه ، ثم أطبقوا على دينه ، فمن هنالك وعن ذلك كان
أصل اليهودية باليمى (سيرة ابن هشام ١ : ١١ ، والكمال لابن الأثير ١ : ١٤٦) .

[٥] الصدفي نسبة إلى صدف كسكتف : بطن من كندة . [٦] الرائد في الأصل : المرسل في طلب
الكلام من الرد وهو الطلب ، يعنى به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رائداً لأمته يرتاد لها الخير
قال عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه : « إن الرائد لا يكذب أهله » .
[٧] جاء في معجم البلدان : « القهر (كشمس) أسافل الحجاز مما يلي نجد من قبل الطائف ،

أُمَّتِهِ فِي السُّفُورِ^(١) ، يَفْرَجُ الظُّلْمَ بِالنُّورِ ، أَحْمَدُ النَّبِيِّ ، طَوَّبَ لِأُمَّتِهِ حِينَ يَجِي ،
أَجْدُ بَنِي لُؤَيٍّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي قُصَيٍّ .

فَنظَرَ تَبِعَ فِي الزُّبُورِ ، فَإِذَا هُوَ يَجِدُ صِفَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦)

٣٣٢ - سَطِيحُ الذَّنْبِيِّ^(٢) يَعْبُرُ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بِنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ

وَرَأَى رَبِيعَةَ بِنَ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ مَلِكِ الْيَمَنِ - وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ تَبْعِ الْآخِرِ - رُؤْيَا
هَالَتْهُ ، فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا ، وَلَا سَاحِرًا ، وَلَا عَاطِفًا ، وَلَا مَنْجِمًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا
جَمَعَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَفَطَمْتُ^(٣) بِهَا ، فَأَخْبَرُونِي
بِهَا وَتَأْوِيلَهَا ، قَالُوا لَهُ : افْضُضْهَا عَلَيْنَا نَخْبِرَكَ بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتَكُمْ
بِهَا لَمْ أَطْمَئِنُّ إِلَى خَبَرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ

وَأُنشِدَ لِحَدَاشِ بْنِ زُهَيْرٍ :

دَعُوا جَانِبِي ، إِنِّي سَأُزِلُّ جَانِبًا لَكُمْ وَاسْمًا بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْقَهْرِ

وَأَقُولُ : هَذَا الْوَصْفُ يَنْطَبِقُ عَلَى مَكَّةَ فَهِيَ رَاقِعَةُ جَنُوبِ الْحِجَازِ . . . الخ فالعنى : « أجْدُ مَلِكًا يُزِيدُ عَلَى
مَلِكِكَ لِرَأْدٍ يَظْهَرُ بِتِلْكَ الْفِتَاحِ » أَمَا كَلِمَةُ الْقَهْرِ فَلَمْ أَجِدْهَا فِي مَعْنَمَ ، وَلَمَّا لَكَا هُنَّ جَمْعُ « الْقَهْرِ »
عَلَى قَهْوَرٍ ، لِإِقَامَةِ الْفَاصِلَةِ ، أَوْ هُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

يَزِلُّ الْفَلَاحَ الْحَفَّ عَنْ صِهْوَاتِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَرِلِ

[١] السَّفَرُ (كَحَمَلِ) الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، أَوْ جُزْءٍ مِنْ أَجْرَاءِ التُّورَاتِ ، وَفِي كِتَابِ اللَّعْنَةِ أَمَّا تَجْمَعُ عَلَى
أَسْفَارٍ ، وَلَمَّا جَمَعَهَا عَلَى سَفَرٍ لِلْمَحَافِظَةِ عَلَى السَّجْعِ أَيْضًا .

[٢] اسْمُهُ رَبِيعُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازَنِ بْنِ ذُنُبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ مَازَنِ غَسَّانٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الذَّنْبِيُّ
نِسْبَةً إِلَى ذُنُبِ بْنِ عَدِيِّ ، وَكَانَ مِنَ الْمَعْرُومِينَ قَبْلَ طَاشِ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَقِيلَ سَبْعَمِائَةً ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ
رَأْسٌ وَلَا عُنُقٌ ، وَأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ فِي صَدْرِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ جَسَدًا مَلْتَقِي لَاجُورَاحٍ لَهُ ، وَكَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى
الْجُلُوسِ إِلَّا إِذَا غَضِبَ ، فَإِنَّهُ يَنْتَفِخُ فَيَجْلِسُ ، وَكَانَ لَهُ سُرِيرٌ مِنَ الْجَرِيدِ وَالْحَوْصِ ، إِذَا أُرِيدَ نَقْلُهُ إِلَى مَكَانٍ
يَطْوَى مِنْ رِجْلَيْهِ إِلَى جِجْجِيَّتِهِ كَمَا يَطْوَى الثُّوبَ فَيُوضَعُ عَلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ ، وَإِذَا أُرِيدَ اسْتِخْبَارُهُ لِيَجْزُرَ عَنْ
الْمَغِيْبَاتِ يَحْرُكُ كَمَا يَحْرُكُ سَقَاءُ الْإِبْنِ فَيَنْتَفِخُ وَيَمْتَلِئُ وَيَبْلُغُهُ النَّفْسُ فَيَسْأَلُهُ فَيَجْزُرُ هُمَا يَسْأَلُهُ عَنْهُ ، (كَذَا)
وَأَنَّ كَاهِنَةَ بَنِي سَعْدِ بْنِ هَذِيمٍ وَكَانَتْ بِأَعْلَى الشَّامِ لَمَّا حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ طَلَبَتْ سَطِيحًا وَسَقَا (وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ)
وَتَمَلَّتْ فِي فَهْمِهَا ، وَذَكَرَتْ أَنَّ سَطِيحًا يَخْلِفُهَا فِي كَهَاتِبَتِهَا ، ثُمَّ مَاتَتْ فِي يَوْمِ ذَلِكَ .

[٣] فَطَعَ بِالْأَمْرِ كَمَرَحِ فِطَاعَةٍ : إِذَا هَالَهُ وَغَلَبَهُ .

أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا ، فليبعث إلى سَطِيحٍ وشِقِّ ، فإنه ليس أحد أعلم منهما فيها ، يُخْبِرَانِهِ بما سأل عنه ، فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيحٌ قبل شِقِّ ، فقال له : إني قد رأيت رؤيا هالتني وفَطَعْتُ بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصَبْتَهَا أصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قال : أفعل « رأيت مُحَمَّةً ^(١) ، خرجت من ظَاهِمَةٍ ^(٢) ، فوَقَعَتْ بأَرْضِ تَهْمَةٍ ^(٣) ، فأكَلَتْ منها كلَّ ذاتِ مُجْجَمَةٍ ^(٤) » ، فقال له المَلِكُ : ما أخطأتَ منها شيئاً يا سَطِيحٍ ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : « أَحْلِفُ بما بين الحَرَّتَيْنِ ^(٥) من حَشَشٍ ، لِيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمْ الحَبَشُ ، فَلْيَمْلِكَنَّ ما بين أُبَيْنَ ^(٦) إلى جُرَشِ ^(٧) » فقال له الملك : وأبيك يا سَطِيحٍ . إن هذا لنا لغائظٌ مُوجِعٌ ، فمتى هو كائنٌ ، أفي زمانِي هذا أم بعده ؟ قال : « لا ، بل بعده بَحِينٍ ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين » قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : « لا ، بل ينقطع لبِضْعِ وسبعين من السنين ، ثم يُقْتَلُونَ بها أجمعين ، ويخرجون منها هارين » قال : ومن يَلِي ذلك مِنْ قَتْلِهِمْ وإِخْرَاجِهِمْ ؟ قال : « يليه إِرْمٌ ^(٨) ذِي يَزَنٍ ، يخرج عليهم من عَدَنٍ ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ، قال : ومن يقطعُه ؟ قال نبي زَكِيٌّ ، يأتيه الوحي من قِبَلِ العَلِيِّ «

[١] الجملة وتجميع على حم : الفحمة والرماد وكل ما احترق من النار ، وتطلق الجملة على الجمر مجازاً باعتبار ما يؤول إليه وهو المراد هنا . [٢] الظلمة : الطلام ، وسترى في تفسير الرؤيا أنها إشارة إلى الأحباش السود . [٣] التهمة بالتحريك : الأرض المنصوبة إلى البحر ، كالتهم محرمة أيضاً كأنهما مصدران من تهامة ، لأن التهام منصوبة إلى البحر (ويقال أيضاً : أرض تهمة كفرحة أي شديدة الحر ، من التهم بالتحريك وهو شدة الحر) وفي ابن الأثير « بهمة » بالباء يقال : أرض بهمة كفرحة أي كثيرة البهيمى ، والبهيمى بالضم اسم نبت ، والضبط الأول عندى أرجح . [٤] أي كل نفس . [٥] الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، [٦] مخلاف باليمن منه مدينة عدن . [٧] مخلاف باليمن من جهة مكة . [٨] الإرم كعنب وكتف : العلم (بالتحريك) أو خاص بعاد ، والعلم سيد القوم ، أي يتولاه سيد بني ذى يزن ، وهو سيف بن ذى يزن .

قال : وممن هذا النبي ؟ قال : « رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر » قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : « نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يَسْعَدُ فِيهِ المحسنون ، ويشقى فِيهِ المسيئون » .
قال : أَحَقُّ ما تُخبرنا يا سطيح ؟ قال : « نعم ، والشَّفَقِ ، وَالنَّسَقِ ^(١) ، وَالْفَلَقِ ^(٢) إذا انشقَّ ، إن ما أنباتك به لحقَّ » .

٣٣٣٠ - شق أنمار ^(٣) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

ثم قدم عليه شقٌّ ، فقال له كقولهِ لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقا أم يختلفان ، قال : « نعم ، رأيت مُحمَّةً ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كلَّ ذات نَسَمَة » . فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت يا شقُّ منها شيئاً ، فاعندك في تأويلها ؟ قال : « أَحْلِفُ بِمَا بين الحرَّتين من إنسان ، لَيَنْزِلَنَّ أرضكم السودانُ ، فليَغْلِبَنَّ على كلِّ طفلة ^(٤) البنان ، وليَمْلِكَنَّ ما بين أبين إلى نجران ^(٥) » . فقال له الملك : وأبيك يا شقُّ ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع ، فتى هو كائن : أفى زمانى أم بعده ؟ قال : « لا ، بعده بزمان ، ثم يستنذكم منهم عظيم ذوشان ، ويؤدِّيهم أشدَّ الهوان » قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : « غلام ليس بدني ولا مدن ^(٦) ، يخرج عليهم من

[١] الشفق : الحمرة في الأفق من الروب إلى قريب العتمة ، والنسق : ظلمة أول الليل .

[٢] الفلق : الصبح أو ما انفتق من عموده . [٣] هو شق بن مصعب بن بشكر بن رم بن أفلز ابن قيس بن عجر بن أنمار بن نزار ، وزعموا أنه كان شق إنسان (أى نصفه) له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة . [٤] مؤنث طفل : وهو الرخص الناعم من شيء . [٥] مخلاف شمالى اليمن .

[٦] اللقي : مسهل عن دنى ، والمدنى : المقصر مما ينبغي له أن يفعله ، وفي ابن الأثير « مرن »

بالزاي والمزن : المنهم ، من أزننته بكدا أى اتهمته به .

بيت ذى يَزَن^(١) « قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرْسَل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون المُلْكُ في قومه إلى يوم الفَصَل » . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : « يوم تُجْزَى فيه الولاية ، يدعى فيه من السماء بِدَعَوَاتٍ ، يسمع منها الأحياء والأموات ، وَيُجْمَع فيه بين الناس لِلْمِيقَاتِ ، يكون فيه لمن اتقى الفوزُ والخيراتُ » قال : أحقُّ ما تقول ؟ قال : « إِي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وما بينهما من رَفَعٍ وَخَفَضٍ ، إِنْ ما أنبأتك به لحقٌ ما فيه أَمْضُ^(٢) »

فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له سابور فأسكنهم الحيرة ، فمن بقية ولده النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر .
(سيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكمال لابن الأثير ١ : ١٤٦)

٣٣٤ — وفود عبد المسيح بن بقبيلة على سطيح

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

« لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتجج إيوان كسرى ، فسقطت

[١] وخبر ذلك أن زرعة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك التباينة باليمن (وكان قد تمود وتمصب لليهودية وحل عليها قبائل اليمن) اصطحب نصارى نجران لأن يهوديا بنجران عدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً ، فتوسل إلى ذى نواس باليهودية ، واستنصره عليهم ، فخمى له ولديه وغزام ، ويقال إن رجلا من أهل نجران أملت من القتل ، وسار إلى قيصر الروم يستنجد على ذى نواس ، فبعث قيصر إلى نجاشي الحبشة يأمره بنصرة النصارى ، فجهز جيشاً إلى اليمن ، فركبوا البحر إليها ، ولقيهم ذو نواس فيمن معه فدارت الدائرة عليه ، وملك الحبشة اليمن ، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج سيف بن ذى يزن الحميري وقدم على قيصر يوستنيان يستنجد على الحبشة فأبى ، وقال : 'الحبشة على دين النصارى ، فرجع إلى كسرى أبوشروان واستعانه ، فأمدته بجيش ممن كانوا في سجنه ، فقاتلوا الأحباش وهزمهم ، واسترد سيف عرش آبائه على فريضة يؤديها كل عام للفرس حتى قتل ، فأرسل كسرى عاملاً على اليمن واستمرت عماله إلى أن كان آخرهم باذان فأسلم ، وصارت اليمن إلى الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . [٢] أى شك أو باطل .

منه أربع عشرة شُرْفَة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كَانَ أوشك أن كتب إليه صاحب اليمين يخبره أن بحيرة ساوة ^(١) غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادي السماوة ^(٢) انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طَبْرِيَّة أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران تَحَمَدت تلك الليلة ، ولم تَحْمَد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال الموبدَان ^(٣) : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتي ، قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد اقتحمت دِجْلَة وانتشرت في بلادنا ، قال : رأيت عظيماً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة يوجّه إليك رجلاً من عامائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحِذَان ، فبعث إليه عبد المسيح بن مَبْقِيَلَة العَسَانِي ، فاما قَدِم عليه أخبره كسرى الخبر ، فقال له : أيها الملك ، والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن جهّزني إلى خال لي بالشام يقال له سَطِيح قال : جهزوه ، فاما قَدِم إلى سطّيح وجده قد أحتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكله فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أَصْمٌ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ يَا فَاصِلَ الْخَطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ ^(٤)

أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَيْضُ فَضْفَاضِ الرَّدَاءِ وَالْبَدَنْ ^(٥)

[١] هكذا في القدر الفريد ، وفي السيرة الحلبية « وورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالتمام) يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة » وفي معجم البلدان : « ساوة مدينة حسنة بين الرى وهمدان في وسط ، بينها وبين كل واحد من همدان والرى ثلاثون فرسجاً ، وفي حديث سطّيح في أعلام النبوة : « وحدث نار فارس ، وطارت بحيرة ساوة . . . الخ » ومنه يستفاد أنها في فارس .

[٢] موضع بين الكوفة والشام . [٣] الموبدان والملويد : فقيه العرس وحاكم الجوس .

[٤] الفطريف : السيد الشريف . [٥] الفضفاض : الواسع .

رسول قبيلِ الْمُعْجَمِ يَهُودِيٍّ لِلوَثْنِ لَا يَزْهَبُ الرَّعْدُ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ (١)
 فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جبل مُشِيح (٢) ، إلى سَطِيح ، وقد
 أوفى على الضَّرِيح (٣) ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود
 النيران ، ورؤيا الموبدَّان ، رأى إبلا صعباً ، تقود خَيْلاً عَرَاباً ، قد اقتحمت في
 الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة (٤) ، وظهر
 صاحبِ المِراوة (٥) ، وفاضَ وادي السماوة ، وَغاضَتَ بحيرة ساوة ، وخذت
 نار فارس ، فليست بابل للفرس مُقَاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم
 ملوك وَمَلِكَات (٦) ، عدد ستقوط الشُّرُفَات ، وكل ما هو آت آت » ثم قال :
 إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَاراً دَهَارِيْرُ (٧)
 مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بَهْرَامُ وَإِخْوَتُهُ وَالْهَرْمُزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
 فَرَبَعًا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوَّاهُمْ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ (٨)
 حَثُّوا الْمَطِيَّ وَجَدُّوا فِي رِحَالِهِمْ فَمَا يَقُومُ لَهُمْ سَرْجٌ وَلَا كُورُ (٩)
 وَالنَّاسُ أَوْلَادَ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَحَقَّتُورُ وَمَهْجُورُ (١٠)
 وَالخَيْرَ وَالشَّرَّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنِ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

[١] القبيل : الملك ، أو هو دون الملك الأعلى . [٢] حادّ سريع . [٣] أى القبر ، والمراد الموت . [٤] أى تلاوة القرآن . [٥] المِراوة : العصا الضخمة ، وصاحبها هو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه . [٦] قال صاحب الـديرة الحلبية : « لم أفهم على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وهى بوران ، ملكت سنة ثم هلكت » .
 [٧] أفرطهم : تركهم وزال عنهم ، قال تعالى : « لَا جَرَمَ أَنْ هُمُ النَّبَأُ ، وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ »
 أى متروكون فيها ، ودهر دهارير : أى شديد (كناية ليلاء ويوم أيوم . [٨] المهاصير جمع مهصار أو مهصير وهو الأسد من الهصر وهو الكسر والجذب والإمالة . [٩] الكور : الرجل بأداته .
 [١٠] أولاد العلات : أولاد أمهات شتى من رجل واحد .

ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطیح فغمه ذلك ، ثم تعزى ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر من هلك منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(العقد الفريد ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلبية ١ : ٧٠ ، والمختصر في أخبار البشر لأبي العلاء ١ : ١١٠)

٣٣٥ - شق وسطیح ينبئان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كَانَ قَسِيٌّ - وهو ثَقِيفٌ ^(١) - مَقِيماً بِالْبَيْتِ ، فَضَاقَ عَلَيْهِ مَوْضِعُهُ وَنَبَأَ ^(٢) بِهِ ، فَأَتَى الطَّائِفَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مَنَازِلَ فَهَمَّ وَعَدَّوَانَ بَنِي عَمْرٍو وَبَنِي قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ ، فَاتَّهَى إِلَى الطَّرْبِ الْعَدَّوَانِي ، فَوَجَدَهُ نَائِماً تَحْتَ شَجَرَةٍ فَأَيْقَظُهُ ، وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الطَّرْبُ ، قَالَ : عَلَى أَلِيَّةٍ ^(٣) ، إِنْ لَمْ أَقْتَلْكَ ، أَوْ تَحْلِفْ لِي لَتَزُوجَنِي ابْنَتَكَ ، فَفَعَلَ ، وَانصَرَفَ الطَّرْبُ وَقَسِيٌّ مَعَهُ ، فَالْقِيَهُ ابْنُهُ عَامِرُ بْنُ الطَّرْبِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا مَعَكَ يَا أَبَتِ ؟ فَقصَّ قِصَّتَهُ ، قَالَ عَامِرُ : اللَّهُ أَبُوهُ ! انْقَدَ ثَقِيفٌ ^(٤) أَمْرَهُ ، فَسُمِيَ يَوْمَئِذٍ ثَقِيفاً ، وَغَيْرَ الطَّرْبِ بِتَزْوِيجِهِ قَسِيّاً ، وَقِيلَ زَوْجَتُ عَبْدِ ، فَسَارَ إِلَى الْكُهَّانِ يَسْأَلُهُمْ ، فَاتَّهَى إِلَى شِقِّ بْنِ مُضْعَبِ الْبَجَلِيِّ ، وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُ إِلَيْهِ قَالَ : إِنْ أَدَّ جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ فَمَا هُوَ ؟ قَالَ : « جِئْتُمْ فِي قَسِيٍّ ، وَقَسِيٌّ عَبْدٌ إِيَادٍ ، أَبَتِي ^(٥) لَيْلَةَ الْوَادِ ، فِي وَجْهِ ^(٦) »

[١] هو أبو الفيلة المشهورة ، وهو ثقيف بن منه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر ، وقد اختلف النسابون في نسب ثقيف ، فقال قوم : لهم من هوازن ، وهو القول الذي يزعمه الثقيفون ، وعليه جمهور الناس ، ويرعم آخرون أن ثقيفاً من إباد بن نزار بن معد بن عدنان ، وأن النجع أخوه لأبيه وأمه ، ثم افترقا ، فصار أحدهما في عداد هوازن والآخر في عداد مذحج ، وقال قوم آخرون إن ثقيفاً من بقايا نمود من المرسد القديمة التي نادت وانقرصت . قال الحجاج على المنبر : يزعمون أنا من بقايا نمود فقد كذبهم الله بقوله : « وَنَمُودٌ مِمَّا أَبْتَقَى » وقال مرة أخرى : وانث كنا من بقايا نمود لما نتجنا مع صالح إلا خيارهم - اقرأ كلمة عن نسب ثقيف في شرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ٣٩٢ ، والعقد الفريد ٣ : ٨ ، والاعراب ٤ : ٧٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٣٣ . [٢] نبأه منزله : لم يوافقته . [٣] الألية : اليمين . [٤] ثقف ككرم وفرح صار حادقاً خفيفاً قطعاً وثقف الشيء كفرح : ظمربه . [٥] هرب . [٦] وج : اسم واد بالطائف .

ذاتِ الأنداد ، فوالى سعداً ليفاد ، ثم لوى بغير معاد « يعنى سعد بن قيس ابن عيلاًن بن مضر ، ثم توجه إلى سطيح الذئبي حتى من غسان - ويقال إنهم حتى من قضاة ثُرول في غسان - فقالوا : إنا جئناك في أمر فما هو ؟ قال : « جئتم في قسى ، وقسى من ولد ثمود القديم ، ولدته أمه بصحرَاء تريم^(١) ، فالتقطه إياد وهو عديم ، فاستعبده وهو مليم^(٢) » ، فرجع الضرب وهو لا يدرى ما يصنع في أمره ، وقد وكّد عليه في الحلف والتزويج ، وكانوا على كفرهم يؤفون بالقول ، فلهذا يقول من قال إن ثقيفاً من ثمود ، لأن إياداً من ثمود .

(الأغانى ٤ : ٧٥)

٣٣٦ — تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقيفين إلى عزي سلمة الكاهن كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له : ذو الهرم^(٣) ، فغلبه عليه خنْدِف بن الحارث التَّقِيّ ، فنافرهم عبد المطلب إلى عزي سلمة الكاهن - أو إلى نُفَيْل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب^(٤) - فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج الثقيفون مع صاحبهم ، وحربُ بن أمية معهم على عبد المطلب ، فنقد ماء عبد المطلب ، فطلب إليهم أن يسقوه ، فأبوا ، فبلغ العطش منه كل مَبْلَغ ، وأشرف على الهلاك ، فبينما عبد المطلب يُشِير بعيره ليركب ، إذ فجّر الله له عيناً من تحت جرائه ، فحمد الله وعلم أن ذلك منه ، فشرب وشرب أصحابه ريّهم ، وترودوا منه حاجتهم ، ونقد ماء الثقيفين ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم ، فقال له ابنه الحارث لآئحنيين

[١] رام يريم ريماً : تباعد . [٢] ألام فهو مليم : آنى مايلام عنه

[٣] ضبطه في القاموس المحيط بفتح فسكون ، والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع الآتية

[٤] وصارة معجم يافوت : « فنافرهم عبد المطلب إلى الكاهن الفضاعي وهو سلمة بن أبي حية : فخرجوا إليه إلى الشام » .

على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فقال عبد المطلب : لا ستقيهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ، ثم انطلقوا ، حتى أتوا الكاهن ، وقد خبئوا له رأس جرادة ، في خُرْزَةِ مَزَادَةٍ ^(١) ، وجملوه في قِلَادَةٍ كَابٍ لهم يقال له سَوَّار ، فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بَحْرَجًا ^(٢) كتأهما ترعم أنه ولدها ، ولدتا في ليلة واحدة ، فأكل النمرُ أحد البَحْرَجين ، فهما ترَءَمان ^(٣) الباقي ، فلما وقفتا بين يديه . قال الكاهن : هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان ؟ قالوا : لا . قال الكاهن : « ذهب به ذوجسدٍ أَرْبَدٍ ^(٤) ، وشِدْقٍ مُرْمَعٍ ^(٥) ، وناب مُعَلِقٍ ^(٦) ، ما للصغرى في ولد الكبرى حقٌ » ففضى به للكبرى ، ثم قال ما حاجتكم ؟ قالوا : قد خبئنا لك خَبْنًا ، فأنبئنا عنه ، ثم نخبرك بما جئنا ، قال : « خبئتم لي شيئًا طَارَ فسطع ، فتصوَّب فوقع ، في الأرض منه بُقَع ، فقالوا : لآدِه ، أى يَبْتِه . قال : « هوشىء طار ، فاستطار ، ذو ذَنَبٍ جَرَّار ، وساق كَالْمُنْشَار ، ورأس كَالْمَسْمَار » فقالوا : لآده ، قال : « إن لآده فَلَادَه ^(٧) ، هو

[١] المرادة : الراوية ، والحُرْزَة : السير يخرز به .

[٢] الخرج : ولد القرة . [٣] رُمْتُ ولدها : عطف عليه ولزمته . [٤] من الريدة (كصفرة) : لون إلى الغبرة . [٥] رمع كنع ربعانا (بالتحريك) وترمع : تحرك واضطرب ، وقوله مرمع : اسم فاعل من رمع المضعف ، يشير إلى أنه مفترس كاسر . [٦] من أعلق الصائد إذا عاق الصيد في جباته أى نشب . [٧] روى ابن الأعرابي لإلاده فلاده ساكن الهاء ، ويربى لإلاده فلاده مكسور الهاء منومة ، فال ياقوت ومجمعه : « يقول إن لم يكن قولى بياناً فلا بيان » وقال الخنصرى في المستصوي : « إن لآده فلاده بفتح الدال ويكسر ، وهى كلمة فارسية مماها الضرب قد استعملتها العرب في كلامها ، وأصله أن الموتور كان يلقي واتره فلا يمرض له فيقال له ذلك ، والمعنى إيك إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبداً ، والتقدير إن لا يكن ده فلا يكون ده أى إن لا يوجد صرب الساعة ، فلا يوجد صرب أبداً ، ثم اتسعوا فيه ، فضربوه مثلاً في كل شيء لا يقدم عليه الرجل ، وقد حان حينه ووجب إحداثه من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأمور التى لا يسوغ تأخيرها . » وقال المنذرى : « قالوا منناه لإلاده فلا هذه ، يعنى أن الأصل لإلاده فلآذه بالذال المعجمة ، فعربت بالذال غير المعجمة كما قالوا يهودا ثم عرب ففعل يهودا .

رأس جرادة ، في خُرَزْمَزَادَة ، في عُتُق سَوَارِ ذِي الْقِلَادَة ، قالوا : صدقت ، فأخبرنا فيمِ اختصمنا إليك ؟ قال : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلْمِ ، وَالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ ، أَنْ الْمَالُ ذَا الْمَهْرَمِ ، لِلْقُرَشِيِّ ذِي الْكِرَمِ » ، ففُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَرَجِعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ عَلَى حَكْمِهِ . (مجمع الأمثال ١ : ٣٠ ، ومعجم البلدان ٨ : ٤٦٠)

*
*

وروى الجاحظ لعزى سامة أنه قال :

« وَالْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ، وَالْعُقَابُ وَالصَّقَعَاءُ ^(١) ، وَاقِعَةٌ بَيْقَعَاءُ ^(٢) ، لَقَدْ نَفَرَ الْمَجْدُ بَنِي الْعُشْرَاءِ ^(٣) ، لَاهِجِدَ وَالسَّنَاءُ ^(٤) » . (البيان والتبيين ١ : ١٥٩)

٣٣٧ - ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم
وَلِيَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمِ السَّقِيَاءَ وَالرَّفَادَةَ بَعْدَ عَمِّهِ الْمَطْلَبِ ، وَشَرَفَ فِي قَوْمِهِ ، وَعَظَّمُ شَأْنَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَفَرَ زَمْزَمَ ، وَهِيَ بئرُ إِسْمَاعِيلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، الَّتِي أَسْقَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ جُرْهُمُ قَدْ دَفَنَتْهَا ^(٥) ، وَكَانَ سَبَبَ حَفْرِهَا إِيَّاهَا أَنَّهُ قَالَ :

« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ بِالْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ : احْفَرِ طَيْبَةً ، قُلْتُ : وَمَا طَيْبَةٌ ؟ فَذَهَبَ وَتَرَكَنِي ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنَمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ :

[١] الصقعة بالصم : بياض في وسط رءوس الطير وغيرها ، وهو أصقع ، وهي صقعاء (والصقعاء أيضاً الشمس) . [٢] البقعاء : اسم ماء . [٣] إلعشراء : قوم من فرارة ، ونفره عليه : قضى له عليه بالغلبة . [٤] السناء : الرعدة .

[٥] وذلك أن جرهما لما استحققت بأمر البيت الحرام ، وارتكبوا الأمور العظام ، قام فيهم رئيسهم مصاص بن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يراعوا ، فلما رأى ذلك منهم عمد إلى غزالين من ذهب كانا في الكعبة وما وجد فيها من الأموال أى السيوف والدروع التي كانت تهبى إليها ، ودفنها في بئر زمزم ، وكانت قد نصب ماؤها فخرها مصاص بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها ذلك وطم البئر ، وما زالت مطموهه إلى زمن عبد المطلب .

احفرِ بَرَّةً ، قلت : وما بَرَّةٌ ؟ فذهب وتركني ، فلما كَانَ من الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفرِ المذنونة ، قلت : وما المذنونة ؟ (١) فذهب عني ، فلما كَانَ الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفرِ زمزم ، إنك إن حَفَرْتَهَا لَا تَنْدَم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : « تَرَأَتْ مِنْ أَيْكِ الْأَعْظَمِ ، لَا تُتَزَفُ أَبَدًا وَلَا تُدَمَّمُ » (٢) ، تَدَقُّ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ ، مثل نَعَامٍ جَافِلٍ لَمْ يُقْسَمِ (٣) ، يَنْدِرُ فِيهَا نَازِرٌ مُنْعَمٍ ، تكون ميراثًا وَعَقْدٌ مُحْكِمٍ ، ليس كـبعض ما قد تعلم ، وهي بين الفَرثِ والدم (٤) ، عند نُقْرَةِ الْغَرَابِ الْأَعْصَمِ (٥) ، عند قَرْيَةِ النَّمْلِ .

فلما بَيَّنَّ له شأنها، ودله على موضعها، وعرف أنه قد صدق ، غدا بِمَعُولِهِ ومعه ابنه الحارث ليس له ولد غيره ، فحفر بين أساف ونائلة، في الموضع الذي تنحرف فيه قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقر هناك ، فلما بدا له الطوى (٥) كَبُرَ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠)

خطب الكواهن

٣٣٨ - الشعثاء الكاهنة تصف سبعة إخوة

كانت عَثْمَةُ بنتُ مطرود البَجَلِيَّةِ ذات عقل ورأى مُسْتَمَعٌ في قومها ، وكانت

[١] طيبة ، وبرة ، والمذنونة : أسماء لرمزم . [٢] نزلت البئر : نزلت كثرزت بالصم ، وبثدمة بالفتح وذميم وذبيحة قليلة الماء لأنها تدم . [٣] جفل النعام : أسرع وذهب في الأرض ، ولم يقسم : لم يفرق . [٤] أى في محلها ، والفَرث : السرجين في الكرش ، وذلك بين إساف ونائلة ، (وأساف ككتاب وسحاب : صنم وضعه عمرو بن لحي على الصفا ، ونائلة على المروة تجاه الكعبة) ، وكانت قريش تهجم عندهما ذابحها التي تقرب بها . [٥] الأعصم : قيل أحمر المتقار والرجلين ، وقيل أبيض البطن ، وقيل أبيض الجاحب ، وقيل أبيض إحدى الرجلين . [٦] الطوى : البئر .

لها أخت يقال لها خَوْدٌ، وكانت ذات جمال ومِيسَمٌ^(١) وعقل، نخطب سبعة إخوة غلّمة من بطن الأزْد خودا إلى أبيها، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية، وتحتهم النجائب الفُرّه^(٢)، فقالوا: نحن بنو مالك بن غَفِيْلَةَ ذِي النَّحْيَيْنِ، فقال لهم: انزلوا على الماء، فنزلوا إليهم، ثم أصبحوا غَادِيْنَ فِي الْحُللِ وَالْهَيْئَةِ، ومعهم رَيْبَةُ^(٣) لهم يقال لها الشّعَاءُ: كَاهِنَةٌ، فَرَّوْا بِوَصِيْدِهَا^(٤) يتعرضون لها، وكلهم وسيم جميل، وخرج أبوها، فجلسوا إليه، فرحّبَ بهم، فقالوا: بلغنا أن لك بنتاً، ونحن كما ترى شباب، وكلنا يمتنع الجانب، وَيَمْنَحُ الرَّاغِبَ، فقال أبوها: كلكم خيار، فأقيموا نرى رأينا، ثم دخل على ابنته، فقال: ما ترين، فقد أتاك هؤلاء القوم؟ فقالت: «أُنْكِحْنِي عَلَى قَدْرِي، وَلَا تَشْطُطْ فِي مَهْرِي، فَإِنْ تُحْطِئْنِي أَحْلَامُهُمْ، لَا تُحْطِئْنِي أَجْسَامُهُمْ، لَمَلِي أُصِيبُ وُلْدًا، وَأَكْثَرُ عَدَدًا» فخرج أبوها، فقال: أخبروني عن أفضلكم.

قالت ربيتهم الشعاء الكاهنة: «أَسْمِعْ أُخْبِرْكَ عَنْهُمْ: هم إخوة، وكلهم أسوّة^(٥). أما الكبير فاللك، جَرِيءٌ فَاتِكٌ، يُتَّعِبُ السَّنَابِكُ^(٦)، ويستصغر المهالك. وأما الذي يليه فالعمر، بحرٌ مَعْمَرٌ^(٧)، يَقْصُرُ دُونَهُ الْفَخْرُ، نَهْدٌ^(٨)، صَقْرٌ. وأما الذي يليه فعَلْقَمَةٌ، صَلِيبُ الْمَعْجَمَةِ^(٩)، مَنِيْعُ الْمَشْتَمَةِ^(١٠)، قَلِيلُ الْجَمْعَةِ^(١١)

[١] الميسم والوسامة: أثر الحسن. [٢] النجائب جمع نجيب: وهو البير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين، والفره: (كقفل وركب وكتب) جمع فاره، وهو من الدواب الحيد السير النشط الحفيف. [٣] الربيدة: الحاضرة. [٤] الوصيد: الفناء (بالكسر) والعتبة. [٥] الأسوة: القدوة. [٦] السنايك جمع سنبك كقنفذ: وهو طرف الحمار، أي أنه يجهد الحيل في حومة الوغى. [٧] الفعر: معظم البحر، والكريم الواسع الحاق. [٨] البهد: الأسد والسكرم. [٩] من عجم العود إذا غصه ليعرف صلابته من خوره. [١٠] المشتمة: مصدر شتم، والمعنى: أنه في حرز من أن يشتم ويسب عرضه، لحسن فعله وكرم خلقه. [١١] الجمجمة: إخفاء الشيء في الصدر.

وأما الذى يليه فعاصم ، سيّد ناعم^(١) ، جلد صارم ، أبى حازم ، جيشه غامم ،
وجارُه سالم . وأما الذى يليه فتّواب ، سريع الجّواب ، عتيد الصواب^(٢) ، كريم
النّصاب^(٣) ، كذبت الغاب . وأما الذى يليه فذرك ، بذول لما يملك ،
عزوب^(٤) عما يترك ، يفنى ويهلك . وأما الذى يليه فجندل ، لقرنه مجدل^(٥) ،
مقل^(٦) لما يحمّل ، يعطى ويبدل ، وعن عدوه لا ينكل^(٧) .

فشاورت أختها فيهم ، فقالت أختها عثمة : « ترى الفتيان كأنّخل ،
وما يدريك ما الدّخل ؟ »^(٨) اسمى منى كلمة ، إن شرّ النّريبة يعلمن ، وخيرها
يُدقن ، انكحى فى قومك ولا تفرزك الأجسام ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى
أبيها : أنكحنى مدركا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورعاتها ، وحملها مدرك ،
فلم تلبث عنده إلا قليلا ، حتى صبّحهم فوارس من بنى مالك بن كنانة ، فاقتلوا
ساعة ، ثم إن زوجها وإخوته وبنى عامر انكشفوا ، فسبّوها فيمن سبّوا ،
فبينما هى تسير بكت ، فقالوا : ما يُبكىك ، أعلى فراق زوجك ؟ قالت : قبّحه
الله ، قالوا : لقد كان جميلا ! قالت : قبّح الله جمالا لا نفع معه ، إنما أبكى على
عصيانى أختى ، وقولها : « ترى الفتيان كأنّخل ، وما يدريك ما الدّخل »
وأخبرتهم كيف خطبها ، فقال لها رجل منهم يُكنى أبانواس شاب أسود
أفوه^(٩) مضطرب الخلق : أترضين بى ، على أن أمنعك من ذئاب العرب ؟
فقال لأصحابه : أ كذلك هو ؟ قالوا : نعم ، إنه مع ماترين ليمنع الحليلة^(١٠) ،

[١] نعم كسمع ونصر وصرب فهو ناعم : أى ذو تنعم وترفه . [٢] العتيد : الحاضر المهيأ .
[٣] النصاب : الأصل : [٤] بعيد . [٥] جدله : صرعه على الجدالة (كسجاية) وهى الأرض .
[٦] حامل . [٧] نكل بعنه كضرب ونصر وعلم : نكس وجبن . [٨] الدّخل : ما يهطن فى
النّى ، وهو مثل يضرب للرجل له منظر ولا يحسبه له . [٩] الأفوه : وصف من العوه بالتحريك
وهو سعة الفم . [١٠] الزوجة .

وَتَتَّقِيهِ الْقَبِيلَةَ ، قالت : هذا أجل جمال ، وأكمل كمال ، قد رضيت به ،
فزوجوها منه . (مجمع الأمثال للبيداني ١ : ٩١)

٣٣٩ — طريفة الخير تتكهن بسيل العرم وخراب سد ما رب

قال عبد الملك بن عبد الله بن بَدْرُون في شرح قصيدة الوزير عبد المجيد
ابن عَبدون ، التي قالها في رثاء دولة بني الأفضس بالأندلس :

كَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْبَيْنِ فِي أَوَّلِ تَمْزِيْقِهِمْ ، عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ مُزَيَّقِيَاءَ^(١) ،
وَكَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ كَاهِنَةٌ ، يُقَالُ لَهَا « طَرِيفَةُ الْخَيْرِ » ،
وَكَانَتْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ سَحَابَةَ غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ،
فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَتَتْ الْمَلِكَ
عَمْرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ ، أَزَالَ عَنِّي النَّوْمَ ، رَأَيْتُ غَيْمًا رَعَدَ
وَبَرَقَ^(٢) » ، طَوِيلًا ثُمَّ صَعَقَ ، فَمَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَحْتَرَقَ ، فَمَا رَأَى مَا دَاخِلَهَا
مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا ، ثُمَّ إِنْ عَمْرًا دَخَلَ حَدِيقَةَ لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِيهِ ،
فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ^(٣) ، لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ، فَمَا
بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مَنَاجِدٍ مُتَّصِبَاتٍ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ ، وَاضْعَاتُ
أَيْدِيهِنَّ عَلَى أَعْيُنِهِنَّ - وَهِيَ دَوَابٌّ تُشْبِهُ الْيَرَّاعِيَّ^(٤) - فَفَقَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ وَاضْعَةً
يَدَيْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، وَقَالَتْ لَوْصِيفِهَا : إِذَا ذَهَبْتَ هَذِهِ الْمَنَاجِدِ فَأَخْبِرْنِي ، فَمَا
ذَهَبَتْ أَعْمَاهَا ، فَانْطَلَقَتْ مُسْرِعَةً ، فَمَا عَارَضَهَا خَلِيجُ الْحَدِيقَةِ الَّتِي فِيهَا عَمْرُو ،

[١] لقب بذلك ، لأنه كان يلبس كل يوم حلتين ، ويمزقهما بالعمى ، يكره العموديهما ، ويأنف أن
يلبسهما غيره . [٢] رعدت السماء وبرقت (كنصر) ، وأعدت السماء وأبرقت ، وأنكر الأصمعي
الرباعي فيهما . [٣] الوصيف : الخادم والحادمة . [٤] اليربوع : دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه
وأذناه أطول منها ، ورجلاه أطول من يديه عكس الزرامة .

وثبت من الماء سلحفأة ، فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبا ، فتحثو التراب على بطنها من جنباته ، وتقذف بالبول قذفاً ، فاما رأيتها طريفة جلست إلى الأرض ، فاما عادت السلحفأة إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو ، وذلك حين اتصف النهار في ساعة شديدة الحر ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فاما رآها عمرو واستحيا منها ، وأمر الجاريتين بالتنحي ، ثم قال لها يا طريفة : فكهمت وقالت : « والثور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لها لك ، ولعمودن الماء كما كان في الزمان السالك » . قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرتني المناجد ، بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت : « أقول قول النذمان لهفأ ، لقد رأيت سلحفأ^(١) ، تجزف التراب جزفاً ، وتقذف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة ، فإذا الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما ترين ؟ قالت : « داهية دهياء ، من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو ؟ ويلك ! قالت : « أجل ، إن فيه الويل ، ومالك فيه من قيل^(٢) ، وإن الويل فيما يحيى به السيل » فالتقى عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل » . قال : وما علامة ما تذكركين ؟ قالت : « اذهب إلى السد ، فإذا رأيت جرداً يكثُرُ بيديه في السد الحفر ، ويقلب برجليه من أجل الصخر ، فاعلم أن عمم الغمر^(٣) ، وأن قد وقع الأمر » . قال : وما هذا الذي تذكركين ؟ قالت : « وعد من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل ،

[١] يقال : سلحفأة وسلحفاء وسلحفا ، ويقال أيها سلحفا ساكنة اللام مفتوحة الحاء .

[٢] قل قولا : نام في القائلة وهي نصف النهار ، والمراد هنا الإقامة والمكث .

[٣] الغمر : الماء الكثير .

فبغيرك يا عمرو وفليكن الشَّكْلُ ^(١) ، فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً ، (كذا) فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول:

أبصرت أمراً عادني منه ألمٌ وهاج لي من هوله برحُ السَّقمِ ^(٢)

من جرذ كفجَلٍ خنزير الأجمِ أو كبشٍ صرزمٍ من أفاريق النعمِ ^(٣)

يسحبُ صخرًا من جلاميد العرمِ له مغاليبٌ وأنيابٌ قضمِ ^(٤)

ما فاتهُ سخلاً من الصخر قضمِ ^(٥)

فقالت طريفة: وإن من علامات ما ذكرت لك أن تجلس فتأمر بزجاجة

فتوضع بين يديك ، فإن الريح تملؤها من تراب البطحاء ^(٦) ، من سهلة ^(٧)

الوادي ورملة ، وقد علمت أن الجنان مُظلمة لا يدخلها شمس ولا ريح ، فأمر

عمرو بزجاجة فوضعها بين يديه ، ولم يمكث إلا قليلا حتى امتلأت من تراب

البطحاء ، فأخبر عمرو طريفة بذلك وقال لها: متى يكون هلك السدِّ؟ قالت

له: فيما بينك وبين سبع سنين . قال: ففى أيها يكون؟ قالت: « لا يعلم بذلك

إلا الله ، ولو علمه أحد لعلمته ، ولا تأتي على ليلة فيما بيني وبين سبع السنين إلا

ظننت الهلاك في غدها ، أو في مساءها ، ثم رأى عمرو في نومه سيل العرم ،

وقيل له: آية ذلك أن ترى الحصباء في سَعَفِ النخل ، فنظر إليها ، فوجد

الحصباء فيها قد ظهرت ، فعلم أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستخرب ، فكتم ذلك

[١] النكل كسبب ونقل: الموت والهلاك . [٢] البرح: الشدة . [٣] الأجم جمع أجمة وهي

الشجر الكثير اللثف ، والصرم: الجماعة ، والعرقة تجمع على فرق ، وجمع الجمع أفرانق ، وجمع الجمع الجمع

أفاريق ، والجلاميد جمع جلامود كصغور: الصخر . [٤] العرم: السد يعترض به الرادى (ومن معانيه

أيضا المطر الشديد ، والجرذ ، وواد جاء السيل من قبله) [٥] سحله كنع: قشره ونعته ، وقصمه كسره

[٦] البطحاء والأبطح: مسيل واسع فيه دفاق الحصى . [٧] السهلة بالكسر: تراب كالرمل

يجيء به الماء ، وأرض سهلة كفرحه: كثيرتها .

وأخفاه ، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مَأْرِبٍ ^(١) وأن يخرج منها هو وولده ^(٢) ، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السد ^(٣) السيل فهدمه .

(شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٩٨)

*
* *

وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

• • وسارت القبائل من أهل مَأْرِبٍ حين خافوا سيل العرم ، وعليهم من يُقِيَاءَ ،
ومعهم ظريفة الكاهنة ، فقالت لهم :

[١] مَأْرِبٍ : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التبابعة ، وهي مدينة بلقيس ، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بانها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

[٢] وقد خشي أن يستنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه ، وأن يفعل ذلك به في الملاء من الناس ، وإذا لطمه ، ورفع هو يده وباطمه ، ثم صنع طعاماً وبعث إلى أهل مَأْرِبٍ أن همراً صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه ، فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر ، فجعل يأمره بأمور يتأبى عليه ، وينهاه فلا ينتهي ، فرفع عمرو يده فلطمه على وجهه فلطمه ابنه ، وكان اسمه ملكاً ، فصاح عمرو وادلاه يوم فخر عمرو يهجه صبي ويصرب وجهه ، وحلف ليقنتله ، فلم يزلوا بعمرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقبل بموضع صنع بي فيه هذا ، ولأبيعن أموالاً حتى لا يرث منها بعدى شيئاً ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتنوا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرصى ، فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مَأْرِبٍ ، وفشا بعض حديثه فيما باغته من شأن سيل العرم ، فقام ناس من الأزدي فباعوا أموالهم ، فلما أكتروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء ، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ، فزلوا أرض عك فخاربتهم عك ، فارتحلوا عنها ، ثم اصطلحوا وبقوا بها حتى مات عمرو بن عامر ، وتفرقوا على البلاد ، فمنهم من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ، ومنهم من صار إلى يثرب ، وهم أبنا قبيلة الأوس والخزرج ، وأبوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وصارت أرض الشراة إلى أرض الشراة ، وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو يدسير من أرض اليمن طيء فنزلت جبل طيء أجأ وسامى ، ونزلت ريثة ابن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وسعوا خزاعة لا تخزاعهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق .

[٣] كان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد ، وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد ، ويقال إن الذي بناه كان من ملوك حمير ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن ، فردموها ردماً بين جباين وحبسوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم .

« لَا تَوْتُمُوا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحَكَّمُ ، رَبُّ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ » قَالُوا لَهَا : مَا شَأْنُكَ يَا طَرِيفَةُ ؟ قَالَتْ : خَذُوا الْبَعِيرَ الشَّدَقَمَ ^(١) ، نَخْضِبُوهُ بِالْدَمِ ، تَكُنْ لَكُمْ أَرْضٌ جُرْمُهُمْ ^(٢) ، جِيرَانِ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ . (الأغاني ١٣ : ١٠٥)

*
* *

وروى الميداني في مجمع الأمثال قال :

« أَلَقْتُ طَرِيفَةَ الْكَاهِنَةَ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَزِيْقِيَا بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَكَانَتْ قَدْرَأَتْ فِي كَهَانَتِهَا ^(٣) أَنْ سَدَّ مَأْرِبَ سَيِّخْرَبَ ، وَأَنَّهُ سَيَّأَتِي سَيْلِ الْعَرَمِ ، فَيَخْرَبُ الْجَتَيْنِ ^(٤) ، فَبَاعَ عَمْرِو بْنُ عَامِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُ لَا يَدْرُونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى ، فَدَعَا طَرِيفَةُ فَشَكَوَا إِلَيْهَا الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفْرَقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا : فَمَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

« مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَاهِمًا بَعِيدًا ، وَجَمَلٌ شَدِيدٌ ، وَمَزَادٌ ^(٥) جَدِيدٌ ، فَلْيَلْحَقْ بِقَصْرِ عُثْمَانَ الْمَشِيدِ ^(٦) ، فَكَانَتْ أَرْدُ عُثْمَانَ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا جَلْدٍ

[١] الواسع الشدق . [٢] وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن أفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل رواداً إلى الشام وإلى المرق ، فحينما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، فأبى ذلك جرم إباء شديداً ، وقالوا : لا والله ما نحب أن ينزلوا فيضيقوا علينا مرابعا وواردنا ، وكانت الحرب بين الرقيقين ، وانهمرت جرم فلم يفلت منهم إلا الشريد .

[٣] كهن كهانة بالفتح فهو كاهن ، وحرته الكهانة بالكسر .

[٤] قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَيْنَ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ » .

[٥] المزاد والمزاید جمع مزادة وهي الراوية . [٦] المشيد : الرفوع ، قال مسلم بن الوليد في رثاء : أما هدت لمصرعه نزار ؟ بلى ، وتقوض المجد المشيد .

وَقَسْرٌ^(١) ، وَصَبْرٌ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ ، فَعَلِيهِ بِالْأَرَاكِ^(٢) مِنْ بَطْنِ مُرٍّ^(٣) ، فَكَانَتْ خُزَاعَةٌ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الرَّاسِيَاتِ فِي الْوَحْلِ ، الْمُطْعِمَاتِ فِي الْمَحْلِ^(٤) ، فَيَلْحَقُ يَيْتْرِبُ ذَاتَ النَّخْلِ ، فَكَانَتْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الْخَمَرَ الْخَمِيرَ ، وَالْمَلِكُ وَالْتَأْمِيرَ ، وَيَلْبَسُ الدِّيَابِجَ وَالْحَرِيرَ ، فَيَلْحَقُ بِيُضْرَى وَغَوَيْرَ ، (وَهَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ) ، فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهَا مِنْ آلِ جَفْنَةَ مِنْ غَسَّانَ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الثِّيَابَ الرَّقَاقَ ، وَالخَيْلَ الْعِتَاقَ ، وَكَنْوَزَ الْأَرْزَاقِ ، وَالِدَّمَ الْمُهْرَاقَ ، فَيَلْحَقُ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ ، فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهَا آلَ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ ، وَمَنْ كَانَ بِالْحَيْرَةِ وَآلَ مُحَرَّقٍ^(٥) .
(جمع الأمتال : ١ : ١٨٦)

٣٤٠ - حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام من قضاة

كَانَ ثَلَاثَةُ أَبْطُنٍ مِنْ قُضَاةٍ مُجْتَوِرِينَ^(٦) بَيْنَ الشَّحْرِ وَحَضْرَمَوْتَ : بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ ، وَبَنُو رِثَامٍ ، وَكَانَتْ بَنُو رِثَامٍ أَقْلَهُمْ عَدَدًا ، وَأَشَجَّهُمْ لِقَاءً . وَكَانَتْ لِبْنِي رِثَامٍ عَجُوزٌ تَسْمَى خُوَيْلَةَ ، وَكَانَتْ لَهَا أُمَّةٌ مِنْ مُوَلَّدَاتِ الْعَرَبِ تَسْمَى زَبْرَاءَ ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى خُوَيْلَةَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ لَهَا مُحَرَّمٌ ، بَنُو إِخْوَةٍ وَبَنُو أَخَوَاتٍ ، وَكَانَتْ خُوَيْلَةَ عَقِيمًا ، وَكَانَ بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ مَتَظَاهِرِينَ عَلَى بَنِي رِثَامٍ ، فَاجْتَمَعَ بَنُو رِثَامِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي عُرْسٍ لَهُمْ ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ شَجَاعٌ بَيْسٌ^(٧) ، فَطَعَمُوا وَأَقْبَلُوا عَلَى شَرَابِهِمْ ، وَكَانَتْ زَبْرَاءُ كَاهِنَةً فَقَالَتْ لَخُوَيْلَةَ : ائْتَلِقِي بِنَا إِلَى قَوْمِكَ أَنْذِرْهُمْ ، فَأَقْبَلَتْ خُوَيْلَةَ تَتَوَكَّأُ عَلَى زَبْرَاءَ

[١] قسره على الأمر : قهره . [٢] الأراك : القطة من الأرض ، وموضع بعرفات ، وجبل بهنبل .
[٣] مر بنو أد بن طابخة . [٤] المحل : الشدة والجذب . [٥] هو عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بني تميم . [٦] متجاورين . [٧] البيس : الشجاع ، من بؤس ككرم بأسا .

فلما أبصرها القوم ، قاموا إجلالاً لها . فقالت : « يَا ثَمَرَ الْأَكْبَادِ ، وَأُنْدَادَ ^(١) الأُولَادِ ، وَشَجَا ^(٢) الْحُسَادِ ، هَذِهِ زَبْرَاءُ ، تَخْبِرُكُمْ عَنْ أَنْبَاءِ ، قَبْلِ انْحِسَارِ الظَّمَاءِ ، بِالْمَوْئِدِ ^(٣) الشَّنْعَاءِ ، فَاسْمِعُوا مَا تَقُولُ » . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :

« وَاللُّوحِ ^(٤) الْخَافِقِ ، وَاللَّيْلِ الْغَاسِقِ ^(٥) ، وَالصَّبَاحِ الشَّارِقِ ، وَالنَّجْمِ الطَّارِقِ ^(٦) ، وَالْمُزْنَ الْوَادِقِ ^(٧) ، إِنَّ شَجَرَ الْوَادِي لَيَأْدُو خَتْلًا ^(٨) ، وَيَحْرُقُ أَنْبِيَاءَ عَصَلًا ^(٩) ، وَإِنْ صَخْرَ الطُّودِ لَيُنْذِرُ كَلًّا ^(١٠) ، لَا تَجِدُونَ عَنْهُ مَعْلًا ^(١١) »

فوافقت قوماً أشاري ^(١٢) سُكَّارِي ، فقالوا : « رِيحِ خَجُوجِ ^(١٣) ، بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْفُرُوجِ ، أَتَتْ زَبْرَاءُ بِالْأَبْلَقِ التَّنُوجِ ^(١٤) » .

فقالت زبراء : « مَهَلًا يَا بَنِي الْأَعْزَةِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشْمُ ذَفَرٍ ^(١٥) الرَّجُلِ تَحْتَ الْحَدِيدِ » فقال لها فتى منهم يقال له هُدَيْلُ بْنُ مُنْقِذٍ : « يَا خَذَّاقِ ^(١٦) ، وَاللَّهِ

[١] أنداد : جمع ند بالكسر وهو المثل والظير . [٢] الشجا : ما عترض في الملق من عظم ونحوه .
[٣] المويد : الداهية والأمر العظيم . [٤] اللوح بالضم والفتح (والضم أعلى) : الهراء بين السماء والأرض . [٥] غسق الليل بكس : اشتدت ظلمته . [٦] الطارق : في الأصل ، كل من أتى ليلاً ، ثم استعمل في النجوم لطلوعها ليلاً . [٧] المرن : السحاب أو أبيضه أو ذو الماء ، والواديق من ودق المطر كوعد : قطر . [٨] أدوت له آدو أدوا إذا ختلته وخدعته (ودأبت له ، ودألت له أيضاً) والختل : الحدع . [٩] حرق أنبياءه : إذا حك بعضها ببعض ، والعرب تقول عند الضرب يفضيه الرجل على صاحبه : « هو يحرق على الأرم » والأرم كسكر : الأصراس ، والعصل : المعرجة جمع أعصل . [١٠] الطود : الجبل ، والشكل : الفقد . [١١] المعل : المحجى .

[١٢] الأشرمركة : المرح . [١٣] الخجوج : السريمة المر . [١٤] الأبلق : وصف من البلق محرمة وهو ارتفاع البياس في قوائم الفرس إلى الفخذين ، والأبلق لا يكون تتوحاً ، والعرب تضرب هذا مثلاً للشيء الذي لا ينال ، تقول « طلب الأباق العقوق ، ولما فأنه أراد بيض الأبق » والعقوق كصبور : الحامل ، والأنوق كصبور أيضاً : الذكر من الرخم ولا يبيض له ، هذا قول بعض اللغويين ، فالعنى أنه طلب ما لا يمكن ، فلما لم يجد طلب أيضاً ما لا يكون ولا يوجد ، وعامتهم يقولون : الأنوق الرخمة وهي تبيض في مكان لا يوصل فيه إلى بيضها إلا بعد عناء ، فالعنى أنه طلب ما لا يقدر عليه ، فلما لم يله طلب ما يجوز أن يتاله .

[١٥] الذفر : حدة الريح ، يكون في النتن والطيب (والذفر لا يكون إلا في النتن) .

[١٦] خذاق : كناية عما يخرج من الانسان ، يقال : خذق وخذق وزرق .

ما تَسْمَيْنِ إِلَّا ذَفَرَ إِبْطِيكَ » فانصرفت عنهم ، وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ، فانصرف منهم أربعون رجلاً ، وبقى ثلاثون ، فَرَقَدُوا فِي مَشَرَبِهِمْ ، وَطَرَقْتَهُمْ بنو داهن وبنو ناعب ، فقتلوهم أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلَةَ مع الصباح ، فوفقت على مصارعهم ، ثم عمّدت إلى خناصرهم ، فقطعتها وانتظمت منها قِلَادَةً ، وألقتها في عُقْتِهَا ، وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن سَعْوَةَ المَهْرِيِّ ، وهو ابن أختها فأناخت ، بفنائها ، فاستعدته على بنى داهن وبنى ناعب ، فخرج في مَنَسِرٍ^(١) من قومه ، فطرقهم فأوجع فيهم . (الأملك ١ : ١٢٦)

٣٤١ — كاهنة ذى الخلصة تتكهن بما فى بطن رقية بنت جشم
 زعموا أن رُقِيَةَ بنت جُشَم بن معاوية ولدت مُنْمِرًا وَهَلَالًا وسواء ، ثم اعتاطت^(٢) ، فأثمت كاهنة بذى الخلصة^(٣) ، فأرثتها بطنها ، وقالت : إني قد ولدت ثم أَعْتَطْتُ ، فنظرت إليها وَمَسَّتْ بطنها ، وقالت :
 « رَبُّ قَبَائِلَ فِرْقِي ، وَجَبَائِلَ حَلْقِي ، وَظُغُنُّ^(٤) حُرْقُ^(٥) » ، فى بطنك
 زُقُ^(٦) »

[١] المنسر من الحبل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين ، أو المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .

[٢] اعتاطت المرأة : لم تحمل سنين من غير عقر . [٣] ذو الخلصة محرّكة وبضمّتين : بيت كان يدعى الكعبة اليمانية لحنعم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . [٤] الطعن والطمان جمع ظئنة : وهى الهرج سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة مادامت فى اليهودج ، ويقال : الظئنة فى الأصل وصفت للمرأة فى هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت فى بيتها ، لأنها تصير مظعونة (أى يظعن بها زوجها ، نهى فعيلة بمعنى مفعولة) . [٥] الحزق والحزقة (بكسر الحاء) والحازقة والحريق والحزيقة والحزاقة (بالفتح) الجماء ، والجمع حزائق وحزريق وحزق (بضمّتين) . [٦] أى وضع وأصل الرق : رمى الطائر بدرقه ، واليهن : رب جنين تشعب منه قبائل متفرقة ، ويتناسل منه ذكرا يتجلفون فى المجالس والأندية وجماعات من الذنوة ، قد أودع بطنك .

فلما تَحَضَّتْ^(١) بريعة بن عامر^(٢) ، قالت : إني أعرف ضَرِيَّطِي بهلال ،
« أي هو غلام ، كما أن هلالاً كان غلاماً » . (مجمع الأمثال ١ : ٢٢١)

٣٤٢ - رأى سلمي الهمدانية في حريم المرادي

أغار رجل من « مُرَادٍ » يقال له « حَرِيمٌ » على إبل تمرو بن بَرَاقَةَ
الهُمْدَانِيَّ وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سَلْمَى الهمدانية ، وكانت بنت
سَيِّدِهِمْ ، وعن رأيها كانوا يَصْدُرُونَ ، فأخبرها أن حريمًا المُرَادِيَّ أغار على إبله
وخيله ، فقالت : « وَالْحَفْوُ وَالْوَمِيضُ^(٣) ، وَالشَّفَقُ كَالْأَحْرِيضِ^(٤) ، وَالْقَلَّةُ
وَالْحَضِيضُ^(٥) ، إن حريمًا لَمَنِيحُ الْحِيْزِ^(٦) ، سَيِّدُهُ مَزِيْرُ^(٧) ذُو مَعْقِلِ حَرِيْزِ ، غَيْرِ
أَنِّي أَرَى الْحُمَّةَ^(٨) سَتَنْظُرُ مِنْهُ بِعَثْرَةٍ ، بَطِيئَةُ الْجَبْرَةِ ، فَأَغِرْ وَلَا تُنْكَعْ^(٩) »
فأغار عمرو ، فاستاق كلَّ شَيْءٍ له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن
يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع وَرَجَعَ حريم . (الأمل ٢ : ١٢٣)

٣٤٣ - تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية

روى أن العَجْفَاءَ بنتَ عَلْقَمَةَ السَّعْدِيَّ ، وثلاث نِسْوَةٍ من قومها ، خرجن
فَاتَعَدْنَ بَرِوْضَةَ يتحدثن فيها ، فَوَافَيْنَ بها ليلًا في قمر زاهر ، ولبيلة طَلْقَةَ ساكنة ،
وروضة مُعْشِبَةَ خِصْبَةَ ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كَاللَّيْلَةِ لَيْلَةً ، وَلَا كَهَذِهِ

[١] تَحَضَّتْ كَسَعٍ وَمَنَعٍ وَعَنِ : أَخَذَهَا الطَّاقُ .

[٢] هو بريعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ومن نسله بنو كلاب بن ربيعة بن عامر وبنو جهم بن كلاب بن ربيعة .

[٣] الحفو : السعان الضعيف ، والوميض : أشد من الحفو . [٤] الاحريض : العصفور .

[٥] القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شيء ، والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .

[٦] الناحية . [٧] مزير : فاضل ، من قولهم هذا أمر من هداي أي أفضل منه .

[٨] الحمة التقدّر (محرّكة) ، وقيل هي واحد الحمام (بالكسر) .

[٩] نكعه عن الأمر (كنع) رده ودفعه .

الروضة روضةً أطيّبَ ريحاً ولا أنضر ، ثم أفضنَ في الحديث ، فقلن : أئى النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخردود ^(١) الودود الولود . قالت الأخرى : خيرهن ذات الغناء ^(٢) ، وطيبِ الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السموع الجموع ، الثفوع غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة الرافعة ، لا الواضعة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خيرهم الحظي ^(٣) الرضي ، غير الحظال ^(٤) البطي . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحسب العميم ، والمجد القديم . قالت الثالثة : خيرهم السخي ، الوفي الرضي ، الذي لا يغير ^(٥) الحرّة ، ولا يتخذ الضرة . قالت الرابعة : وأيكن ، إن في أبي نعتك كن ، كرم الأخلاق ، والصدق عند التلاق ، والفلج ^(٦) عند السباق ، ويحمده أهل الرفاق . قالت العجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها معجبة .

وفي بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبي يكرم الجار ، ويُمظم الحطار ^(٧) ، وينجر العشار ^(٨) ، بعد الحوار ^(٩) ، ويحمل الأمور الكبار ، ويأنف من الصغار ، فقالت الثانية : إن أبي عظيم الخطر ، منيع الوزر ^(١٠) ، عزيز النفر ، يُحمد منه الورد والصدّر ، فقالت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حديد الجنان ،

[١] الخردود والحريد والحريدة : الحية الطويلة السكوت الحافصة الصوت المنتشرة .

[٢] الكفاية والنفعة . [٣] الحظي : ذو الحظوة والمكانة عند زوجه ، والحطية كذلك .

[٤] رجل حظل ككتف وشداد وصبور : مقتر محاسب أهله بما ينفق عليهم ، وفي جمع الأمثال « غير

الخطال ، ولا التبال » والتبال بالثشديد من التبل (بفتح فسكون) وهو الحقد .

[٥] أغار امرأته : تزوج عليها . [٦] الفوز والطمر .

[٧] الحطار جمع خطر كسبب وهو البقي يتراهن عليه . [٨] العشار جمع عشراء كفساء وهي من

النوق التي مضى لملها عشرة أشهر أو ممانية . [٩] الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الائة ساعة تضمه

أولى أن يفصل عن أمه . [١٠] الوزر : الملجأ .

رَذُومٌ^(١) الجِفَانُ ، كثير الأعوان ، يُرْوَى السَّنَانُ ، عند الطَّعَانِ . قَالَتِ الرَّابِعَةُ :
 إِن أَبِي كَرِيمُ النَّزَالِ ، مُنِيفُ الْمَقَالِ ، كَثِيرُ النَّوَالِ ، قَلِيلُ السُّؤَالِ ، كَرِيمُ النَّفْعَالِ .
 ثُمَّ تَنَافَرْنَا إِلَى كَاهِنَةٍ مَعْمَنَ فِي الْحَى ، قَقَلْنَا لَهَا : اسْمِي مَا قَلْنَا ، وَاحْكُمِي
 بَيْنَنَا وَاعْدِلِي ، ثُمَّ أَعْدَنَ عَلَيْهَا قَوْلَهُنَّ ، فَقَالَتْ لهنَّ : « كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ
 مَارِدَةٌ^(٢) بِأَيِّهَا وَاجِدَةٌ^(٣) ، عَلَى الْإِحْسَانِ جَاهِدَةٌ ، لِصَوَابَاتِهَا حَاسِدَةٌ ، وَلَكِنْ
 اسْمِعْنِي قَوْلِي : خَيْرُ النِّسَاءِ الْمُبْتَقِيَّةِ عَلَى بَعْلِهَا ، الصَّابِرَةُ عَلَى الضَّرِّاءِ مَخَافَةً أَنْ تَرْجِعَ
 إِلَى أَهْلِهَا مُطْلَقَةً ، فَهِيَ تُؤَثِّرُ حِظَّ زَوْجِهَا عَلَى حِظِّ نَفْسِهَا ، فَتَمُوتُ الْكَرِيمَةَ
 الْكَامِلَةَ ، وَخَيْرُ الرِّجَالِ الْجَوَادُ الْبَطْلُ ، الْقَلِيلُ الْفَشَلُ ، إِذَا سَأَلَهُ الرَّجُلُ ، أَلْفَاةً
 قَلِيلَ الْعِلْمِ ، كَثِيرَ النَّفْلِ^(٤) ، ثُمَّ قَالَتْ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ .
 (بِجَمْعِ الْأَمْثَالِ ٢ : ٥٤ ، وَجَهْرَةَ الْأَمْثَالِ ٢ : ١٣٣)

٣٤٤ - عَفِيرَاءُ الْكَاهِنَةِ تَعْبِرُ رُؤْيَا مَرْتَدَ بْنَ عَبْدِ كَلَالٍ

رَوَى أَنَّ مَرْتَدَ بْنَ عَبْدِ كَلَالٍ قَفَلَ مِنْ غَزَاةٍ غَزَاهَا بِنِفَائِمٍ عَظِيمَةٍ ، فَوَفَدَ
 عَلَيْهِ زَعَمَاءُ الْعَرَبِ وَشَعْرَاؤُهَا وَخَطَبَاؤُهَا يَهْتَنُونَ ، فَرَفَعَ الْحِجَابَ عَنِ الْوَافِدِينَ .
 وَأَوْسَعَهُمْ عَطَاءً ، وَاشْتَدَّ سُرُورُهُ بِهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَامَ يَوْمًا فَرَأَى رُؤْيَا فِي
 الْمَنَامِ أَخْفَاتِهِ وَأَذْعَرْتَهُ وَهَالَتْهُ فِي حَالِ مَنَامِهِ ، فَأَمَّا انْتَبَهَ أَنْسِيهَا حَتَّى لَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا
 شَيْئًا ، وَثَبَتَ ارْتِيَاعُهُ فِي نَفْسِهِ بِهَا ، فَانْقَلَبَ سُرُورُهُ حُزْنًا ، وَاحْتَجَبَ عَنِ الْوَفُو
 حَتَّى أَسَاءَ وَابَهَ الظَّنُّ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَشَرَ الْكُهَّانَ فَعَمَلُ يَخْلُو بِكَاهِنٍ كَاهِنٍ ، ثُمَّ يَقُو
 لَهُ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ ، فَيُجِيبُهُ الْكَاهِنُ بِأَنْ لَا عِلْمَ عِنْدِي ، حَتَّى
 يَدْعُ كَاهِنًا عَالِمًا إِلَّا كَانَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَتَضَاعَفَ قَلْبُهُ ، وَطَالَ أَرْقُهُ ، وَكَأَ :

[١] الرذوم : القصة المنتهية تنصب جوانبها . [٢] أى قد بلغت العاية .

[٣] وجد به (بالكسر) أجه . [٤] النفل : الهبة .

أمه قد تكهنت ، فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك ، إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجان ، أطف وأظرف من أتباع الكهّان ، فأمر بحشر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهّان ، فلم يجد عند واحدة منهم علماً مما أراد عامه ، ولما يئس من طلبته سأل عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوغل في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرُفعت له أبيات من ذرّاً^(١) جبل ، وكان تدلفحه الهجير ، فمدل إلى الأبيات ، وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، فقالت له : أنزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجفنة المددعة^(٢) ، والعلبة المترعة^(٣) ، فنزل عن جواده ، ودخل البيت ، فاما احتجب عن الشمس ، وخفقت عليه الأرواح^(٤) ، نام فلم يستيقظ حتى تصرّم الهجير ، فجلس يمسح عينيه ، فإذا هو بين يديه فتاة لم ير مثلها قواماً ولا جمالا ، فقالت : « أبيت اللعن أيها الملك الهمام ! هل لك في الطعام ؟ » فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفته ، وتصام عن كلمتها ، فقالت له : « لا حذر ، فذاك البشر ، فخذك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر » . ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وخيساً^(٥) ، وقامت تذبّ عنه ، حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبناً صريفاً^(٦) ووضرياً^(٦) ، فشرّب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة ، فلأت عينيه حسناً ، وقلبه هوّى ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عُفراء ،

[١] أى فى كسبه وستره . [٢] الجفنة : القصعة ، والمددعة : التى ملكت بقوة ثم حركت حتى تراس ما فيها ، ثم ملكت بعد ذلك . [٣] العلبة : قبح ضخم من جلود الابل أو من خشب يحلب فيها ، والمترعة : الملوّعة . [٤] الأرواح : والرياح جمع ربح . [٥] القديد : اللحم المقدد ، أو ما قطع منه طولاً ، والحليس : تمر يخلط بسمن وأقط ، فيعجن شديداً ثم يدر منه نواه (والأقط شيء يتخذ من الخبيض النعمى) . [٦] الصريف : اللبن ساعة حلب ، والضرب : اللبن يحلب من عدة لفاع فى إناء .

فقال لها: يا عفيراء، من الذي دَعَوْتِه بالملك الهمام؟ قالت: «مرَّئِدَ العظيم الشَّانِ، حاشِرُ الكواهن والكهَّان، لِمُعْضِلَةِ بَعْدِ عِنهَا الْجَانَّ»، فقال يا عفيراء: أتعلمين تلك المعضلة؟ قالت: «أجل أيها الملك، إنها رؤيا منام، ليست بأضغاث^(١) أحلام». قال الملك: أصبت يا عفيراء، فإتلك الرؤيا؟ قالت: «رأيت أعاصير^(٢) زَوَابِعَ، بعضها لبعض تابع، فيها لهب لامع، ولها دُخَانٌ ساطع، يَقْفُوها نهر مُتَدَاْفِعٍ، وسمعت فيما أنت سامع، دُعاء ذى جَرَسٍ^(٣) صَادِعٍ: هَلُمُّوا إِلَى المِشَارِعِ^(٤)، فَرَوَى جَارِعٍ^(٥)، وَغَرِقَ كَارِعٍ^(٦)» - فقال الملك: أَجَلْ، هذه رؤياي، فإتأويلها يا عفيراء؟ قالت: «الأعاصير الزوابع، ملوكٌ تَبَايَعُ^(٧)، والنهر علم واسع، والداعى نبيٌّ شافعٍ، والجارع وَلِيٌّ تابعٍ، والكارِعُ عدو منازعٍ». فقال الملك: يا عفيراء، أَسَلِمُ هذا النبي أم حرب؟ فقالت: «أقسمُ برافع السماء، ومُنزِلِ الماء من العَمَاءِ^(٨)، إنه لَمُطِلُّ الدماء^(٩)، وَمُنطِقُ العقائل نَطِقَ الإِمَاءِ^(١٠)». فقال الملك: الإام يدعو يا عفيراء؟ قالت: «إلى صلاة وصيام، وَصِلَةَ أرحامٍ، وكسر أصنام، وتمطيل أزلام^(١١)، واجتناب

[١] أضغاث أحلام: رؤيا لا يصبح تأويلها لاختلاطها. [٢] الأعاصير جمع إعصار وهو الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء، أو التي فيها العصار بالكسر وهو الفيار الشديد.
 [٣] الجرس: الصوت. [٤] المِشَارِع جمع مشرعة وهي مورد الشاربة. [٥] جارع فاعل من جرع الماء كسمع ومنع إذا بلمه. [٦] كارع فاعل من كرع في الماء كسمع ومنع تناوله بفيه من موضعه من غير أن يهرب بكفيه ولا ياباه. [٧] التبايع جمع تبع كسكر: ملوك الين.
 [٨] العماء: السحاب الكثيف. [٩] انظر قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع «وإن دماء الجاهلية موضوعة». [١٠] العقائل جمع عقيلة، والناطق جمع نطاق ككتاب والنطاق والمطقة: ما تشبه المرأة وسطها للهننة، ونطقها تنطيقا: ألسنها النطاق فتنطقت وانطقت ومنطق النساء أى يسبهن فيشدون النطق على أوساطهن للخدمة كالإماء. [١١] الأزلام جمع زلم كسب: قداح كان العرب يستقسمون بها في الجاهلية (أى يطلبون معرفة ما قسم لهم) وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا فلا من تجارة أو سفر أجلوا ثلاثة قداح (القداح جمع قدهج بالكسر وهو السهم قبل أن يراش) وكانت عند أصنامهم، أحدها مكتوب عليه: أمرئ ربي، والثاني: نهاني ربي، والثالث: غفل، فإن خرج الأول مضوا في الأمر، أو الثاني أحجموا عنه، أو الثالث أجلوا ثانية حتى يخرج أحد الأولين.

آثام « فقال الملك : يا عفياء ، إذا ذبح قومُهُ فمن أعضاده ^(١) ؟ قالت : أعضاده
غَطَارِيفُ ^(٢) يَمَانُونَ ، طَأْرُهمْ به مَيْمُونَ ، يُغْزِيهمْ فَيَغْزُونَ ، وَيُدْمَتُ ^(٣) بهم
الْحَزُونُ ، وإلى نصره يَغْتَزُونَ » . فأطرق الملك يُؤامِرُ ^(٤) نفسه في خِطْبَتِها ،
فقال : « أبيت اللعن أيها الملك ! إن تابعى غَيور ، ولأمرى صَبُور ، وناكحى
مَثْبُور ، وَالكَالْفُ بى ثُبُور ^(٥) » . فنهض الملك وجال فى صَهْوَةٍ ^(٦) جَوَادِهِ ،
وانطلق ، فبعث إليها بمائة ناقة كَوْمَاء ^(٧) . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٦)

[١] الأعضاد : الأنصار جمع عضد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .

[٢] الغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف . [٣] يسهل ، والحزون جمع حزن كشمس
وهو ما غلط من الأرض . [٤] يشاور . [٥] الثبور : الهلاك . [٦] الصهوة : مقعد
الفارس من ظهر فرسه . [٧] الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

انتهى الجزء الأول

ويلىه

الجزء الثانى وأوله : الباب الثالث فى خطب ووصايا

العصر الأموى

فهرس

الخطب الأول

من جمهرة خطب العرب

الباب الأول

الخطب والوصايا في العصر الجاهلي

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن مثوب		١
مقال مرثد الخير	١	٢
مقال سبيع بن الحرث	٢	٢
مقال ميثم بن مثوب	٣	٣
مقال مرثد الخير	٤	٤
طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقال حمير	٥	٥
منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين	٦	٨
أشراف العرب بين يدي كسرى		١١
مقال حذيفة بن بدر الفزاري	٧	١٢
مقال الأشعث الكندي	٨	١٢
مقال بسطام الشيباني	٩	١٣
مقال حاجب بن زرارة	١٠	١٣
مقال قيس بن عاصم السعدي	١١	١٥

الخطبة أو الوصية

رقم
الخطبة

رقم
الصفحة

وفود العرب على كسرى

١٥ .

خطبة النعمان بن المنذر	١٢	١٦
« أ كثم بن صيفى التيمى	١٣	٢١
« حاجب بن زرارة التيمى	١٤	٢٢
« خطبة الحارث بن عباد البكرى	١٥	٢٣ .
« عمرو بن الشريد السلمى	١٦	٢٤
« خالد بن جعفر السكلابى	١٧	٢٥
« علقمة بن علاثة العامرى	١٨	٢٥
« قيس بن مسعود الشيبانى	١٩	٢٦
« عامر بن الطفيل العامرى	٢٠	٢٧
« عمرو بن معديكرب الزبيدى	٢١	٢٨
« الحارث بن ظالم المرى	٢٢	٢٨

وفود العرب يعزون سلامة ذا فائش بابنه

٣٠

خطبة الملبب بن عوف	٢٣	٣٠
خطبة جمادة بن أفلح	٢٤	٣٠
تعزية أ كثم بن صيفى لعمر بن هند عن أخيه	٢٥	٣١
خطبة عبد المطلب بن هاشم	٢٦	٣١
خطبة هاشم بن عبد مناف	٢٧	٣٢
خطبة كعب بن لؤى	٢٨	٣٣
تساؤل عامر بن الظرب وحمة بن رافع عند أحد ملوك حمير	٢٩	٣٤
خطبة قس بن ساعدة الأيادى	٣٠	٣٥
خطبة المأمون الحارثى	٣١	٣٦
خطبة هانى بن قبيصة الشيبانى	٣٢	٣٧

الخطبة أو الوصية

رقم
الخطبة

رقم الخطبة	رقم الوصية
٣٣	٣٧
٣٤	٣٨
٣٥	٣٨
٣٦	٤٣
٣٧	٤٥
٣٨	٤٦
٣٩	٤٦
٤٠	٤٧
٤١	٤٨
٤٢	٤٩

[تنبيه] بقية خطب العصر الجاهلي ستأتي بعد من صفحة ٢٧٢ إلى الآخر .

الباب الثاني

الخطب والوصايا في عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه ٤٣ ٥١

خطبته يوم فتح مكة ٤٤ ٥٢

خطبة له عليه الصلاة والسلام ٤٥ ٥٢

» » » » ٤٦ ٥٣

» » » » ٤٧ ٥٣

» » » » ٤٨ ٥٤

خطبته بالخيف ٤٩ ٥٤

خطبة له عليه الصلاة والسلام ٥٠ ٥٥

الخطبة أو الوصية

	رقم الخطبة	رقم الصفحة
أول خطبة خطبها بالمدينة	٥١	٥٥
خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة	٥٢	٥٦
خطبته في حجة الوداع	٥٣	٥٧
خطبته في مرض موته	٥٤	٦٠
خطب يوم السقيفة		
خطبة سعد بن عبادة	٥٥	٦١
خطبة أبي بكر رضي الله عنه	٥٦	٦٢
نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة	٥٧	٦٣
خطبة الحباب بن المنذر	٥٨	٦٤
» عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٥٩	٦٤
» أخرى للحباب بن المنذر	٦٠	٦٤
» بشير بن سعد	٦١	٦٥
خطب أبي بكر رضي الله عنه		
خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم	٦٢	٦٦
خطبته بعد البيعة	٦٣	٦٧
خطبة أخرى له بعد البيعة	٦٤	٦٧
» »	٦٥	٦٩
» له	٦٦	٧٠
» »	٦٧	٧١
» . »	٦٨	٧٢
خطبة له في ندب الناس لفتح الشام	٦٩	٧٣
خطبة له في الأنصار	٧٠	٧٣

وصايا

وصيته لأسامة بن زيد	٧١	٧٤
وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة	٧٢	٧٥
وصيته لخالد بن الوليد	٧٣	٧٥
وصيته ليزيد بن أبي سفيان	٧٤	٧٥
كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علمته التي مات فيها	٧٥	٧٧

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خطبته حين ولي الخلافة	٧٧	٧٩
خطبة أخرى	٧٨	٧٩
خطبة له	٧٩	٨٠
خطبة له	٨٠	٨٠
خطبة أخرى	٨١	٨١
خطبة له	٨٢	٨٢
خطبة له	٨٣	٨٣
خطبة له	٨٤	٨٥
خطبة له	٨٥	٨٦
خطبة له	٨٦	٨٦
خطبته عام الرمادة	٨٧	٨٧

ندب الناس لقتال فارس

خطبة المثني بن حارثة الشيباني	٨٨	٨٨
عمر رضي الله عنه	٨٩	٨٩

الخطبة أو الوصية

رقم الخطبة	رقم الصفحة
٩٠	٨٩
٩١	٩٠

وصاياہ

وصيته للمجاهدين	٩٢	٩١
» لسعد بن أبي وقاص	٩٣	٩١
» لسعد بن أبي وقاص أيضاً	٩٤	٩٣
» أخرى كتبها لسعد بن أبي وقاص	٩٥	٩٣
» للخليفة من بعده	٩٦	٩٥

خطب يوم الشورى

خطبة عبد الرحمن بن عوف	٩٧	٩٧
» عثمان بن عفان	٩٨	٩٨
» الزبير بن العوام	٩٩	٩٨
» سعد بن أبي وقاص	١٠٠	٩٩
» علي بن أبي طالب	١٠١	٩٩

خطب عثمان بن عفان رضی اللہ عنہ

خطبته حين يايه أهل الشورى	١٠٢	١٠٠
خطبته بعد البيعة	١٠٣	١٠١
خطبة أخرى	١٠٤	١٠١
خطبته حين تقم عليه الناس	١٠٥	١٠٢
خطبته التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة	١٠٦	١٠٢
خطبته في الردّ على الثوار	١٠٧	١٠٣

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة
رقم
الخطبة

خطبته وقد اشتد عليه الحصار ١٠٨ ١٠٤

آخر خطبة خطها عثمان ١٠٩ ١٠٤

خطب الوفود

خطبة عطار بن حاجب بن زرارَةَ بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ١١٠ ١٠٥

خطبة ثابت بن قيس بن الشماس ١١١ ١٠٦

عمرو بن الاهتم والزبران بن بدر بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ١١٢ ١٠٦

خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي ١١٣ ١٠٧

ردّه صلى الله عليه وسلم ١١٤ ١٠٨

خطبة ظبيان بن حداد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ١١٥ ١٠٩

خطب الوفود بين يدي عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

خطبة هلال بن بشر ١١٦ ١١١

» زيد بن جبلة ١١٧ ١١١

» الأحنف بن قيس ١١٨ ١١٢

» الأحنف بن قيس ١١٩ ١١٢

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزيد جرد ملك الفرس

خطبة النعمان بن مقرن ١٢٠ ١١٤

» المغيرة بن زرارَةَ ١٢١ ١١٥

مقال ربي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس ١٢٢ ١١٦

خطبة المغيرة بن شعبَةَ في حضرة رستم ١٢٣ ١١٧

» خالد بن الوليد في وقعة اليرموك ١٢٤ ١١٧

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبله	١٢٥	١١٩
« سعيد بن العاص حين قدم الكوفة والياً عليها	١٢٦	١٢٠
الخنساء تحرض أولادها على القتال	١٢٧	١٢٠
خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية	١٢٨	١٢١
« السيدة عائشة في الانتصار لأبيها	١٢٩	١٢٣
رثاؤها لأبيها	١٣٠	١٢٥
خطبتها حين أنبتت بقتل عمان	١٣١	١٢٦

فتنة أصحاب الجمل

خطبة طلحة	١٣٢	١٢٧
« السيدة عائشة بالمربد	١٣٣	١٢٧
« عدى بن حاتم يستنفر قومه لنصرة الإمام على رضي الله عنه	١٣٤	١٢٨
« زفر بن زيد يستنفر قومه لنصرة الإمام على رضي الله عنه	١٣٥	١٢٩
« سعيد بن عبيد الطائي	١٣٦	١٣٠
« أبي موسى الأشعري	١٣٧	١٣٠
« أخرى له	١٣٨	١٣١
« زيد بن صوحان	١٣٩	١٣٢
« القعقاع بن عمرو	١٤٠	١٣٢
« سيحان بن صوحان	١٤١	١٣٣
« الحسن بن علي رضي الله عنه	١٤٢	١٣٣
وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل	١٤٣	١٣٤
خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه	١٤٤	١٣٦
« السيدة عائشة يوم الجمل	١٤٥	١٣٦
« زفر بن قيس	١٤٦	١٣٨

الخطبة أو الوصية رقم الصفحة

خطبة جرير بن عبد الله البجلي	١٤٧	١٣٨
» زياد بن كعب	١٤٨	١٣٩
» الأشعث بن قيس	١٤٩	١٣٩

فتنة معاوية

استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه
وقد أراد المسير إلى الشام

خطبة الإمام عليّ	١٥٠	١٤٠
» هاشم بن عتبة	١٥١	١٤٠
» عمار بن ياسر	١٥٢	١٤١
» قيس بن سعد بن عبادة	١٥٣	١٤١
» سهل بن حنيف	١٥٤	١٤٣
» الإمام عليّ	١٥٥	١٤٢
» الأشتر النخعي	١٥٦	١٤٣
مقال من ثبطوه عن المسير	١٥٧	١٤٤
رد الإمام عليهم	١٥٨	١٤٤
خطبة عدى بن حاتم الطائي	١٥٩	١٤٥
» زيد بن حصين الطائي	١٦٠	١٤٦
» أبي زينب بن عوف	١٦١	١٤٦
» يزيد بن قيس الأرحبي	١٦٢	١٤٧
» زياد بن النضر	١٦٣	١٤٧
» عبد الله بن بديل الخزاعي	١٦٤	١٤٧
أدب الإمام عليّ كرم الله وجهه	١٦٥	١٤٩

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
١٤٩	١٦٦	مقال عمرو بن الحق
١٥٠	١٦٧	« حجر بن عدى
١٥٠	١٦٨	« هاشم بن عتبة
١٥٢	١٦٩	خطبة الامام على
١٥٣	١٧٠	« الحسن بن على
١٥٣	١٧١	« الحسين بن على
وفد على إلى معاوية		
١٥٤	١٧٢	خطبة بشير بن عمرو
١٥٥	١٧٣	« شبت بن ربيع
١٥٥	١٧٤	« معاوية
وفد على إلى معاوية أيضا		
١٥٦	١٧٥	خطبة عدى بن حاتم
١٥٦	١٧٦	جواب معاوية
١٥٧	١٧٧	خطبة يزيد بن قيس
١٥٧	١٧٨	« معاوية
وفد معاوية إلى على		
١٦٠	١٧٩	خطبة حبيب بن مسلمة
١٦١	١٨٠	« على بن أبي طالب
التحريض على القتال من قبل معاوية		
١٦٢	١٨١	خطبة عمرو بن العاص
١٦٣	١٨٢	« أخرى لعمرو بن العاص
١٦٣	١٨٣	« معاوية بن أبي سفيان يحرض أهل الشام

الخطبة أو الوصية

الخطبة	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة ذى الكلاع الحميرى	١٨٤	١٦٤
» يزيد بن أسد البجلي	١٨٥	١٦٧
التحريض على القتال من قبل الامام علىؑ		
خطبة الامام على	١٨٦	١٦٩
» أخرى له	١٨٧	١٧٠
من كلام له كرم الله وجهه كان يقوله لأصحابه فى بعض أيام صفين	١٨٨	١٧١
خطبة أخرى للامام	١٨٩	١٧٢
» للامام علىؑ	١٩٠	١٧٣
» أخرى له	١٩١	١٧٤
» عبد الله بن عباس	١٩٢	١٧٤
» عبد الله بن بديل الخزاعى	١٩٣	١٧٦
» أبى الهيثم بن التيهان	١٩٤	١٧٦
» للامام على	١٩٥	١٧٧
» سعيد بن قيس	١٩٦	١٧٨
» يزيد بن قيس الأرحبى	١٩٧	١٧٩
» هاشم بن عتبة المرفال	١٩٨	١٨٠
» عمار بن ياسر	١٩٩	١٨١
» الأشر النخعى	٢٠٠	١٨٢
» الأشر فى المهزمين من الميمنة	٢٠١	١٨٣
» أخرى له فيهم	٢٠٢	١٨٤
» على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم	٢٠٣	١٨٥
» خطبة خالد بن معمر	٢٠٤	١٨٦
» عقبة بن حديد النمرى	٢٠٥	١٨٨

الخطبة أو الوصية

رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد	١٨٧
تخريض معاوية أيضاً	١٨٨
ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين	١٨٩
جواب قيس بن سعد	١٩٠
خطب الشيعيات في وقعة صفين	١٩١
خطبة عكرشة بنت الأطرش	١٩١
» أم الخير بنت الحريش	١٩٣
» الزرقاء بنت عدى الهمدانية	١٩٦
اختلاف أهل العراق في الموادعة	١٩٨
خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه	١٩٨
» كردوس بن هاني	١٩٩
» سفيان بن ثور	١٩٩
» حريث بن جابر	١٩٩
» خالد بن معمر	٢٠٠
» الحصين بن المنذر	٢٠٠
» عثمان بن حنيف	٢٠٠
» عدى بن حاتم	٢٠٢
» عبد الله بن حجل	٢٠٣
» صعصعة بن صوحان	٢٠٣
» المنذر بن جارود	٢٠٤
» الأحنف بن قيس	٢٠٤
» عمير بن عطار	٢٠٥
» عليّ بن أبي طالب	٢٠٥

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

٢٢٧	مقال عدى بن حاتم	٢٠٥
٢٢٨	» الأشتر النخعي	٢٠٦
٢٢٩	» عمرو بن الحقيق	٢٠٦
٢٣٠	» الأشعث بن قيس	٢٠٦
٢٣١	» عبد الرحمن بن الحارث	٢٠٧
٢٣٢	» عمار بن ياسر	٢٠٧

التحكيم بين عليّ ومعاوية

٢٣٣	كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري	٢٠٨
٢٣٤	» » » وصية شريح بن هانئ	٢٠٩
٢٣٥	» » » الأحنف بن قيس	٢١٠
٢٣٦	» معاوية لعمر بن العاص	٢١١
٢٣٧	رد عمرو بن العاص عليه	٢١٢
٢٣٨	مقال شرحبيل بن السمط لعمر	٢١٢
٢٣٩	خطبة أبي موسى الأشعري	٢١٢
٢٤٠	» عمرو بن العاص	٢١٢
٢٤١	» الإمام بعد التحكيم	٢١٣
٢٤٢	» الحسن بن عليّ	٢١٤
٢٤٣	» عبد الله بن عباس	٢١٤
٢٤٤	» عبد الله بن جعفر	٢١٥

فتنة الخوارج

٢٤٥	مناظرة ابن عباس لهم	٢١٥
٢٤٦	» الإمام لهم	٢١٧

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢١٨	٢٤٧	صورة أخرى
٢٢١	٢٤٨	مناظرة ابن عباس لهم
٢٢٢	٢٤٩	خطبة يزيد بن عاصم المحاربي
٢٢٣	٢٥٠	» عبد الله بن وهب الراسبي
٢٢٤	٢٥١	» حرقوص بن زهير السعدي
٢٢٤	٢٥٢	» حمزة بن سنان الأسدي
٢٢٤	٢٥٣	» شريح بن أوفى العبسي
٢٢٥	٢٥٤	مقال زيد بن حصين الطائي
٢٢٦	٢٥٥	خطبة الإمام في تخويف أهل النهروان
٢٢٨	٢٥٦	صورة أخرى
٢٢٩	٢٥٧	خطبة المستورد بن علفة
خور أصحاب الإمام وتقا عسهم عنه		
٢٣٠	٢٥٨	خطبة ابن عباس في أهل البصرة
٢٣١	٢٥٩	» الامام وقد أراد الانصراف من النهروان
٢٣١	٢٦٠	مقال الأشعث بن قيس
٢٣٢	٢٦١	خطبة الامام يستنفر لقتال معاوية
٢٣٣	٢٦٢	» » » » »
٢٣٤	٢٦٣	صورة أخرى
٢٣٦	٢٦٤	خطبة أبي أيوب الأنصاري
٢٣٦	٢٦٥	» الامام وقد أعار النعمان بن بشير على عين التمر
٢٣٧	٢٦٦	صورة أخرى
	٢٦٧	خطبة الإمام وقد أعار الضحاك على الحيرة
٢٨٩	»	» وقد أعار سفيان بن عوف على الانبار

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢٤٣	٢٦٩	خطبة للحسن بن عليّ في يوم الجمعة
٢٤٣	٢٧٠	» معاوية وقد بلغه هلاك الأشر
٢٤٤		فتنة البصرة
٢٤٤		تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله
٢٤٤	٢٧١	خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي
٢٤٥	٢٧٢	» الضحاك بن عبد الله الهلالي
٢٤٦	٢٧٣	» عبد الرحمن بن عمير القرشي
٢٤٧	٢٧٤	» زياد بن أبيه
٢٤٧	٢٧٥	» شيان الأزدي
٢٤٧	٢٧٦	» صبرة بن شيان
٢٤٨	٢٧٧	» الامام عليّ
٢٤٩	٢٧٨	» أعين بن ضبيعة
٢٥٠	٢٧٩	» جارية بن قدامة
٢٥٠	٢٨٠	» زياد
٢٥١	٢٨١	» أبي صبرة شيان
٢٥١	٢٨٢	» صبرة بن شيان
٢٥٢	٢٨٣	» خنفر الحاماني
٢٥٣	٢٨٤	صعصعة بن صوحان ومعاوية
٢٥٧	٢٨٥	خطبة عبد الله بن مسعود
٢٥٨	٢٨٦	وصية دريد بن الصمة
٢٥٩	٢٨٧	» عمير بن حبيب الصحابي لبنيه
٢٥٩	٢٨٨	» قيس بن عاصم المنقري لبنيه
٢٦٠	٢٨٩	» العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله

الخطبة أو الوصية

رقم الخطبة	رقم الصفحة
٢٩٠	٢٦٠
خطبة أكرم بن صيفي يدعو قومه إلى الاسلام	
٢٩١	٢٦٢
وصية أبي طالب لوجه قريش عند موته	
٢٩٢	٢٦٣
خطبة مالك بن نمط بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	
٢٩٣	٢٦٤
سفانة بنت حاتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	
٢٩٤	٢٦٥
خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء	
٢٩٥	٢٦٦
أبوزبيد الطائي يصف الأسد	
٢٩٦	٢٦٩
تتمة في الحكم	

بقية العصر الجاهلي

٢٩٧	٢٧٢
خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة	
٢٩٨	٢٧٣
منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية	
٢٩٩	٢٧٤
مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر	
٣٠٠	٢٧٥
رد امرئ القيس عليه	
٣٠١	٢٧٦
بين مهلهل بن ربيعة ، ومرّة بن ذهل الشيباني	
٣٠٢	٢٧٨
مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جوين الطائي	
٣٠٣	٢٨٢
قيس بن رفاعة والحارث بن أبي شمر الغساني	
٣٠٤	٢٨٣
قس بن ساعدة عند قيصر	
٣٠٥	٢٨٣
رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعي	
٣٠٦	٢٨٥
إحدى ملكات اليمن وحاطبونها	
٣٠٧	٢٨٦
خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته	
٣٠٨	٢٨٧
وصية عامر بن الظرب العدواني	
٣٠٩	٢٨٨
« دويد بن زيد لبنيه »	
٣١٠	٢٨٩
« زهير بن جناب الكلبي »	
٣١١	٢٩٠
« النعمان بن ثواب العبدي لبنيه »	

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	وصية
٢٩١	٣١٢	وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط
٢٩٢	٣١٣	نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدّها الربيع بن زياد
٢٩٣	٣١٤	وصية حصن بن حذيفة لبنيه
٢٩٤	٣١٥	وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني
٢٩٦	٣١٦	وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس
٢٩٧	٣١٧	ليبد بن ربيعة يصف بقلة
٢٩٨	٣١٨	مخالس بن مزاحم ، وفاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر
٣٠٠	٣١٩	ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر
٣٠١	٣٢٠	وصية لأكثم بن صيفي
٣٠٥	٣٢١	« أكثم بن صيفي لطبي »
٣٠٦	٣٢٢	أمثال أكثم بن صيفي و بزرجمهر الفارسي
٣١٢	٣٢٣	كلمات هند بنت الحس الايادية

خطب الكهان

٣١٦	٣٢٤	الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف على أمية بن عبد شمس
٣١٧	٣٢٥	عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث
٣١٨	٣٢٦	كاهن بن الحارث بن كهب يحذرهم غزو بني تميم
٣١٩	٣٢٧	أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة
٣٢٠	٣٢٨	خمسة نفر من طي* يمتحنون سواد بن قارب الدوسي
٣٢٤	٣٢٩	حديث مصاد بن مذعور القيني
٣٢٦	٣٣٠	« خنافر بن التووم الحيري مع رثيه شصار
٣٢٨	٣٣١	شافع بن كليب الصدقي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
٣٢٩	٣٣٢	سطيح الذئبي يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي
٣٣١	٣٣٣	شق أعمار يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود عبد المسيح بن بقليلة على سطيح	٣٣٤	٣٣٢
شق وسطيح يبنشان بأصل ثقيف	٣٣٥	٣٣٥
تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقفين إلى عزي سلامة الكاهن	٣٣٦	٣٣٦
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم	٣٣٧	٣٣٨
خطب الكواهن		
الشعناء الكاهنة تصف سبعة إخوة	٣٣٨	٣٣٩
طريقة الخير تتكهن بسيل العرم ، وخراب سد مأرب	٣٣٩	٣٤٢
حديث زبراء الكاهنة مع بي رثام	٣٤٠	٣٤٧
كاهنة ذى الخليفة تتكهن بما في بطن رقية بنت جشم	٣٤١	٣٤٩
رأى سلمى الهمدانية في حريم المرادى	٣٤٢	٣٥٠
تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية	٣٤٣	٣٥٠
عقيرا الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال	٣٤٤	٣٥٢



فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إنباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

— أ —	
أوس بن حارثة ٤٥	أبو أيوب الأنصاري ص ٢٣٦
— ب —	أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٦٢ - ٦٣ -
بسطام الشيباني ١٢	٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ -
بشير بن سعد ٦٥	٧٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨ - ٢٦٩
بشير بن عمرو ١٥٤	أبو زيد الطائي ٢٦٦
— ث —	أبو زينب بن عوف ١٤٦
ثابت بن قيس بن الشماس ١٠٦	أوطالب بن عبد المطلب ٣٨ - ٢٦٢
— ج —	أبو موسى الأشعري ١٣٠ - ١٣١ - ٢١٢
جارية بن قدامة ٢٥٠	أبو الهيثم بن التيهان ١٧٦
جرير بن عبد الله البجلي ١٣٨	الأحنف بن قيس ١١٢ - ٢٠٤ - ٢١٠
جماعة بن أفلح ٣٠	الأشتر النخعي ١٤٣ - ١٨٢ - ١٨٣ -
الجمانة بنت قيس ٢٩٢	١٨٤ - ٢٠٦
— ح —	الأشعث بن قيس الكندي ١٢ - ١٣٩ -
حاجب بن زرارة ١٣ - ٢٢	٢٠٦ - ٢٣١
الحارث بن ذبيان ٥	أعين بن ضبيعة ٢٤٩
الحارث بن ظالم المزني ٢٨	أكثم بن صيفي ٢١ - ٣١ - ٤٦ - ٤٧ -
الحارث بن عباد ٢٣	٢٦٠ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١١
الحارث بن كعب ٤٩	أمامة بنت الحارث ٢٩٦
	أم الخير بنت الحرث ١٩٣

- ذ -

ذو الأصبع العدواني ٤٦

ذو الكلاع الحميري ١٦٤

- ر -

رَبِي بن عامر ١١٦

- ز -

زبراء الكاهنة ٣٤٧

الزبير بن العوام ٩٨

الزرقاء بنت عدى ١٩٧

زفر بن قيس ١٣٨ - ١٢٩

زهير بن جناب الكلبي ٢٨٩

زياد بن أبيه ٢٥٠ - ٢٤٧

زياد بن كعب ١٣٩

زياد بن النضر ١٤٧

زيد بن جبلة ١١١

زيد بن حصين الطائي ١٤٦ - ٢٢٥

زيد بن صوحان ١٣٢

- س -

سبيع بن الحارث ٢

سطيح الذئبي ٣٢٩ - ٣٣٢ - ٣٣٥

سعد بن أبي وقاص ٩٩

سعد بن عبادة ٦١

سعيد بن العاص ١٢٠

الجباب بن المنذر ٦٤

حبيب بن مسلمة ١٦٠

حجر بن عدى ١٥٠

حذيفة بن بدر الفزاري ١٢

حرقوص بن زهير ٢٢٤

حويث بن جابر ١٩٩

الحسن بن علي ١٣٣ - ١٥٣ - ٢١٤ - ٢٤٣

الحسين بن علي ١٥٣

حصن بن حذيفة ٢٩٢

الحصين بن المنذر ٢٠٠

حمزة بن سنان ١٢٤

حممة بن رافع الدوسي ٣٤

- خ -

خالد بن جعفر الكلابي ٢٥

خالد بن معمر ١٨٦ - ٢٠٠

خالد بن الوليد ١١٧

خنثر بن عبيدة ١٨٧

الخنساء ١٢٠

خنفر الخاني ٢٥٢

د

دريد بن الصمة ٢٥٨

دويد بن زيد ٢٨٨

- ط -

- طريف بن العاصي ٥
طريفة الكاهنة ٣٤٢
طلحة بن عبيد الله ١٢٧
طهفة بن أبي زهير النهدي ١٠٧

- ظ -

- ظبيان بن حداد ١٠٩

- ع -

- عائشة رضي الله عنها ١٢٣ - ١٢٥ -
١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٦
عامر بن جوين ٢٧٨
عامر بن الطفيل ٨ - ٢٧
عامر بن الظرب ٢٨٦ - ٢٨٧
عبد الرحمن بن الحارث ٢٠٧
عبد الرحمن بن عمير ٢٤٦
عبد الرحمن بن عوف ٩٧
عبد الله بن بديل بن ورقاء ١٤٨ - ١٧٦
عبد الله بن جعفر ٢١٥
عبد الله بن حجل ٢٠٣
عبد الله بن الزبير ١٢١
عبد الله بن عامر الحضرمي ٢٤٤
عبد الله بن عباس ١٧٤ - ٢٠٨ -
٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢١ - ٢٣٠ - ٢٧١

- سعيد بن عبيد الطائي ١٣٠
سفانة بنت حاتم ٢٦٤
صفيان بن ثور ١٩٩
سلمى الهمدانية ٣٥٠
سهل بن حنيف ١٤٢
سواد بن قارب ٣٢١
سيحان بن صوحان ١٣٣

- ش -

- شافع بن كليب الصدفي ٣٢٨
شيث بن ربيعي ١٥٥
شرحبيل بن السمط ٢١٢
شريح بن أوفى ٢٢٤
شريح بن هانيء ٢٠٩
الشعناء الكاهنة ٣٣٩
شق أعمار ٣٣١ - ٣٣٥
شيمان الأزدي ٢٤٧ - ٢٥١

- ص -

- صبرة بن شيمان ٢٤٧ - ٢٥١
صعصعة بن صوحان ٢٠٣ - ٢٥٣

- ض -

- الضحاك بن عبد الله الهلالي ٢٤٥
ضمرة بن ضمرة ٣٠٠

٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٢٧ - ٢٣٨ -	٢٧٢ - ٢٥٧	عبد الله بن مسعود
٢٤٩ - ٢٣٩	٢٢٣	عبد الله بن وهب
٢٠٧ - ١٨١ - ١٤١	٣٣٨ - ٣١	عبد المطلب بن هاشم
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٦٤ - ٧٩ -	١١٩	عتبة بن غزوان
٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٨٦ -	٢٠٠	عثمان بن حنيف
٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ -	- ١٠٠ - ٩٨	عثمان بن عفان رضى الله عنه
٩٣ - ٩٥ - ٢٧٠	٢٧١ - ١٠٤ - ١٠٣ - ١٠٢ - ١٠١	عجفاء بنت علقمة
عمر بن الأهم ١٠٦	٣٥٠	عدي بن حاتم
عمر بن الحمق ١٤٩ - ٢٠٦	١٢٨ - ١٤٥ - ١٥٦ - ٢٠٢ - ٢٠٥	عري سلمة
عمر بن الشريد ٢٤	٣٣٦	عصام الكندي
عمر بن العاص ١٦٢ - ١٦٣ - ٢١١ - ٢١٢	٢٩٤	عطارد بن حاجب بن زرارة ١٠٥
عمر بن كلثوم ٣٧ - ٤٨	٣٥٢	عفياء الكاهنة
عمر بن معديكرب الزبيدي ٢٨	١٨٧	عقبة بن حديد النمرى
عمير بن حبيب ٢٥٩	١٩١	عكرشة بنت الأطرش
عمير بن عطارد ٢٠٥	٢٥ - ٨	علقمة بن علاثة
عوف بن ربيعة الأسدي ٣١٧		على بن أبى طالب كرم الله وجهه
— ق —	٩٩ - ١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ -	٩٩ - ١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ -
فاصر بن مسامة ٢٩٨	١٤٩ - ١٥٢ - ١٦١ - ١٦٩ - ١٧٠ -	١٤٩ - ١٥٢ - ١٦١ - ١٦٩ - ١٧٠ -
قبيصة بن نعيم ٢٧٤	١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ -	١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ -
قس بن ساعدة ٣٥ - ٢٨٣	١٨٥ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢١٣ - ٢١٧ -	١٨٥ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢١٣ - ٢١٧ -
الققعاق بن عمرو ١٣٢ - ١٣٤	٢١٨ - ٢٢٨ - ٢٣١ - ٢٣٢ -	٢١٨ - ٢٢٨ - ٢٣١ - ٢٣٢ -
قيس بن خفاف البرجمي ٤٣		
قيس بن رفاعة ٢٨٢		

- مصاد بن مذعور القيني ٣٢٤
 معاوية بن أبي سفيان ١٥٥ - ١٥٦ -
 ١٥٧ - ١٦٣ - ١٨٨ - ٢١١ - ٢٤٣
 المغيرة بن زرارة ١١٥
 المغيرة بن شعبه ١١٧
 الملبب بن عوف ٣٠
 المنذر بن الجارود ٢٠٤
 ميثم بن مشوب ٣
 - ن -
 النعمان بن بشير ١٨٩
 النعمان بن ثواب العبدي ٢٩٠
 النعمان بن مقرن ١١٤
 النعمان بن المنذر ١٦ - ٢٧٨
 نفيل بن عبد العزى ٢٧٣
 - ه -
 هاشم بن عبد مناف ٣٢ - ٢٧٢
 هاشم بن عتبة ١٤٠ - ١٥٠ - ١٨٠
 هانيء بن قبيصة الشيباني ٣٧
 هلال بن بشر ١١١
 هند بنت الخس الإيادية ٣١٢
 - ي -
 يزيد بن أسد البجلي ١٦٧
 يزيد بن عاصم الحارثي ٢٢٢
 يزيد بن قيس ١٤٧ - ١٥٧ - ١٧٩

تم فهرس أعلام الخطباء

- ٢٩١ تيس بن زهير
 قيس بن سعد بن عبادة ١٤١ - ١٩٠
 قيس بن عاصم السعدي ١٤
 قيس بن عاصم المنقري ٢٥٩
 قيس بن مسعود الشيباني ٢٦
 - ل -
 ٣١٨ كاهن بن الحارث بن كعب
 ٣٤٩ كاهنة ذى الخلصة
 ٣١٦ الكاهن الخزاعي
 ٣١٩ الكاهن اليني
 ١٩٩ كردوس بن هانيء
 ٣٣ كعب بن لؤي
 - ل -
 ٢٩٧ لبيد بن ربيعة
 - م -
 ٣٦ المأمون الحارثي
 ٢٦٣ مالك بن الحط
 المثنى بن حارثة الشيباني ٨٨
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ -
 ٥٦ - ٦٧ - ٦٠ - ١٠٨ - ٢٦٥
 ٢٩٨ مخالس بن مزاحم
 ٢٧٦ مرة بن ذهل
 ٥٤ - ٥٢ مرثد الخير
 ٢٢٩ المستورد بن علفة

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
الرَّحَاب	الرَّحَاب	٨	٧
نَكَدُ	نَكَدِ	١٢	٩
رَجَالُهَا	رَجَالَهَا	٩	١٢
لَغِيَاث	لَغِيَاث	١٦	١٢
تُنَازِع	تُنَازِع	٦	١٦
أُمَّة	أُمَّة	٨	١٦
وَجَنَّتْهُمْ ، وَعَدَّتْهُمْ	وَجَنَّتْهُمْ ، وَعَدَّتْهُمْ	١٣	١٦
وَأَصُولُهَا	وَأَصُولُهَا	١٨	١٦
الناقة المسنة	الناقة : المسنة	١	١٧
تَخْفَرُ	تَخْفَرُ	٣	١٨
كَلٌّ	كَلٌّ	١١	٢٠
شَرٌّ	شَرٌّ	٢	٢٢
وَأَتْرَكَ	وَأَتْرَكَ	٦	٢٤
وَيَسْتَطَابُ	وَيَسْتَطَابُ	١٦	٢٤
يَعْرِضُ	يَعْرِضُ	٥	٢٧
تَفْجَأُ	تَفْجَأُ	١٠	٣٠
الْحَرِيضُ	الْحَرِيضُ	١١	٣٤
الْأَيْرُ	الْأَيْرُ	١	٣٧

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
الناثرة	الناثرة	٣	٣٧
الرّعة (١)	الدعة	٨	٥٠
الضعف	الضعيف	٣	٥٥
استطعتم	استعظتم	٩	٦٨
اتقصه	اتقصه	٩	٨٧
الطلائع	الطلائع	٩	٩٤
وأهلها	وأهها	٨	١٥٠
وأزمتنا	وأزمتنا	١٠	١٥٠
اكله	اكله	١٢	١٥٠
عتبة	عقبة	٩	١٨٠
حتم	حتم	١	١٩٧
أعجب	أعجب	٦	١٩٨
فأسير	فأسير	١	٢٠٤
علي	علي	٢	٢٤٠
الغلل : الماء الذي يجري بين الشجر	الغلل : العطش أو شدته الخ	١٦	٢٦٧

